منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

تأليف

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء الثالث

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۳

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

تتمه الخطبه الثالثه

تتمه و لا بد قبل الشروع فی تمهید مقدمات

المقدمه الثالثه: فی کیفیّه غصب أهل الجلافه للخلافه و ما جری منهم یوم السّقیفه و بعدها

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

في كيفيّه غصب أهل الجلافه للخلافه و ما جرى منهم يوم السّقيفه و بعدها

من إجبار أمير المؤمنين عليه السّلام على البيعه و إنكار من أنكر عليهم ذلك و ما جرى في تلك الوقايع من الظلم و الطغيان لعنه اللّه على أهل البغي و العدوان، و نحن ذاكر هنا ما وصل إلينا من طرق أصحابنا رضوان اللّه عليهم، و أمّا ما ذكره العامه في هذا الباب و رووه في سيرهم و تواريخهم فتصدّى لها كبعض روايات الخاصّه إنشاء اللّه في شرح الخطب الآتيه ممّا أشار فيها الامام عليه السّلام إلى هذا المرام.

فنقول: روى الشّيخ أبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن أبي المفضّل محمّد بن عليّ الشيباني باسناده الصّحيح عن رجال ثقه عن ثقه، أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خرج في مرضه الذي توفّي فيه إلى الصّلاه متوكئا

ص:2

على الفضل بن عبّاس و غلام له يقال له: ثوبان و هى الصّلاه التى أراد التّخلف عنها لثقله ثمّ حمل على نفسه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خرج، فلما صلّى عاد إلى منزله فقال لغلامه:

اجلس على الباب و لا تحجب أحدا من الأنصار و تجلاه الغشى فجاء الأنصار فأحدقوا بالباب و قالوا: ائذن لنا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال: هو مغشىّ عليه و عنده نساؤه، فجعلوا يبكون، فسمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم البكاء فقال: من هؤلاء؟ قالوا: الأنصار، فقال: من هاهنا من أهل بيتى؟ قالوا: علىّ و العباس فدعاهما، و خرج متوكئا عليهما فاستند إلى جذع(١) من أساطين مسجده و كان الجذع جريد نخل فاجتمع النّاس و خطب صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال فى كلامه: إنّه لم يمت نبىّ قط إلاّ خلّف تركه و قد خلّفت فيكم الثّقلين:

كتاب اللّه و أهل بيتى، ألا فمن ضيّعهم ضيّعه اللّه، ألا و إنّ الأنصار كرشى(٢) و عيبتى التى آوى إليها، و إنّى أوصيكم بتقوى اللّه و الاحسان إليهم، فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم.

ثمّ دعا اسامه بن زيد و قال: سر على بركه اللّه و النّصر و العافيه حيث أمرتك بمن أمّرتك عليه، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قد أمّره على جماعه من المهاجرين و الأنصار فيهم أبو بكر و عمر و جماعه من المهاجرين الأولين، و أمره أن يعبروا «يغبروا خ ل» على موته(٣) و اد من فلسطين، فقال اسامه: بأبى أنت و أمّى يا رسول اللّه أ تأذن لى فى المقام أيّاما حتّى يشفيك اللّه، فانّى متى خرجت و أنت على هذه الحاله خرجت و فى قلبى منك قرحه، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: انفذيا اسامه لما أمرتك، فإنّ القعود عن الجهاد لا نحبّ فى حال من الأحوال، فبلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنّ النّاس طعنوا فى عمله، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

بلغنى أنكم طعنتم فى عمل اسامه و فى عمل أبيه من قبل، و أيم اللّه إنّه لخليق للاماره و إنّ أباه كان خليقا لها و إنّه لمن أحبّ النّاس إلىّ، فأوصيكم به خيرا فلان قلتم فى أمارته فقد قال قائلكم فى أماره أبيه.

١- (١) بالكسر ساق النخله، ق.

٢- (٢) كرش الرجل عياله و صغار ولده و العيبه من الرجل موضع سره، لغه.

٣- (٣) موضع قتل فيه جعفر بن ابى طالب، منه.

ثمّ دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بيته و خرج اسامه من يومه حتّى عسكر على رأس فرسخ من المدينه و نادى منادى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أن لا يتخلّف عن اسامه أحد ممّن أمّرته عليه، فلحق النّاس به، و كان أول من سارع إليه ابو بكر و عمرو أبو عبيده ابن الجرّاح، فنزلوا فى زقاق(۱) واحد مع جمله أهل العسكر.

قال: و نقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فجعل النّاس ممّن لم يكن فى بعث اسامه يدخلون عليه إرسالا(۲) و سعد بن عباده شاك(۳) فكان لا يدخل أحد من الأنصار على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ انصرف إلى سعد يعوده.

قال: و قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وقت الضّحى من يوم الاثنين بعد خروج اسامه إلى معسكره بيومين، فرجع أهل العسكر و المدينه قد رجفت بأهلها، فأقبل أبو بكر على ناقه له حتّى وقف على باب المسجد فقال: أيها النّاس ما لكم تموجون إن كان محمّد قد مات فربّ محمّد لم يمت.

«و ما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أ فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضرّ اللّه شيئا» ثمّ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباده و جاذبه إلى سقيفه بنى ساعده فلما سمع بذلك عمر أخبر به أبا بكر و مضيا مسرعين إلى السّقيفه و معهما أبو عبيده بن الجرّاح و فى السّقيفه خلق كثير من الأنصار و سعد بن عباده بينهم مريض، فتنازعوا الأمر بينهم فآل الأمر إلى أن قال أبو بكر فى آخر كلامه للأنصار: إنّما أدعوكم إلى أبى عبيده بن الجرّاح أو عمرو كلاهما قد رضيت لهذا الأمر و كلاهما أراه له أهلا، فقال أبو عبيده و عمر: ما ينبغى لنا أن نتقدّمك يا أبا بكر أنت أقدمنا اسلاما و أنت صاحب الغار و ثانى اثنين فأنت أحقّ بهذا الأمر و أولانا به، فقالت الأنصار

۱- (۱) زقاق زمين هموار و نرم و خاك بى ريگ، لغه.مكرر - الزقاق كغراب السكه من الطريق المنسد، ق

۲- (۲) اى جماعات متتابعين، منه.

۳- (۳) الشوكه داء معروف و حمره تعلوا الجسد، ق.

نحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منّا و لا منكم فنجعل منّا أميرا و منكم أميرا و نرضى به على أنّه إن هلك اخترنا آخر من الأنصار، فقال أبو بكر بعد أن مدح المهاجرين: و أنتم يا معاشر الأنصار ممّن لا ينكر فضلهم و لا نعمتهم العظيمه فى الاسلام، رضيكم اللّه أنصارا لدينه و لرسوله و جعل اليكم مهاجرته و فيكم محلّ أزواجه، فليس أحد من النّاس بعد المهاجرين الأوّلين بمنزلتكم فهم الامرآء و أنتم الوزراء.

فقال الحباب بن المنذر الأنصارى: يا معشر الأنصار املكوا(۱) على أيديكم فإنّما النّاس فى فيئكم و ظلالكم و لن يجترى مجتر على خلافكم و لن تصدر النّاس إلاّ عن رأيكم، و أثنى على الأنصار، ثمّ قال: فان أبى هؤلاء تأميركم عليهم فلسنا نرضى بتأميرهم علينا و لا نقنع بدون أن يكون منّا أميرو منهم أمير.

فقام عمر بن الخطاب فقال: هيهات لا يجتمع سيفان فى غمد(۲) واحد انّه لا ترضى العرب أن تأمركم و نبيّها من غيركم لكنّ العرب لا تمتنع أن تولّى أمرها من كانت النّبوه فيهم و أولوا الأمر منهم، و كنا بذلك على من خالفنا الحجّه الظاهره و السّلطان البيّن فما ينازعنا سلطان محمّد و نحن أولياؤه و عشيرته إلاّ مدلّ بباطل أو متجانف(۳) باثم أو متورّط فى الهلكه محبّ للفتنه.

فقام الحباب بن المنذر ثانيه فقال: يا معشر الأنصار امسكوا على أيديكم لا تسمعوا مقال هذا الجاهل و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، و إن أبوا أن يكون أمير و أمير فاجلوهم عن بلادكم و تولوا هذا الأمر عليهم فأنتم و اللّه أحقّ به منهم فقد دان بأسيافكم قبل هذا الوقت من لم يكن يدين بغيرها و أنا جذيلها(۴)

ص:۵

۱- (۱) يقال املك عليك لسانك اى لا تجره الا بما يكون لك لا عليك، نهايه.

۲- (۲) الغمد بالكسر جفن السيف و هى غلافه، لغه.

۳- (۳) الجنف محركه كالجنوف بالضم الميل عن الحق و الجانف المايل، ق.

۴- (۴) الجذل واحدا لا جذال و هو اصول الحطب العظام و منه قول حباب بن المنذر انا جذيلها المحكك و المجاذل المنتصب مكانه لا يبرح شبه بالجذل الذى ينصب فى المعاطن لتحتك به الابل الجربى اراد أنه يستغنى برايه و تدبيره، صحاح.

المحكّك و عذيقها المرجب(۱) و اللّه لئن ردّ أحد قولی لأحطمنّ أنفه بالسّيف.

قـال عمر بن الخطاب: فلما كان حباب هو الـذی يجيبنی لم يكن لی معه جواب «فی كلام خ ل» فانّه جرت بينی و بينه منازعه فی حيـاه رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم فنهانی رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم عن مهاترته(۲) فحلفت أن لا أكلّمه أبدا.

ثمّ قال عمر لأبی عبيده: تكلّم، فقام أبو عبيده بن الجراح و تكلّم بكلام كثير و ذكر فيه فضايل الأنصار و كان بشير بن سعد سيّدا من سـادات الأنصـار لما رأى اجتماع الأنصار على سـعد بن عباده لتأميره حسـده و سـعى فی افساد الأمر عليه و تكلّم فی ذلک و رضی بتأمير قريش و حث النّاس كلّهم و لا سيّما الأنصار على الرّضا بما يفعله المهاجرون.

فقال أبو بكر: هذا عمرو أبو عبيده شيخا قريش فبايعوا أيّهما شئتم.

فقال عمرو أبو عبيده: ما نتولی هذا الأمر امدد يدک نبايعک.

فقال بشـير بن سـعد: و أنا ثالثكما، و كان سـيد الأوس و سعد بن عباده سيد الخزرج، فلما رأت الأوس صنيع بشير و ما دعت إليه الخزرج من تـأمير سـعد، أكبّوا على أبی بكر بـالبيعه و تكـاثروا على ذلک و تزاحموا فجعلوا يطئون سـعدا من شـده الزّحمه و هو بينهم على فراشه مريض، فقال: قتلتمونی قال عمر: اقتلوا سعدا قتله اللّه.

فوثب قيس بن سـعد فأخذ بلحيه عمرو قال: و اللّه يابن صهّاک الجبان فی الحروب الفرّار اللّيث فی الملاء و الأمن لو حركت منه شعره ما رجعت فی وجهک واضحه(۳) فقال أبو بكر مهلا يا عمر فانّ الرّفق أبلغ و أفضل، فقال سعد: يابن صهاک و كانت

۱- (۱) فی حديث السـقيفه انا جذيلها المحكک و عذيقها المرجب الرجبه ان تعمد النخله الكريمه بينا، من حجاره او خشب اذا خيف عليها لطولها و كثره حملها ان تقع و رجبتها فهی مرجبه و العـذيق تصـغير العذق بالفتح و هی النخله و هو تصـغير تعظيم و قـد يكون ترجيبهـا بـان يجعل حولها شوک لئلا يرتقی اليها «النهايه» و ترجيبها ضم اعـذاقها الى سعفاتها و شـدها بالخوص لئلا تنفضها الريح او وضع الشوک حولها لئلا يصل اليها آكل و منه انا جذيلها المحكک و عذيقها المرجب، ق

۲- (۲) تهاتر الرجلان اذا ادعى كل واحد منهما على صاحبه باطلا.

۳- (۳) الواضحه الاسنان التی تبد و عند الضحک، ق.

جدّه عمر حبشیه: أما و اللّه لو أنّ لی قوّه علی النّهوض لسمعتما منّی فی سککها زئیرا(۱) أزعجک(۲) و أصحابک منها و لا لحقنکما بقوم کنتما فیهم أذنابا أذلاّء تابعین غیر متبوعین، لقد اجترئتما، ثمّ قال للخزرج احملونی من مکان الفتنه، فحملوه فأدخلوه منزله، فلما کان بعد ذلک بعث إلیه ابو بکر أن قد بایع النّاس فبایع فقال: لا و اللّه حتّی أرمیکم لکلّ سهم فی کنانتی(۳) و اخضب منکم سنان رمحی و أضربکم بسیفی ما أقلّت یدی فأقاتلکم بمن تبعنی من أهل بیتی و عشیرتی ثمّ و أیم اللّه لو اجتمع الجنّ و الانس علیّ لما بایعتکما أیها الغاصبان حتی أعرض علی ربی و أعلم ما حسابی، فلما جاءهم کلامه قال عمر: لا بدّ من بیعته، فقال بشیر بن سعد إنّه قد أبی و لجّ و لیس بمبایع أو یقتل و لیس بمقتول حتّی یقتل معه الخزرج و الأوس فاترکوه، فلیس ترکه بضایر فقبلوا قوله و ترکوا سعدا.

فکان سعد لا یصلّی بصلاتهم و لا یقضی بقضائهم و لو وجد أعوانا لصال بهم و لقاتلهم فلم یزل کذلک مدّه ولایه أبی بکر حتّی هلک أبو بکر، ثمّ ولی عمر و کان کذلک فخشی سعد غائله(۴) عمر فخرج إلی الشّام فمات بحوران(۵) فی ولایه عمرو لم یبایع أحدا و کان سبب موته أن رمی بسهم فی اللیل فقتل و زعم أنّ الجنّ رموه، و قیل أیضا إنّ محمّد بن سلمه الانصاری تولی ذلک بجعل جعلت له علیه و روی أنّه تولی ذلک المغیره بن شعبه و قیل خالد بن الولید.

قال: و بایع جماعه الأنصار و من حضر من غیرهم و علیّ بن أبی طالب مشغول بجهاز رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فلما فرغ من ذلک و صلّی علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و النّاس یصلّون علیه من بایع أبی بکر و من لم یبایع و جلس فی المسجد فاجتمع الیه بنوا هاشم و معهم الزّبیر بن العوام، و اجتمعت بنوا امیّه إلی عثمان بن عفان و بنوا

ص:۷

۱- (۱) زئیر صوت الاسد فی صدره ص.

۲- (۲) یزعجک زعجه قلعه من مکانه کازعجه، ق.

۳- (۳) کنانه السهام بالکسر جعبه من جلد لا خشب فیها او بالعکس، ق

۴- (۴) الغائله صفه لخصله مهلکه نهایه.

۵- (۵) کوره بدمشق ق.

زهره إلی عبد الرّحمان بن عوف فکانوا فی المسجد مجتمعین إذ أقبل أبو بکر و عمر و أبو عبیده بن الجرّاح، فقالوا: ما لنا نریکم خلقا شتی؟ قوموا فبایعوا ابا بکر فقد بایعته الأنصار و النّاس، فقام عثمان و عبد الرّحمان بن عوف و من معهما فبایعوا و انصرف علیّ علیه السّلام و بنو هاشم إلی منزل علیّ و معهم الزّبیر.

قال: فذهب إلیهم عمر فی جماعه ممّن بایع فیهم اسید بن حصین و سلمه بن سلامه فألفوهم مجتمعین، فقالوا لهم بایعوا أبا بکر فقد بایعه النّاس فوثب الزّبیر إلی سیفه فقال عمر علیکم بالکلب العقور فاکفونا شرّه فبادر سلمه بن سلامه فانتزع السّیف من یدیه فأخذه عمر فضرب به الأرض فکسره و أحدقوا بمن کان هناک من بنی هاشم و مضوا بجماعتهم إلی أبی بکر فلما حضروا، قالوا: بایعوا أبا بکر و قد بایعه النّاس و أیم اللّه لئن أبیتم من ذلک لنحا کمنّکم بالسّیف، فلما رأی ذلک بنو هاشم أقبل رجل رجل فجعل یبایع حتّی لم یبق ممّن حضر إلاّ علیّ بن أبی طالب علیه السّلام.

فقالوا له: بایع ابا بکر فقال علیّ علیه السّلام: أنا أحقّ بهذا الأمر منه و أنتم أولی بالبیعه لی أخذتم هذا الأمر من الانصار و احتججتم علیهم بالقرابه من الرّسول و تأخذونه منّا أهل البیت غصبا ألستم زعمتم للأنصار أنکم أولی بهذا الأمر منهم لمکانکم من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فأعطوکم المقاده و سلّموا لکم الاماره و أنا أحتجّ علیکم بمثل ما احتججتم علی الانصار، أنا أولی برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حیّا و میّتا و أنا وصیّه و وزیره و مستودع سرّه و علمه و أنا الصّدیق الاکبر أوّل من آمن به و صدّقه و أحسنکم بلاء فی جهاد المشرکین و أعرفکم بالکتاب و السنّه و أذربکم(۱) لسانا و أثبتکم جنانا، فعلام تنازعونا هذا الامر، أنصفونا إن کنتم تخافون اللّه من أنفسکم، و اعرفوا لنا من الامر مثل ما عرفته لکم الانصار و إلاّ فبوءوا بالظلم و العدوان و أنتم تعلمون.

فقال عمر: أمالک بأهل بیتک أسوه؟ فقال علیّ علیه السّلام سلوهم عن ذلک، فابتدر

۱- (۱) الذرب حدید اللسان، ق.

القوم الـذين بـايعوا من بنى هاشم فقالوا: ما بيعتنا بحجّه على علىّ عليه السّلام و معاذ اللّه أن نقول: إنّا نوازيه فى الهجره و حسـن الجهـاد و المحـلّ من رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فقـال عمر: إنـك لست متروكا حتّى تبايع طوعا أو كرها، فقال علىّ عليه السّلام: احلب حلبا لك شطره اشـدد له اليوم ليردّ عليك غـدا إذا و اللّه لا أقبل قولك و لا أحفل بمقامكم و لا ابايع، فقال أبو بكر: مهلا يا أبا الحسن ما نشد فيك و لا نكرهك.

فقام أبو عبيده إلى علىّ عليه السّلام فقال: يا بن عمّ لسنا ندفع قرابتك و لا سابقتك و لا علمك و لا نصرتك، و لكنّك حدث السّن، و كان لعلىّ عليه السّلام يومئذ ثلاث و ثلاثون سنه و ابو بكر شيخ من مشايخ قومك و هو أحمل لثقل هـذا الامر و قد مضـى الامر بما فيه فسلّم له، فان عمّرك اللّه يسلّموا هـذا الامر إليك و لا يختلف فيك إثنان بعـد هـذا إلّا و أنت به خليق و له حقيق و لا تبعث الفتنه فى أوان الفتنه فقد عرفت بما فى قلوب العرب و غيرهم عليك.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: يا معاشر المهاجرين و الانصار، اللّه اللّه لا تنسوا عهد نبيّكم اليكم فى أمرى و لا تخرجوا سلطان محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من داره و قعر بيته إلى دوركم و قعر بيوتكم، و لا تدفعوا أهله عن حقّه و مقامه فى النّاس فو اللّه يـا معاشر النـاس «الجمع خ» إنّ اللّه قضـى و حكم و نبيّه أعلم و أنتم تعلمون بأنـا أهـل البيت أحقّ لهـذا الامر منكم مـا كان «فكـان خ» القارى منكم لكتاب اللّه الفقيه فى دين اللّه المضطلع(۱) بأمر الرّعيه و اللّه إنّه لفينـا لا فيكم فلا تتّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعدا و تفسدوا قديمكم بشرّ من حديثكم.

فقال بشير بن سعد الانصارى الذى وطأ الامر لأبى بكر و قالت جماعه من الانصار:

يا أبا الحسن لو كان هذا الكلام سمعته منك الانصار قبل بيعتها «الانتظام خ» لأبى بكر ما اختلف فيك اثنان.

فقال علىّ عليه السّلام: يا هؤلاء كنت أدع الرّسول و هو مسجّى(۲) لا أواريه

۱- (۱) و مضطلع اى قوى عليه ق.

۲- (۲) سجيت الميت تسجيه اذا مددت عليه ثوبا، ق.

و أخرج أنازع فی سلطانه، و اللّه ما خفت «خلت ظ» أحدا يسمو(۱) له و ينازعنا أهل البيت فيه و يستحلّ ما استحللتموه، و لا علمت أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ترک يوم غدير خمّ لأحد حجّه و لا لقائل مقالا، فانشد اللّه رجلا سمع يوم غدير خمّ يقول صلّى اللّه عليه و آله: من كنت مولاه فعلیّ مولاه اللّهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله، أن يشهد الآن بما سمع.

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلا بدريّا بذلک و كنت ممّن سمع القول من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فكتمت الشّهاده فذهب بصرى، قال: و كثر الكلام فى هذا المعنى و ارتفع الصّوت و خشى عمر أن يصغى «النّاس خ» الى قول علیّ عليه السّلام ففسخ المجلس و قال: إنّ اللّه يقلّب القلوب و الأبصار و لا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعه فانصرفوا يومهم ذلک.

و فى الاحتجاج أيضا عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام: جعلت فداک هل كان أحد فى أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنكر على أبى بكر فعله و جلوسه مجلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ فقال عليه السّلام: نعم كان الذى أنكر على أبى بكر اثنى عشر رجلا، من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص و كان من بنى اميه، و سلمان الفارسى، و أبو ذر الغفارى، و المقداد بن الأسود، و عمّار بن ياسر، و بريده الأسلمى و من الانصار أبو الهيثم بن التيهان، و سهل، و عثمان ابنا حنيف، و خزيمه بن ثابت، و ذو الشّهادتين، و أبىّ بن كعب، و أبو أيوب الأنصارى، قال: فلمّا صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض: و اللّه لنأتينّه و لننزلنه عن منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و قال آخرون منهم و اللّه لئن فعلتم ذلک إذا لأعنتم(۲) على أنفسكم، فقد قال اللّه تعالى:

۱- (۱) يقال فلان يسمو الى المعالى اذا تطاول اليها، نهايه.

۲- (۲) الاعنات در كارى افكندن كه از آن بيرون نتوان آمد و من ثم ضبطه فى بعض النسخ اعنتم.

«وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكَمْ إِلَى التَّهْلُكَهِ » فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام لنستشيره و نستطلعه على الأمر و نستطلع رأيه، فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين عليه السّلام بأجمعهم فقالوا يا أمير المؤمنين: تركت حقّا أنت أحق به و أولى منه، لأنّا سمعنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ يميل مع الحقّ كيف مال، و لقد هممنا أن نصير اليه فنزله عن منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و سلّم، فجئناک لنستشيرک و نستطلع رأيک فيما تأمرنا.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: و أيم اللّه لو فعلتم ذلک لما کنتم لهم إلّا حربا و لکنکم کالملح فى الزّاد و کالکحل فى العين، و أيم اللّه لو فعلتم ذلک لأتيتمونى شاهرين أسيافکم مستعدّين للحرب و القتال و إذا لآتونى فقالوا لى: بايع و إلّا قتلناک، فلا بدّ من أن أدفع القوم عن نفسى و ذلک إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو عز(1) إلىّ قبل وفاته، و قال لى يا أبا الحسن، إنّ الأمه ستغدر بک من بعدى و تنقض فيک عهدى و إنّک منّى بمنزله هارون من موسى و إن الامه من بعدى بمنزله هارون «کهرون خ» و من اتبعه و السّامرى و من اتبعه، فقلت يا رسول اللّه فما تعهد إلىّ إذا کان کذلک؟ فقال إن «إذا خ» وجدت أعوانا فبادر إليهم و جاهدهم، و إن لم تجد أعوانا کفّ يدک و احقن دمک حتّى تلحق بى مظلوما، فلما توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اشتغلت بغسله و تکفينه و الفراغ من شأنه، ثمّ آليت يمينا أن لا أرتدى إلّا للصّلاه حتّى أجمع القرآن، ففعلت ثمّ أخذت بيد فاطمه و ابنىّ الحسن و الحسين فدرت على أهل بدر و أهل السّابقه فناشدتهم(2) اللّه إلى حقّى و دعوتهم إلى نصرتى فما أجابنى منهم إلّا أربعه رهط: سلمان، و عمّار، و المقداد، و أبو ذر، و لقدر اودت فى ذلک بقيه أهل بيتى، فأبوا علىّ إلّا السکوت لما علموا من و غاره(3) صدور القوم و بغضهم للّه و لرسوله و لأهل بيت نبيّه، فانطلقوا بأجمعکم إلى هذا الرّجل فعرّفوه

ص:11

1- (1) - و عز اليه فى کذا ان يفعل او يترک و او عرو و عر تقدم و امر ق.

2- (2) ناشده منا شده و نشادا احلفه ق.

3- (3) الوغر و يحرک الحقد و الضغن و العداوه و التوقد من الغيظ، ق.

ما سمعتم من قول نبيكم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليكون ذلك أو كد للحجّه و أبلغ للعذر و أبعد لهم من رسول اللّه إذا وردوا عليه، فسار القوم حتّى أحدقوا بمنبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كان يوم الجمعه، فلمّا صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأنصار: تقدّموا فتكلموا، فقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلموا أنتم فانّ اللّه عزّ و جل أدناكم فى الكتاب اذ قال اللّه عزّ و جلّ:

«لَقَدْ تابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ » فقال أبان: فقلت: يابن رسول اللّه إنّ الأمه لا تقرء كما عندك، قال و كيف تقرء يا أبان؟ قال: قلت: إنّها تقرء لقد تاب اللّه على النّبىّ و المهاجرين و الانصار فقال عليه السّلام: و يلهم و أىّ ذنب كان لرسول اللّه حتّى تاب اللّه عليه منه إنّما تاب اللّه به على امّته، فأوّل من تكلّم به خالد بن سعيد بن العاص ثمّ باقى المهاجرين ثمّ من بعدهم الانصار، و روى أنّهم كانوا غيّبا عن وفات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقدموا و قد تولى أبو بكر و هم يومئذ أعلام مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقام خالد بن سعيد بن العاص و قال: اتّق اللّه يا أبا بكر فقد علمت أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال، و نحن محتوشوه(١) يوم بنى قريظه حين فتح اللّه له و قد قتل علىّ يومئذ عدّه من صناديد(٢) رجالهم و اولى الباس و النجده(٣) منهم: يا معاشر المهاجرين و الانصار إنّى اوصيكم بوصيّه فاحفظوها و مودعكم أمرا فاحفظوه، ألا إنّ علىّ ابن أبى طالب أميركم بعدى و خليفتى فيكم بذلك أوصانى ربّى، ألا و إنّكم إن لم تحفظوا فيه وصيّتى و توازروه و تنصروه اختلفتم فى أحكامكم و اضطرب عليكم أمر دينكم و ولاكم شراركم، ألا إن أهل بيتى هم الوارثون لأمرى و العاملون «لمون خ» بأمر امّتى من بعدى، اللّهمّ من أطاعهم من امّتى و حفظ فيهم وصيّتى فاحشرهم فى زمرتى و أجعل لهم نصيبا من مرافقتى يدركون به نور الآخره، اللّهم و من أساء

١- (١) احتوش القوم على كذا جعلوه وسطهم و احاطوا عليه و قد يعدى بنفسه يقال احتوشوه، منه.

٢- (٢) الصندد كزبرج السيد الشجاع او الجواد او الشريف، ق.

٣- (٣) النجده القتال و الشجاعه و الشده و الهول و الفزع، ق.

خلافتی فی أهل بیتی فاحرمه الجنّه التی عرضها کعرض السّمآء و الارض.

فقال له عمر بن الخطاب: اسکت یا خالد فلست من أهل المشوره و لا من یقتدی برأیه، فقال خالد اسکت أنت یابن الخطاب فانّک تنطق علی لسان غیرک و أیم اللّه لقد علمت قریش أنک من الأمها حسبا و أدناها منصبا و أخسّها قدرا و أخملها ذکرا و أقلّهم غناء عن اللّه و رسوله و أنک لجبان فی الحروب بخیل فی المال لئیم العنصر مالک فی قریش من فخر، و لا فی الحروب من ذکر و أنّک فی هذا الأمر بمنزله الشّیطان:

«إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اکْفُرْ فَلَمّا کَفَرَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکَ إِنِّی أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ فَکانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِی النّارِ خالِدَیْنِ فِیها وَ ذلِکَ جَزاءُ الظّالِمِینَ » فابلس(۱) عمرو جلس خالد بن سعید.

ثمّ قام سلمان الفارسی (رض) و قال: کردید و نکردید(۲) أ فعلتم و لم تفعلوا و امتنع من البیعه قبل ذلک حتّی وجی عنقه فقال یا أبا بکر: إلی من تستند امرک إذا نزل بک ما لا تعرفه و إلی من تفزع إذا سئلت عمّا لا تعلمه فما عذرک فی تقدم من هو أعلم منک و أقرب إلی رسول اللّه و أعلم بتأویل کتاب اللّه و سنّه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و من قدّمه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حیاته و أوصاکم به عند وفاته، فنبذتم قوله و تناسیتم وصیّته و أخلفتم الوعد و نقضتم العهد و حلتم العقد الذی کان عقده علیکم من النّفوذ تحت رایه اسامه بن زید حذرا من مثل ما اتیتموه و تنبیها للامه علی عظیم ما اجترمتموه «حتموه خ» من مخالفه أمره فعن قلیل یصفو لک الأمر و قد أنقلک الوزر و نقلت إلی قبرک و حملت معک ما کسبت یداک فلو راجعت الحقّ من قرب و تلافیت نفسک و تبت إلی اللّه من عظیم ما اجترمت کان ذلک أقرب إلی نجاتک یوم

۱- (۱) - و ابلس حتی ما او ضحوا لضاحکه و ابلسوا ای سکتوا و المبلس الساکت من الخوف و الحزن، نهایه.

۲- (۲) یعنی کردید تعیین خلیفه باطل پیش خود و نکردید اطاعت وصی رسول خدا و خلیفه بر حق چنانکه بعد از این ظاهر می شود، منه.

تفرد فی حفرتک و یسلّمک ذو و نصرتک، فقد سمعت کما سمعنا و رأیت کما رأینا، فلم یردعک(۱) ذلک عمّا أنت متشبّث به من هذا الأمر الذی لا عذر لک فی تقلّده و لا حظّ للدین و لا للمسلمین فی قیامک به، فاللّه اللّه فی نفسک فقد أعذر من أنذر، و لا تکن أنت کمن أدبر و استکبر.

ثمّ قام أبو ذر الغفاری فقال: یا معشر قریش أصبتم قباحه «قناعه خ»(۲) «قباعه خ»(۳) و ترکتم قرابه و اللّه لیرتدن جماعه من العرب و لیشکنّ فیّ هذا الدّین و لو جعلتم هذا الأمر فی أهل بیت نبیّکم ما اختلف علیکم سیفان، و اللّه لقد صارت لمن غلب و لتطمحنّ إلیها عین من لیس من أهلها، و لیسفکن فیها دماء کثیره فکان کما قال أبو ذر، ثمّ قال:

لقد علمتم و علم خیارکم أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: الأمر بعدی لعلیّ ثمّ لابنیّ الحسن و الحسین ثمّ للطاهرین من ذرّیتی، فأطر حتم قول نبیّکم و تناسیتم ما عهد به إلیکم فأطعتم الدّنیا الفانیه و نسیتم «بعتم - شریتم خ» الآخره الباقیه التی لا یهرم شبابها و لا یزول نعیمها و لا یحزون أهلها و لا یموت سکّانها بالحقیر التّافه(۴) الفانی الزایل و کذلک الامم من قبلکم کفرت بعد أنبیائها و نکصت علی أعقابها و غیّرت و بدلت و اختلفت فساویتموهم حذو النعل بالنعل و القذه بالقذه، و عمّا قلیل یذوقون و بال أمرکم و تجزون بما قدّمت أیدیکم و ما اللّه بظلّام للعبید.

ثمّ قال المقداد بن الأسود فقال: یا أبا بکر ارجع عن ظلمک و تب إلی ربّک و ألزم بیتک و ابک علی خطیئتک و سلّم الأمر إلی صاحبه الذی هو أولی به منک، فقد علمت ما عقده رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی عنقک من بیعته و ألزمک من النّفوذ تحت رایه اسامه بن زید و هو مولاه، و نبّه علی بطلان وجوب هذا الأمر ذلک و لمن عضدک(۵).

۱- (۱) ردعه کمنعه کفه و رده فارتدع، ق.

۲- (۲) و قنعت به قناعه من باب تعب رضیت به، لغه.

۳- (۳) قبع القنفذ کمنع قبوعا ادخل راسه فی جلده و الرجل فی قمیصه و دخل و تخلف عن اصحابه، قاموس

۴- (۴) شیء تافه یفه حقیر خسیس و قد تفه تفها من باب لبس مغرب.

۵- (۵) عضده یعضده قطعه و کنصره اعانه و نصره، ق.

عليه بضمه لكما إلى علم النّفاق و معدن الشنآن و الشّقاق عمرو بن العاص الذى أنزل اللّه فيه على نبيّه:

«إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ » فلا اختلاف بين أهل العلم أنّها نزلت فى عمرو و هو كان اميرا عليكما و على ساير المنافقين فى الوقت الذى انفذه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى غزاه ذات السّلاسل و أنّ عمروا قلد كما حرس عسكره فأين الحرس إلى الخلافه اتّق اللّه و بادر إلى الاستقاله قبل فوتها فانّ ذلك أسلم لك فى حياتك و بعد وفاتك و لا تركن إلى الدّنيا «دنياك خ» و لا تغرّنك قريش و غيرها فعن قليل تضمحلّ عنك دنياك ثمّ تصير إلى ربك فيجزيك بعملك و قد علمت و تيقنت أنّ علىّ بن أبى طالب عليه السّلام صاحب الأمر بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسلّمه إليه بما جعله اللّه له فانّه أتمّ لسترك و أخفّ لوزرك فقد و اللّه نصحت لك إن قبلت نصحى و إلى اللّه ترجع الأمور.

ثمّ قام بريده الأسلمى فقال: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون ما ذا لقى الحقّ من الباطل يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت و خدعت أم خدعتك نفسك و سوّلت تلك الأباطيل أو لم تذكر ما أمرنا به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من تسميه علىّ بامره(۱) المؤمنين و النّبىّ بين أظهرنا و قوله له فى عده أوقات هذا علىّ أمير المؤمنين و قاتل القاسطين اتّق اللّه و تدارك نفسك قبل أن لا تدركها و أنقذها ممّا يهلكها و اردد الأمر إلى من هو أحقّ به منك و لا تمارى(۲) فى اغتصابه و راجع و انت تستطيع أن تراجع فقد محضتك النّصح و دللتك على طريق النّجاه فلا تكوننّ ظهيرا للمجرمين.

ثمّ قام عمّار بن ياسر فقال: يا معاشر قريش و يا معاشر المسلمين إن كنتم علمتم و إلاّ فاعلموا أنّ أهل بيت نبيّكم أولى به و أحقّ بارثه و أقوم بامور الدّين و آمن على المؤمنين و أحفظ لملّته و أنصح لامته فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلى

۱- (۱) و الامره على وزن فاعله مصدر امر علينا مثلثه اذ اولى و الاسم الامر بالكسر و قول الجوهرى مصدر و اسم ق.

۲- (۲) اى لا تجادل، منه.

أهله قبل أن يضطرب حبلكم و يضعف أمركم و يظهر شنئانكم و تعظم الفتنه بكم و تختلفوا فيما بينكم و يطمع فيكم عدوّكم، فقد علمتم أنّ بنى هاشم أولى بهذا الأمر منكم و علىّ من بينهم وليّكم بعهد اللّه و رسوله، و فرق ظاهر قد عرفتموه فى حال بعد حال عند سدّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أبوابكم الّتى كانت إلى المسجد كلّها غير بابه و ايثاره إيّاه بكريمته فاطمه الزّهراء دون ساير من خطبها إليه منكم، و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنا مدينه الحكمه و علىّ بابها فمن أراد الحكمه فليأتها من بابها، و إنكم جميعا مضطرّون فيما اشكل عليكم من امور دينكم إليه، و هو مستغن عن كلّ أحد منكم إلى ما له من السّوابق التى لأفضلكم عند نفسه فما بالكم تحيدون(۱) عنه و تبتزّون(۲) عليّا حقّه «و تغيرون على حقه خ»(۳) و تؤثرون الحياه الدّنيا على الآخره؟ بئس للظالمين بدلا اعطوه ما جعله اللّه و لا تولّوا مدبرين و لا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين.

ثمّ قام ابىّ بن كعب فقال: يا أبا بكر لا تجحد حقّا جعله اللّه لغيرك و لا تكن أوّل من عصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى وصيّه «و صفيه خ» و صدف عن أمره، اردد الحقّ إلى أهله تسلم و لا تتماد فى غيّك فتندم و بادر إلى الانابه يخفف وزرك و لا تخصصنّ بهذا الأمر الذى لم يحلّه «يجعله خ» اللّه لك نفسك فتلقى و بال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه و تصير إلى ربّك فيسألك عمّا جنيت، و ما ربّك بظلّام للعبيد.

ثمّ قام خزيمه بن ثابت فقال: أيّها النّاس أ لستم تعلمون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبل شهادتى وحدى و لم يرد معى غيرى؟ قالوا: بلى، قال: فاشهد أنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: أهل بيتى يفرقون بين الحقّ و الباطل، و هم الأئمه الذين يقتدى بهم و قد قلت ما علمت و ما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين.

۱- (۱) اى تميلون، منه.

۲- (۲) ابتزت الشىء استلبته، ص.

۳- (۳) فيه من دخل الى طعام لم يدع اليه دخل سارقا و خرج مغيرا اسم فاعل من اغار يغير اذا نهب شبه دخوله عليهم بدخول السارق و خروجه بمن اغار على قوم، نهايه.

ثمّ قام أبو الهيثم بن التّيهان فقال: و أنا أشـهد على نبيّنا صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أنّه أقام عليّا عليه السّـلام يعنى فى يوم غـدير خمّ فقالت الأنصار: ما أقامه إلّا للخلافه، و قال بعضهم:

مـا أقـامه إلّاـ ليعلم النّـاس أنّه مولى من كان رسول اللّه مولاه، و كثر الخوض فى ذلك فبعثنا رجالا منا إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسألوه عن ذلك فقال لهم قولوا: على وليّ المؤمنين بعدى و أنصح النّاس لامتى و قد شهدت بما حضرنى فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر إنّ يوم الفصل كان ميقاتا.

ثمّ قام سـهل بن حنيف فحمـد اللّه و أثنى عليه و صـلّى على النّبيّ محمّد و آله ثمّ قال: يا معاشـر قريش اشـهدوا على أنّى أشـهد على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و قد رأيته فى هذا المكان يعنى الروضـه(١) و قـد أخذ بيد علىّ بن أبى طالب عليه السّـلام و هو يقول: أيّها النّاس هذا علىّ إمامكم من بعدى و وصـيّتى فى حياتى و بعد وفاتى و قاضى دينى و منجز وعدى و أوّل من يصافحنى على حوضى فطوبى لمن اتّبعه و نصره و الويل لمن تخلّف عنه و خذله.

ثمّ قام من بعده أخوه عثمان بن حنيف فقال: سمعنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:

أهـل بيتى نجوم الأـرض فلا تتقـدّموهم و قـدّموهم، فهم الولاه بعـدى. فقام إليه رجل فقال: يا رسول اللّه و أىّ أهل بيتك؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم علىّ و الطـاهرين من ولـده، و قـد بيّن عليه السّـلام فلاـ تكن يا أبا بكر أوّل كافر به فلا تخونوا اللّه و الرّسول و تخونوا أمانتكم و أنتم تعلمون.

ثمّ قـام أبو أيّوب الأنصارى فقال: اتّقوا اللّه عباد اللّه فى أهل بيت نبيّكم و اردوا إليهم حقهم الـذى جعله اللّه لهم، فقـد سـمعتم مثل ما سـمع إخواننا فى مقام بعد مقام لنبيّنا صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم، و مجلس بعد مجلس يقول: أهل بيتى أئمتكم بعدى و يؤمى إلى علىّ عليه السّـلام يقول: هـذا أمير البرره و قاتل الكفره، مخذول من خذله منصور من نصره فتوبوا إلى اللّه من ظلمكم إنّ اللّه تواب رحيم، و لا تتولوا عنه مدبرين، و لا تتولّوا عنه معرضين.

١- (١) من كلام الراوى منه.

قال الصّادق علیه السّلام فافحم(۱) أبو بکر على المنبر حتّی لم یحر(۲) جوابا ثمّ، قال ولیتکم و لست بخیرکم أقیلونی أقیلونی.

فقـال له عمر بن الخطاب: انزل عنها یا لکع(۳) إذا کنت لا تقوم بحجـج قریش لهم أقمت نفسک هـذا المقام؟ و اللّه لقد هممت أن أخلعک و أجعلها فی سالم مولى أبی حـذیفه، قال فنزل ثمّ أخـذ بیـده و انطلق إلى منزله و بقی ثلاثه أیّام لا یدخلون مسـجد رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و سلّم.

فلما کان فی الیوم الرّابع جاءهم خالد بن الولید و معه ألف رجل فقال لهم:

مـا جلوسـکم فقـد طمع فیهـا و اللّه بنو هـاشم، و جاءهم سالم مولى أبی حـذیفه و معه ألف رجل، و جاءهم معاذ بن جبل و معه ألف رجـل فمـا زال یجتمع رجل رجل حتّی اجتمع أربعه آلاف رجل فخرجوا شاهرین أسـیافهم یقـدمهم عمر بن الخطاب حتّی وقفوا بمسـجد رسول اللّه صـلّى اللّه علیه و آله و سـلّم، فقال عمرو الله یا أصحاب علیّ لئن ذهب الرّجل منکم یتکلّم بالذی تکلّم به بالأمس لنأخذنّ الذی فیه عیناه.

فقام إلیه خالد بن سـعید بن العاص و قال یابن صـهّاک الحبشـیه أ فبأسیافکم تهدّدونا أم بجمعکم تفزعونا؟ و الله إنّ أسیافنا أحدّ من أسـیافکم و إنّـا لأـکثر منکم و إن کنـا قلیلین لأـنّ حجّه الله فینا و الله لو لا أنی أعلم أنّ طاعه الله و طاعه رسوله و طاعه إمامی أولى بی لشـهرت سیفی و جاهدتکم فی الله إلى أن أبلى(۴) عذری، فقال «له خ» أمیر المؤمنین علیه السّـلام: اجلس یا خالد فقد عرف لک مقامک. و شکر لک سعیک، فجلس.

و قام إلیه سـلمان الفارسی فقال الله أکبر الله أکبر سمعت رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و سلّم و إلاّ صمّتا(۵) یقول: بینا أخی و ابن عمّی جالس فی مسجدی و معه نفر من

۱- (۱) افحمها اسکتها، نهایه.

۲- (۲) ما احارجوا با ما رد، ق.

۳- (۳) اللکع کصرد اللئیم و العبد و الاحمق ق.

۴- (۴) و بلاه عذرا اواه الیه قبله، ق.

۵- (۵) ای صمت اذنای ان کذبت منه،

أصحابه إذ تكبسه(۱) جماعه من كلاب أهل النّار يريدون قتله و قتل من معه، و لست أشك إلّا و أنّكم هم، فهمّ به عمر بن الخطاب، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السّلام و أخذ بمجامع ثوبه ثمّ جلد(۲) به الأرض ثمّ قال: يابن صهّاك الحبشيّه لو لا كتاب من الله سبق و عهد من الله تقدّم لأريتك أيّنا أضعف ناصرا و أقلّ عددا، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: انصرفوا رحمكم اللّه فو اللّه لا دخلت المسجد إلّا كما دخل أخواى موسى و هارون إذ قال له أصحابه:

«فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ » و اللّه لادخلته إلّا لزياره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو لقضيّه أقضيها، فإنّه لا يجوز لحجه أقامه رسول اللّه أن يترك النّاس فى حيره.

و فى الاحتجاج أيضا عن عبد اللّه بن عبد الرّحمان قال: إنّ عمر احتزم(۳) بازاره و جعل يطوف بالمدينه و ينادى ألاّ إنّ أبا بكر قد بويع فهلمّوا إلى البيعه فينثال(۴) النّاس يبايعون فعرف أنّ جماعه فى بيوت مستترون فكان يقصدهم فى جمع كثير فيكبسهم و يحضرهم المسجد فيبايعون حتّى إذا مضت أيّام أقبل فى جمع كثير إلى منزل علىّ عليه السّلام فطالبه بالخروج فأبى، فدعا عمر بحطب و نار، و قال و الذى نفس عمر بيده ليخرجنّ أولا حرقنه على ما فيه، فقيل له: إنّ فاطمه بنت رسول اللّه و ولد رسول اللّه و آثار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه، و أنكر النّاس ذلك من قوله فلما عرف إنكارهم قال: ما بالكم أ تروني فعلت ذلك إنّما أردت التّهويل فراسلهم علىّ عليه السّلام أن ليس إلى خروجى حيله، لأنى فى جمع كتاب اللّه الذى قد نبذتموه و ألهتكم(۵) الدّنيا عنه،

۱- (۱) كبس داره هجم عليه، ق

۲- (۲) جلد به أى رمى به الارض، نهايه.

۳- (۳) و منه الحديث نهى ان يصلى الرجل حتى يحتزم اى يتلبب و يشد وسطه، نهايه

۴- (۴) انثال عليه الناس من كل وجه اى انصبوا، ص

۵- (۵) الهتكم الدنيا اى شغلتكم قال تعالى الهيكم التكاثر، منه.

و قد خلفت أن لا أخرج من بيتى و لا ادع ردائى على عاتقى حتّى أجمع القرآن، قال: و خرجت فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إليهم فوقفت على الباب، ثمّ قالت لا عهد لى بقوم أسوء محضرا منكم تركتم رسول اللّه جنازه(۱) بين أيدينا و قطعتم أمركم فيما بينكم و لم تؤامرونا و لم تروا لنا حقّا، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم، و اللّه لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرّجاء، و لكنكم قطعتم الأسباب و اللّه حسيب بيننا و بينكم فى الدّنيا و الآخره.

و فى غايه المرام من كتاب سليم بن قيس الهلالى و هو كتاب مشهور معتمد نقل منه المصنّفون فى كتبهم و هو من التّابعين رأى عليّا و سلمان و أبا ذر و فى مطلع كتابه ما هذه صورته: فهذه نسخه كتاب سليم بن قيس الهلالى رفعه إلى أبان بن أبى عيّاش و قرأه علىّ عليه السّلام و ذكر أبان أنّه قرأ على علىّ بن الحسين عليهما السّلام فقال صدق سليم هذا حديثنا نعرفه، قال سليم: سمعت سلمان الفارسى أنّه قال: فلما أن قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صنع النّاس ما صنعوا جالهم ابو بكر و عمر و أبو عبيده بن الجرّاح و خاصموا الأنصار بحجّه علىّ عليه السّلام فخصموهم فقالوا يا معاشر الأنصار قريش أحقّ بالأمر منكم، لأنّ رسول اللّه من قريش، و المهاجرون خير منكم لأنّ اللّه سبحانه بدء بهم فى كتابه و فضلهم، و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الأئمه من قريش.

قال سلمان: فأتيت و هو يغسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد كان أوصى عليّا أن لا يلى غسله إلّا هو، فقال: يا رسول اللّه و من يعيننى عليك؟ فقال: جبرئيل عليه السّلام، و كان علىّ عليه السّلام لا يريد عضوا إلّا انقلب له، فلما غسّله و كفّنه أدخلنى و أدخل أبا ذر و المقداد و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام، فتقدّم على عليه السّلام وصفنا خلفه و صلّى عليه و عايشه فى الحجره لا تعلم، ثمّ ادخل عشره من المهاجرين و عشره من الأنصار يدخلون فيدعون ثمّ يخرجون «فيصلّون و يخرجون خ» حتّى لم يبق أحد من المهاجرين و الأنصار إلّا صلّى عليه.

۱- (۱) الجنازه بالكسر و الفتح الميت بسريره و قيل بالكسر السرير و بالفتح الميت، نهايه.

قال سلمان: فأتيت عليّا و هو يغسل «قلت لعليّ عليه السّلام حين يغسل خ» رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخبرته بما صنع النّاس فقلت: إنّ أبا بكر السّاعه قد رقى منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم يرضوا أن يبايعوه بيد واحده و أنّهم ليبايعونه بيديه جميعا بيمينه و شماله، فقال عليه السّلام: يا سلمان و هل تدرى أوّل من بايعه على منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ فقلت: لا إلاّ أنّى رأيت «رأيته خ» فى ظلّه بنى ساعده حين خصمت الأنصار فكان «و كان خ» أوّل من بايعه المغيره بن شعبه، ثمّ بشير بن سعد، ثمّ أبو عبيده بن الجرّاح ثمّ عمر بن الخطاب، ثمّ سالم مولى أبى حذيفه، و معاذ بن جبل، قال: لست أسألك عن هؤلاء و لكن هل تدرى أوّل من بايعه حين صعد المنبر؟ قال «قلت خ»: لا و لكن رأيت شيخا كبيرا متوكيا على عصا بين عينيه سجّاده شديد التشمير صعد المنبر «أول من صعد خ» و هو يبكى و «هو خ» يقول: الحمد للّه الذى لم يمتنى حتّى رأيتك فى هذا المكان ابسط يدك، فبسط يده فبايعه، ثمّ نزل فخرج من المسجد.

فقال عليّ عليه السّلام: و هل تدرى يا سلمان من هو؟ قلت: و قد سائتنى مقالته كأنّه شامت بموت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال على عليه السّلام: فانّ ذلک إبليس لعنه الله عليه «اخبرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خ» انّ إبليس و أصحابه شهدوا نصب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إيّاى بغدير خمّ لمّا أمره اللّه تعالى و أخبرهم أنّى أوّلى بهم من أنفسهم و أمرهم أن يبلغ الشّاهد الغائب، فأقبل إلى إبليس أبا لسته و مرده أصحابه، فقالوا: هذه الامه مرحومه معصومه لا لک و لا لنا عليهم سبيل قد اعلموا مقرّهم و إمامهم «علموا امامهم و مصرعهم خ» بعد نبيّهم فانطلق ابليس آيسا حزينا.

قال فأخبرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد ذلك(۱) و قال تبايع النّاس ابا بكر فى ظله بنى ساعده حتّى ما يخاصمهم(۲) بحقّنا و حجّتنا، ثمّ يأتون المسجد فيكون

ص:۲۱

۱- (۱) الظاهر انه غلط و ليس فى نسخه الاحتجاج و لا فى البحار، منه.

۲- (۲) الظاهر ان المراد به ما يخاصمهم احد لحقنا و فى البحار هكذا فى ظله بنى ساعده بعد تخاصمهم بحقنا و حجتنا و فى الاحتجاج بعد تخاصمهم بحقک و حجتک و هو الاصح و الانسب، منه.

أوّل من يبايعه على منبرى إبليس فى صوره شيخ كبير مستبشر يقول له: كذا و كذا ثمّ يخرج فيجمع أصحابه و شياطينه و أبا لسته فيخرّون سجدا فينخر و يكسع، ثم يقول: كلاّ زعمتم أن ليس لى عليهم سلطان و لا سبيل فكيف رأيتمونى صنعت بهم حتّى تركوا ما أمرهم اللّه به من طاعته و أمرهم به رسول اللّه و ذلك قول اللّه تعالى:

«وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » قال سلمان: فلمّا كان الليل حمل فاطمه على حمار و أخذ بيد الحسن و الحسين عليهما السّلام فلم يدع أحدا من أهل بدر من المهاجرين و لا من الأنصار إلاّ أتاه فى منزله و ذكره حقّه و دعاه إلى نصرته فما استجاب له إلاّ أربعه و أربعون رجلا فأمرهم أن يصبحوا محلقين رؤوسهم و معهم سلاحهم على أن يبايعوه على الموت و أصبحوا لم يوافقه منهم إلاّ أربعه، فقلت لسلمان: من الاربعه؟ قال: أنا و أبو ذر و المقداد و الزّبير بن العوام، ثمّ عاودهم ليلا يناشدهم، فقالوا: نصحبك بكره فما أتاه منهم أحد غيرنا فلمّا رأى علىّ عليهم السّلام غدرهم و قلّه وفائهم لزم بيته و أقبل على القرآن يؤلفه و يجمعه، فلم يخرج من بيته حتّى جمعه و كان المصحف فى القرطاس و الاسيار(۱) و الرّقاع.

فلما جمع كلّه و كتبه على تنزيله و النّاسخ و المنسوخ و بعث إليه أبو بكر أن اخرج فبايع فبعث إليه علىّ عليه السّلام إنّى مشغول، و لقد آليت على نفسى يمينا أن لا ارتدى برداء إلاّ للصّلاه حتّى اؤلف القرآن و أجمعه، فجمعه فى ثوب واحد و ختمه ثمّ خرج إلى النّاس و هم مجتمعون مع أبى بكر فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فنادى بأعلى صوته: يا أيّها النّاس إنّى لم أزل منذ قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مشغولا بغسله، ثمّ بالقرآن حتّى جمعته كلّه فى هذا الثّوب الواحد فلم ينزل اللّه على رسوله آيه إلاّ و قد جمعتها، و ليست منه آيه إلاّ و قد أقرئنى «أقرئنيها خ» إياها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و علّمنى تأويلها.

۱- (۱) و السير بالفتح الذى يقد من الجلد و الجمع سيور، قاموس.

«ثمّ قال علىّ عليه السّلام لئلا تقولوا غدا إنا كنا عن هذا غافلين خ» ثمّ قال علىّ عليه السّلام لا تقولوا يوم القيامه إنّى لم أدعكم إلى نصرتى و لم أذكركم حقى، فأدعوكم إلى كتاب اللّه من فاتحته إلى خاتمته، فقال عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعونا إليه، ثمّ دخل علىّ عليه السّلام بيته، فقال عمر لأبى بكر: أرسل إلى علىّ فلسنا فى شىء حتّى يبايع و لو قد بايع آمنّا، فأرسل إليه أبو بكر أجب خليفه رسول اللّه، فأتاه الرّسول فقال له ذلك، فقال له على عليه السّلام: ما أسرع ما كذبتم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّه ليعلم و يعلم الذين حوله أنّ اللّه و رسوله لم يستخلف غيرى، فذهب الرّسول فأخبره بما قال له، فقال: اذهب فقل له أجب أمير المؤمنين أبا بكر، فأتاه فأخبره بذلك، فقال له علىّ عليه السّلام: سبحان اللّه و اللّه ما طال العهد فينسى، و اللّه إنّه ليعلم أنّ هذا الاسم لا يصلح إلاّ لى و قد أمره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو سابع سبعه فسلّموا عليه «على خ» بامره المؤمنين فاستفهمه هو و صاحبه من بين السّبعه، و قالا: أحقّ من اللّه و رسوله؟ قال رسول اللّه: نعم حقّا حقّا من اللّه و من رسوله إنّه أمير المؤمنين و سيّد المسلمين و صاحب لواء «الغر خ» المحجّلين يقعده اللّه عزّ و جلّ يوم القيامه على الصّراط فيدخل أوليائه الجنّه و أعدائه النّار، فانطلق الرّسول فأخبره بما قال فسكتوا عنه يومهم ذلك.

فلمّا كان الليل حمل علىّ فاطمه و أخذ بيد ابنيه الحسن و الحسين عليهم السّلام فلم يدع أحدا من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ أتاه فى منزله فناشدهم اللّه حقه و دعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم أحد غير الأربعه فانّا حلقنا رؤوسنا و بذلنا نصرتنا و كان الزّبير أشدّ نصره فلما رأى علىّ عليه السّلام خذلان النّاس له و تركهم نصرته و اجتماع كلمتهم مع أبى بكر و تعظيمهم له لزم بيته.

و قال عمر لأبى بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع فإنّه لم يبق أحد إلاّ و قد بايع غيره و غير هؤلاء الأربعه، و كان أبو بكر أرقّ الرّجلين و أرفقهما و أدهاهما و أبعدهما غورا، و الآخر أفظّهما و أجفاهما، فقال له أبو بكر: من ترسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذا و كان رجلا فظّا غليظا جافا من الطلقاء

أحد بنى عدىّ بن كعب، فأرسله إليه و أرسله معه أعوانا فانطلق فاستأذن على علىّ عليه السّلام، فأبى أن يأذن لهم فرجع أصحاب قنفذ إلى أبى بكر و عمروهما فى المسجد و النّاس حولهما، فقالوا: لم يؤذن لنا، فقال عمر: اذهبوا فان أذن لكم و إلّا فادخلوا عليه من غير إذن، فانطلقوا فاستاذنوا فقالت فاطمه عليها السّلام أحرّج(۱) عليكم أن تدخلوا على بيتى بغير اذنى؟ فرجعوا فثبت القنفذ الملعون، فقالوا: إنّ فاطمه قالت لنا كذا و كذا فحرّجتنا أن ندخل بيتها من غير اذن، فغضب عمر فقال:

ما لنا و للنّسآء.

ثمّ أمر أناسا حوله يحملون حطبا فحملوا الحطب و حمار عمر معهم فجعلوه حول بيت علىّ عليه السّلام و فيه علىّ و فاطمه و ابناهما صلوات اللّه عليهم، ثمّ نادى عمر حتّى أسمع عليّا و فاطمه: و اللّه لتخرجنّ يا علىّ و لتبايعنّ خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إلّا أضرمت عليك بيتك ارا، ثمّ رجع قنفذ إلى أبى بكر و هو متخوّف أن يخرج علىّ إليه بسيفه لما يعرف من بأسه و شدّته، فقال أبو بكر لقنفذ: ارجع فان خرج و إلّا فاهجم «فاقتحم خ» عليه بيته، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم نارا.

فانطلق القنفذ الملعون فاقتحم هو و أصحابه بغير اذن و سار «ثارخ» علىّ عليه السّلام إلى سيفه و سبقوه إليه و هم كثيرون فتناول بعضهم سيفه و كاثروه(۲) فألقوا فى عنقه حبلا و حالت بينهم و بينه فاطمه عليهما السلام عند باب البيت فضربها قنفذ لعنه اللّه بسوط كان معه فماتت صلوات اللّه عليها و أنّ فى عضدها مثل الدماليج «الدملج خ»(۳) من ضربته ثمّ انطلق به يعتل(۴) عتلا حتّى انتهى إلى أبى بكر، و عمر قائم بالسّيف على رأسه و خالد بن الوليد و أبو عبيده بن الجرّاح و سالم مولى أبى حذيفه و معاذ بن جبل

ص:۲۴

۱- (۱) التحريج التضييق، ق.

۲- (۲) و كاثروهم فكثروهم غالبوهم فى الكثره فغلبوهم ق.

۳- (۳) الدملج هو المعضد، ق.

۴- (۴) عتله يعتل فانعتل جره عنيفا، ق.

و المغیره بن شعبه و اسید بن حصین و بشیر بن سعد و سایر النّاس حول أبی بکر علیهم السلاح.

قال: قلت لسلمان: أدخلوا علی فاطمه بغیر إذن؟ قال: ای و اللّه ما علیها خمار فنادت وا أبتاه و الرسول اللّه یا أبتاه لبئس ما خلفک أبو بکر و عمر و عیناک لم تنفقیا فی قبرک تنادی بأعلی صوتها، فلقد رأیت أبا بکر و من حوله یبکون و ینتحبون و ما فیهم إلاّ باک غیر عمر و خالد بن الولید و المغیره بن شعبه و عمر یقول: إنّا لسنا من النّسآء و رأیهنّ فی شیء.

قال فانتهوا به إلی أبی بکر و هو یقول: أما و اللّه لو وقع سیفی فی یدی لعلمتم أنکم لن تصلوا إلی هذا أبدا و اللّه لم ألم نفسی فی جهادکم لو کنت استمکنت من الأربعین لفرقت جماعتکم و لکن لعن اللّه أقواما بایعونی ثمّ خذلونی و قد کان قنفذ لعنه اللّه حین ضرب فاطمه بالسّوط حین حالت بینه و بین زوجها أرسل إلیه عمر إن حالت بینک و بینه فاطمه فاضربها، فاجأها قنفذ لعنه اللّه إلی عضاده باب بیتها و دفعها فکسر لها ضلعا من جنبها و ألقت جنینا من بطنها، فلم تزل صاحبه فراش حتّی ماتت صلوات اللّه علیها من ذلک شهیده.

قال: فلما انتهی بعلیّ إلی أبی بکر انتهره عمر و قال له: بایع، فقال له علیّ علیه السّلام إن أنا لم ابایع فما أنتم صانعون؟ قالوا نقتلک ذلا و صغارا، فقال: إذا تقتلون عبد اللّه و أخا رسول اللّه، فقال أبو بکر: أمّا عبد اللّه فنعم، و أمّا أخو رسول اللّه فما نعرفک «نقر لک خ» بهذا، قال علیه السّلام: أتجحد أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم آخا بینی و بینه؟ قال:

نعم، فأعاد ذلک علیه ثلاث مرات.

ثمّ أقبل علیهم علیّ علیه السّلام، فقال: یا معاشر المسلمین و المهاجرین و الأنصار انشدکم اللّه أسمعتم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول یوم غدیر خمّ: کذا و کذا و فی غزوه تبوک کذا و کذا فلم یدع شیئا قال «قاله فیه خ» له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علانیه للعامه إلاّ ذکرهم إیّاه «إیاها خ» قالوا: اللّهمّ نعم: فلمّا أن تخوف أن ینصره النّاس و أن یمنعوه منه بادرهم، فقال له: کلما قلت حقّ قد سمعناه بآذاننا و عرفناه و وعته قلوبنا و لکن سمعت

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول بعد هذا: إنّا اهل بيت اصطفانا اللّه تعالى و اختار لنا الآخره على الدّنيا فانّ اللّه لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النّبوه و الخلافه، فقال علىّ عليه السّلام:

هل أحد من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شهد هذا معك؟ فقال عمر: صدق خليفه رسول اللّه قد سمعته منه كما قال.

قال: و قال أبو عبيده و سالم مولى أبى حذيفه و معاذ بن جبل: قد سمعنا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال على عليه السّلام لقد وفيتم بصحيفتكم الملعونه التى تعاهدتم «قد تعاقدتم خ» عليها فى الكعبه إن قتل اللّه محمّدا أو مات لتزوون(۱) هذا الأمر عنّا أهل البيت، فقال أبو بكر: فما علمك بذلك اطلعناك عليها، فقال علىّ عليه السّلام يا زبير و أنت يا سلمان و أنت يا أبا ذر و أنت يا مقداد أسألكم باللّه و بالاسلام أسمعتم رسول اللّه يقول ذلك و أنتم تسمعون إنّ فلانا و فلانا حتّى عدّ هؤلاء الاربعه «الخمسه» قد كتبوا بينهم كتابا و تعاهدوا فيه و تعاقدوا ايمانا على ما أنت قتلت أو متّ أن يتظاهروا عليك و أن يزووا عنك هذا الأمر يا علىّ؟ فقلت: بأبى أنت يا رسول اللّه فما تأمرنى إذا كان ذلك، فقال إن وجدت عليهم أعوانا فجاهدهم و نابذهم، و إن لم تجد أعوانا فبايع و احقن دمك.

فقال عليه السّلام: أما و الله لو أنّ اولئك الأربعين رجلا الذين بايعونى و فوالى لجاهدتكم فى الله، فقال عمر: أما و اللّه لا ينالها أحد من أعقابكم إلى يوم القيامه ثمّ نادى على عليه السّلام قبل أن يبايع و الحبل فى عنقه:

«ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِي » ثمّ تناول يد أبى بكر فبايع، و قيل للزّبير: بايع فأبى فوثب إليه عمر و خالد بن الوليد و المغيره بن شعبه و اناس معهم فانتزعوا سيفه فضربوا به الأرض حتّى كسروه ثم لبّبوه(۲) فقال الزّبير و عمر على صدره: يابن صهّاك أما و الله لو أنّ سيفى فى يدى لحدت(۳)

۱- (۱) زواه زيا و زويا نحاه، ق

۲- (۲) لببه تلبيبا جمع ثيابه عند نحره فى الخصومه ثم جره، ق.

۳- (۳) حاد عنه مال ق:.

عنّى ثمّ بايع.

قال سلمان ثمّ أخذونى فوجئوا عنقى حتّى تركوه كالسّلعه ثمّ أخذ و ايدى فبايعت مكرها، ثمّ بايع أبو ذر و المقداد مكرهين و ما من أحد بايع مكرها غير عليّ و أربعتنا و لم يكن أحد منّا أشدّ قولا من الزّبير، فانّه لما بايع قال: يابن صهّاک أما و الله لو لا هؤلاء الطغاه الذين اعانوک لما كانت تقدم عليّ و معى سيفى لما اعرف من جنبک و لو مک، و لكن وجدت طغاه تقوى بهم و تصول بهم، فغضب عمر فقال: أتذكر صهّاک؟ فقال: و من صهّاک و من «ما خ» يمنعنى من ذكرها و قد كانت صهّاک زانيه و تنكر ذلک أو ليس كانت أمه لجدّى عبد المطلب فزنى بها جدّک نفيل فولدت أباک الخطاب فوهبها عبد المطلب لجدّک بعد ما ولدته و أنّه لعبد جدى ولد زنا، فأصلح ابو بكر بينهما و كفّ كلّ واحد منهما عن صاحبه.

قال سليم: فقلت لسلمان: فبايعت أبا بكر و لم تقل شيئا؟ قال: بلى قد قلت بعد ما بايعت: تبّالكم ساير الدّهر لو تدرون ما صنعتم بأنفسكم أصبتم و أخطأتم أصبتم سنّه الأولين «من كان قبلكم من الفرقه و الاختلاف خ» و أخطأتم سنّه نبيّكم حين أخرجتموها من معدنها و أهلها فقال عمر: أمّا إذا قد بايعت يا سلمان فقل ما شئت و افعل ما بدا لک و ليقل صاحبک ما بدا له، قال سلمان: قلت إنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: إنّ عليک و على صاحبک الذى بايعته مثل ذنوب امته إلى يوم القيامه و مثل عذابهم جميعا، فقال عمر قل ما شئت أليس قد بايعت و لم يقر اللّه عينک بأن يلبسها صاحبک، فقلت اشهد أنّى قرأت فى بعض كتب اللّه إنّک باسمک و صفتک باب من أبواب جهنم، فقال: قل ما شئت أليس قد أزالها اللّه عن أهل البيت الذين اتّخذتموهم أربابا؟ فقلت: إنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول و قد سألته عن هذه الآيه:

«فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ وَ لا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ » فأخبرنى بأنّک أنت هو، فقال لى: عمره اسكت أسكت اللّه نأمتک(۱) أيّها العبد ابن

۱- (۱) النأمه النغمه او الصوت و اسكن اللّه نأمته و يقال نأمته مشدده اماته، ق.

اللّخناء، فقال لی علیّ علیه السّلام: اسکت یا سلمان فو اللّه لو لم یأمرنی علیّ بالسّکوت لخبرته بکلّ شیء نزل فیه و کلّ شیء سمعته من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فیه و فی صاحبه، فلمّا رآنی عمر قد سکّت قال لی: إنّک له لمطیع مسلّم فلمّا أن بایع أبو ذر و المقداد و لم یقولا شیئا قال عمر: ألا کففت کما کفّ صاحباک و اللّه ما أنت أشدّ حبّا بأهل هذا البیت منهما و لا أشدّ تعظیما لحقّهم منهما و قد کفّا کما تری و قد بایعا.

فقال أبو ذر: أفتعیّرنا یا عمر بحبّ آل محمّد علیهم السّلام و تعظیمهم و قد فعل من أبغضهم و افتری علیهم و ظلمهم حقّهم و حمل النّاس علی رقابهم و ردّ هذه الامه القهقری علی أدبارهم، فقال عمر: آمین لعن اللّه من ظلمهم حقّهم لا و اللّه ما لهم فیها من حقّ و ما هم فیها و عرض النّاس إلّا سواء، قال: لم خاصمت الأنصار بحقّها؟ فقال علیّ علیه السّلام لعمر: یابن صهاک فلیس لنا فیها حقّ و هی لک و لابن آکله الذّبان، فقال عمر کفّ یا أبا الحسن إذ قد بایعت: فانّ العامه رضوا بصاحبی و لم یرضوا بک فما ذنبی، فقال علی علیه السّلام: لکن اللّه و رسوله لم یرضیا إلّا بی فابشر أنت و صاحبک و من اتّبعکما و وازر کما بسخط اللّه و عذابه و خزیه و یلک یابن الخطاب لو تری ما ذا جنیت علی نفسک و علی صاحبک؟ فقال أبو بکر یا عمر أما إذا بایع و امنّا شرّه و فتکه و غائلته فدعه یقول ما شاء.

فقال علیّ علیه السّلام: لست قائلا غیر شیء واحد اذکرکم باللّه أیّها الأربعه قال لسلمان و الزّبیر و أبی ذر و المقداد، أسمعتم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: إن تابوتا من نار فیه اثنی عشر ستّه من الأولین و ستّه من الآخرین فی قعر جهنّم فی جبّ فی تابوت مقفّل علی ذلک الجبّ صخره فاذا أراد اللّه أن یسعر جهنّم کشفت تلک الصّخره عن ذلک الجبّ فاسعرت جهنّم من وهج ذلک الجبّ و من حرّه، قال علیّ علیه السّلام فسألت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أنتم شهود، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أمّا الأوّلون فابن آدم الذی قتل أخاه، و فرعون ذو الفراعنه، و الذی حاجّ ابراهیم فی ربّه، و رجلان من بنی اسرائیل بدّلا کتابهم و غیّر اسنّتهم، أما أحدهما فهوّد الیهود و الآخر نصّر

النصاری، و عاقر النّاقه، و قاتل یحیی بن زکریّا، و الدّجال فی الآخرین و هؤلاء الأربعه أصحاب الکتاب(۱) و جبتهم و طاغوتهم الذی تعاهدوا علیه و تعاقدوا علی عداوتک یا أخی و یتظاهرون علیک هذا و هذا حتّی عدّهم و سمّاهم.

قال: فقلنا: صدقت نشهد أنّه قد سمعنا ذلک من رسول اللّه، فقال عثمان: یا أبا الحسن أما عندک فیّ حدیث؟ فقال علیّ علیه السّلام: بلی لقد سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یلعنک ثمّ لم یستغفر لک بعد «منذ خ» لعنک، فغضب عثمان ثمّ قال: مالی و مالک لا تدعنی علی حال کنت علی عهد النّبی صلّی اللّه علیه و آله و لا بعده، فقال له علیّ علیه السّلام: فارغم أنفک ثم قال له عثمان لقد سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول إنّ الزّبیر یقتل مرتدا.

قال سلمان: فقال لی علی علیه السّلام فیما بینی و بینه: صدق عثمان، و ذلک انه یبایعنی بعد قتل عثمان ثم ینکث بیعتی فیقتل مرتدا. قال سلمان: فقال علیّ علیه السّلام إنّ الناس کلّهم ارتد و ابعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله غیر أربعه، إنّ النّاس صاروا بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بمنزله هارون و من تبعه و منزله العجل و من تبعه فعلی علیه السّلام فی شبه هارون، و عتیق(۲) فی شبه العجل، و عمر فی شبه السّامری. و سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: لیجیء قوم من أصحابی من أهل العلیه و المکانه منّی لیمرّوا علی الصّراط فاذا رأیتهم و رأونی و عرفتهم و عرفونی اختلجوا دونی فأقول یا ربّ أصحابی أصحابی فیقال: لا تدری ما أحدثوا بعدک إنّهم ارتدّوا علی أدبارهم حیث فارقتهم، فأقول بعدا و سحقا.

و سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: لترکبنّ أمّتی سنّه بنی إسرائیل حذو النعل بالنّعل و القذّه بالقذّه شبرا بشبر باعا بباع و ذراعا بذراع حتّی لو دخلوا جحرا لدخلوا فیه معهم و انّه کتب التّوراه و القرآن ملک واحد فی رقّ واحد و جرت الأمثال و السّنن.

أقول: هذه الرّوایه رواها الطبرسیّ أیضا فی الاحتجاج و المحدّث المجلسی (ره) فی المجلّد الثامن من بحار الانوار بنقصان فی الأوّل و زیاده فی الثّانی و تغییر یسیر فی غیر الزّاید و النّاقص، و کانت نسخه غایه المرام التی عندنا غیر خالیه من الغلط

۱- (۱) ای الصحیفه الملعونه منه.

۲- (۲) و هو ابو بکر، منه.

و التّحريف يسيرا فى متن الرّوايه فاصلحناها من نسختى الاحتجاج و البحار بما رأيناه أصلح و أنسب، فلو وجدت فيما رويناه شيئا غير مطابق لما فى الاصل(۱) فسرّه ما ذكرناه و لا تحملنّه على التقصير فى الضّبط و النّقل و اللّه الهادى.

و فى البحار من رجال الكشى عن علىّ بن الحكم عن ابن عميره عن أبى بكر الحضرمى قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: ارتدّ النّاس إلّا ثلاثه نفر: سلمان و أبو ذر و المقداد، قال: قلت: فعمار، قال قد كان حاص(۲) حيصه ثم رجع، ثم قال: إن أردت الذى لم يشكّ و لم يدخله شكّ فالمقداد، فأمّا سلمان فانّه عرض فى قلبه عارض إنّ عند أمير المؤمنين عليه السّلام اسم اللّه الأعظم لو تكلّم به لأخذتهم الأرض و هو هكذا فلبّب و وجيت حتّى تركت كالسّلعه، فمرّ به أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له، يا أبا عبد اللّه هذا من ذلك بايع فبايع، و أمّا أبو ذر فأمره أمير المؤمنين عليه السّلام بالسكوت و لم يكن يأخذه فى اللّه لومه لائم فأبى إلّا أن يتكلّم فمرّ به عثمان فأمر به، ثم أناب النّاس بعد و كان أوّل من أناب أبو ساسان الأنصارى و أبو عمره و شتيره و كان نواظره سبعه فلم يكن يعرف حقّ أمير المؤمنين عليه السّلام إلّا هؤلاء السّبعه.

أقول: أبو ساسان اسمه الحصين بن المنذر بالحاء المهمله المضمومه و الصّاد المهمله، و أبو عمره من الأنصار أيضا اسمه ثعلبه بن عمرو، و شتيره يقال له سمير أيضا صاحب رايه علىّ عليه السّلام بصفين و قتل هناک مع اخوته قاله فى الخلاصه.

و من كتاب الاختصاص للمفيد باسناده عن عمرو بن ثابت قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا قبض ارتدّ النّاس على أعقابهم كفّارا إلّا ثلاثه:

سلمان و المقداد و أبو ذر الغفارى انّه لمّا قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جاء أربعون رجلا إلى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فقالوا: لا و اللّه لا نعطى أحدا طاعه بعدک أبدا، قال: و لم؟ قالوا: سمعنا من رسول اللّه فيک يوم غدير، قال: و تفعلون؟ قالوا: نعم، قال فأتونى

ص:۳۰

۱- (۱) أى كما فى غايه المرام، منه.

۲- (۲) فى أكثر النسخ بالمهملتين يقال حاص عليه حيصه اى عدل و حاد و فى بعض النسخ بالجيم و الصاد المهمله بهذا المعنى و فى بعضها بالمعجمتين بهذا المعنى ايضا و قال الفيروز آبادى السلعه بالكسر كالغده فى الجسد و يفتح و يحرک كعنبه او جراح العنق او غده فيما حوله فمر به عثمان فامر به اى فتكلم او هو يتكلم فى شانه فامر به فاخرج من المدينه، بحار الانوار.

غدا محلّقين، قال: فما أتاه إلّا هؤلاء الثلاثه، قال: و جاءه عمّار بن ياسر بعد الظهر فضرب يده على صدره ثم قال: ما آن لك أن تستيقظ من نومه الغفله، ارجعوا فلا حاجه لى فيكم أنتم لم تطيعونى فى حلق الرّؤوس فكيف تطيعونى فى قتال جبال الحديد، ارجعوا فلا حاجه لى فيكم.

و فى الاحتجاج عن الباقر عليه السّلام انّ عمر بن الخطاب قال لأبى بكر: اكتب الى اسامه ابن زيد يقدم عليك فان فى قدومه قطع الشّنعه، فكتب أبو بكر اليه: من أبى بكر خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى اسامه بن زيد، أمّا بعد، فانظر إذا أتاك كتابى فأقبل إلىّ أنت و من معك فانّ المسلمين قد اجتمعوا علىّ و ولونى أمرهم، فلا نتخلّفن فتعصنى و يأتيك منى ما تكره و السّلام.

قال فكتب إليه اسامه جواب كتابه: من اسامه بن زيد عامل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على غزوه الشّام الى أبى بكر بن أبى قحافه، أمّا بعد فقد أتانى منك كتاب ينقض أوّله آخره، ذكرت فى أوّله أنك خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ذكرت فى آخره أنّ المسلمين قد اجتمعوا عليك فولوك أمرهم و رضوا بك، فاعلم أنّى و من معى من جماعه المسلمين فلا و اللّه ما رضينا بك و لا وليناك أمرنا، و انظر أن تدفع الحقّ إلى أهله و تخلّيهم و إيّاه فانّهم أحقّ به منك فقد علمت ما كان من قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى علىّ عليه السّلام يوم الغدير، فما طال العهد فتنسى فانظر مركزك و لا تخالف فتعصى اللّه، و رسوله و تعصى من استخلفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليك و على صاحبك، و لم يعزلنى حتّى قبض رسول اللّه و انّك و صاحبك رجعتما و عصيتما فأقمتما فى المدينه بغير اذنى.

قال: فأراد «فهمّ خ» أبو بكر أن يخلعها من عنقه قال: فقال له عمر: لا تفعل قميص قمّصك اللّه لا تخلعه فتندم و لكن ألحّ عليه بالكتب و مر فلانا و فلانا يكتبون الى اسامه أن لا يفرّق جماعه المسلمين و أن يدخل معهم فيما صنعوا، قال: فكتب اليه أبو بكر و كتب إليه ناس من المنافقين: أن ارض بما اجتمعنا عليه و إيّاك أن تشمل المسلمين فتنته فانّهم حديث عهد بالكفر، قال: فلمّا وردت الكتب على اسامه انصرف بمن معه

حتّی دخل المدینه، فلما رأی اجتماع الخلق علی أبی بکر انطلق إلی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فقال له: ما هذا؟ قال له علیّ علیه السّلام: هذا ما ذا تری، قال له اسامه: فهل بایعته؟ فقال: نعم یا اسامه، فقال: أ طائعا أو کارها؟ قال: لا بل کارها، قال: فانطلق اسامه فدخل علی أبی بکر و قال له: السّلام علیک یا خلیفه المسلمین، قال: فردّ علیه أبو بکر، و قال: السّلام علیک أیّها الأمیر هذا.

و یأتی بعض أخبار هذا الباب من طرق الخاصّه کسایر الأخبار العامه إنشاء اللّه عند شرح الخطب الآتیه و اللّه المستعان و علیه التکلان.

المقدمه الرابعه: فی الاشاره الی بعض طرق الخطبه و رفع الاختلاف بینها

فی الاشاره الی بعض طرق الخطبه و رفع الاختلاف بینها

فأقول:

اعلم أنّ المستفاد من مضمون هذه الخطبه الشریفه کما هو المستفاد من بعض طرقها الآتیه أیضا أنّه علیه السّلام خطب بها فی أواخر عمره الشریف و ذلک بعد ما انقضی أیّام خلافه المتخلّفین الثلاثه و بعد ما ابتلی به من قتال النّاکثین و القاسطین و المارقین و هذا ممّا لا خفاء فیه، و أمّا المقام الذی خطب علیه السّلام بها فیه فقد اختلفت فیه الرّوایات.

منها ما هی ساکته عن تعیین المکان، مثل ما رواه العلامه الحلّی طاب ثراه فی کتاب کشف الحقّ و نهج الصّدق عن الحسن بن عبد اللّه بن عبد بن مسعود العسکری من أهل السّنه فی کتاب معانی الأخبار باسناده إلی ابن عباس قال:

ذکرت الخلافه عند أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: و اللّه لقد تقمّصها أخویتم و أنّه یعلم إلی آخر ما ذکره الرّضیّ بتغییر یسیر.

و مثلها ما رواه المحدّث المجلسی فی المجلد الثامن من البحار من معانی الأخبار و علل الشّرایع للصّدوق عن ما جیلویه عن عمّه عن البرقی عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن عکرمه عن ابن عبّاس قال: ذکرت الخلافه

عنـد أمير المؤمنين علىّ بن أبى طـالب عليه السّلام فقـال: و اللّه لقـد تقمّصـها أخو تيم اه، و من الكتابين أيضا عن الطالقانى عن الجلودى عن أحمد بن عمّار بن خالد عن يحيى بن عبد الحميد الحمانى عن عيسى بن راشد عن علىّ بن حذيفه عن عكرمه عن ابن عبّاس مثله، و من أمالى الشّيخ عن الحفّار عن أبى القاسم الدّعبلى عن أبيه عن أخى دعبل عن محمّد بن سلامه الشّامى عن زراره عن أبى جعفر البـاقر عن أبيه عن جـدّه عليهم السّلام، و البـاقر، عن ابن عبّاس قال: ذكرت الخلافه عنـد أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: و اللّه لقد تقمّصها ابن أبى قحافه، و ذكر نحوه بأدنى تغيير.

و منها ما هى داله على أنّه عليه السّلام خطب بها فى منبر مسـجد الكوفه و هو ما رواه المحـدّث المجلسـى طاب ثراه فى المجلد الرّابع عشـر من البحار من بعض مؤلفات القدماء عن القاضى أبى الحسن الطبرى عن سعيد بن يونس المقدسى عن المبارك عن خالص بن أبى سـعيد عن وهب الجمال عن عبد المنعم بن سلمه عن وهب الرائدى عن يونس بن ميسره عن الشّيخ المعتمر الرّقى رفعه إلى أبى جعفر ميثم التمار، قال. كنت بين يدى مولاى أمير المؤمنين عليه السّلام إذ دخل غلام و جلس فى وسط المسلمين، فلما فرغ عليه السّلام من الأحكام نهض إليه الغلام، و قال يا أبا تراب: أنا إليك رسول جئتك برساله تزعزع لها الجبال من رجل حفظ كتاب اللّه من أوله إلى آخره و علم علم القضايا و الأحكام و هو أبلغ منك فى الكلام و أحقّ منك بهـذا المقام، فاسـتعدّ للجواب و لا تزخرف(۱) المقال، فلاح الغضب فى وجه أمير المؤمنين عليه السّلام، و قال لعمار: اركب جملك و طف فى قبائل الكوفه و قل لهم أجيبوا عليّا ليعرفوا الحقّ من الباطل و الحلال و الحرام و الصّحه و السّقم، فركب عمّار فما كان إلّا هنيئه حتّى رأيت العرب كما قال اللّه تعالى:

«إِنْ كانَتْ إِلّا صَيْحَةً واحِدَةً »... «فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ » فضاق جامع الكوفه و تكاثف النّاس تكاثف الجراد على الزّرع الغضّ (۲)

۱- (۱) اى لا تكذب المقال، منه.

۲- (۲) اى الطرى الخضر، منه.

فی أوانه، فنهض العالم الأردع(۱) و البطل الأنزع و رقی فی المنبر و راقی ثم تنحنح فسکت جمیع من فی الجامع، فقال علیه السّلام: رحم اللّه من سمع فوعی، أیّها النّاس یزعم أنّه أمیر المؤمنین و اللّه لا یکون الامام إماما حتّی یحیی الموتی أو ینزل من السّماء مطرا أو یأتی بما یشاکل ذلک ممّا یعجز عنه غیره و فیکم من یعلم أنّی الآیه الباقیه و الکلمه التامّه و الحجّه البالغه و لقد أرسل إلیّ معاویه جاهلا من جاهلیّه العرب عجرف(۲) فی مقاله و أنتم تعلمون لو شئت لطحنت عظامه طحنا، و نسفت(۳) الأرض من تحته نسفا، و خسفتها علیه خسفا إلّا أنّ احتمال الجاهل صدقه.

ثمّ حمد اللّه و أثنی علیه و صلّی علی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أشار بیده إلی الجوّ فدمدم(۴)، و أقبلت غمامه و علت سحابه و سمعنا منها إذا یقول: السّلام علیک یا أمیر المؤمنین و یا سیّد الوصیّین و یا إمام المتّقین و یا غیاث المستغیثین و یا کنز المساکین و معدن الرّاغبین، و أشار إلی السّحابه فدنت، قال میثم: فرأیت الناس کلّهم قد أخذتهم السّکره، فرفع رجله و رکب السّحابه، و قال لعمّار: ارکب معی و قل، بسم اللّه مجریها و مرسیها، فرکب عمّار و غابا عن أعیننا، فلما کان بعد ساعه أقبلت السّحابه حتّی أظلّت جامع الکوفه، فاذا مولای جالس علی دکه القضاء و عمّار بین یدیه و النّاس حافّون به، ثمّ قام و صعد المنبر و أخذ الخطبه المعروفه بالشّقشقیه، فلما فرغ اضطرب النّاس، و قالوا فیه أقاویل مختلفه، فمنهم من زاده اللّه ایمانا و یقینا، و منهم من زاده کفرا و طغیانا.

قال عمار: و قد طارت بنا السّحابه فی الجوّ فما کانت هنیئه حتّی أشرفنا إلی بلد کبیر حوالیه أشجار و أنهار، فنزلت بنا السّحابه و إذا نحن فی مدینه کبیره و النّاس یتکلمون بکلام غیر العربیّه فاجتمعوا علیه و لاذوا به فوعظهم و أنذرهم بمثل کلامهم، ثم قال: یا عمّار ارکب ففعلت ما امرنی فادرکنا جامع الکوفه، ثمّ

۱- (۱) الاردع من الرجال من یعجبک حسنه، منه.

۲- (۲) العجرفه الخرق و قله المبالاه، بحار.

۳- (۳) ای قلعت، م.

۴- (۴) یقال دمدم علیه ای کلمه مغضبا بحار.

قال علیه السّلام لی یا عمّار، تعرف البلده التی کنت فیها؟ قلت: اللّه اعلم و رسوله و ولیّه قال علیه السّلام: کنّا فی الجزیره السّابعه من الصّین أخطب کما رأیتنی إنّ اللّه تبارک و تعالی أرسل رسوله إلی کافّه النّاس و علیه أن یدعوهم و یهدی المؤمنین منهم إلی الصّراط المستقیم، و اشکر ما أولیتک من نعمه، و اکتم من غیر أهله فانّ اللّه تعالی ألطافا خفیّه فی خلقه لا یعلمها إلاّ هو و من ارتضی من رسول.

ثمّ قالوا: أعطاک اللّه هذه القدره و أنت تستنهض الناس لقتال معاویه، فقال علیه السّلام: إنّ اللّه تعبّدهم بمجاهده الکفار و المنافقین و النّاکثین و القاسطین و المارقین، و اللّه لو شئت لمددت یدی هذه القصیره فی أرضکم هذه الطویله و ضربت بها صدر معاویه بالشّام و أخذت بها من شاربه أو قال من لحیته، فمدّ یده و ردّها و فیها شعرات کثیره، فتعجبوا من ذلک، ثمّ وصل الخبر بعد مدّه أنّ معاویه سقط من سریره فی الیوم الذی کان علیه السّلام مدّیده و غشی علیه ثمّ أفاق و افتقد من شاربه و لحیته شعرات.

و قد ذکرت الرّوایه بتمامها إذ فیها قرّه عین للشّیعه فهنیئا لهم ثمّ هنیئا بما خصّهم اللّه به من موالاه صاحب المناقب الفاخره و المعجزات القاهره.

و منها ما هی مفیده لکونه علیه السّلام خاطبا بها فی الرّحبه، مثل ما رواه الطبرسی فی الاحتجاج قال: و روی جماعه من أهل النّقل من طرق مختلفه عن ابن عبّاس قال:

کنت عند أمیر المؤمنین علیه السّلام بالرّحبه فذکرت الخلافه و تقدّم من تقدّم علیه، فتنفس الصّعدآء ثم قال: أما و اللّه لقد تقمّصها و ذکر قریبا ممّا رواه الرّضیّ، و مثله ما رواه فی البحار من إرشاد المفید قال روی جماعه إلی آخر ما ذکره فی الاحتجاج إلاّ أن فیه و تقدیم من تقدّم، و أم و اللّه بدل أما، و فی البحار أیضا عن الشّیخ قطب الدّین الرّاوندی قدّس سرّه فی شرحه علی نهج البلاغه بهذا السّند، أخبرنی الشیخ أبو نصر الحسن بن محمّد بن إبراهیم عن الحاجب أبی الوفاء محمّد بن بدیع و الحسین ابن أحمد بن عبد الرّحمن عن الحافظ أبی بکر بن مردویه الاصفهانی عن سلیمان بن أحمد الطبرانی عن أحمد بن علیّ الابار عن إسحاق بن سعید أبی سلمه الدّمشقی عن

خليـد بن دعلـج عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال: كنا مع علىّ عليه السّـلام بالرّحبه فجرى ذكر الخلافه و من تقـدّم عليه فيها، فقال: أما و اللّه لقد تقمّصها فلان إلى آخر الخطبه.

هـذه جمله مـا عثرت عليهـا من طرق الخطبه و إسـنادها و يمكن الجمع بين مختلفهـا بـأن يكون عليه السّـلام قـد خطب بهـا تاره بالرّحبه و اخرى بمنبر الكوفه و اللّه العالم.

و اذا تمهّد لك هذه المقدمات فلنشرع فى شرح كلامه عليه السّلام بتوفيق من اللّه سبحانه فأقول: و شرحها فى ضمن فصول.

الفصل الاول

اشاره

أما و اللّه لقد تقمّصـها ابن أبى قحافه و إنّه ليعلم أنّ محلّى منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر منّى السّيل، و لا يرقى إلىّ الطّير، فسـدلت دونها ثوبا، و طويت عنها كشـحا، و طفقت أرتاى بين أن أصول بيد جذّآء، أو أصبر على طخيه عمياء، يهرم فيها الكبير، و يشـيب فيها الصّغير، و يكدح فيها مؤمن حتّى يلقى فيها ربّه، فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى، فصبرت و فى العين قذى، و فى الحلق شجى، أرى تراثى نهبا.

اللغه

يقـال قمّصه قميصا ألبسه فتقمّص هو و (قحافه) بضمّ القاف و تخفيف الحاء و (قطب الرّحى) مثلّثه و كعنق: الحديـده التى تـدور عليها الرّحى و (سدل الثّوب) يسد له أرسله و أرخاه، و (الكشح) ما بين الخاصره إلى أقصر الاضلاع، يقال فلان طوى كشحه أى أعرض مهاجرا، و (طفق) فى كذا أى شرع و أخذ

و (ارتأى) فى الأمر اذا فكر طلبا للرّأى الأصلح و افتعل من رويه القلب، و (الصّوله) الوثبه و الحمله، و(اليد الجذّاء)بالجيم و الذّال المعجمه المقطوعه المكسوره، قال فى النّهايه فى حديث علىّ عليه السّلام أصول بيد جذاء كنّى به عن قصور أصحابه و تقاعدهم عن الغزو، فإنّ الجند للأمير كاليد و يروى بالحاء المهمله و فسّره فى موضعه باليد القصيره التى لا تمدّ إلى ما يراد، قال و كأنّها بالجيم أشبه و (الطخيه) بالضمّ، على ما فى أكثر النّسخ أو بالفتح الظلمه أو الغيم و فى القاموس الطخيه الظلمه و يثلّث و (العمياء) تأنيث الأعمى يقال مفازه عمياء أى لا يهتدى فيها الدّليل، و وصف الطخيه بها إشاره إلى شدّه الظلمه، و (هرم) كفرح أى بلغ أقصى الكبر، و (الشيّب) بياض الشّعر، و (الكدح) السّعى و كدح فى العمل كمنع سعى و عمل لنفسه خيرا و شرّا و (أحجى) أى أولى و أجدر و أحقّ من قولهم حجى بالمكان إذا أقام و ثبت ذكره فى النّهايه، و قيل: أى اليق و أقرب بالحجى و هو العقل و (القذى) ما يقع فى العين و فى الشّراب أيضا من نتن أو تراب أو وسخ و (الشجى) ما اعترض فى الحلق و نشب من عظم و نحوه و (التراث) ما يخلّفه الرّجل لورثته و التاء فيه بدل من الواو و (النهب) السّلب و الغاره و الغنيمه.

الاعراب

أما حرف تنبيه تدلّ على تحقّق ما بعدها مثل ألا و لكونها مفيده للتحقيق لا تقع الجمله بعدها الاّ مصدّره بالقسم قال الشّاعر:

أما و الذى أبكى و أضحك و الذى أمات و أحيى و الذى أمره الأمر

و الضّمير فى تقمّصها راجع الى الخلافه المستفاده بقرينه المقام كما فى قوله تعالى:

«حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ » اى الشّمس او المصرّح بها كما فى ساير طرق الخطبه على ما تقدم و مثله الضّماير الثلاثه بعدها، و جمله و انّه ليعلم اه حاليّه، و جمله ينحدر آه استينافيّه، و أو، فى قوله أو أصبر بمعنى الواو، لاقتضآء كلمه بين ذلك، لأنّ العطف بعدها لا تقع إلاّ بواو الجمع يقال: جلست بين زيد و عمرو و لا يقال أو عمرو، و فى بعض النّسخ و أصبر

بالواو، و کلمه ها فی هاتا، للتّنبیه، و تا للاشاره إلی المؤنّث اشیر بها إلی الطخیه الموصوفه.

المعنی

(أما و اللّه لقد تقمّصـها) أی لبس الخلافه مثل القمیص (ابن أبی قحافه) و الاشاره به إلی أبی بکر و اسـمه عبد اللّه بن عثمان بن عـامر بـن عمرو بن کعب بن سـلام ابن تیم بن مرّه، و امّه سـلمی بنت صـخر بن عـامر بن کعب، و فی بعض الکتب أنّ اسـمه فی الجاهلیّه عبد العزّی فغیره النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم إلی عبد اللّه، قال فی القاموس: اسـمه عتیق سمّته به امّه أو لقب له، و فی التعبیر عنه بهذا اللفظ دون الألقاب المادحه دلاله علی الاستخفاف، کتعبیره عن الثانی فیما سیأتی بابن الخطاب.

و ما تکلّفه قاضی القضاه فی دفع دلالته علیه بأنّه قد کانت العاده فی ذلک الزّمان أن یسمّی أحدهم صاحبه و یکنیه و یضیفه إلی أبیه حتّی کـانوا ربّمـا قـالوا لرسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم: یا محمّـد، فلیس فی ذلک دلاله علی الاسـتخفاف و لا علی الوضع.

فقد أجاب عنه السـیّد (ره) فی محکی الشّافی بأنّه لیس ذلک صـنع من یرید التّعظیم و التبجیل، و قد کانت لأبی بکر عندهم من الألقاب الجمیله ما یقصد إلیه من یرید تعظیمه، و قوله: إنّ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم کان ینادی باسمه فمعاذ اللّه ما کان ینادی باسمه إلّا شاکّ أو جاهل من طغام العرب، و قوله: إنّ ذلک عاده العرب فلا شک أنّ ذلک عادتهم فیمن لا یکون له من الألقاب أفخمها و أعظمها کالصّدیق و نحوه انتهی.

و قـال المحـدّث المجلسـی (قـده) فی ترجمه أبی بکر: اعلم أنّه لم یکن له نسب شـریف و لا ـ حسب منیف، و کـان فی الاسـلام خیّاطا و فی الجاهلیّه معلّم الصّبیان و نعم ما قیل:

کفی المرء نقصا أن یقال له معلّم صبیان و ان کان فاضلا

ص:۳۸

و کان أبوه سیّئ الحال ضعیفا و کان کسبه أکثر من عمره من صید القماری و الدباسی(۱) لا یقدر علی غیره، فلمّا عمی و عجز ابنه عن القیام به التجأ إلی عبد اللّه بن جذعان من رؤساء مکه فنصبه ینادی علی مائدته کلّ یوم لاحضار الاضیاف و جعل(۲) له علی ذلک ما یعونه من الطعام، و ذکر ذلک جماعه منهم الکلبی فی کتاب المثالب علی ما أورده فی الصّراط المستقیم، و لذا قال أبو سفیان لعلیّ علیه السّلام بعد ما غضب الخلافه أرضیتم یا بنی عبد مناف أن یلی علیکم تیمیّ رذل.

و قال أبو قحافه ما رواه ابن حجر فی صواعقه حیث قال: و أخرج الحاکم أنّ أبا قحافه لما سمع بولایه ابنه، قال: هل رضی بذلک بنو عبد مناف و بنو المغیره؟ قالوا: نعم، قال: اللهمّ لا واضع لما رفعت و لا رافع لما وضعت، و قالت فاطمه علیها السلام فی بعض کلماتها: إنّه من اعجاز قریش و أذنابها، و قال بعض الظرفاء: بل من ذوی أذنابها، و قال صاحب إلزام النّواصب: أجمع النّسابون أنّ أبا قحافه کان جرّا(۳) للیهود، و العجب أنّهم مع ذلک یدّعون أنّ اللّه أغنی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بمال أبی بکر انتهی.

أقول: و ذکر الشّارح المعتزلی نظیر ما رواه ابن حجر هذا.

و فی الاحتجاج روی أن أبا قحافه کان بالطایف لما قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بویع لأبی بکر، فکتب إلی أبیه کتابا عنوانه من خلیفه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی أبیه أبی قحافه أمّا بعد فانّ النّاس قد تراضوا بی فانّی الیوم خلیفه اللّه فلو قدمت علینا کان أحسن بک، قال: فلما قرء أبو قحافه الکتاب قال للرّسول: ما منعکم من علیّ علیه السّلام؟ قال الرّسول: هو حدث السّن و قد أکثر القتل فی قریش و غیرها و أبو بکر أسنّ منه، قال أبو قحافه: إن کان الأمر فی ذلک بالسنّ فأنا أحق من أبی بکر، لقد ظلموا علیّا

۱- (۱) الدبسی بالضم ضرب من الفواخت قیل نسبته الی طیرد بسی و هو الذی لونه بین السواد و الحمره، مصباح.

۲- (۲) أقول و ببالی انی رأیت فی بعض السیر انه کان یأخذ کل یوم أربعه دراهم من عبد اللّه بن جذعان اجره و ینادی علی طعامه، منه.

۳- (۳) ای راعی ابل لهم قال فی القاموس الجران ترکب ناقه و ترکها ترعی، منه.

حقّه و قد بايع له النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمرنا ببيعته ثمّ كتب إليه: من ابى قحافه إلى أبى بكر أمّا بعد، فقد أتانى كتابک فوجدته كتاب أحمق ينقض بعضه بعضا، مرّه تقول:

خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مرّه تقول: خليفه اللّه، و مرّه تقول: تراضى بى النّاس، و هو امر ملتبس فلا تدخلنّ فى أمر يصعب عليک الخروج منه غدا و يكون عقباک منه إلى النّدامه و ملامه النّفس اللوامه لدى الحساب يوم القيامه، فانّ للامور مداخل و مخارج و أنت تعرف من هو أولى بها منک، فراقب اللّه كأنّک تراه و لا تدعنّ صاحبها، فانّ تركها اليوم أخفّ عليک و أسلم لک.

ثمّ اعلم أنّه لم يتعرّض عليه أحد بسوء النّسب لا من الخاصّه و لا من العامّه حسبما طعنوا فى أنساب أمثاله، و لعلّ سرّه ما أشار إليه المحدّث الجزايرى فى أنوار النعمانيّه: من أنّ الأئمه عليهم السّلام من نسله و ذلک، لأنّ أمّ فروه و هى أمّ الصّادق عليه السّلام بنت القاسم بن محمّد بن أبى بكر.

ثمّ إنّه عليه السّلام لمّا ذكر تلبّسه بالخلافه أراد التّنبيه على عدم استحقاقه بذلک اللّباس، و نبّه على بطلان خلافه المتقمّص بذكر مراتب كماله الدّاله على أفضليّته المشيره إلى قبح تفضيل المفضول و العدول عن الأفضل، فقال:(و إنّه ليعلم أنّ محلّى منها)أى من الخلافه(محلّ القطب من الرّحى)شبّه عليه السّلام نفسه بالقطب و الخلافه بالرّحى و محلّه من الخلافه بمحلّ القطب من الرّحى، و الأوّل من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس، و الثانى من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، و الثّالث من قبيل تشبيه المعقول بالمعقول، و المقصود أنّ الأثر المطلوب من الرّحى كما لا يحصل إلّا بالقطب و لولاه لم يحصل لها ثمر قط كذلک الثمره المطلوبه من الولايه و الخلافه أعنى هدايه الأنام و تبليغ الأحكام و نظام امور المسلمين و انتظام أمر الدّنيا و الدّين، لا تحصل إلّا بوجوده عليه السّلام فيكون الخلافه دائره مدار وجوده كما أنّ الرّحى دائره مدار القطب، ففيه إشاره إلى عدم إمكان قيام غيره مقامه و إغنائه غناه كما لا يقوم غير القطب مقامه و لا يغنى عنه.

و بهذا المضمون صرّح عليه السّلام فى بعض كلماته الآتيه، و هو قوله فى الكلام المأه

و الثامن عشر: و إنّما أنا قطب الرّحى تدور علىّ و أنا بمكانى فاذا فارقته استحار مدارها و اضطرب ثقالها، و منه يظهر أنّ ما ذكره الشّارح المعتزلى من أنّ مراده عليه السّلام بهذا الكلام هو أنّه من الخلافه فى الصّميم و فى وسطها و بحبوحتها كما أنّ القطب وسط دائره الرّحى مع كونه خلاف الظاهر ليس على ما ينبغى هذا.

و فى إتيان قوله: و إنّه ليعلم مؤكدا بانّ و اللام، دلاله على منتهى المبالغه فى الطعن عليه لدلالته على أنّ تقمّصه بالخلافه لم يكن ناشيا عن الجهاله و الغفله عن مرتبته عليه السّلام حتى يكون جاهلا قاصرا معذورا فيه و معفوا عنه، بل قد تقمّص بها مع علمه بأنّ مدارها عليه و انتظامها به فيكون تقمّصه بها مع وجود ذلک العلم ظلما فاحشا و غصبا بيّنا.

و يدل على علمه بذلک ما رواه فى الاحتجاج عن عامر الشّعبى عن عروه بن الزّبير عن الزّبير بن العوام قال: لمّا قال المنافقون: إنّ أبا بكر تقدّم عليّا و هو يقول أنا أولى بالمكان منه، قام أبو بكر خطيبا فقال: صبرا على من ليس يؤل إلى دين و لا يحتجب برعايه و لا يرعوى لولايه، أظهر الايمان ذله و أسر السّفاق غلّه(1) هؤلاء عصبه الشّيطان و جمع الطغيان، يزعمون أنّى أقول إنّى أفضل من علىّ و كيف أقول ذلک و مالى سابقته و لا قرابته و لا خصوصيته، و وحّد اللّه و أنا ملحده و عبد اللّه قبل أن أعبده، و والى الرّسول و أنا عدوّه، و سابقنى بساعات لم الحق شأوه(2) و لم أقطع غباره، إنّ ابن أبى طالب فاز و اللّه من اللّه بمحبه، و من الرّسول بقربه، و من الايمان برتبه. لو جهد الأوّلون و الآخرون إلّا النّبيون لم يبلغوا درجته و لم يسلكوا منهجه.

بذل فى اللّه مهجته و لابن عمّه مودّته، كاشف الكرب و دامغ(3) الرّيب و قاطع السّبب إلّا سبب الرّشاد و قامع الشّرک، و مظهر ما تحت سويداء حبّه النّفاق محنه لهذا العالم، لحقّ قبل أن يلاحق و برز قبل أن يسابق، جمع العلم و الحلم

1- (1) اى حقدا و الغلل الحقد كالغل بالكسر، ق.

2- (2) الشاو الغايه و الامد، لغه.

3- (3) دمغ فلانا ضرب دماغه، ق.

و الفهم فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزا لا يدّخر منها مثقال ذرّه إلّا أنفقه فى بابه فمن ذا يؤمّل أن ينال درجته، و قد جعله اللّه و رسوله للمؤمنين وليّا و للنّبىّ وصيّا و للخلافه راعيا و بالامامه قائما، أ فيغترّ الجاهل بمقام قمته إذا أقامنى و أطعته إذا أمرنى، سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: الحقّ مع علىّ و علىّ مع الحقّ، من أطاع عليّا رشد و من عصى عليّا فسد، و من أحبّه سعد، و من أبغضه شقى، و اللّه لو لم يحبّ ابن أبى طالب إلّا لأجل أنّه لم يواقع للّه محرّما و لا عبد من دونه صنما و لحاجه النّاس إليه بعد نبيهم، لكان فى ذلك ما «مماخ» يجب، فكيف لأسباب أقلها موجب و أهونها مرغب، للرّحم الماسه بالرّسول و العلم بالدقيق و الجليل و الرّضا بالصبر الجميل و المواساه فى الكثير و القليل و خلال(۱) لا يبلغ عدّها و لا يدرك مجدها ودّ المتمنّون أن لو كانوا تراب أقدام ابن أبى طالب، أ ليس هو صاحب الواء الحمد و السّاقى يوم الورود و جامع كلّ كريم و عالم كل علم و الوسيله إلى اللّه و إلى رسوله.

ثم إنّه عليه السّلام أشار إلى علوّ مقامه و سموّ مكانه بقوله(ينحدر عنّى السيل)تشبيها لنفسه بذروه الجبل المرتفع فاستعار له ما هو من أوصاف الجبل و هو السيل المنحدر عنه إلى الغيظان، و لعلّ المراد بالسّيل المنحدر عنه عليه السّلام هو علومه و حكمه الواصله إلى العباد و الفيوضات الجاريه منه عليه السّلام على الموادّ القابله، و تشبيه العلم بالماء و السّيل من ألطف التشبيهات و وجه الشبه هو اشتراكهما فى كون أحدهما سبب حياه الجسم و الآخر سبب حياه الرّوح، و قد ورد مثل ذلك التّشبيه فى الكتاب العزيز قال تعالى:

«قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ »(۲) روى علىّ بن إبراهيم القمى (ره) فى تفسيره باسناده عن فضاله بن أيوب قال: سئل الرّضا عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: قل أرأيتم الآيه، فقال عليه السّلام: ماؤكم أبوابكم أى الأئمه،

۱- (۱) جمع خله مثل خصله وزنا و معنى لغه.

۲- (۲) يعنى ان غاب إمامكم كما فى عده روايات منه،

و الأئمه أبواب اللّه بينه و بين خلقه، فمن يأتيكم بماء معين، يعنى يأتيكم بعلم الامام، و فى تفسير القمى أيضا فى قوله تعالى:

«وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَهٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ » قال:(۱) هو مثل جرى لآل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوله: بئر معطله، هو الذى لا يستقى منها و هو الامام الذى قد غاب فلا يقتبس منه العلم إلى وقت الظهور، و القصر المشيد هو المرتفع، و هو مثل لأمير المؤمنين و الأئمه صلوات اللّه عليهم و فضائلهم المنتشره فى العالمين المشرفه على الدّنيا ثم يشرف على الدنيا، و هو قوله:

«لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » و قال الشّاعر فى ذلك:

بئر معطله و قصر مشرف مثل لآل محمّد مستطرف

فالقصر مجدهم الذى لا يرتقى و البئر علمهم الذى لا ينزف

ثمّ إنّه عليه السّلام ترقى فى الوصف بالعلو و أكّد علوّ شأنه و رفعه مقامه بقوله:(و لا يرقى إلىّ الطير) فانّ مرقى الطير أعلى من منحد رالسّيل فكيف ما لا يرقى إليه كأنه قال: انّى لعلوّ منزلتى كمن فى السّمآء التى يستحيل أن يرقى الطير إليها قال الشاعر:

مكارم لجّت(۲) فى علوّ كانّما تحاول ثارا عند بعض الكواكب

و لعلّه عليه السّلام أراد بعدم رقى الطير إليه عجز طاير الاوهام عن الوصول إلى مقاماته الجليله، و قصور العقول عن الاحاطه بمناقبه الجميله من حيث عدم انتهائها بعدّ، و عدم وقوفها إلى حدّ، قال تعالى:

«وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » قال فى الاحتجاج: سأل يحيى بن أكثم أبا الحسن العالم عليه السّلام عن قوله تعالى: سبعه

۱- (۱) هذا من عباره التفسير و الفاعل راجع الى الإمام (عليه السلام) منه.

۲- (۲) اى صوتت و اللجه، بالفتح الصوت منه.

أبحر مـا نفـدت كلمـات اللّه مـا هی؟ فقال: هی عین الکبریت و عین الیمین و عین البرهوت و عین الطبریه و حمّه(۱) ماسیدان و حمه إفریقیه(۲) و عین باحوران «بلعوران، ناحوران خ»، و نحن الکلمات التی لا ندرک فضائلنا و لا تستقصی.

ثمّ إنّه علیه السّلام لما أشار إلی اغتصاب الخلافه نبّه علی اعراضه عنها و یأسه منها و قال:

(فسـدلت) أی أرخیـت و أرسـلت (دونهـا ثوبـا) و ضـربت بینی و بینهـا حجابـا فعـل الزّاهـد فیهـا و الراغب عنهـا (و طـویت عنها کشحا)(۳) و أعرضت عنهـا و یئست منهـا مهـاجرا، و قیـل: إنّ المراد إنّی أجعت نفسـی عنها و لم ألقمها لأنّ من أجاع نفسه فقد طوی کشـحه کما أنّ من أکل و أشبع فقد ملاء کشـحه (و) لما رأیت الخلافه فی ید من لم یکن أهلالها (طفقت) أی أخذت و شرعـت (أرتـأی) فی الأـمر و أفکّر فی طلـب الأصـلح و أجیـل الفکر فی تـدبیر أمر الخلاـفه و أردّده (بیـن) أمریـن احـدهما(أن أصول)علیهم و أقاتل معهم(بیـد جذّاء)أی مقطوعه مکسوره و المراد حملته علیهم بلا معاون و لا ناصـر، و استعار وصف الجذاء لعدمهما لمشابهه أن قطع الید کما أنّه مستلزم لعدم القدره علی التّصـرف بها و الصّیـال، فکذلک عدم المعین و الناصـر مستلزم لـذلک أیضا فحسـنت الاسـتعاره و ثانیهما الصّبر علی معاینه الخلق علی شـدّه و جهاله و ضـلاله و هو المراد بقوله (أو أصبر علی طخیه عمیاء) أی علی ظلمه و التباس من الامور متّصف بالعمی بمعنی أنّه لا یهتدی فیه السّالک إلی سلوک طریق الحقّ بل یأخذ یمینا و شمالا، و إلی هذه الظلمه اشیرت فی قوله تعالی:

«أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ »

۱- (۱) حمه بفتح الحاء و تشدید المیم کل عین فیها ماء حار تنبع یستشفی بها المرضی، لغه.

۲- (۲) بتخفیف الیاء و تشدیدها من بلاد المغرب مغرب.

۳- (۳) عطف علی سبیل التفسیر مثل قوله ضربت بینی و بینها حجابا، منه.

و قد فسرت الظلمات فی الأخبار بخلافات الثلاثه، ثم أشار علیه السّلام إلی طول مده هذه الطخیه بأنّه(یهرم فیها الکبیر)أی یبلغ أقصی الکبر(و یشیب فیها الصّغیر)أی یبیضّ رأسه و یحتمل أن یراد بهما المجاز و التوسع بمعنی أنّ أیام اغتصاب الخلافه لشدّه صعوبتها و کثره أهوالها یکاد أن یهرم الکبیر فیها و یشیب الصّغیر قال تعالی:

«یَوْماً یَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِیباً » (و یکدح فیها مؤمن) أی یسعی المؤمن المجتهد فی الذّبّ عن الحقّ و الأمر بالمعروف و یکدّ و یقاسی الأحزان و الشدائد (حتّی) یموت و (یلقی ربّه) ثمّ إنّه علیه السّلام لما ذکر تردّده بین الصّبر و القتال أشار إلی ترجیحه الأوّل علی الثانی بقوله:

(فرأیت أن الصّبر علی هاتا أحجی) أی ألیق و أصلح و أجدر، أو أقرب بالحجا و العقل، و ذلک لأن ترک الخلق علی الضلاله و الجهاله و إبقائهم علی الغیّ و الغفله إنّما یقبح مع الاستطاعه و القدره و یلزم معهما ردعهم عن الباطل و نهیم عن المنکر و إرجاعهم إلی الصّراط المستقیم و النّهج القویم و لو بالقتال و الصّیال، و أمّا مع عدم التمکن و القدره من حیث عدم المعاون و النّاصر فلا یلزم شیء من ذلک، بل یجب التّحمل و الصّبر حذرا من إلقاء النّفس علی الهلاکه و تعریضها علی العطب و استیصال آل محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سیّما و أنّ مقصوده علیه السّلام من الخلافه لم یکن إلاّ هدایه الأنام و إعلاء کلمه الإسلام و إثاره الحرب و الجدال إذا کانت موجبه لاضطراب نظام المسلمین، بل مؤدّیه إلی رجوع النّاس إلی أعقابهم القهقری و اضمحلال کلمه الاسلام لغلبه الأعداء فلا یحکم العقل حینئذ إلاّ بالکفّ عن الجهاد و الصّبر علی البلاء و التحمل علی الاذی کیلا یلزم ضدّ المقصود و لا نقض الغرض (فصبرت) و الحال إنّ (فی العین قذی) یوجب أذیتها کما یصبر الرّجل الأرمد (و فی الحلق شجی) اعترض فیه کما بصبر المکابد للخنق، و الجملتان کنایتان عن شدّه تأذیه بسبب اغتصاب ما یری أنّه أولی به من غیره (أری تراثی) و فی بعض الرّوایات تراث محمّد و آله (نهبا) أی سلبا و غاره و المراد بتراثه المنهوب المسلوب إمّا فدک الذی خلّفه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

ص:۴۵

لابنته من حیث إنّ مال الزّوجه فی حکم مال الزّوج، و إمّا الخلافه الموروثه منه علیه السّلام لصدق لفظ الارث علیها کصدقه علی منصب النّبوه فی قوله تعالی حکایه عن زکریا:

«یَرِثُنِی وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ » و الأظهر حمله علی العموم و اللّه العالم.

الترجمه

آگاه باش بخدا قسم که پوشید خلافت را مثل پیراهن پسر أبی قحافه و حال آنکه بدرستی آن عالم بود باین که محل من از خلافت مثل محل قطب است از سنک آسیا، منحدر می شود و پائین می آید از من سیل علوم و ترقی نمی کند بسوی من پرندۀ بلند پرواز از اوهام و عقول، پس فرو گذاشتم نزد آن خلافت لباس صبر را، و در نور دیدم از آن تهیگاه را، و شروع کردم بفکر کردن در امر خود میان آنکه حمله کنم بدست بریده و یا این که صبر نمایم بر ظلمتی که متصف است بصفت کوری که کنایه است از خلافت أهل جلافت، آن چنان ظلمتی که بنهایت پیری می رسد در آن بزرگ سال، و بحال پیری می رسد در آن خورد سال، و سعی میکند و بمشقت و رنج می افتد در آن مؤمن تا این که می میرد و ملاقات میکند پروردگار خود را؛ و چون حال بر این منوال بود پس دیدم که صبر کردن بر این ظلمت و بر خلافت اهل شقاوت الیق و انسب است، پس صبر نمودم و ترك قتال و جدال کردم و حال آنکه در چشم من غبار و خاشاك بود که از آن اذیت می کشیدم و در گلوی من استخوان بود که گلوگیر شده بودم، و سبب این اذیت و گلوگیری آن بود که می دیدم میراث خود را غارت شده و خلافت خود را تاراج گردیده.

ص:۴۶

الفصل الثانی

اشاره

حتّی مضی الأوّل لسبیله، فأدلی بها إلی ابن الخطّاب بعده، ثمّ تمثّل علیه السّلام بقول الأعشی:

شتّان ما یومی علی کورها و یوم حیّان أخی جابر

فیا عجبا بینا هو یستقیلها فی حیاته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعیها، فصیّرها فی حوزه خشناء یغلظ کلمها، و یخشن مسّها، و یکثر العثار فیها، و الاعتذار منها، فصاحبها کراکب الصّعبه إن أشنق لها خرم، و إن أسلس لها تقحّم، فمنی النّاس لعمر اللّه بخبط و شماس، و تلوّن و اعتراض، فصبرت علی طول المدّه، و شدّه المحنه.

اللغه

یقال فلان (مضی) لسبیله أی مات و (أدلی) بها إلی فلان أی القاها إلیه و دفعها قال تعالی:

«وَ لا تَأْکُلُوا أَمْوالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْباطِلِ وَ تُدْلُوا بِها إِلَی الْحُکّامِ » أی تدفعوها إلیهم رشوه و أصله من أدلیت الحبل فی البئر إدلاء أی أرسلتها لیستقی بها و (تمثل) بالبیت أنشده للمثل و (شتّان) اسم فعل فیه معنی التعجب یقال: شتان ما هما و ما بینهما و ما عمرو و أخوه أی بعد ما بینهما، قال الشّارح المعتزلی و لا یجوز شتّان ما بینهما إلاّ علی قول ضعیف و (الکور) بالضمّ رحل البعیر بأداته و (الاقاله) فکّ عقد البیع و نحوه، و الاستقاله طلب ذلک و (شدّ) أی صار شدیدا مثل حبّ اذا صار حبیبا (تشطر) إما مأخوذ من الشّطر بمعنی النّصف یقال: فلان شطر ماله ای نصفه، أو من الشطر بمعنی خلف الناقه بالکسر، قال الشّارح المعتزلی: و للنّاقه أربعه أخلاف خلفان

قادمان(۱) و خلفان آخر ان و کلّ اثنين منهما شطر و تشطرا ضرعيها اقتسما فايدتها، و الضّمير للخلافه و سمّى القادمين معا ضرعا و سمّى الآخرين معا ضرعا لتجاورهما و لكونهما لا يحلبان إلا معا كالشّىء الواحد انتهى، و لفظ التشطر على وزن التّفعل غير موجود فى كتب اللغه.

قال العلامه المجلسى: و فى روايه المفيد و غيره شاطرا على صيغه المفاعله يقال: شاطرت ناقتى إذا احتلبت شطرا و تركت الآخر، و شاطرت فلانا مالى إذا ناصفته و (الحوزه) الطبيعه و النّاحيه و (الغلظ) ضدّ الرّقه و (الكلم) بفتح الكاف و سكون اللاّم يقال: كلمته كلما من باب قتل جرحته و من باب ضرب لغه، ثمّ اطلق المصدر على الجرح و يجمع على كلوم و كلام مثل بحر و بحور و بحار و (العثار) بالكسر مصدر من عثر الرّجل و الفرس أيضا يعثر من باب قتل و ضرب و علم كبا و (الصّعبه) من النّوق غير المنقاده لم تذلل بالمحمل و لا بالرّكوب و (أشنق) بعيره أى جذب رأسه بالزّمام ليمسكه عن الحركه العنيفه كما يفعل الفارس بفرسه و هو راكب، و أشنق هو بالألف أيضا كشنق رفع رأسه فيستعمل الرّباعى لازما و متعديا كالثلاثى.

قال الرضىّ بعد ايراد تمام الخطبه: قوله عليه السّلام إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحم، يريد أنّه إذا شدّد عليها فى جذب الزّمام و هى تنازعه رأسها خرم أنفها و إن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها، يقال: أشنق النّاقه إذا جذب رأسها بالزّمام فرفعه و شنقها أيضا ذكر ذلك ابن السّكيت فى اصلاح المنطق و إنّما قال:

أشنق لها و لم يقل: أشنقها، لأنّه جعله فى مقابله قوله أسلس لها فكانه عليه السّلام قال: إن رفع لها رأسها بالزّمام بمعنى أمسكه عليها انتهى.

و (الخرم) الشّق يقال خرم فلانا كضرب أى شق و تره أنفه(۲) و هى ما بين منخريه فخرم هو كفرح و (أسلس لها) أرخى زمامها و (تقحم) فلان رمى نفسه فى

۱- (۱) و هما اللذان يليان السره منه.

۲- (۲) و تره الانف حاجزها، ق.

المهلكه و تقحم الانسان فى الأمر ألقى نفسه فيه من غير رويه و تقحم الفرس راكبه رماه على وجهه و (منى) على المجهول اى ابتلى و (الخبط) بالفتح السّير على غير معرفه و فى غير جاده و (الشّماس) بكسر الشّين النّفار يقال: شمس الفرس شموسا و شماسا أى منع ظهره فهو فرس شموس بالفتح و (التّلوّن) فى الانسان أن لا يثبت فى خلق واحد و (الاعتراض) السّير على غير استقامه كأنّه يسير عرضا و (المحنه) البليّه التى يمتحن بها الانسان.

الاعراب

اللّام فى قوله عليه السّلام: لسبيله، بمعنى على كما فى قوله:

فخرّ صريعا لليدين و للفم.

و شتّان مبنى على الفتح لتضمّنه معنى افترق مع تعجب، أى ما أشدّ الافتراق فيطلب فاعلين كافترق نحو شتّان زيد و عمرو، و قد يزاد بعده ما كما فى البيت، و يومى و يوم حيّان مرفوعان على الفاعليّه، و يا عجبا منصوب بالنداء و أصله يا عجبى ثم قلبت الياء ألفا، كأن المتكلّم ينادى عجبه و يقول له: احضر فهذا أو ان حضورک، و بينا هى بين الظرفيّه اشبعت فتحها فصارت ألفا و تقع بعدها إذا الفجائيه غالبا، و اللام فى قوله عليه السّلام: لشدّ جواب للقسم المقدر، و شدّ أى صار شديدا، و ما مصدريّه و المصدر فاعل شدّ و لا يستعمل هذا الفعل إلاّ فى التّعجب، و الضمير فى قوله: فيها و منها، راجع إلى الحوزه، و يحتمل رجوع الثّانى إلى العثرات المستفاده من كثره العثار، و من فى قوله: منها صله للاعتذار أو للصّفه المقدره صفه للاعتذار أو حالا عن يكثر أى النّاشى أو ناشيا منها.

و قال الشّارح المعتزلى: و يمكن أن يكون من هنا للتعليل و السّببيه أى و يكثر اعتذار النّاس عن أفعالهم و حركاتهم لأجلها، و العمر بالضمّ و الفتح مصدر عمر الرّجل بالكسر إذا عاش زمانا طويلا و لا يستعمل فى القسم إلاّ العمر بالفتح فاذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء، و اللاّم لتوكيد الابتداء و الخبر محذوف و التقدير لعمر اللّه قسمى، و إن لم تأت باللاّم نصبت نصب المصادر.

ص:۴۹

(حتی اذا مضـی الأوّل) و هو ابو بکر (لسبیله) أی علی سبیله الذی یسلکه کلّ انسان و هو سبیل الآخره، و ذلک بعد ما مضی من خلافته سـنتان و ثلاثه أشـهر إلاّ خمس لیال، و قیل: سـنتان و ثلاثه أشهر و سبع لیال، و قال ابن اسحاق: توفی علی رأس اثنتین و ثلاثه أشهر و اثنی عشر یوما من متوفی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و قیل:

و عشره أیام، و قیل: و عشرین یوما، ذکر ذلک کلّه. فی البحار من کتاب الاستیعاب.

و کیف کان فانّه لمّا ظهر له علائم الموت (أدلی بها) أی بالخلافه أی دفعها (إلی ابن الخطاب بعـده) بطریق النّص و الوصـیّه من دون أن یکون له اسـتحقاق لها کما یشیر إلیه لفظ الادلاء علی ما نبّه به الشّارح المعتزلی حیث قال بعد ما فسّر الادلاء بالدّفع علی وجه الرّشوه:

فان قلت: فان أبا بکر إنّما دفعها إلی عمر حین مات و لا معنی للرّشوه عنـد الموت قلت:لما کان علیه السّـلام یری أنّ العـدول بها عنه إلی غیره إخراج لهـا إلی غیر جهه الاسـتحقاق شـبّه ذلـک بادلاء الانسان بماله إلی الحاکم، فانّه إخراج للمال إلی غیر وجهه فکان ذلک من باب الاستعاره هذا.

و المراد بابن الخطاب هو عمر و هو ابن الخطاب بن نفیل بن عبـد العزّی بن ریاح بالمثّناه التّحتانیه و امّه حنتمه(۱) بنت هاشم بن المغیره بن عبد اللّه بن عمر ابن مخزوم.

و ینبغی لنا تحقیق الکلام فی هذا النسب الشّریف من طریقنا و من طریق العامّه فأقول:

قـال العلاـمه فی کشف الحقّ: و روی الکلبیّ و هو من رجال السّـنه فی کتاب المثالب قال: کانت صـهّاک أمه حبشـیّه لهاشم بن عبد مناف فوقع علیها نفیل بن هاشم ثمّ وقع علیها عبد العزّی بن ریاح و جاءت بنفیل جدّ عمر بن الخطاب، و قال الفضل

۱- (۱) فی نسـخه ابن ابی الحدیـد حنظمه بالحاء و النون و الطاء و فی نسـخه البحار حنتمه بالتاء المنقوطه و ضـبطه فی القاموس مطابقا لما فی البحار منه.

ابن روز بهان فی الشّرح بعد القدح فی صحّه النّقل: إن انکحه الجاهلیّه علی ما ذکره أرباب التواریخ علی أربعه أوجه، منها أن یقع جماعه علی امرأه ثمّ ولد منها یحکم فیه القایف أو تصدّق المرأه و ربّما کان هذا من أنکحه الجاهلیه، و أورد علیه شارح الشّرح بأنّه لو صحّ ما ذکره لما تحقق زنا فی الجاهلیه و لما سمّی مثل ذلک فی المثالب و لکان کلّ من وقع علی امرأه کان ذلک نکاحا منه علیها و لم یسمع عن أحد أنّ من نکاح الجاهلیه کون امرأه واحده فی یوم واحد أو شهر واحد فی نکاح جماعه من النّاس.

و قال المحدّث المجلسی فی البحار: و حکی بعض أصحابنا عن محمّد بن شهرآشوب و غیره أن صهّاک کانت امه حبشیه لعبد المطلب و کانت ترعی له الابل، فوقع علیها نفیل فجاءت بالخطاب، ثمّ إنّ الخطاب لما بلغ الحلم رغب فی صهّاک فوقع علیها فجاءت بابنه فلفّتها فی خرقه من صوف و رمتها خوفا من مولاها فی الطریق فرآها هاشم بن المغیره مرمیّه فی الطریق فأخذها و ربّاها و سمّاها حنتمه فلما بلغت رآها خطاب یوما فرغب فیها و خطبها من هاشم فأنکحها إیاه فجاءت بعمر بن الخطاب فکان الخطاب أبا و جدا و خالا لعمر، و کانت حنتمه امّا و اختا و عمّه له فتأمل.

ثمّ قال المجلسی (ره) فأقول: وجدت فی کتاب عقد الدّرر لبعض الأصحاب روی باسناده عن علیّ بن إبراهیم بن هاشم عن أبیه عن الحسن بن محبوب عن ابن الزّیات عن الصّادق علیه السّلام أنّه قال: کانت صهّاک جاریه لعبد المطلب و کانت ذات عجز و کانت ترعی الابل و کانت من الحبشه و کانت تمیل إلی النّکاح، فنظر إلیها نفیل جدّ عمر فهواها و عشقها من مرعی الابل، فوقع علیها فحملت منه بالخطاب، فلما أدرک البلوغ نظر إلی امّه صهّاک فأعجبه عجیزها فوثب علیها فحملت منه بحنتمه فلما ولدتها خافت من أهلها فجعلتها فی صوف و ألقتها بین أحشام مکّه، فوجدها هشام بن المغیره بن الولید، فحملها إلی منزله و رباها و سمّاها بالحنتمه، و کانت شیمه العرب من ربی یتیما یتّخذه ولدا، فلمّا بلغت حنتمه نظر إلیها الخطاب فمال إلیها

و خطبها من هشام فتزوّجها فأولد منها عمر، فكان الخطاب أباه و جده و خاله، و كانت حنتمه أمّه و اخته و عمّته، و ينسب إلى الصّادق عليه السّلام فى هذا المعنى شعر:

من جدّه خاله و والده و امّه اخته و عمّته

أجدر أن يبغض الوصىّ و أن ينكر يوم الغدير بيعته

أقول: هذا النّسب و أمّا الحسب فقد حكى العلامه فى كشف الحقّ عن ابن عبد ربّه فى كتاب العقد الحديث استعمال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص فى بعض ولايته، فقال: عمرو بن العاص: قبح اللّه زمانا عمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب، و اللّه إنّى لأعرف الخطاب على رأسه حزمه من حطب و على ابنه مثلها و ما ثمنها إلاّ تمره لا تبلغ مضغته، و روى نحو ذلك الشّارح المعتزلى عن زبير بن بكار فى حديث طويل و فيه فلما رأى عمرو كثره ما أخذ منه قال: لعن اللّه زمانا صرت فيه عاملا لعمرو اللّه لقد رأيت عمرو أباه على كلّ واحد منهما عبائه قطوانيه لا يجاوز مأبض ركبتيه و على عنقه حزمه حطب و العاص بن وائل فى مزررات الدّيباج انتهى.

و فى البحار عن النهايه فى تفسير المبرطش كان عمر فى الجاهليّه مبرطشا و هو السّاعى بين البايع و المشترى شبه الدّلال، و يروى بالسّين المهمله بمعناه و فى القاموس المبرطس الذى يكترى للنّاس الابل و الحمير و يأخذ عليه جعلا.

و قال المحدث الجزائرى: و من عجيب ما رووه عن الخطاب والد عمر بن الخطاب أنّه كان سرّاقا و قطع فى السّرقه ما ذكره ابو عبيده القاسم بن سلام فى كتاب الشّهاب فى تسميه من قطع من قريش فى الجاهليه فى السرقه ما هذا لفظه: قال:

و الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عدى بن كعب أبو عمر بن الخطاب قطعت يده فى سرقه قدر و محاه ولايه عمر و رضى الناس عنه، قال بعض المسلمين: ألا تعجب من قوم رووا أن عمر كان ولد زنا و أنه كان فى الجاهليّه نخاس(۱) الحمير و أنّه كان أبوه سراقا و أنه ما كان يعرف إلاّ بعمير لرذالته ثمّ مع هذا جعلوه خليفه قائما

۱- (۱) نخاس الدواب بياعه لغه.

مقام نبیهم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و نائبا عن اللّه تعالی فی عباده و قدّموه علی من لا طعن علیه فی حسب و لا نسب و لا أدب و لا سبب، و یا لیتهم حیث ولوه و فضحوا أنفسهم بذلک کانوا قد سکتوا عن نقل هذه الأحادیث التی قد شمتت بها الأعداء و جعلوها طریقا إلی جهلهم بمقام الأنبیاء و خلافه الخلفاء هذا.

و بقی الکلام فی کیفیّه عقد أبی بکر الخلافه لعمر و إدلائه بها إلیه فأقول:

قال الشّارح المعتزلی و روی کثیر من النّاس أنّ أبا بکر لما نزل به دعا عبد الرحمن ابن عوف فقال: أخبرنی عن عمر فقال: إنّه أفضل من رأیت إلاّ أن فیه غلظه، فقال أبو بکر ذاک لأنّه یرانی رقیقا و لو قد افضی الأمر إلیه لترک کثیرا ممّا هو علیه و قد رمقته إذا أنا غضبت علی رجل أرانی الرّضی عنه و إذا لنت له أرانی الشدّه علیه، ثم دعا عثمان بن عفّان فقال: أخبرنی عن عمر، فقال: سریرته خیر من علانیته و لیس فینا مثله، فقال لهما لا تذکرا ممّا قلت لکما شیئا و لو ترکت عمر لما عدوتک یا عثمان و الخیره لک أن لا تلی من امورهم شیئا و لوددت أنی کنت من امورکم خلوا و کنت فیمن مضی من سلفکم.

و دخل طلحه بن عبید اللّه علی أبی بکر فقال: إنّه بلغنی أنّک یا خلیفه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم استخلفت علی النّاس عمر و قد رأیت ما یلقی الناس منه و أنت معه فکیف به إذا خلابهم و أنت غدا لاق ربّک فسألک عن رعیتک، فقال أبو بکر أجلسونی ثم قال: أبا للّه تخوّفنی إذا لقیت ربّی فسألنی قلت: استخلفت علیهم خیر أهلک، فقال طلحه: أعمر خیر النّاس یا خلیفه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؟ فاشتد غضبه فقال: ای و اللّه هو خیرهم و أنت شرّهم أم و اللّه لو ولیتک لجعلت أنفک فی قفاک و لرفعت نفسک فوق قدرها حتی یکون اللّه هو الذی یضعها، أتیتنی و قد دلکت عینیک ترید أن تفتننی عن دینی و تزیلنی عن رأیی، قم لا أقام اللّه رجلیک، أما و اللّه لئن عشت فواق ناقه و بلغنی أنّک غمضته فیها أو ذکرته بسوء لا لحقنّک بخمصات(۱) قنه(۲) حیث کنتم تسقون

ص:۵۳

۱- (۱) الخمصه الجوعه، ق.

۲- (۲) اسم موضع، ق.

و لا تروون و ترعون و لا تشبعون و أنتم بذلک مبتجحون(۱) راضون، فقام طلحه فخرج.

ثمّ قال الشّارح: أحضـر أبو بکر عثمان و هو یجود بنفسه فأمره أن یکتب عهده و قال: اکتب بسم اللّه الرّحمن الرّحیم هذا ما عهد عبـد اللّه بن عثمـان إلی المسـلمین أمّا بعـد، ثم اغمی علیه و کتب عثمان قـد اسـتخلفت علیکم عمر بن الخطاب، و أفاق أبو بکر فقـال: اقرء، فقرأه فکبر أبو بکر و سـرّ، و قال: أراک خفت أن تختلف النّاس ان متّ فی غشـیتی؟ قال: نعم، قال: جزاک اللّه خیرا عن الاسـلام و أهله، ثمّ أتمّ العهـد و أمر أن یقرأ علی النّاس فقرأ علیهم، ثمّ أوصـی عمر بوصایا و توفی لیله الثّلثا لثمان بقین من جمادی الآخره من سنه ثلاث عشر.

أقول: انظروا یـا أهـل البصـیره و الانصـاف و الـدّقه و الاعتبار إلی الخلافه العظمی و الرّیاسه الکبری کیف صارت لعبه للجهال و دوله بین أهـل الغیّ و الضّـلال و انظروا رئیس الضّـالین و المضـلّین کیف اجتری علی ربّ العـالمین فی تلـک الحـاله التی کـان یفارق الدّنیا و ینتقل إلی نزاعه للشّوی، فحکم بکون عمر أفضل الصّـحابه مع کون أمیر المؤمنین علیه السّـلام بینهم، و قد قال فیه نبیّهم صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم: اللهمّ ائتنی بأحبّ الخلق إلیک، و سایر أحادیث الفضل التی لا تحصـی حسـبما عرفت بعضها فی مقـدّمات هـذه الخطبه و غیرهـا، ثمّ انظر إلی ابن الخطاب علیه النّکال و العـذاب کیف لم یقل لأبی بکر فی هـذه الحاله التی یغمی علیه فیهـا مرّه و یفیق اخری إنّه لیهجر(۲) کما قال للنّبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم حین أراد أن یکتب کتابا أن لا یضلّوا بعده: انّه لیهجر و لنعم ما قیل:

اوصی النّبیّ فقال قائلهم قد خلّ یهجر سید البشر

و رأی أبا بکر اصاب و لم یهجر فقد اوصی الی عمر

ثمّ العجب من النعثل الفاجر عثمان بن عفان علیه سخط الرّحمن حیث کتبها برأیه

ص:۵۴

۱- (۱) البجح بتقدیم الجیم علی الحاء الفرح، ق.

۲- (۲) الهجر الهذیان منه.

بدون مصلحه الخليفه الخوّان، و العجب كل العجب من هذا الشّقى كيف مدحه و شكره و جزاه خيرا عن الاسلام و أهله و لم يقل له: لم اجترئت على هذا الأمر العظيم و الخطب الجسيم الذى هو مقام الأنبياء و ميراث الأوصياء يترتب عليه أمر الدّين و الدّنيا بمحض رأيك و رضاك و طبعك و هواك، مع أن سيد الورى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يجترى أن يخبر بأدنى حكم إلاّ بوحى يوحى و يلزم على زعمهم الفاسد و رأيهم الكاسد أن يكون ابو بكر و عثمان أشفق على أهل الاسلام و الايمان من سيد الانس و الجان لأنه بزعمهم أهمل أمر الامه و لم يوص لهم بشىء، و هما أشفقا على الامه حذرا من ضلالتهم فنصبا لهم جاهلا شقيا و فظا غليظا.

يا ناعى الاسلام قم فانعه قد مات عرف و بدا المنكر

و غير خفىّ على العاقل اللبيب و الكامل الأريب أنّ تلك الامور الفاضحه و الحيل الواضحه لم تكن إلّا لتأسيس أساس الكفر و النفاق و هدم بنيان الاسلام و الاتفاق، و إرجاع الناس إلى أعقابهم القهقرى و ترويج عبوديه اللّات و العزى، فجزاهم اللّه عن الاسلام و أهله شر الجزاء، و غضب عليهم ملؤ الارض و السماء.

(ثمّ تمثل عليه السّلام بقول الأعشى) أعشى قيس و هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل:

(شتان ما يومى على كورهاو يوم حيان أخى جابر)

و هو من قصيده طويله له قالها فى منافره علقمه بن علانه بن عوف و عامر بن الطفيل ابن مالك بن جعفر و تفصيل قصه نفارهما ذكره أبو الفرج فى الأغانى و قبل ذلك البيت الذى تمثل عليه السّلام به قوله:

و قد اسلى(1) الهمّ اذ يعترى بحسره دوسره عاقر

ص:55

1- (1) قوله اسلى من التسليه و سلاه سلوا انساه و اسلاه عنه فتسلى، و الناقه الحسره التى أعياها السفر، و الدوسره مؤنث الدوسر و هو الجمل الضخم العظيم الهيكل، و عقرت الناقه انقطع حملها فهى عاقر، و زاف الرجل و كذا الا بل تبختر فى مشيه، و النّاقه الخطاره التى ضربت بذنبها يمينا و شمالا، و شرخا الرحل مقدمه و مؤخره، و الميس شجر يتخذ منه الرحال، و رحل فاتر جيد الوقوع على ظهر البعير، و الهاجره نصف النهار و عند زوال الشمس مع الظهر و هجرت تهجيرا سارت فى المهاجره، و القرد الاجانه للشرب و قدح أو اناء صغير، و العاصر الذى يعصر الخمر، و المجدل كمنبر القصر و الجمع مجادل و وصفه بقوله يزل عنه اه اشاره الى ارتفاعه، منه.

زيافه بالوحل خطاره تلوى بشرخى ميسه فاتر

ارمى بها البيداء إذ هجرت و أنت بين القرد و العاصر

فى مجدل شيّد بنيانه يزلّ عنه ظفر الطائر

و معنى البيت بعد ما بين يومى على رحل هذه النّاقه الموصوفه، و بين يوم حيّان و هو فى سكره الشّراب ناعم البال مرفه من الأكدار و المشاق، و حيان و جابر ابنا السّمين الحنفيان و كان حيان صاحب حصن باليمامه و كان من سادات بنى حنيفه مطاعا فى قوله يصله كسرى فى كلّ سنه و كان فى رفاهيّه و نعمه مصونا من و عثاء السفر، لم يكن يسافر أبدا، و كان الأعشى ينادمه و كان أخوه جابر أصغر سنا منه، حكى ان حيان قال للأعشى نسبتنى إلى أخى و هو أصغر سنّا منى فقال: إنّ الرّوى اضطرنى إلى ذلك، فقال: و اللّه لا نازعتك كاسا أبدا ما عشت هذا.

و معنى البيت على ما ذكرناه هو الذى أفاده المرتضى (قده) و هو الظاهر المطابق للبيت الذى بعده أعنى قوله: أرمى بها البيداء. و هو أيضا مما تمثل عليه السّلام به على ما حكى عن بعض النسخ، فيكون غرضه عليه السّلام من التمثل على ذلك بيان البعد بين يومه صابرا على القذى و الشّجى و بين يومهم فايزين بما طلبوا من الدّنيا، و قريب منه ما قال الشّارح المعتزلى حيث قال: يقول أمير المؤمنين عليه السّلام: شتّان بين يومى فى الخلافه مع ما انتقض علىّ من الأمر و منيت به من انتشار الحبل و اضطراب أركان الخلافه، و بين يوم عمر حيث وليها على قاعده ممهّده و أركان ثابته و سكون شامل، فانتظم أمره و اطرد حاله.

و قال بعض الشّارحين: المعنى ما أبعد ما بين يومى على كور النّاقه اداب و انصب و بين يومى منادما حيّان أخى جابر فى خفض و دعه، فالغرض من التّمثل إظهار البعد بين يومه عليه السّلام بعد وفات الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مقهورا ممنوعا عن حقّه، و بين يومه فى صحبه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فارغ البال مرفّه الحال كاسبا للفيوضات الظاهريّه و الباطنيه، و هذا المعنى هو الأقرب إلى النّظر و الأنسب إلى السّياق، و به فسّره

ص:۵۶

المحدّث الجزايرى حيث قال:و قوله عليه السّلام:شتّانالبيت و هو الاعشى يقول:

تفرق ما بين يومىّ يوم سرورى و هو منادمتى لأخى حيّان، و يوم شدّتى و ركوبى على متن ناقتى فى البرارى و القفار، و هو عليه السّلام قد استعار هذا ليوميه يوم فرحه لما كان نديمه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و يوم تعبه و يوم ركوبه المشاق و الحروب وحده بلا معاون و لا نصير.

ثمّ إنّه عليه السّلام أظهر التعجب من إدلائه بالخلافه إليه مع استقالته منها بقوله:

(فيا عجبا بينا هو) يعنى أبا بكر (يستقيلها) أى يطلب الاقاله منها (فى حياته) و يقول:

أقيلونى أقيلونى (إذ عقدها لآخر) أراد به عمر أى جعلها معقوده له لتكون له (بعد وفاته) و وجه التّعجب أنّ استقالته منها فى حياته دليل على رغبته عنها و زهده فيها و عقدها لغيره دليل على رغبته فيها و ميله اليها، و هو يضادّ الاستقاله الحقيقيه فيكون دليلا على كون الاستقاله منه صوريّه ناشئه عن وجه الخدعه، و التدليس، و نعم ما قيل:

حملوها يوم السّقيفه وزرا تخفّ الجبال و هى ثقال

ثمّ جاءوا من بعدها يستقيلون و هيهات عثره لا تقال

هذا و خبر الاقاله ممّا رواه الجمهور، و هو قوله: اقيلونى أقيلونى فلست بخيركم و علىّ فيكم، و رواه فى البحار عن الطبرى فى تاريخه و البلادرى فى أنساب الأشراف و السّمعانى فى الفضائل و أبى عبيده فى بعض مصنّفاته، قال: و لم يقدح الفخر الرّازى فى صحّته و إن أجاب عنه بوجوه ضعيفه، و كفى كلامه عليه السّلام شاهدا على صحته انتهى.

و قال بعض المحقّقين من أصحابنا: معنى استقالته الأمر بقتل على بن أبى طالب عليه السّلام يعنى ما دام علىّ فيكم موجودا فأنا لست بخيركم فاقتلوه حتّى أكون خليفه بلا منازع،و قوله عليه السّلام:(لشدّ ما تشطرا ضرعيها)شبه الخلافه بناقه لها ضرعان و كان كلّ واحد منهما أخذ منها ضرعا يحلبه لنفسه، فالمعنى و اللّه لصار شديدا

أخذ كلّ واحد منهما شطرا أى نصفا أو شطرا بالكسر أى خلفا من ضرعيها، و المقصود اقتسامهما فايدتها بينهما، و فى بعض روايات السّقيفه أنّه عليه السّلام قال لعمر بن الخطاب بعد يوم السّقيفه: احلب حلبا لك شطره، اشدد له اليوم يردّه عليك غدا (فصيرها فى حوزه) أى فى طبيعه أو ناحيه(خشناء)متصفا بالخشونه لا ينال ما عندها، و لا يرام و لا يفوز بالنّجاح من قصدها.

قال بعض الأفاضل: الظاهر أنّ المفاد على تقدير إراده الناحيه تشبيه المتولى للخلافه بالأرض الخشناء فى ناحيه الطريق المستوى، و تشبيه الخلافه بالرّاكب السّاير فيها أو بالنّاقه اى أخرجها عن مسيرها المستوى و هو من يستحقها إلى تلك النّاحيه الحزنه هذا: و الأظهر إراده معنى الطبيعه.

ثمّ وصف عليه السّلام الحوزه ثانيا بأنّها(يغلظ كلمها)أى جرحها و فى الاسناد توسّع، قال الشّارح البحرانىّ غلظ الكلم كنايه عن غلظ المواجهه بالكلام و الجرح به، فانّ الضّرب باللّسان أعظم من وخز السّنان(۱) ، أقول: و من هنا قيل:

جراحات السّنان لها التيام و لا يلتام ما جرح اللّسان

(و) وصفها ثالثا بأنّها(يخشن مسّها)أى تؤذى و تضرّ من يمسها قال البحرانى: و هى كنايه عن خشونه طباعه المانعه من ميل الطباع إليه المستلزمه للأذى كما يستلزم من الأجسام الخشنه.

أقول: و المقصود من هذه الأوصاف الاشاره إلى فظاظه عمر و غلظته و جفاوته و قبح لقائه و كراهه منظره، و رغبه الناس عن مواجهته و مكالمته، و يدلّ على ذلك ما روى أنّ ابن عباس لمّا أظهر بطلان مسأله العول بعد موت عمر قيل له: من أول من أعال الفرائض؟ فقال: عمر بن الخطاب، قيل له: هلاّ أشرت عليه؟ قال هيبته، و ما رواه الشّارح المعتزلى فى شرح هذا الفصل أنّ عمر هو الذى غلّظ (۲) على جبله بن

۱- (۱) اى طعن السنان منه.

۲- (۲) قصه جبله بن الايهم الغسانى على ما ذكره ابو الفرج الاصفهانى فى كتاب الاغانى هو انه لما اسلم جبله بن الايهم و كان من ملوك آل جفنه كتب الى عمر يستأذنه فى القدوم عليه فاذن له عمر فخرج اليه فى خمسمائه من اهل بيته من عك و غسان حتى اذا كان على مرحلتين كتب الى - عمر ليعلمه بقدومه فسر عمر و امر الناس باستقباله و بعث اليه بانزال و امر جبله مأتى رجل من اصحابه فلبسوا السلاح و الحرير و ركبوا الخيل معقوده اذنابها و البسوها قلائد الذهب و الفضه و لبس جبله تاجه و فيه قرطا ماريه و هى جدته و دخل المدينه فلم يبق بها بكر و لا عانس الا تبرجت و خرجت تنظر اليه و الى زيه فلما انتهى الى عمر رحب به و الطفه و ادنى مجلسه ثم اراد عمر الحج فخرج معه جبله فبينا هو يطوف بالبيت و كان مشهورا بالموسم اذ وطى ازاره رجل من بنى فزاره فانحل فرفع جبله يده فهشم انف الفزارى فاستعدى عليه عمر فبعث الى جبله فاتاه فقال ما هذا؟ قال نعم يا أمير المؤمنين انه تعمد حل ازارى و لو لا حرمه الكعبه لضربت بين عينيه بالسيف فقال له عمر قد اقررت فاما ان رضى الرجل و اما ان اقيده منك قال جبله ما ذا تصنع بى قال آمر بهشم انفك كما فعلت قال و كيف ذاك يا أمير المؤمنين و هو سوقه و انا ملك قال ان الاسلام جمعك و إياه و ليس تفضل بشىء الا بالتقى و العافيه قال جبله قد ظننت انى اكون فى الاسلام اعز منى

فی الجاهلیه قال عمر دع عنک هذا فانک ان لم ترض الرجل اقدته منک قال اذا اتنصر قال ان تنصرت ضربت عنقک لانک قد اسلمت فان ارتددت قتلتک فلما رای جبله الصدق من عمر قال انا ناظر فی هذا لیلی هذه و قد اجتمع بباب عمر من حی هذا و حی هذا خلق کثیر حتی کادت تکون بینهم فتنه فلما امسوا اذن لهم عمر فی الانصراف حتی اذا نام الناس و هدوا فحمل جبله بخیله و رواحله الی الشام فاصبحت مکه و هی منهم بلاقع فلما انتهی الی الشام تجمل فی خمسمائه من قومه حتی اتی الی القسطنطنیه فدخل الی هر قل فتنصر هو و اصحابه فسر هر قل بذلک جدا و ظن انه فتح من الفتوح عظیم و اقطعه حیث شاء و اجری علیه من المنزل ما شاءوا و جعله من محدثیه هکذا ذکر ابو عمرو ذکر ابن الکلبی ان الفزاری لما وطی ازار جبله لطم جبله کما لطمه فوثب غسان و هشموا انفه و اتوابه عمر ثم ذکر ما فی الخبر نحو ما ذکرناه و شعر جبله علی ما رواه ابو الفرج هکذا تنصرت الاشراف من عار لطمهو ما کان فیها لو صبرت لها ضررتکنفنی فیها لجاج و نخوهو بعت بها العین الصحیحه بالعورفیا لیت امی لم تلدنی و لیتنیرجعت الی القول الذی قال لی عمرو یا لیتنی ارعی المخاض بدمنهو کنت اسیرا فی ربیعه او مضرو یا لیت لی بالشام اولی معیشهأجالس قومی ذاهب السمع و البصر، انتهی منه

الأـيهم حتّى اضـطرّه إلى مفـارقه دار الهجره بـل مفارقه بلاد الاسـلام كلّها حتّى عاد مرتـدا داخلا فى دين النّصـرانيّه لأجل لطمه لطمها، و قال جبله بعد ارتداده متندّ ما على ما فعل:

تنصّرت الاشراف من أجل لطمه و ما كان فيها لو صبرت لها ضرر

ص:۵۹

فیا لیت امّی لم تلدنی و لیتنی رجعت الی القول الذی قاله عمر

أقول: هذه الرّوایه کافیه فی فضل هذا الرّجل و منقبته، فإنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یبعثه اللّه إلاّ لهدایه الأنام و الارشاد إلی دعائم الاسلام، فعاشر معهم بمحاسن الأخلاق و مکارم الآداب حتّی نزل فیه:

«إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیم » و کان صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کثیرا ما یتحمل الأذی و یصبر علی شدائد البلوی، لهدایه نفس واحده و إنجائها من الضّلاله، و هذا الرّجل الجلف الذی یزعم أنّه خلیفه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کیف یصرف النّاس عن الاسلام إلی النّصرانیه بمقتضی خبث طینته و سوء سریرته و غلظ کلمته؟ و فوق کلّ ذلک فظاظه جسارته علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بکلمات یکره اللّسان بیانها و یأبی القلم عن کتبها و إظهارها، مثل قوله له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی صلح الحدیبیّه لم تقل لنا ستدخلونها فی ألفاظ نکره حکایتها، و مثل الکلمه التی قالها فی مرض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، قال الشّارح المعتزلی: و معاذ اللّه أن یقصد بها ظاهرها و لکنّه أرسلها علی مقتضی خشونه غریزیّه و لم یتحفّظ منها، و کان الأحسن أن یقول: مغمور أو مغلوب بالمرض و حاشاه أن یعنی بها غیر ذلک.

أقول: و شهد اللّه أنّ قصده ما کان إلاّ ظاهرها و حاشاه أن یقصد بها إلاّ ذلک.

و قال الشّارح أیضا فی شرح الخطبه الخامسه و العشرین عند الکلام علی حدیث الفلته: و اعلم أنّ هذه اللّفظه من عمر مناسبه للفظات کثیره کان یقولها بمقتضی ما جبله اللّه تعالی من غلظ الطینه و جفاء الطبیعه و لا حیله له فیها، لأنّه مجبول علیها لا یستطیع تغییرها، و لا ریب عندنا أنّه کان یرید أن یتلطف و أن یخرج ألفاظه مخارج حسنه لطیفه، فینزع به الطبع الجاسی و الغریزه الغلیظه إلی أمثال هذه اللفظات، و لا یقصد بها سوء و لا یرید بها ذمّا و لا تخطئه کما قدّمنا قبل ذلک فی اللّفظه التی قالها فی مرض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و کاللفظات التی قالها عام الحدیبیه و غیر ذلک، و اللّه

ص:۶۰

لا يجازى المكلف إلّا بما نواه، و لقد كانت نيّته من أطهر النّيات و أخلصها للّه سبحانه انتهى.

و فيه أنّ اقتضاء الطبيعه و استدعاء الغريزه التى جعله معذره له إن أراد به انه بلغ إلى حيث لم يبق لعمر معه قدره على إمساك لسانه عن التكلّم بخلاف ما فى ضميره، بل كان يصدر عنه الذّم فى مقام يريد به المدح، و الشّتم فى موضع يريد الاكرام و يخرج بذلك عن حدّ التكليف فلا مناقشه فى ذلك، لكن مثل هذا الرّجل يعده العقلاء فى زمره المجانين، و لا خلاف فى أنّ العقل من شروط الامامه، و إن أراد أنّه يبقى مع ذلك ما هو مناط التّكليف فذلك ممّا لا يسمن و لا يغنى من جوع، فانّ ابليس استكبر آدم بمقتضى الجبله النّاريه، و مع ذلك استحقّ النّار و شملته اللعنه إلى يوم الدّين، و الزّانى إنّما يزنى بمقتضى شهوته التى جبله اللّه تعالى عليها و مع ذلك يرجم و لا يرحم هذا، (و) وصف عليه السّلام الحوزه رابعا بأنّها (يكثر العثار فيها و الاعتذار منها) و معناه على جعل الحوزه بمعنى الطبيعه واضح أى يكثر العثار فى تلك الطبيعه و الاعتذار من هذه الطبيعه أو اعتذار صاحبها منها أو الاعتذار من عثراتها و قد مضى فى بيان الاعراب احتمال كون من نشويّه و تعليليّه، و أمّا على تقدير جعلها بمعنى النّاحيه فالمعنى ما ذكره بعض الأفاضل عقيب كلامه الذى حكيناه فى شرح قوله عليه السّلام: فصيرها فى حوزه خشناء، بما لفظه: فيكثر عثارها أو عثار مطيتها فاحتاجت إلى الاعتذار من عثراتها النّاشئه من خشونه النّاحيه و هو فى الحقيقه اعتذار من النّاحيه، فالعاثر و المعتذر حينئذ هى الخلافه توسعا.

و كيف كان فالغرض من هذه الجمله الاشاره إلى كثره خطاء عمر فى القضايا و الأحكام، و جهالته بالفتاوى و شرايع الاسلام، و لا باس بالاشاره إلى بعض عثراته و نبذ من جهالاته و يسير من هفواته و زلّاته.

فمنها ما ذكره الشّارح المعتزلى حيث قال: و كان عمر يفتى كثيرا بالحكم ثمّ ينقضه و يفتى بضدّه و خلافه، قضى فى الجدّ مع الاخوه قضايا كثيره مختلفه ثمّ

خاف من الحكم فی هذه المسأله فقال: من أراد أن یتقحم جراثیم جهنم فلیقل فی الجدّ برأیه.

و منهـا ما ذکره أیضا و هو أنّه لمّا مات رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و شاع بین النّاس موته طاف عمر علی النّاس قائلا إنّه لم یمت و لکنّه غـاب عنّا کمـا غاب موسـی عن قومه، فلیرجعن و لیقطعن أیـدی رجال و أرجلهم یزعمون أنّه مات فجعل لا یمرّ بأحـد یقول: إنّه مات إلاّ و یخبطه و یتوعـده حتی جاء ابو بکر فقال: أیّها النّاس من کان یعبـد محمّدا فان محمّدا قد مات، و من کان یعبد ربّ محمّد فانّه حیّ لم یمت ثمّ تلا قوله تعالی:

«أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ » قالوا: فو اللّه لکانّ النّاس ما سـمعوا هذه الآیه حتّی تلاها أبو بکر، و قال عمر لمّا سمعته یتلوها هویت إلی الأرض و علمت أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد مات.

أقول: من بلغ من قله المعرفه إلی مقام ینکر موت النّبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یحکم مع ذلک من تلقاء نفسه بأنّه یرجع و یقطع أیـدی رجـال و أرجلهم کیف یکون إمامـا واجب الطـاعه علی جمیع الخلق؟ و منهـا مـا رواه أیضا کغیره من أنّه قال مرّه لا یبلغنی أنّ امرأه تجـاوز صـداقها صـداق نساء النّبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم إلاّ ارتجعت ذلک منها، فقالت امرأه ما جعل اللّه لک ذلک إنّه قال تعالی:

«وَ آتَیْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَیْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً » فقال: کلّ النّاس أفقه من عمر حتّی ربّات الحجال، أ لا تعجبون من إمام أخطأ و امرأه أصابت فأضلت إمامکم ففضّلته، و اعتذار قاضی القضاه بأنّه طلب الاستحباب فی ترک التجاوز(۱) و التواضع فی قوله: کلّ النّاس أفقه من عمر، خطاء، فانّه

۱- (۱) ای تجاوز الصداق عن صداق نساء النبی (صلّی اللّه علیه و آله) منه.

لا يجوز ارتكاب المحرم و هو ارتجاع المهر، لأجل فعل المستحبّ، و أمّا التواضع فانّه لو كان الأمر كما قال عمر لاقتضى إظهار القبيح و تصويب الخطاء، و لو كان العذر صحيحا لكان هو المصيب و المرأه مخطئه مع أنّه مخالف لصريح قوله: ألا تعجبون من إمام أخطأ اه.

و منها ما رواه هو و غيره من أنّه كان يعسّ بالليل فسمع صوت رجل و امرأه فى بيت فارتاب فتسوّر الحائط فوجد امرأه و رجلا و عندهما زقّ خمر، فقال: يا عدوّ اللّه كنت ترى أنّ اللّه يسترك و أنت على معصيته؟ قال: إن كنت أخطأت فى واحده فقد أخطأت فى ثلاث، قال اللّه تعالى: و لا تجسّسوا، و قد تجسّست، و قال:

و أتوا البيوت من أبوابها، و قد تسوّرت، و قال: إذا دخلتم بيوتا فسلّموا، و ما سلّمت.

و منها ما رواه أيضا و جماعه من الخاصّه و العامه من أنّه قال: متعتان كانتا على عهد رسول اللّه و أنا محرّمهما و معاقب عليهما: متعه النّساء و متعه الحجّ، قال الشّارح المعتزلى و هذا الكلام و إن كان ظاهره منكرا فله عندنا مخرج و تأويل أقول: بل هو باق على منكريّته و التّأويل الذى ارتكبوه ممّا لا يسمن و لا يغنى من جوع، و لعلّنا نسوق الكلام فيه مفصّلا فى مقام أليق إنشاء اللّه.

و منها ما رواه أيضا من أنّه مرّ يوما بشابّ من فتيان الأنصار و هو ظمآن فاستسقاه فجدح له ماء بعسل فلم يشربه، و قال: إنّ اللّه تعالى يقول:

«أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا » فقال له الفتى: إنّها ليست لك و لا لأحد من أهل هذه القبله، اقرء ما قبلها:

«وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا ».

فقال عمر: كلّ النّاس أفقه من عمر.

ص:۶۳

و منهـا أنّه أمر برجم امرأه حـامله فقال له أمير المؤمنين عليه السّـلام: إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما فى بطنها سبيل، فقال: لو لا علىّ لهلك عمر.

و منهـا أنّه أمر برجم مجنونه فتبّهه أمير المؤمنين عليه السّـلام و قـال: القلم مرفوع عن المجنون حتّى يفيق، فقال: لو لا علىّ لهلك عمر.

و منهـا ما رواه فى الفقيه عن إبراهيم بن محمّـد الثقفى قال: اسـتودع رجلان امرأه وديعه و قالا لها لا تـدفعى إلى واحـد منّا حتى نجتمع عنـدك ثم انطلقـا فغابـا، فجاء أحـدهما إليها و قال: اعطينى وديعتى فإنّ صاحبى قـد مات فأبت حتى كثر اختلافه إليها ثمّ أعطته، ثمّ جاء الآخر فقال هاتى وديعتى، فقال «فقالت ظ»: أخـذها صاحبك و ذكر أنّك قدمّت فارتفعا إلى عمر، فقال لها عمر: ما أراك إلّا و قـد ضـمنت، فقالت المرأه اجعل عليها عليه السّـلام بينى و بينه، فقال له: اقض بينهما، فقال علىّ عليه السّـلام: هـذه الوديعه عنـدها و قـد أمرتماها أن لا تدفعها إلى واحد منكما حتى تجتمعا عندها فأتنى بصاحبك، و لم يضـمنها، و قال علىّ عليه السّلام إنّما أرادا أن يذهبا بمال المرأه.

و منها ما فى الفقيه أيضا عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن سـعد بن طريف عن الأصـبغ ابن نباته، قال: اتى عمر بامرأه زوجها شيخ، فلما أن واقعها مات على بطنها، فادّعى بنوه أنها فجرت و شاهـدوا «تشاهـدوا خ» عليها فأمر بها عمر أن ترجم، فمروا بها على علىّ بن أبى طالب عليه السّـلام، فقالت: يابن عمّ رسول اللّه إنى مظلومه و هـذه حجتى فقال عليه السّـلام: هاتنى حجتك، فدفعت إليه كتابا فقرأه فقال: هـذه المرأه تعلمكم بيوم تزوّجها و يوم واقعها و كيف كان جماعه لها ردّوا المرأه، فلما كان من الغـد دعا علىّ عليه السّلام بصبيان يلعبون أتراب(۱) و فيهم ابنها فقال لهم: العبوا، فلعبوا حتّى إذا لهاهم اللعب ثم فصاح عليه السّـلام بهم فقاموا و قام الغلام الذى هو ابن المرأه متكيا على راحتيه، فدعا به علىّ عليه السّلام فورّثه من أبيه و جلد اخوته المفترين حدّا، فقال عمر كيف صنعت؟ قال: قد عرفت ضعف الشيخ فى تكائه الغلام على راحتيه.

ص:۶۴

۱- (۱) الترب بالكسر السن و من ولد معک ق.

و منها ما رواه الصّدوق أيضا عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباته قال:

اتی عمر بن الخطاب بجاريه فشهد عليها شهود أنّها بغت، و كان من قصّتها أنّها كانت يتيمه عند رجل و كان للرّجل امرأه و كان الرّجل كثيرا ما يغيب عن أهله، فشبّت اليتيمه و كانت جميله فتخوّفت المرأه أن يتزوّجها زوجها إذا رجع إلى منزله، فدعت بنسوه من جيرانها فأمسكتها، ثمّ افتضّتها باصبعها، فلما قدم زوجها سأل امرأته عن اليتيمه فرمتها بالفاحشه و أقامت البيّنه من جيرانها على ذلك، قال: فرفع ذلك إلى عمر فلم يدر كيف يقضى فى ذلك، فقال: للرّجل اذهب بها إلى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فأتوا عليّا و قصّوا عليه قصّتها «القصه خ» فقال لامرأه الرّجل أ لك بيّنه؟ قالت: نعم، هؤلاء جيرانى يشهدون عليها بما أقول، فأخرج علىّ عليه السّلام السّيف من غمده و طرحه بين يديه، ثمّ أمر عليه السّلام بكلّ واحده من الشّهود فأدخلت بيتا، ثمّ دعا بامرأه الرّجل فأدارها لكلّ وجه فأبت أن تزول عن قولها، فردّها إلى البيت الذى كانت فيه.

ثمّ دعا باحدى الشّهود و جثا على ركبتيه، فقال لها: أ تعرفينى أنا علىّ ابن أبى طالب و هذا سيفى و قد قالت امرأه الرّجل ما قالت، و رجعت(۱) إلى الحقّ و أعطيتها الأمان فاصدقينى و الاّ ملأت سيفى منك، فالتفت المرأه إلى علىّ فقالت: يا أمير المؤمنين الأمان على الصّدق، قال لها علىّ فاصدقى فقالت: لا و اللّه ما زنت اليتيمه و لكن امرأه الرّجل لما رأت حسنها و جمالها و هيئتها خافت فساد زوجها بها فسقتها المسكر و دعتنا فأمسكناها فافتضّتها باصبعها، فقال علىّ عليه السّلام:

اللّه اكبر اللّه اكبر أنا أوّل من فرّق بين الشّهود إلاّ دانيال ثمّ حدّ المرأه حدّ القاذف و ألزمها و من ساعدها على افتضاض اليتيمه المهر لها أربعمائه درهم، و فرّق بين المرأه و زوجها و زوّجته اليتيمه، و ساق عنه المهر إليها من ماله.

فقال عمر بن الخطاب: فحدّثنا يا أبا الحسن بحديث دانيال النّبىّ عليه السّلام فقال: إنّ

۱- (۱) قوله و رجعت الى الحق قيل يدل على انه يجوز الكذب لهذه المصالح و قيل اراد بالحق البيت الذى يستحقها المرأه أن يدخلها و قد اعطيتها الامان اى فى الذهاب الى محلها السابق، منه.

دانیال کـان غلامـا یتیمـا لاـ أب له و لاـ أمّ، و إنّ امرأه من بنی إسـرائیل عجوزا ضـمّته إلیها و ربّته و إن ملکا من ملوک من بنی إسـرائیل کان له قاضـیان و کان له صـدیق و کان رجلا صالحا و کان له امرأه جمیله و کان یأتی الملک فیحـدّثه فاحتاج الملک إلی رجـل یبعثه فی بعض امـوره، فقـال للقاضـیین: اختـارا لی رجلاـ ابعثه فی بعض امـوری، فقالاـ: فلاـن، فـوجّهه ملـک و کـان القاضـیان یأتیان باب الصّدیق فعشـقا امرأته فراوداها عن نفسـها، فأبت علیهما فقالا لها، إن لم تفعلی شـهدنا علیک عنـد الملک بالزّنا لیرجمک، فقالت: افعلا ما شـئتما، فأتیا الملک فشـهدا علیها أنّها بغت و کان لها ذکر حسن جمیل فدخل الملک من ذلک أمر عظیم و اشـتدّ غمّه و کـان بهـا معجبـا، فقـال لهمـا: إنّ قولکمـا مقبول فاجلـدوها ثلاـثه أیّام ثمّ ارجموها و نادی فی مـدینته: احضـروا قتل فلانه العابـده فانّها قد بغت، و قد شـهد علیها القاضـیان بذلک، فأکثر النّاس القول فی ذلک فقال الملک لوزیره: ما عندک فی هذا حیله؟ فقال:

لا و اللّه ما عندی فی هذا شیء.

فلمـا کـان الیوم الثـالث رکب الوزیر و هو آخر أیّامهـا و إذا هو بغلمـان عراه یلعبون و فیهم دانیال، فقال دانیال: یا معشـر الصّبیان تعـالوا حتی أکون أنـا الملـک و تکون أنت یا فلان العابـده و یکون فلان و فلان القاضـیین الشّاهـدین علیها، ثم جمع ترابا(۱) و جعل سیفا من قصب ثمّ قال: للغلمان خـذوا بیـد هـذا فنحّوه إلی موضع کـذا و الوزیر واقف و خذوا هذا فنحّوه إلی کذا ثمّ دعا بأحدهما فقال: قل حقّا فانک إن لم تقل حقّا قتلتک، قال: نعم و الوزیر یسمع فقال بم تشهد علی هذه المرأه قال اشهد أنّها زنت قال فی أیّ یوم قال: فی یوم کـذا و کذا، قال فی أیّ وقت؟ قال: فی وقت کذا و کذا، قال: فی أیّ موضع؟ قال: فی موضع کذا و کـذا قـال: مع من؟ قـال: مع فلاـن بن فلاـن، قـال: فردّوه إلی مکانه و هاتوا الآخر، فردّوه و جاءوا بالآخر فسأله عن ذلک فخالف صاحبه فی القول، فقال دانیال: اللّه اکبر اللّه اکبر شهدا علیها بزور ثمّ نادی فی الغلمان إنّ القاضیین شهدا علی فلانه العابده بزور

۱- (۱) الترب همزاد منه.

فاحضروا قتلها، فذهب الوزير إلى الملك مبادرا فأخبره الخبر فبعث الملك إلى القاضيين فأحضرهما ثم فرّق بينهما و فعل كما فعل دانيال بالغلامين، فاختلفا كما اختلفا فنادى فى النّاس و أمر بقتلهما.

و منها ما رواه الشّارح البحرانى و هو أنّ عمر أمر أن يؤتى بامرأه لحال اقتضت ذلك و كانت حاملا فانزعجت من هيبته فاجهزت «فاجهضت به خ» جنينا فجمع جمعا من الصّحابه و سألهم ما ذا يجب عليه، فقالوا: أنت مجتهد «مؤدب خ» و لا نرى أنّه يجب عليك شيء، فراجع عليا عليه السّلام فى ذلك و أعلمه بما قال بعض الصّحابه، فأنكر ذلك و قال: إن كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد أخطئوا، و إن لم يكن عن اجتهاد فقد غشّوك، أرى عليك الغرّه(۱) ، فعندها قال: لا عشت لمعضله لا تكون لها يا أبا الحسن.

و رواه الشّارح المعتزلى بتغيير فى متنه، إلى غير ذلك من موارد خطائه و خبطه و جهالته التى لو أردنا استقصائها لطالت، و كثيرا ما كان أمير المؤمنين عليه السّلام ينبّه على خطائه فيها و يبين له معضلات المسائل التى كان يعجز عنها، و قد روى أنّه قال فى سبعين موضعا: لو لا علىّ لهلك عمر، و العجب أنّه مع اعترافه بذلك يدّعى التّقدّم عليه و مع جهله بكل ذلك يرى نفسه قابله للخلافه و مستحقّه لها مع أنّ قابليه الخلافه و استحقاق الولايه لا يكون إلّا بالعلم بجميع الأحكام و الاحاطه بشرايع الاسلام، و لا يكون ذلك إلا بالهام إلهى و تعليم ربّانى و إرشاد نبوىّ، و ذلك مختصّ بالأئمه و مخصوص بسراج الامه، إذ هم الذين اتّبعوا آثار النّبوه، و اقتبسوا أنوار الرّساله، و عندهم معاقل العلم و أبواب الحكمه و ضياء الأمر و فصل ما بين النّاس، و هم المحدثون المفهمون المسدّدون المؤيّدون بروح القدس.

كما يدلّ عليه ما رواه فى البحار من كتاب بصائر الدّرجات باسناده عن جعيد الهمدانى قال: سألت علىّ بن الحسين عليهما السّلام بأىّ حكم تحكمون؟ قال: نحكم بحكم آل داود(۲) فان عيينا شيئا تلقّانا به روح القدس.

و عن السّاباطى قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: بما تحكمون إذا حكمتم؟ فقال:

۱- (۱) يعنى عتق رقبه

۲- (۲) اى نحكم لعلمنا و لا نسأل بينه كما كان داود احيانا يفعله، بحار.

بحكم اللّه و حكم داود، فإذا ورد علينا شىء ليس عندنا تلقّانا به روح القدس. و عن عبد العزيز عن أبيه قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام؛ جعلت فداك إنّ النّاس يزعمون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وجّه عليّا عليه السّلام إلى اليمن ليقضى بينهم، فقال علىّ عليه السّلام فما اورد اللّه علىّ قضيه إلاّ حكمت بحكم اللّه و حكم رسوله، فقال عليه السّلام: صدقوا، قلت: و كيف ذلك و لم يكن انزل القرآن كلّه و قد كان رسول اللّه غايبا عنه؟ فقال: تلقّاه به روح القدس هذا.

و قد ظهر ممّا ذكرنا كله أنّ الحكم الصّواب و فصل الخطاب مختصّ بالمعصومين من آل الرّسول سلام اللّه عليه و عليهم و أنّ أحكام عمر إنّما كانت عن هوى نفس و بدعه و ضلاله و جهاله، و لذلك كان يفتى كثيرا ثمّ يرجع عن فتياه و يعتذر، و ربّما كان يحكم بشىء ثمّ ينقضه و يحكم بخلافه لقلّه المعرفه و كثره الجهاله و اختلاف دواعى نفسه الأماره التى تاره تحكم بذلك و اخرى بخلافه، هذا كلّه مضافا إلى قوّه إفراط القوه الغضبيّه فيه و خشونه الحوزه و غلظه الطبيعه (فصاحبها) أى صاحب تلك الحوزه و الطبيعه (كراكب) النّاقه (الصّعبه) الغير المنقاده (إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحّم) قال الرّضىّ (ره) بعد تمام الخطبه: يريد عليه السّلام أنّه إذا شدّد عليها فى جذب الزّمام و هى تنازعه رأسها خرم أنفها، و إن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحّمت به فلم يملكها.

أقول: و قد أرخى زمامها و لم يمسكها فرمت به فى أوديه الضّلاله و تقحّمت به فى ورطات الهلاكه فلم يمكنه التخلّص منها و الخروج عنها، و على هذا المعنى فالمراد بصاحب الحوزه هو عمر و هذا أظهر و قد ذكروا فى المقام وجوها اخر.

منها أنّ الضّمير فى صاحبها يعود إليالحوزهالمكنّى بها عن الخليفه أو اخلاقه، و المراد بصاحبها من يصاحبها كالمستشار و غيره، و المعنى أنّ المصاحب للرّجل المنعوت حاله فى صعوبه الحال كراكب النّاقه الصّعبه فلو تسرع إلى إنكار القبايح من أعماله أدّى إلى الشقاق بينهما و فساد الحال، و لو سكت و خلاه و ما يصنع

أدّى إلى خسران المآل.

و منها أنّ الضّمير راجع إلى الخلافه أو إلى الحوزه، و المراد بصاحبها نفسه عليه السّلام، و المعنى أنّ قيامى فى طلب الأمر يوجب مقاتله ذلك الرّجل و فساد أمر الخلافه رأسا و تفرق نظام المسلمين، و سكوتى عنه يورث التّقحم فى موارد الذّلّ و الصّغار.

و منها أن الضّمير راجع إلى الخلافه و صاحبها من تولى أمرها مراعيا للحقّ و ما يجب عليه، و المعنى أن المتولى لأمر الخلافه إن أفرط فى إحقاق الحقّ و زجر النّاس عمّا يريدونه بأهوائهم أوجب ذلك نفار طباعهم و تفرّقهم عنه، لشده الميل إلى الباطل، و إن فرّط فى المحافظه على شرايطها ألقاه التّفريط فى موارد الهلكه و ضعف هذا الوجه و بعده واضح هذا.

و لما ذكر عليه السّلام أوصاف الرّجل الذميمه و أخلاقه الخبيثه الخسيسه أشار إلى شدّه ابتلاء النّاس فى أيّام خلافته بقوله:(فمنى النّاس) أى ابتلوا (لعمر اللّه بخبط) أى بالسير على غير معرفه و فى غير جادّه (و شماس) و نفار (و تلوّن) مزاج (و اعتراض) أى بالسّير على غير خط مستقيم كأنّه يسير عرضا، قال الشّارح المعتزلى:

و إنّما يفعل ذلك البعير الجامح الخابط و بعير عرضى يعترض فى سيره لأنّه لم يتمّ رياضته و فى فلان عرضيه أى عجز فيه و صعوبه، و قال البحرانى فى شرح تلك الجمله: إنّها إشاره إلى ما ابتلوا به من اضطراب الرّجل و حركاته التى كان ينقمها عليه،فكنّيبالخبط عنها وبالشّماسعن جفاوه طباعه و خشونتها، وبالتّلوّن و الاعتراضعن انتقاله من حاله إلى اخرى فى أخلاقه، و هى استعارات وجه المشابهه فيها أنّ خبط البعير، و شماس الفرس و اعتراضها فى الطريق حركات غير منظومه، فأشبهها ما لم يكن منظوما من حركات الرّجل التى ابتلى النّاس بها.

أقول: و على ذلك فالأربعه أوصاف للرّجل و المقصود كما ذكره الاشاره إلى ابتلاء النّاس فى خلافته بالقضايا الباطله لجهله و استبداده برأيه مع تسرعه إلى الحكم مع ايذائهم بحدته و بالخشونه فى الأقوال و الأفعال الموجبه لنفارهم عنه،

ص:۶۹

و بالنّفار عن النّاس كالفرس الشّموس و التلوّن فی الآراء و الأحکام لعدم ابتنائها علی أساس قویّ، و بالخروج عن الشرع السّواء و الجاده المستقیمه أو بالحمل علی الأمور الصعبه و التکالیف الشاقّه هذا.

و یحتمل کونها صفات للنّاس، فانّ خروج الوالی عن الجادّه یستلزم خروج النّاس احیانا و کذا تلوّنه و اعتراضه یوجب تلوّن الرّعیه و اعتراضهم علی بعض الوجوه و خشونته یستلزم نفارهم و هو ظاهر.

ثم إنّه علیه السّلام أردف ذلک کلّه بتکریر ذکر صبره علی ما صبر علیه مع الثانی کما صبر مع الأوّل و قال:(فصبرت علی طول المدّه) أی طول مدّه تخلّف الأمر عنه علیه السّلام (و شدّه المحنه) أی شدّه الابتلاء بسبب فوات حقّه و ما یستتبع ذلک من اختلال قواعد الدّین و انهدام أرکان الیقین.

الترجمه

تا آنکه گذشت اوّل یعنی ابو بکر براه خود که طریق جهنم است، پس دفع کرد و واگذاشت خلافت را بسوی پسر خطاب بعد از خود، بعد از آن مثل زد أمیر المؤمنین علیه السّلام بقول أعشی که در مفاخرۀ علقمه و عامر گفته و عامر را مدح و علقمه را هجو نموده. و معنی بیت این است که چقدر دور است میان دو روز من روزی که بر کوهان و پالان شتر سوار و برنج و تعب سفر گرفتار، و روز حیان برادر جابر که ندیم وی بودم و بناز و نعمت می گذرانیدم، و یا این که بعید است میان روز من که بر پشت ناقه سوار و روز حیان که راحت از مشقت سفر و فارغ از ملال و کدورات.

و مقصود امام علیه السّلام از تمثیل باین بیت بنا بر این معنی اظهار بعد است میان حال خود که گرفتار محنت بوده و قرین مشقت و میان حال قومی که بمقاصد خودشان واصل و در سعه و رفاهیت محفوظ؛ و بنا بر معنی اوّل اظهار مباعدت و دوریست میان دو روز خود یکی بعد از وفات حضرت رسالت مآب صلّی اللّه علیه و آله و سلّم که از حق خود مغصوب و در خانۀ خود معتزل و بصحبت اشرار گرفتار و بفتن و محن مبتلا،

ص:۷۰

و روز دویم زمان حضور آن حضرت صلوات اللّه علیه که در خدمت او کسب فیوضات ظاهریه و کمالات معنویه می کردند.

و بهر تقدیر امام علیه السّلام بعد از مثل زدن فرمود، پس بسا تعجب وقتی که أبو بکر طلب اقاله و فسخ نمود خلافت را در حال حیات خود هنگامی که عقد کرد آن را بجهه دیگری که آن عمر است تا آنکه بوده باشد او را بعد از مردن او بخداوند قسم هر آینه سخت شد گرفتن أبو بکر و عمر هر یکی یک نصف خلافت را یا این که گرفتن ایشان جانب هر دو پستان آن را، و این کنایه است از اشتراک ایشان در قسمت منفعت و فواید خلافت همچنان که دو نفر دوشنده دو پستان شتر بعد از دوشیدن نفع آنرا تقسیم می نمایند.

پس گردانید ابو بکر خلافت را در طبیعتی زبر و خشن که غلیظ بود جراحتی که حاصل بود از آن طبیعت و درشت بود مسّ آن و بسیار بود بسر در آمدن او در احکام شرعیه و مسائل دینیه و عذرخواهی او از عثرات خود، پس صاحب آن طبیعت با خشونت مثل سوار ناقه سرکش است اگر سر آن ناقه را با افسار و خرام نگه بدارد بینی خود را پاره می نماید، و اگر رها کند و بحال خود فروگذارد واقع می شود در مهالک و معاطب، پس مبتلا شدند مردم قسم ببقای خدا بانداختن خود در غیر طریق قویم و برمیدن از صراط مستقیم و بتلوّن مزاج و بسیر نمودن در عرض طریق، پس صبر نمودم مرتبهٔ دویم بر درازی روزگار اعتزال، و سختی اندوه و ملال.

ص:۷۱

الفصل الثالث

اشاره

حتّى إذا مضـى لسبيله جعلها فى ستّه زعم أنّى أحدهم، فياللّه و للشّورى متى اعترض الرّيب فىّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أقرن إلى هذه النّظائر، و لكنّى أسففت إذ أسفّوا، و طرت إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضعفه، و مال الآخر لصهره، مع هن و هن.

اللغه

(الزّعم) مثلثه الفاء الفتح للحجاز و الضمّ للأسد و الكسـر لبعض قيس و هو قريب من الظنّ، و قال المرزوقى: اكثره يسـتعمل فيما كان باطلا أو فيه ارتياب، و قال ابن الأثير: إنّما يقال: زعموا فى حديث لا سـند له و لا ثبت فيه، و قال الزّمخشرى: هى ما لا يوثق بـه مـن الأحـاديث و (الشّـورى) اسـم من تشـاور القـوم و اشـتوروا، و قيـل: إنه مصـدر كبشـرى بمعنى المشـوره و الأوّل اظهر و (اعترض) الشّىء إذا صـار عارضـا كالخشـبه المعترضه فى النهر و (اقرن) على لفظ المجهول أى أجعل قرينا لهم و يجمع بينى و بينهم و (أسفّ) الطـائر إذا دنـا من الأرض فى طيرانه و أسفّ الرّجـل للأمر اذا قـاربه و (طرت) أى ارتفعت اسـتعمالا للكلّى فى أكمل الأفراد و (صغى) إلى كذا مال إليه و صغت النجوم مال إلى الغروب و (الضّغن) الحقد و البغض.

و (الصّهر) قال الخليل: هو أهل بيت المرأه، قال: و من العرب من يجعل الأحماء و الاختان جميعا أصهارا، و قال الأزهرى: الصّهر يشـتمل على قرابات النّساء ذوى المحارم و ذوات المحارم كالأبوين و الاخوه و أولادهم و الأعمام و الأخوال و الخالات، فهؤلاء أصـهار زوج المرأه، و من كان من قبل الزّوج من ذوى قرابته المحارم فهم أصـهار المرأه أيضا، و قال ابن السّـكيت كلّ من كان من قبل الزّوج من أبيه أو أخته أو عمّه فهم الأحماء، و من كان من قبل المرأه فهم الأختان و يجمع

الصّينفين الأصهار و(هن)خفيف النون كنايه عن كلّ اسم جنس و معناه شىء و لامها محذوفه فالمعروف أنّها واو بدليل جمعها على هنوات، و قيل: هى هاء لتصغيره على هنيهه، و قيل: نون و الأصل هن بالتّثقيل و التّصغير هنين، و قال نجم الأئمه الرّضىّ: الهن الشىء المنكر الذى يستهجن ذكره من العوره و الفعل القبيح و غير ذلك.

الاعراب

اللاّم فى للّه مفتوحه لدخولها على المستغاث ادخلت للدّلاله على الاختصاص بالنّداء للاستغاثه، و فى قوله للشّورى مكسوره لدخولها على المستغاث لأجله قال الشّاعر:

يبكيك ناء بعيد الدّار مغترب يا للكهول و للشّبّان للعجب

بفتح لام الكهول و كسر لام العجب و كسرها فى للشبان لكونه معطوفا على المستغاث من غير اعاده حرف النداء و لو اعيدت فتحت قال الشّاعر:

يا لقومى و يا لامثال قومى لا ناس عتوّهم فى ازدياد

و الواو فى قوله: و للشّورى إمّا زايده أو عاطفه على محذوف مستغاث له أيضا كما ستعرفه فى بيان المعنى.

المعنى

اشاره

(حتّى إذا مضى) الثّانى (لسبيله) و مات و ذلك بعد ما غصب الخلافه عشر سنين و سته أشهر على ما حكاه فى البحار من كتاب الاستيعاب و ستعرف تفصيل الكلام فى كيفيّه موته و تعيين يوم موته فى التّذنيبات الآتيه، و كيف كان فانّه لما أراد اللّه أن يقبضه إلى ما هيّأ له من أليم العذاب (جعلها فى سته) نفر و فى بعض النّسخ فى جماعه (زعم أنّى أحدهم) و فى تلخيص الشّافى زعم أنّى سادسهم و هؤلاء الجماعه هم: أمير المؤمنين عليه السّلام و عثمان و طلحه و الزّبير و سعد بن أبى وقاص و عبد الرّحمن ابن عوف، هذا هو المعروف و قيل: إنّهم خمسه، قال الطبرى: لم يكن طلحه ممّن ذكر فى الشّورى و لا كان يومئذ بالمدينه، و عن أحمد بن أعثم لم يكن بالمدينه، فقال عمر: انتظروا لطلحه ثلاثه أيّام فان جاء و إلاّ اختاروا رجلا من الخمسه.

(فيا للّه) أنت النّاصر و المعين و المغيث أستغيث بک لما أصابنى عنه أو لنوائب الدّهر عامه (و للشّورى) خاصّه و الاستغاثه للتّألم من الاقتران بمن لا يدانيه فى الفضائل و لا يقارنه فى الفواضل و لا يستأهل للخلافه و لا يليق بالولايه، و لذلک أتبعه عليه السّلام بالاستفهام على سبيل الانكار و التعجب بقوله:

(متى اعترض الرّيب فىّ مع الأوّل منهم) يعنى متى صار الشّک عارضا لأذهانهم فىّ بمساوات أبى بكر (حتّى صرت اقرن) أى اجعل قرينا (إلى هذه النظائر) الخمسه أو الأربعه و يجمع عمر بينى و بينهم و يجعلهم نظائر لى مع كونهم أدنى من الأوّل رتبه و أخسّ منزله فكيف بقياسهم إلىّ و تناظرهم(1) بى (و لكنى أسففت) مع القوم (إذ أسفّوا و طرت) معهم (إذ طاروا) يعنى أنّى تابعتهم تقيّه و جريت معهم على ما جروا و دخلت معهم فى الشّورى مع أنّهم لم يكونوا نظراء لى و تركت المنازعه من حيث اقتضاء المصلحه (فصغى) و مال (رجل منهم) من الحقّ إلى الباطل (لضغنه) و حقده الذى كان فى صدره.

و المراد بذلک الرّجل على ما ذكره القطب الرّاوندى و الشّارح البحرانى و المحدث الجزايرى و غيرهم هو سعد بن أبى وقاص اللّعين، و سبب ضغنه على ما ذكره الرّاوندى هو أنّه عليه السّلام قتل أباه يوم بدر، و قال سعد أحد من تخلف عن بيعه أمير المؤمنين عليه السّلام عند رجوع الأمر إليه، إلاّ أنّ الشّارح المعتزلى أورد عليه بأنّ أبا وقاص و اسمه مالک بن اهيب مات فى الجاهليه حتف أنفه، و قال: إنّ المراد به طلحه و علّل ميله عنه عليه السّلام بقوله: و إنّما مال طلحه إلى عثمان لانحرافه عن على عليه السّلام باعتبار انه تيمىّ و ابن عمّ أبى بكر، و قد كان حصل فى نفوس بنى هاشم من بنى تيم حنق شديد لأجل الخلافه و كذلک صار فى صدور تيم على بنى هاشم، و هذا أمر مركوز فى طباع البشر و خصوصا طينه العرب و طباعها و التّجربه إلى الآن تحقق ذلک.

قال: و أمّا الرّوايه التى جاءت بأنّ طلحه لم يكن حاضرا يوم الشّورى فان صحت فذو الضّغن هو سعد بن أبى وقّاص لأنّ أمّه حمنه بنت سفيان بن أميّه بن

۱- (۱) اى جعلهم نظيرا ق.

عبد شمس، و الضغنه التی کانت عنده علی علی علیه السّلام من قبل أخواله الذین قتل صنادیدهم و تقلد دمائهم و لم یعرف أنّ علیّا علیه السّلام قتل أحدا من بنی زهره لینسب الضّغن إلیه (و مال الآخر) و هو عبد الرّحمن بن عوف (لصهره) و هو عثمان و المصاهره بینهما من جهه أنّ امّ کلثوم بنت عقبه بن أبی معیط کانت تحته و هی اخت عثمان من امّه و روی بنت کریز و هذا المیل أیضا لم یکن لمجرّد المصاهره و محض القرابه بل(مع هن و هن)أی مع شیء و شیء قبیح یستهجن ذکره، و هو البغض و الحسد منه له علیه السّلام أو نفاسته علیه أو رجاؤه وصول الخلافه بعد عثمان إلیه أو انتفاعه بخلافته بالانتساب و اکتساب الأموال و التّرفع علی النّاس و الاستطاله أو غیر ذلک ممّا هو علیه السّلام أعلم به و کنّی عنه.

و ینبغی التذییل بامور:

الاول

کیفیه قتل عمر و قاتله، و یوم قتله.

اما الاول فقاتله أبو لؤلؤه فیروز غلام المغیره بن شعبه

، روی المحدّث المجلسی (ره) فی البحار من مؤلف العداد القویه نقلا من کتب المخالفین و الجزائری فی الأنوار من کتاب الاستیعاب لابن عبد البرّ من رجال العامه قال: ذکر الواقدی قال: أخبرنی نافع عن أبی نعیم عن عامر بن عبد اللّه بن الزّبیر عن أبیه قال: غدوت مع عمر بن الخطاب الی السّوق و هو متّکی علی یدی فلقاه أبو لؤلؤه غلام المغیره بن شعبه فقال له: ألا تکلّم مولای یضع عنّی من خراجی؟ قال: کم خراجک؟ قال: دینار فقال عمر: ما أری أن أفعل انّک لعامل محسن و ما هذا بکثیر، ثمّ قال له عمر:

ألا تعمل لی رحی؟ قال: أبو لؤلؤه: لأعملن لک رحی یتحدّث بها ما بین المشرق و المغرب، قال ابن الزّبیر: فوقع فی نفسی قوله، قال: فلما کان فی النّداء لصلاه الصّبح و خرج عمر إلی النّاس قال ابن الزّبیر: و أنا فی مصلای و قد اضطجع له أبو لؤلؤه فضربه بالسّکین ست طعنات إحدیهنّ تحت سرّته و هی قتلته، قال فی البحار:

و جاء بسکین له طرفان فلما خرج عمر خرج معه ثلاثه عشر رجلا فی المسجد، ثمّ اخذ، فلما اخذ قتل نفسه.

و من كتـاب الاستيعـاب أيضـا أنّ عمر لمـا ضـربه أبو لؤلؤه بالسّـكين فى بطنه قـال: ادعو الى الطبيب، فـدعى الطبيب، فقـال: أى الشّـراب أحبّ اليك؟ فقال: النبيذ فسـقى نبيذا فخرج من بعض طعناته فقال النّاس: هذا دم هذا صديد، فقال: اسقونى لبنا، فسقوه لبنـا فخرج من الطعنه، فقـال له الطبيب: لاـ أرى أن تمسـى فمـا كنت فاعلاـ فافعـل، و تمام الخبر مـذكور فى الشّورى، قال بعض أصحابنا: و لقد كان يحبّ أن يلاقى اللّه سبحانه و بطنه الممزوق ممتلى من الشّراب فانظروا يا اولى الألباب.

و اما الثانى فالمشهور بين العلماء أنّ قتله كان فى ذى الحجه

و هـو المتفـق عليه بين العـامه، و لكنّ المشـهور بين العـوام فى الأقطـار و الامصـار هو أنّه فى شـهر ربيع الأـول قـال الكفعمى فى المصـباح فى سـياق أعمال شهر ربيع الاول: إنّه روى صاحب مسار الشّيعه أنه من أنفق فى اليوم التّاسع منه شيئا غفر له و يستحب فيه إطعام الاخوان، و تطييبهم و التّوسعه و النّفقه و لبس الجديد و الشكر و العباده و هو يوم نفى الغموم و روى أنّه ليس فيه صوم و جمهور الشيعه يزعمون أنّ فيه قتل عمر بن الخطاب و ليس بصحيح.

قال محمّد بن ادريس فى سرائره من زعم أنّ عمر قتل فيه فقد أخطأ باجماع أهل التّواريخ و السّير، و كذلك قال المفيد (ره) فى كتاب التّواريخ و إنّما قتل يوم الاثنين لأربع بقين من ذى الحجه سنه ثلاث و عشرين من الهجره نصّ على ذلك صاحب الغره و صاحب المعجم و صاحب الطبقات و صاحب كتاب مسار الشّيعه و ابن طاوس بل الاجماع حاصل من الشّـيعه و أهل السّـنه على ذلك انتهى.

أقول: قـد عرفت أنّ المشـهور بين جمهورى الشّـيعه هو أنّه فى شـهر الرّبيع فـدعوى الاجمـاع على كونه فى ذى الحجّه ممنوعه و يـدل على ذلـك مـا رواه فى الأـنوار من كتاب محمّـد بن جرير الطبرى قال: المقتل الثّانى يوم التاسع من شـهر ربيع الأوّل أخبرنا الأمين السّـيد أبو المبارك أحمد بن محمّد بن أردشير الدّستانى قال: أخبرنا السيد أبو البركات محمّد الجرجانى، قال: أخبرنا هبه اللّه القمى

و اسمه يحيى، قال: حدّثنا أحمد بن إسحاق البغدادى، قال: حدّثنا الفقيه الحسن ابن الحسن السّامرى أنّه قال: كنت أنا و يحيى بن أحمد بن جريح، فقصدنا أحمد ابن إسحاق القمى و هو صاحب الامام العسكر عليه السّلام بمدينه قم، فقرعنا عليه الباب فخرجت علينا من داره صبيّه عراقيّه فسألناها عنه، فقالت: هو مشغول و عياله فانه يوم عيد، قلنا: سبحان اللّه الأعياد عندنا أربعه: عيد الفطر و عيد الضّحى النّحر و الغدير و الجمعه، قالت: روى سيّدى أحمد بن إسحاق عن سيّده العسكرى عن أبيه على بن محمد عليهم السلام أنّ هذا يوم عيد و هو خيار الأعياد عند أهل البيت عليهم السلام و عند مواليهم، قلنا: فاستأذنى بالدّخول عليه و عرّفيه بمكاننا، قال: فخرج علينا و هو متزر بمئزر له و محتبى بكسائه يمسح وجهه، فأنكرنا عليه ذلك، فقال: لا عليكما إنّنى كنت أغتسل للعيد فانّ هذا اليوم «عيد ظ» و هو اليوم التاسع من شهر ربيع الأوّل فادخلنا داره و أجلسنا على سرير له.

ثمّ قال: إنى قصدت مولاى أبا الحسن العسكرى عليه السّلام مع جماعه من إخوانى فى مثل هذا اليوم و هو اليوم التّاسع من ربيع الأوّل فرأينا سيّدنا قد أمر جميع خدمه أن يلبس ما يمكنه من الثياب الجدد و كان بين يديه مجمره يحرق فيها العود، قلنا يابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هل تجد فى هذا اليوم لأهل البيت عليهم السّلام فرحا؟ فقال عليه السّلام: و أىّ يوم أعظم حرمه من هذا اليوم عند أهل البيت و أفرح؟ و قد حدّثنى أبى عليه السّلام أنّ حذيفه (رض) دخل فى مثل هذا اليوم و هو اليوم التّاسع من ربيع الأوّل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال حذيفه: فرأيت أمير المؤمنين مع ولديه الحسن و الحسين مع رسول اللّه صلوات اللّه عليه و عليهم يأكلون و الرّسول يتبسم فى وجوههما و يقول كلاهنيئا مريئا لكما ببركه هذا اليوم و سعادته فانّه اليوم الذى يقبض اللّه فيه عدوّه و عدوّ كما و عدوّ جدّكما و يستجيب فيه دعاء امّكما، فانّه اليوم الذى يكسر فيه شوكه مبغض جدّكما و ناصر عدوّكما، كلا فانّه اليوم الذى يفقد فيه فرعون أهل بيتى و هامانهم و ظالمهم و غاصب حقّهم، كلا فانّه اليوم الذى يفرح اللّه فيه قلبكما و قلب امكما.

قال حذيفه: فقلت يا رسول اللّه فى امّتك و أصحابك من يهتك هذا الحرم؟ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: جبت من المنافقين يظلم أهل بيتى و يستعمل فى امتى الرّيا و يدعوهم إلى نفسه و يتطاول على الامّه من بعدى و يستجلب أموال اللّه من غير حلّه و ينفقها فى غير طاعته و يحمل على كتفه درّه الخزى و يضلّ النّاس عن سبيل اللّه و يحرّف كتابه و يغيّر سنتى و يغصب ارث ولدى و ينصب نفسه علما و يكذّبنى و يكذّب أخى و وزيرى و وصيى و زوج ابنتى و يتغلّب على ابنتى و يمنعها حقّها و تدعو فيستجاب اللّه لها الدّعاء فى مثل هذا اليوم.

قال حذيفه (رض): قلت: يا رسول اللّه ادع اللّه ليهلكنّه فى حياتك قال: يا حذيفه لا احبّ أن أجترى على اللّه عزّ و جلّ لما قد سبق فى علمه لكنّى سألت اللّه تعالى أن يجعل اليوم الذى يقبضه فيه إليه فضيله على ساير الأيام و يكون ذلك سنه يستنّ بها أحبّائى و شيعه أهل بيتى و محبهم، فأوحى اللّه عزّ و جل إلى:

فقال: يا محمّد إنّه قد سبق فى علمى أن يمسّك و أهل بيتك محن الدّنيا و بلائها و ظلم المنافقين و المعاندين من عبادى ممّن نصحتهم و خانوك و محضتهم و غشوك و صافيتهم و كاشحوك و أوصلتهم و خالفوك و أوعدتهم و كذّبوك، فانّى بحولى و قوّتى و سلطانى لافتحنّ على روح من يغضب «يغصب خ» بعدك عليّا حقّه وصيك و ولىّ خلقى «من العذاب الاليم خ» ألف باب من النيران من سفاك الفيلوق، و لاوصلنّه و أصحابه قعرا يشرف عليه إبليس لعنه اللّه فيلعنه، و لأجعلن ذلك المنافق عبره فى القيامه مع فراعنه الانبياء و أعداء الدين فى المحشر، و لا حشرنّهم و أوليائهم و جميع الظلمه و المنافقين فى جهنم و لادخلنهم «و لاخلدنهم خ ك» فيها أبدا الآبدين.

يا محمّد أنا أنتقم من الذى يجترى علىّ و يبدّل كلامى و يشرك بى و يصدّ النّاس عن سبيلى و ينصب نفسه عجلا لامتك و يكفر بى، إنّى قد أمرت سبع سماوات من شيعتكم و محبّيكم أن يتعيدوا فى هذا اليوم(۱) الذى أقبضه إلىّ فيه و أمرتهم أن

۱- (۱) هكذا فى النسخه و الظاهر سقوط لفظ «ملائكه» قبل قوله: سبع سماوات و مع ذلك لا يفهم المقصود و لعل فى لفظ الحديث تقديما و تأخيرا و المراد: انى امرت ملائكه سبع سماوات أن يجعلوا هذا اليوم عيدا لشيعتكم و محبيكم. «المصحح».

ينصبوا كراسى كرامتى بازاء البيت المعمور و يثنوا علىّ و يستغفروا لشيعتكم من ولد آدم.

يا محمّد و أمرت الكرام الكاتبين ان يرفعوا القلم عن الخلق «كلهم خ» ثلاثه أيام من أجل ذلك اليوم و لا أكتب عليهم شيئا من خطاياهم كرامه لك و لوصيّك.

يا محمّد إنى قد جعلت ذلك عيدا لك و لأهل بيتك و للمؤمنين من شيعتك و آليت على نفسى بعزّتى و جلالى و علوّى فى رفيع مكانى إنّ من وسّع فى ذلك اليوم على عياله و أقاربه لأزيدن فى ماله و عمره و لأعتقنّه من النّار و لأجعلنّ سعيه مشكورا و ذنبه مغفورا، و أعماله مقبوله، ثمّ قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فدخل بيت امّ سلمه فرجعت عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنا غير شاكّ فى أمر الشيخ الثانى حتّى رأيته بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد فتح الشرّ و أعاد الكفر و الارتداد عن الدّين و حرّف القرآن.

و فى البحار من كتاب الاقبال لابن طاوس بعد ذكر اليوم التاسع من ربيع الأول: اعلم أنّ هذا اليوم وجدنا فيه روايه عظيم الشأن و وجدنا جماعه من العجم و الاخوان يعظمون السّرور فيه و يذكرون أنّه يوم هلاك من كان يهون باللّه جلّ جلاله و رسوله و يعاديه، و لم أجد فيما تصفحت من الكتب إلى الآن موافقه اعتمد عليها للرّوايه التى رويناها عن ابن بابويه تغمّده اللّه رضوانه، فان أراد أحد تعظيمه مطلقا لسرّ يكون فى مطاويه غير الوجه الذى يظهر فيه احتياطا للرّوايه فهكذا عاده ذوى الدّرايه، و إن كان يمكن تأويل ما رواه أبو جعفر بن بابويه فى أنّ قتل من ذكر كان فى تاسع ربيع الأوّل لعلّ معناه أن السّبب الذى اقتضى قتل المقاتل على قتله كان فى ذلك اليوم، و يمكن أن يسمّى مجازا سبب القتل بالقتل، أو يكون توجه القاتل من بلده فى ذلك اليوم، أو وصول القاتل إلى مدينه القتل فيه، و أمّا تأويل من تأوّل أنّ الخبر وصل إلى بلد ابن بابويه فيه فلا يصحّ، لأن الحديث الذى رواه ابن بابويه عن الصّادق عليه السّلام تضمن أنّ القتل فى

ذلک الیوم فکیف یصحّ هذا التأویل.

قال: فی البحار بعد حکایته ذلک: و یظهر منه ورود روایه اخری عن الصادق علیه السلام بهذا المضمون رواها الصدوق، و یظهر من کلام خلفه(۱) الجلیل ورود عده روایات داله علی کون قتله فی ذلک، فاستبعاد ابن إدریس و غیره رحمه اللّه علیهم لیس فی محلّه، إذ اعتبار تلک الرّوایات مع الشهره بین أکثر الشیعه سلفا و خلفا لا یقصر عمّا ذکره المورخون من المخالفین، و یحتمل أن یکونوا غیّروا هذا الیوم لیشتبه الأمر علی الشیعه فلا یتخذوه یوم عید و سرور.

فان قیل: کیف اشتبه هذا الأمر العظیم بین الفریقین مع کثره الدواعی علی ضبطه و نقله.

قلنا: نقلب الکلام علیکم مع أنّ هذا الأمر لیس بأعظم من وفات رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مع أنه وقع الخلاف فیه بین الفریقین بل بین کلّ منهما مع شدّه تلک المصیبه العظمی و ما استتبعه من الدّواهی الاخری مع أنّهم اختلفوا فی یوم القتل و إن اتّفقوا فی کونه ذی الحجّه، و من نظر فی اختلاف الشّیعه و أهل الخلاف فی أکثر الامور التی توفرت الدّواعی علی نقلها مع کثره حاجه النّاس إلیها کالأذان و الوضوء و الصّلاه و الحجّ و تأمل فیها لا یستبعد أمثال ذلک، و اللّه أعلم بحقایق الامور.

الثانی

فی ذکر أخبار الشّوری من طرق العامه

فأقول: روی فی البحار عن ابن الأثیر فی الکامل و الطبری عن شیوخه بطرق متعدّده أنّه لما طعن أبو لؤلؤه عمر بن الخطاب و علم أنّه قد انقضت أیّامه و اقترب أجله، قال له بعض أصحابه: لو استخلفت یا أمیر المؤمنین، فقال: لو کان أبو عبیده حیّا لاستخلفته و قلت لربّی إن سألنی: سمعت نبیّک یقول: أبو عبیده امین هذه الامه، و لو کان سالم مولی أبی حذیفه حیا استخلفته

۱- (۱) خلف ابن طاوس.

و قلت لربّی إن سألنی: سمعت نبیّک یقول: إنّ سالما شدید الحبّ للّه فقال رجل:

ولّ عبد اللّه بن عمر، فقال: قاتلک اللّه، و اللّه ما أردت اللّه بهذا، ویحک کیف استخلفت رجلا عجز عن طلاق امرأته.

و فی شرح المعتزلی أنّ عمر لما طعنه أبو لؤلؤه و علم أنّه میّت استشار فیمن یولیه الأمر بعده فأشیر إلیه بابنه عبد اللّه فقال لا هاء(۱) اللّه لا یلیها رجلان من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل حسب عمر ما احتقب(۲) لاها اللّه، لا أتحملها حیّا و میّتا، ثمّ قال: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مات و هو راض عن هذه الستّه من قریش: علیّ و عثمان و طلحه و الزّبیر و سعد و عبد الرّحمن بن عوف، و قد رأیت أن أجعلها شوری بینهم لیختار و أنفسهم، ثمّ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خیر منّی یعنی ابا بکر و إن أترک فقد ترک من هو خیر منّی یعنی رسول اللّه، ثم قال: ادعوهم لی، فدعوهم فدخلوا علیه و هو ملقی علی فراشه و هو یجود بنفسه، فنظر إلیهم فقال: أکلّکم یطمع فی الخلافه بعدی؟ فوجموا(۳) فقال لهم: ثانیه فأجابه الزّبیر و قال: و ما الذی یبعدنا منها ولیتها أنت فقمت بها و لسنا دونک فی قریش و لا فی السّابقه و القرابه.

قال الشّارح قال الشیخ أبو عثمان الجاحظ: و اللّه لو لا علمه أنّ عمر یموت فی مجلسه ذلک لم یقدم علی أن یفوّه من هذا الکلا بکلمه و لا أن ینبس(۴) منه لفظ، فقال عمر: أفلا اخبرکم عن أنفسکم: قالوا: قل فانّا لو استعفیناک لم تعفنا، فقال: أمّا أنت یا زبیر فوعقه(۵) لقس(۶) مؤمن الرّضی کافر الغضب، یوما إنسان و یوما شیطان، و لعلّها لو أفضت إلیک ظلّت قومک تلاطم بالبطحاء علی مدّ من شعیر،

۱- (۱) قال فی القاموس ها تکون للتنبیه و یدخل علی أربعه الی ان قال الرابع اسم اللّه فی القسم عند حذف الحرف یقال ها اللّه بقطع الهمزه و وصلها و کلاهما مع اثبات الفها و حذفها انتهی

۲- (۲) و احتقبه و استحقبه ادخره ق.

۳- (۳) و جم و جما و وجو ما سکت علی غیظ و الشیء کرهه.

۴- (۴) نبس ینبس نبسا تکلم فاسرع ق.

۵- (۵) رجل و عق کعدل و وعقه کصخره شرس سیء الخلق ضجر متبرم و به وعقه شراسه و وعقت علی بارجل عجلت ما اوعقک اعجلک، قاموس.

۶- (۶) لقست نفسه الی الشیء. نازت الیه و حرصت علیه و الرجل لفس و قیل لقست خبثت و عن ابی زید اللقس هو الذی یلقب الناس و یسخر منهم فایق اللغه.

أ فرأيت إن أفضت إليک فليت شعرى من يکون للنّاس يوم تکون شيطانا و من يکون يوم تغضب إماما، و ما کان اللّه ليجمع لک أمر هذه الامه و أنت على هذه الصّفه.

ثمّ أقبل على طلحه و کان له مبغضا منذ قال لأبى بکر يوم وفاته ما قال فى عمر، فقال له: أقول أم أسکت؟ قال: قل فانّک لا تقول من الخير شيئا، قال: أما أنى أعرفک منذ اصيبت إصبعک يوم احد و الباد(۱) الذى حدث لک، لقد مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ساخطا عليکم للکمه(۲) التى قلتها يوم انزلت آيه الحجاب.

قال الشّارح: قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ: الکلمه المذکوره أنّ طلحه لما انزلت آيه الحجاب قال بمحضر ممّن نقل عنه الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما الذى يغنيه حجابهن اليوم سيموت غدا فننکحهنّ، قال: قال أبو عثمان أيضا: لو قال لعمر قائل أنت قلت: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مات و هو راض عن السّته فکيف تقول الآن لطلحه إنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مات ساخطا عليک للکلمه التى قلتها، لکان قد رماه بمشاقصه(۳) و لکن من الذى کان يجسر على عمر أن يقول له: ما دون هذا فکيف هذا؟ ثمّ أقبل على سعد بن أبى وقاص فقال: أمّا أنت صاحب مقنب(۴) من هذه المقانب تقاتل به و صاحب قنص(۵) و قوس و أسهم و ما زهره و الخلافه و امور الناس ثمّ أقبل على عبد الرّحمن بن عوف فقال: و أما أنت يا عبد الرّحمن فلو وزن نصف ايمان المسلمين بايمانک لرجح ايمانک به و لکن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف کضعفک و ما زهره و هذا الأمر.

ص:۸۲

۱- (۱) الباد العجب و الکبر و قد کانت اصيبت يده مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) وقاه بها يوم احد فايق اللغه.

۲- (۲) روى المقسرون عن مقاتل قال طلحه بن عبد اللّه لئن قبض رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) لانکحن عايشه بنت ابى بکر فنزلت و ما کان لکم ان تؤذوا رسول اللّه و لا ان تنکحوا ازواجه من بعده ابدا و فى روايه على بن ابراهيم ان طلحه قال لئن امات اللّه محمد الرکضن بين خلاخيل نسائه کما رکض بين خلاخيل نسائنا منه.

۳- (۳) المشقص کمنبر نصل عريض او سهم فيه ذلک او نصل طويل او سهم فيه ذلک ق.

۴- (۴) المقنب من الخيل الاربعون و الخمسون و فى کتاب الغين زها ثلاثماه يعنى انه صاحب جيوش و ليس يصلح لهذا الامر فايق.

۵- (۵) القص محرکه الصيد ق،.

ثمّ أقبل على علیّ علیه السّلام فقال: للّه أنت لو لا دعابه(۱) فیک أما و اللّه لئن ولیتهم لتحملنهم على الحقّ الواضح و المحجّه البیضاء.

ثمّ أقبل على عثمان فقال هیها(۲) إلیک کأنی بک قد قلّدتک قریش هذا الأمر لحبّها إیّاک فحملت بنی امیّه و بنی أبی معیط على رقاب النّاس و آثرتهم بالفیء فسارت «فثارت ظ» إلیک عصابه من را بان(۳) «ذوبان خ» العرف فذبحوک على فراشک ذبحا و اللّه لئن فعلوا لتفعلنّ و لئن فعلت لیفعلنّ، ثمّ أخذ بناصیته فقال: فاذا کان ذلک فاذکر قولی فانه کاین.

ثمّ قال: ادعوا لی أبا طلحه الأنصاری فدعوه له فقال: انظر یا أبا طلحه إذا عدتم من حفرتی فکن فی خمسین رجلا من الأنصار حاملی سیوفکم فخذ هؤلاء النّفر بامضاء الأمر و تعجیله و اجمعهم فی بیت وقف بأصحابک على باب البیت لیتشاوروا و یختاروا واحدا منهم، فان اتفق خمسه و أبی واحد فاضرب عنقه، و إن اتفق أربعه و أبی اثنان فاضرب أعناقهما، و إن اتّفق ثلاثه و خالف ثلاثه فانظر الثلاثه التی فیها عبد الرّحمن فارجع الی ما قد اتفقت علیه فان اصرّت الثلاثه الاخرى على خلافها فاضرب أعناقها، و ان مضت ثلاثه أیّام و لم یتفقوا على أمر فاضرب أعناق السّته و دع المسلمین یختاروا لأنفسهم.

فلما دفن عمر جمعهم أبو طلحه و وقف على باب البیت بالسّیف فی خمسین من الأنصار حاملی سیوفهم ثم تکلم القوم و تنازعوا، فأوّل ما عمل طلحه أنّه أشهدهم على نفسه أنّه قد وهب حقّه من الشّورى لعثمان، و ذلک لعلمه أنّ النّاس لا یعدلون به علیّا و عثمان و أنّ الخلافه لا تخلص له و هذان موجودان، فأراد تقویه أمر عثمان و إضعاف جانب علیّ علیه السّلام بهبه أمر لا انتفاع و لا تمکن له منه، فقال الزّبیر فی معارضته و أنا اشهدکم على نفسی أنّی قد وهبت حقّی من الشّورى لعلیّ علیه السّلام، و إنّما فعل

ص:۸۳

۱- (۱) الدعابه کمزاحه دعب یدعب کمزح یمزح و رجل دعب، فایق اللغه

۲- (۲) الهیه من ینحی لدنس ثیابه و یقال لشیء یطرد هیه هیه بالکسر قاموس.

۳- (۳) الراب سبعون من الابل و السید الضخم قاموس.

ذلک لأنّه لما رأی علیّا علیه السّلام قد ضعف و انخذل بهبه طلحه حقّه لعثمان دخلته حمیّه النّسب، لأنّه ابن عمه أمیر المؤمنین علیه السّلام و هی صفیه بنت عبد المطلب و أبو طالب خاله، فبقی من الستّه أربعه، فقال سعد بن أبی وقاص: و أنا قد وهبت حقّی من الشّوری لابن عمّی عبد الرّحمن، و ذلک لأنّهما من بنی زهره و لعلم سعد أنّ الأمر لا یتمّ له.

فلما لم یبق إلاّ الثّلاثه قال عبد الرّحمن لعلی و عثمان: أیّکما یخرج نفسه من الخلافه و یکون إلیه الاختیار فی الاثنین الباقیین؟ فلم یتکلّم منهما أحد، فقال عبد الرّحمن: إنّی اشهدکم قد أخرجت نفسی من الخلافه علی أن اختار أحدهما، فأمسکا، فبدء بعلیّ علیه السّلام و قال له: ابایعک علی کتاب اللّه و سنّه رسول اللّه و سیره الشیخین أبی بکر و عمر، فقال: بل علی کتاب اللّه و سنّه رسوله و اجتهاد رأیی، فعدل عنه إلی عثمان فعرض ذلک علیه، فقال: نعم، فعاد إلی علیّ علیه السّلام فأعاد قوله، فعل ذلک عبد الرّحمن ثلاثا، فلما رأی أن علیّا غیر راجع عمّا قاله و أنّ عثمان ینعم له بالاجابه صفق علی ید عثمان، و قال: السّلام علیک یا أمیر المؤمنین، فیقال:

إنّ علیّا علیه السّلام قال له: و اللّه ما فعلها إلاّ لأنّک رجوت منه ما رجا صاحبکما من صاحبه، دقّ اللّه بینکما عطر منشم(۱) قیل: ففسد بعد ذلک بین عثمان و عبد الرحمن فلم یکلّم أحدهما صاحبه حتّی مات عبد الرّحمن.

و قال الشارح أیضا: لما بنی عثمان قصره طمارد الزوراء و صنع طعاما کثیرا و دعا الناس إلیه کان فیهم عبد الرّحمن، فلما نظر إلی البناء و الطعام قال: یا بن عفان لقد صدقنا علیک ما کنا نکذب فیک و إنی استعیذ باللّه من بیعتک، فغضب عثمان و قال: أخرجه عنی یا غلام، فأخرجوه و أمر الناس أن لا یجالسوه فلم یکن یأتیه أحد إلا ابن عباس کان یأتیه فیتعلّم منه القرآن و الفرائض، و مرض عبد الرّحمان فعاده عثمان،

۱- (۱) منشم کمقعد عطر شاق الدق او قرون السنبل سم ساعه و نبت الوجیه العطاره بمکه و کانوا اذا ارادوا القتال و تطیبوا بطیبها کثرت القتلی فقالوا اشأم من عطر منشم قاموس.

فكلّمه و لم يكلّمه حتى مات.

أقول: هذا ما رواه الشّارح المعتزلى فى قضيّه الشّورى و أتبعه بروايات اخرى لا مهمّ فى إطاله الكلام بذكرها، و إنّما المهمّ الاشاره إلى بعض ما يطعن به على عمر فى هذه القضيّه من ابداعه فى الدّين و خروجه عن نهج الحقّ المبين و غير ذلك ممّا لا يخفى على أهل البصيره و اليقين.

منها مخاطبته القوم و مواجهتهم بمثل تلك الكلمات الكاشفه عن غلظ طبيعته و خشونه مسه و جفوته، و ذلك شاهد صدق على ما ذكره عليه السّلام سابقا بقوله: فصيرها فى حوزه خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسها اه.

و منها خروجه فى هذا الأمر عن النّصّ و الاختيار جميعا.

و منها حصر الشّورى فى ستّه و ذمّ كلّ واحد منهم بأن ذكر فيه طعنا لا يصلح معه الامامه ثمّ أهله بعد أن طعن فيه.

و منها نسبه الامام عليه السّلام إلى الدعابه و المزاحه و هو افتراء عليه و ظلم فى حقّه، و مثل ذلك زعم عمرو بن العاص و كذبه عليه السّلام فى بعض خطبه الآتيه بقوله: عجبا لابن النّابغه يزعم أنّ فى دعابه او أنّى امرء تلعابه إلى آخر ما يأتى و هو المختار الثّالث و الثّمانون.

و منها جعل الأمر إلى ستّه ثمّ إلى أربعه ثمّ إلى واحد وصفه بالضّعف و القصور.

و منها ترجيح قول الذين فيهم عبد الرّحمن لعلمه بأنّه لا يكاد يعدل بالأمر عن ختنه و ابن عمّه.

و منها إدخاله عثمان فى الشّورى مع دعواه العلم بظهور الفساد و القتل من خلافته و صرف مال اللّه فى غير أهله كما يدلّ عليه قوله: و اللّه لئن فعلوا لتفعلن.

و منها أمره بقتل الثّلاثه الذين ليس فيهم عبد الرّحمن لو أصرّوا على المخالفه و من المعلوم أنّ مخالفته لا يوجب استحقاق القتل و منها أمره بقتل السته و ضرب أعناقهم إن مضت ثلاثه أيّام و لم يتّفقوا، و من

الواضح أنّ تكليفهم إذا كان الاجتهاد فى اختيار الامام فربّما طال زمان الاجتهاد و ربّما قصر بحسب ما يعرض فيه من العوارض، و كيف يسوغ الأمر بالقتل إذا تجاوزت الثلاثه إلى غير هذه ممّا هى غير خفيّه على أهل البصيره و المعرفه.

الثالث

فى ذكر طائفه من الاحتجاجات التى احتجّ بها الامام عليه السّلام فى مجلس الشورى

و مناشداته معهم و تعديد فضائله و ذكر خصائصه، و هى كثيره روتها الخاصّه و العامه فى كتبهم و نحن نقتصر على روايه واحده.

و هو ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر محمّد بن على الباقر عليه السّلام قال: إنّ عمر بن الخطاب لما حضرته الوفاه و أجمع على الشّورى بعث إلى ستّه نفر من قريش: إلى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و إلى عثمان ابن عفان و إلى زبير بن العوام و إلى طلحه بن عبيد اللّه و عبد الرّحمن بن عوف و سعد ابن أبى وقاص، و أمرهم أن يدخلوا إلى بيت و لا يخرجوا منه حتّى يبايعوا لأحدهم فان اجتمع أربعه على واحد و أبى واحد أن يبايعهم قتل، و إن امتنع اثنان و بايع ثلاثه قتلا فاجمع رأيهم على عثمان.

فلما رأى أمير المؤمنين عليه السّلام ما همّ القوم به من البيعه لعثمان قام فيهم ليتّخذ عليهم الحجه، فقال عليه السّلام لهم: اسمعوا منّى فان يكن ما أقول حقا فاقبلوا، و إن يكن باطلا فانكروه ثمّ قال عليه السّلام: انشدكم «نشدتكم خ» باللّه الذى يعلم صدقكم إن صدقتم و يعلم كذبكم إن كذبتم هل فيكم أحد صلّى القبلتين كلتيهما غير؟ قالوا: لا، قال:

نشدتكم باللّه هل فيكم من بايع البيعتين كلتيهما بيعه الفتح و بيعه الرضوان غيرى؟ قالوا: لا، قال نشدتكم باللّه هل فيكم أحد أخوه المزيّن بالجناحين «يطير بهما فى الجنه خ» غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد عمّه سيّد الشّهداء غيرى؟ قالوا لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد زوجته سيّده نساء أهل الجنه غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد ابناه ابنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هما سيّد اشباب.

أهل الجنه غيرى؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد عرف النّاسخ من المنسوخ فى القرآن غيرى؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد أذهب اللّه عنه الرّجس و طهّره تطهيرا غيرى؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد عاين جبرئيل فى مثال دحيه الكلبى غيرى؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد أدّى الزّكاه و هو راكع غيرى؟ قالوا: لا، قال فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد مسح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عينيه و أعطاه الرّايه يوم خيبر فلم يجد حرا و لا بردا غيرى؟ قالوا لا، قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد نصبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم غدير خم بأمر اللّه فقال: من كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللّهم و الا من والاه و عاد من عاداه غيرى؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد أخو رسول اللّه فى الحضر و رفيقه فى السّفر غيرى؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبدود يوم الخندق و قتله غيرى؟ قالوا: لا، قال فانشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلوات اللّه عليه و آله: أنت منّى بمنزله هارون من موسى إلّا أنه لا نبىّ بعدى غيرى؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد سمّاه اللّه تعالى فى عشر آيات من القرآن مؤمنا غيرى؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد ناول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبضه من التراب فرمى بها فى وجوه الكفار فانهزموا غيرى؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد وقفت الملائكه يوم احد حتى ذهب النّاس عنه غيرى؟ قالوا:

لا، قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد قضى دين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم غيرى؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد اشتاقت الجنّه إلى رؤيته غيرى؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتكم باللّه هل فيكم أحد شهد وفات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كفّنه غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد ورث سلاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و رايته و خاتمه

غیری؟ قالوا: لا، قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد جعل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم طلاق نسائه بیده غیری؟ قالوا: لا، قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد حمله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی ظهره حتّی کسر الأصنام علی باب الکعبه غیری؟ قالوا: لا، قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد نودی باسمه یوم بدر من السّماء لا سیف إلّا ذو الفقار و لا فتی إلّا علیّ غیری؟ قالوا: لا.

قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد أکل مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من الطائر المشویّ الذی اهدی إلیه غیری؟ قالوا: لا، قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أنت صاحب رایتی فی الدّنیا و صاحب لوائی فی الآخره غیری؟ قالوا: لا، قال: فانشدتکم باللّه هل فیکم أحد قدّم بین یدی نجویه صدقه غیری؟ قالوا: لا، قال فانشدتکم باللّه هل فیکم أحد خصف(۱) نعل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم غیری؟ قالوا: لا.

قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، أنا أخوک و أنت أخی غیری؟ قالوا: لا، قال: فانشدتکم باللّه هل فیکم أحد قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، اللّهمّ ائتنی بأحبّ خلقک «الخلق خ» إلی و أقواهم بالحقّ غیری؟ قالوا: «اللّهم خ» لا قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد استقی مأئه دلو بمأه تمر و جاء بالتّمر فاطعمه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو جایع غیری؟ قالوا: «اللهم خ» لا.

قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد سلّم علیه جبرئیل و میکائیل و إسرافیل فی ثلاثه آلاف من الملائکه «کلّ واحد منهم فی ألف من الملائکه خ» یوم بدر غیری؟ قالوا: «اللّهم خ» لا، قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد غمض عین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم غیری؟ قالوا: لا، قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد وحد اللّه قبلی غیری؟(۲) قالوا: لا، قال: نشدتکم باللّه هل فیکم أحد کان أوّل داخل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و آخر خارج من عنده غیری؟ قالوا: لا، قال: فانشدتکم باللّه هل فیکم أحد مشی

۱- (۱) خصف النعل یخصفها خرزها ق.

۲- (۲) هکذا فی النسخه و الظاهر زیادته منه.

مع رسول اللّه فمرّ على حديقه فقال «فقلت خ» ما أحسن هذه الحديقه، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حديقتك فى الجنّه أحسن من هذه الحديقه حتّى إذا مرّ «مررت خ» على ثلاثه حدائق كل ذلك يقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حديقتك فى الجنّه أحسن من هذه غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت أوّل من آمن بى و أوّل من يصافحنى يوم القيامه غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بيده و يد امرأته و ابنيه حين أراد أن يباهل نصارى و نجران غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أوّل طالع يطلع عليكم من هذا الباب يا أنس فانّه أمير المؤمنين و سيّد المسلمين و خير الوصيّين و أولى النّاس بالناس فقال أنس: اللهمّ اجعله رجلا من الأنصار فكنت أنا الطالع فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأنس: ما أنت بأوّل رجل أحبّ قومه غيرى؟ قالوا: لا، قال:

نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآيه:

«إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ ».

غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه و فى ولده:

«إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً ».

إلى آخر السّوره غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه:

«أَ جَعَلْتُمْ سِقايَهَ الْحاجِّ وَ عِمارَهَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّهِ » غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد علمه رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ألف كلمه كلّ كلمه مفتاح ألف كلمه غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحدنا جاه رسول الله يوم الطايف فقال أبو بكر و عمر: ناجيت عليا دوننا، فقال لهم رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما انا ناجيته بل الله أمرنى بذلك غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سقاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من المهراس(۱) غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه: أنت أقرب الخلق منى يوم القيامه يدخل بشفاعتك الجنّه أكثر من عدد ربيعه و مضر غيرى؟ قالوا: لا، قال:

نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت تكسى حين اكسى غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت و شيعتك هم الفائزون يوم القيامه غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: كذب من زعم أنّه يحبنى و يبغض هذا غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من أحبّ شعراتى «هذه خ» فقد أحبّنى و من أحبّنى فقد أحب اللّه، فقيل له: و ما شعراتك يا رسول اللّه؟ قال:

علىّ و الحسن و الحسين و فاطمه غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت خير البشر بعد النبيّين غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت الفاروق تفرق بين الحقّ و الباطل غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت أفضل الخلايق عملا يوم القيامه بعد النّبيين غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كساه عليه و على زوجته و على ابنيه ثم قال: اللّهمّ أنا و أهل بيتى إليك لا إلى النّار غيرى؟ قالوا:

لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الطعام و هو فى

۱- (۱) المهراس حجر منقور يدق فيه و يتوضا منه، ق (۱ مكرر) المهراس صخره منقوره تسع كثيرا من الماء و قد يعمل منه حياض للماء نهايه،.

الغار و يخبره بالأخبار غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا سر للّه دونك غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت أخى و وزيرى و صاحبى من أهلى غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

أنت أقدمهم سلما(۱) و أفضلهم علما و أكثرهم حلما غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قتل مرحبا اليهودى مبارزه فارس اليهود غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد عرض عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الاسلام فقال له: أنظرنى حتّى ألقى والدى، فقال له رسول اللّه: يا علىّ فانّها أمانه عندك، فانّها عندك، فقلت: فان كانت أمانه عندى فقد أسلمت غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد احتمل باب خيبر حين فتحها فمشى به مأئه ذراع ثم عالجه بعده أربعون رجلا فلم يطيقونه غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد(۲) نزلت فيه هذه الآيه:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ».

فكنت أنا الذى قدّم الصّدقه غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من سبّ عليّا فقد سبّنى و من سبّنى فقد سبّ اللّه غيرى؟ قالوا:

لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: منزلى مواجه منزلك فى الجنّه غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قاتل اللّه من قاتلك

۱- (۱) السلم بفتح السين و كسرها و هما لغه الصلح و السلم بفتح السين و اللام الاستسلام و الانقياد كقوله تعالى القوا اليكم السلم، نهايه.

۲- (۲) هكذا فى النسخه و الظاهر انه غلط، منه.مكرر - الظاهر ان قبل نزلت لما ساقطه من النسخه، منه.

و عادى اللّه من عاداك غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد اضطجع على فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين أراد أن يسير إلى المدينه و وقاه بنفسه من المشركين حين أراد و اقتله غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه أنت أولى النّاس بامّتى من بعدى غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم احد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت يوم القيامه عن يمين العرش و اللّه يكسوك ثوبين أحدهما أخضروا الآخر و ردىّ غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد صلّى قبل النّاس «مع رسول اللّه خ» بسبع سنين و أشهر غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

أنا يوم القيامه آخذ بحجزه ربى و الحجزه النّور و أنت آخذ بحجزتى(۱) و أهل بيتى آخذون بحجزتك غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت كنفسى و حبّك حبّى و بغضك بغضى غيرى؟ قالوا: لا، قال نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ولايتك كولايتى عهد عهده إلىّ ربّى و أمرنى أن ابلغكموه غيرى؟ قالوا:

لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اللهمّ اجعله لى عونا و عضدا و ناصرا غيرى؟ قالوا لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: المال يعسوب الظلمه و أنت يعسوب(۲) المؤمنين غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأبعثنّ اليكم رجلا امتحن اللّه قلبه للايمان غيرى؟ قالوا: لا، قال:

نشدتكم باللّه هل فيكم أحد أطعمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رمّانه و قال: هذه من رمّان الجنّه لا ينبغى أن يأكل منه إلّا نبىّ أو وصىّ نبىّ غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما سألت ربّى شيئا إلّا

۱- (۱) بالحاء المهمله و الجيم و الزاء حجزه الازار معقده و حجزه السراويل مجمع شده و الجمع حجز مثل غرفه و غرف نهايه.

۲- (۲) يعسوب امير النحل و منه قيل للسيد يعسوب قومه، ص.

أعطانيه و لم أسأل ربّى شيئا إلّا سالت لك مثله غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت أقومهم بأمر اللّه و أوفاهم بعهد اللّه و اعلمهم بالقضيّه و أقسمهم بالسّويه و أعظمهم عند اللّه مزيّه غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فضلك على هذه الامّه كفضل الشّمس على القمر و كفضل القمر على النّجوم غيرى؟ قالوا: لا، قال:

نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يدخل اللّه وليّك الجنّه و عدوّك النّار غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

النّاس من أشجار شتّى و أنا و أنت من شجره واحده غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنا سيّد ولد آدم و أنت سيّد العرب «و العجم خ» و لا فخر غيرى: قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد رضى اللّه عنه فى الآيتين من القرآن غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: موعدك و موعدى و موعد شيعتك الحوض إذا خافت الامم و وضعت الموازين غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اللهم إنى احبّه فأحبّه اللهمّ إنّى أستودعكه غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنت تحاج النّاس فتحجهم باقام الصّلاه و ايتآء الزّكاه و الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و إقامه الحدود و القسم بالسّويه غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بيده يوم بدر(۱) «غدير خ» فرفعها حتّى نظر النّاس إلى بياض ابطيه و هو يقول: ألا إنّ هذا علىّ بن أبى طالب أخى و ابن عمّى و وزيرى فوازروه و ناصحوه و صدّقوه فهو وليّكم غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآيه:

«وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ »

۱- (۱) الظاهر يوم غدير و يحتمل وقوع ذلك يوم بدر ايضا منه.

«نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ».

غیری؟ قالوا: لا، قال: فهل فیکم أحد کان جبرئیل أحد ضیفانه غیری؟ قالوا: لا، قال: فهل فیکم أحد أعطاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حنوطا من حنوط الجنّه ثم قال: اقسمه أثلاثا ثلثا لی تحنّطنی به و ثلثا لابنتی و ثلثا لک غیری؟ قالوا: لا.

قال: فهل فیکم أحد کان إذا ادخل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیّاه و أدناه و رحّب به و تهلل له وجهه غیری؟ قالوا: لا، قال: فهل فیکم أحد قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنا أفتخر بک یوم القیامه إذا افتخرت الأنبیاء بأوصیائها غیری؟ قالوا: لا.

قال: فهل فیکم أحد سرحه(۱) رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بسوره برائه إلی المشرکین من أهل مکه بأمر اللّه غیری؟ قالوا: لا، قال: فهل فیکم أحد قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

إنی لأرحمک من ضغاین فی صدور أقوام علیک لا یظهرونها حتّی یفقدوننی فاذا فقدونی خالفوا فیها غیری؟ قالوا: لا.

قال: فهل فیکم أحد قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ادّی الله(۲) عن أمانتک أدّی الله عن ذمتک غیری؟ قالوا: لا قال: نشدتکم بالله هل فیکم أحد قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنت قسیم النّار تخرج منها من زکی و تذر فیها کل کافر غیری؟ قالوا: لا.

قال: فهل فیکم أحد فتح حصن خیبر و سبی بنت مرحب فأدّاها إلی رسول الله غیری؟ قالوا: لا، قال: فهل فیکم أحد قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ترد علیّ الحوض أنت و شیعتک روّاء مروّیین مبیضه وجوههم و یرد علیّ عدوّک ظمأ مظمئین مقمحین(۳) مسودّه وجوههم غیری؟ قالوا: لا.

ثمّ قال لهم أمیر المؤمنین علیه السّلام: أما إذا أقررتم علی أنفسکم و استبان لکم ذلک

۱- (۱) سرحت فلانا الی موضع کذا ارسلته، ص.

۲- (۲) قال تعالی ان اللّه یأمرکم ان تؤدوا الامانات الی اهلها، منه.

۳- (۳) فی حدیث علی «علیه السلام» قال له النبی «صلّی اللّه علیه و آله» ستقدم علی اللّه انت و شیعتک راضین و مرضیین و یقدم علیک عدوک غضابا مقمحین ثم جمع یده الی عنقه یراهم کیف الاقماح رفع الراس و غض البصر یقال اقمحه الغل اذا ترک راسه مرفوعا من سیفه و منه قوله تعالی «إِنّا جَعَلْنا فِی أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِیَ إِلَی الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ» نهایه.

من قول نبيّكم فعليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، و أنهاكم من سخطه و غضبه و لا تعصوا أمره، و ردّوا الحقّ إلى أهله و اتّبعوا سنّه نبيّكم فانكم إن خالفتم خالفتم الله، فادفعوها إلى من هو أهله و هى له، قال: فتغامزوا فيما بينهم و تشاوروا و قالوا: قد عرفنا فضله و علمنا أنّه أحقّ النّاس بها، و لكنّه رجل لا يفضل أحدا على أحد، فان وليتموها إيّاه جعلكم و جميع النّاس فيها شرعا سواء، و لكن ولوها عثمان فانّه يهوى الذى تهوون فدفعوها إليه.

الترجمه

تا هنگامى كه درگذشت عمر براه خود و جان بمالكان دوزخ سپرد گردانيد خلافت را در شش نفر گمان نمود كه من يكى از ايشانم، پس خداوند بفرياد من برس از براى شورى، چگونه شك عارض شد بمردم در شأن من با اول ايشان كه ابو بكر بود تا اين كه گشتم مقرون به امثال اين اشخاص، و لكن بجهه اقتضاء مصلحت مدارا كردم من با ايشان و نزديك شدم بزمين در طيران هنگامى كه ايشان نزديك شدند، و طيران كردم وقتى كه ايشان طيران كردند، پس ميل كرد يكى از ايشان از من بجهه حقد و حسد كه آن سعد وقاص بود يا طلحه، و ميل كرد ديگرى از آن ها بسوى قرابت زن خود و آن عبد الرحمن بن عوف بود كه ميل نمود بعثمان بجهت آنكه برادر زن او بود، و تنها ميل آن بسوى او بجهت مصاهرت و قرابت نبود بلكه با شىء قبيح و شىء قبيح كه آن بغض و عداوت أمير المؤمنين عليه السّلام بود، يا طمع در وصول خلافت باو بعد از انقضاء ايام عثمان يا ساير اغراض نفسانيه كه اظهار آن قبيح و ذكر آن مستهجن است.

الفصل الرابع

اشاره

إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله و معتلفه، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال اللّه تعالى خضم الإبل نبته الرّبيع، إلى أن انتكث

علیه فتله، و أجهز علیه عمله، و کبت به بطنته.

اللغه

(النّفج) بالجیم الرّفع یقال نفج الثدی الثوب أی رفعه و(الحضن)الجنب و ما بین الابط و الکشح یقال للمتکبّر جاء نافجا حضنیه و لمن امتلاء بطنه من الأکل جاء نافجا حضنیه، و الأنسب فی المقام الثّانی تشبیها بالبعیر المنتفج الجنبین من کثره الأکل و (النثیل) الروث و فی روایه الصّدوق بین ثیله «کذا» و هو بالکسر وعاء القضیب أو نفسه و (المعتلف) موضع الاعتلاف و هو أکل الدّابه العلف و (الخضم) الأکل بجمیع الفم و یقابله القضم و هو الأکل باطراف الأسنان، یقال خضم الشّیء کعلم و ضرب أکله بجمیع فمه، و عن النّهایه الخضم الأکل بأقصی الأضراس، و القضم بأدناها.

و منه حدیث أبی ذر (ره) و تأکلون خضما و نأکل قضما، و قیل: الخضم خاص بالشّیء الرّطب، و القضم بالیابس و (النّبته) بکسر النّون النّبات یقال:

نبت الرّطب نباتا و أنبته و (النکث) النّقض یقال: نکث فلان العهد و الحبل فانتکث نفضه فانتقض و (فتل) الحبل لواه و برمه و (الاجهاز) إتمام قتل الجریح و إسراعه و (کبا) الفرس یکبو سقط علی وجهه و کبابه أسقطه و (البطنه) بالکسر الکظه و هو الامتلاء من الطعام و الاسراف فی الأکل.

الاعراب

بین نثیله و معتلفه متعلّق بقام أی قام بین روثه و معتلف، و جمله یخضمون منصوب المحلّ علی الحالیه.

المعنی

لما ذکر علیه السّلام خلافه الثّانی و نبّه علی جعله الخلافه شوری بین السّته و أشار الی عدول بعض هؤلاء عن منهج الصّواب، أتبعه بما ترتّب علی ذلک و هو خلافه الثّالث بقوله:(إلی أن قام ثالث القوم) و المراد بالقیام الحرکه فی تولی أمر الخلافه،

ص:۹۶

و ثالث القوم هو عثمان بن عفّان بن أبى العاص بن اميّه بن عبد شمس بن عبد مناف، و كان أبوه عفّان ممّن يضرب بالدّف و يتخنّث به و يلعب، رواه العلامه فى كشف الحقّ و مؤلف كتاب إلزام النّواصب عن هشام بن محمّد بن السّائب الكلبى هذا.

و أثبت عليه السّلام له حالاـ يستلزم تشبيهه بالبعير و استعار له صفته بقوله:(نافجا حضنيه)أى نافجا جنبيه و رافعا ما بين إبطه و كشحه من كثره الأكل و الشّرب كالبعير المنتفج الجنبين (بين نثيله و معتلفه) أى قام بالأمر و كان حركته بين روثه و معتلفه يعنى لم يكن همّه إلاّـ الأكل و الرّجيع كالبهائم التى لا اهتمام لها إلاّ بالأكل و الرّوث قال الشّارح المعتزلى: و هذا من أمضّ الذّم و أشدّ من قول الحطيه الذى قيل إنّه أهجى بيت للعرب:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقعد فانّك انت الطاعم الكاسى

هذا و المعنى على روايه الصّدوق أنّ قيامه كان بين منكحه و مطعمه و بالجمله فالمقصود أنّ همّه لم يكن إلاّ بطنه و فرجه و التّرفه بالمال و اصلاح مصالح نفسه و إعمال دواعى خاطره من دون أن يكون له قيام بمصالح المسلمين و توجّه إلى إصلاح امور الخلافه و مراعاه لوازم الولايه (و قام معه بنو أبيه) أراد بهم بنى اميّه فانّهم قاموا معه حالكونهم(يخضمون مال اللّه)و يأكلونه بأقصى أضراسهم.

و هو كنايه عن كثره توسّعهم بمال المسلمين و شدّه أكلهم من بيت المال من غير مبالاه لهم فيه (كخضم الابل) و أكلها بجميع فمها(نبته الرّبيع)و نباته، و وجه الشّبه أنّ الابل لمّا كانت تستلذّ نبت الرّبيع بشهوه صادقه و تملاء منه أحناكها و ذلك لمجيئه عقيب يبس الأرض و طول مدّه الشّتآء، كان ما أكله أقارب عثمان من بيت المال مشبها بذلك، لاستلذاذهم به و انتفاعهم منه بعد طول فقرهم، و امتداد ضرّهم، و ذلك الكلام منه عليه السّلام خارج معرض التّوبيخ و الذّم إشاره إلى ارتكابه معهم مناهى اللّه المستلزم لعدم قابليّته للخلافه و استعداده للامامه.

ص:٩٧

قال الشّارح المعتزلی: و صحّت فیه فراسه عمر فانّه أوطأ بنی امیّه رقاب النّاس و ولاهم الولایات و أقطعهم القطایع و افتتحت ارمینیّه فی أیامه فأخذ الخمس کلّه فوهبه لمروان، و طلب إلیه عبد اللّه بن خلد بن اسید صله فأعطاه أربعمائه ألف درهم، و أعاد الحکم بن أبی العاص بعد انّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد سیّره ثمّ لم یرده أبو بکر و لا عمر و أعطاه مأئه ألف درهم، و تصدق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بموضع سوق بالمدینه یعرف بمهروز علی المسلمین فأقطعها عثمان الحرث بن الحکم أخا مروان ابن حکم، و أقطع مروان فدک و قد کانت فاطمه علیها السلام طلبتها بعد وفات أبیها صلوات اللّه علیه تاره بالمیراث و تاره بالنّحله فدفعت عنها، و حمی المراعی حول المدینه کلها عن مواشی المسلمین کلّهم إلاّ عن بنی امیّه.

و أعطی عبد اللّه بن ابی سرح جمیع ما أفاء اللّه علیه من فتح افریقیّه بالمغرب و هی من طرابلس الغرب إلی طنجه من غیر أن یشرکه فیه أحد من المسلمین.

و أعطی أبا سفیان بن حرب مأتی ألف من بیت المال فی الیوم الذی أمر فیه لمروان بن الحکم بمأه ألف من بیت المال، و قد کان زوّجه ابنته امّ أبان فجاء زید بن أرقم صاحب بیت المال بالمفاتیح فوضعها بین یدی عثمان و بکی، فقال عثمان:

أ تبکی ان وصلت رحمی؟ قال: لا و لکن أبکی لأنی أظنک أخذت هذا المال عوضا عمّا کنت أنفقته فی سبیل اللّه فی حیاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و اللّه لو اعطیت مروان مأئه درهم لکان کثیرا فقال: ألق المفاتیح فانا سنجد غیرک، و أتاه أبو موسی بأموال من العراق جلیله فقسّمها کلّها فی بنی امیّه، و أنکح الحرث بن الحکم ابنته عایشه فأعطاه مأئه ألف من بیت المال أیضا بعد صرفه زید بن أرقم عن خزنه انتهی.

و قال السیّد المرتضی (قده) فی محکی الشّافی: روی الواقدی باسناده عن المسود بن عنبسه قال: سمعت عثمان یقول: إنّ أبا بکر و عمر کانانا و لان فی هذا المال طلاق انفسهما و ذوی ارحامهما و إنی ناولت فیه صله رحمی، و روی إنّه کان بحضرته زیاد بن عبید مولی الحرث بن کلده الثّقفی و قد بعث إلیه ابو موسی بمال عظیم من البصره فجعل عثمان یقسمه بین ولده و اهله بالصّحاف، فبکی زیاد فقال: لا تبکی

فان عمر كان يمنع اهله و ذوى قرابته ابتغاء وجه اللّه، و انا اعطى ولدى و أهلى و قرابتى ابتغاء وجه اللّه.

و قد روى هذا المعنى عنه من عدّه طرق بألفاظ مختلفه، و روى الواقدى أيضا قال قدمت إبل من إبل الصّدقه على عثمان فوهبها للحرف بن الحكم بن أبى العاص، و روى أيضا أنّه ولى الحكم بن ابى العاص صدقات قضاعه فبلغت ثلاثماه ألف فوهبها له حين أتاه بها.

و روى أبو مخنف و الواقدى انّ النّاس أنكروا على عثمان اعطاه سعد بن العاص مأئه ألف و كلّمه علىّ عليه السّلام و الزّبير و طلحه و سعد و عبد الرّحمن فى ذلك فقال: إنّ له قرابه و رحما، قالوا: و ما كان لأبى بكر و عمر قرابه و ذو رحم؟ فقال: إنّ أبا بكر و عمر كانا يحتسبان فى منع قرابتهما و أنا احتسب فى اعطاء قرابتى، قالوا فهديهما و الله احبّ الينا من هديك.

و روى ابو مخنف إنّ عبد اللّه بن خالد بن اسيد بن ابى العاص بن أميّه قدم على عثمان من مكّه و معه ناس فأمر لعبد اللّه بثلاثمأه الف و لكلّ واحد من القوم بمأه الف و صك بذلك على عبد اللّه بن الأرقم و كان خازن بيت المال فاستكثره و رد الصّك به، و يقال: إنّه سأل عثمان ان يكتب عليه بذلك كتابا فأبى و امتنع ابن الأرقم ان يدفع المال إلى القوم، فقال له عثمان: إنّما انت خازن لنا فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت اراني خازن المسلمين و إنّما خازنك غلامك و الله لا آل لك بيت المال أبدا، و جاء بالمفاتيح فعلّقها على المنبر و يقال بل القاها إلى عثمان فدفعها إلى نائل مولاه.

و روى الواقدى انّ عثمان، أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين إلى عبد اللّه بن الأرقم فى عقيب هذا الفعل ثلاثمأه ألف درهم، فلما دخل بها عليه قال له: يا أبا محمّد إنّ أمير المؤمنين أرسل إليك يقول قد شغلناك عن التّجاره و لك رحم أهل حاجه ففرّق هذا المال فيهم و استعن به على عيالك، فقال عبد اللّه بن الأرقم مالى إليه حاجه و ما عملت لأن يثيبنى عثمان و اللّه إن كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملى أن اعطى ثلاثمائه ألف، و لئن كان مال عثمان فما لى إليه حاجه.

ص:٩٩

و الحاصل أنّه قد كان يصرف مال اللّه على نفسه و على أقاربه و أصهاره، و كان مستمرّا فى إتلاف بيت المال المسلمين مستبدا برأيه فى ذلك.

و انضم إليه امور اخرى من تسيير أبى ذر إلى ربذه، و ضرب عبد اللّه بن مسعود حتّى كسر أضلاعه، و ما أظهر من الحجاب، و العدول عن جادّه الشّريعه فى إقامه الحدود و ردّ المظالم و كفّ الأيدى العاديه و الانتصاب لسياسه الرّعيّه.

(إلى أن) ضاق له المخرج و عمى المصدر و انجرّ الأمر إلى اجتماع أهل المدينه عليه مع جماعه من أهل مصر(فانتكث)أى انتقض(عليه فتله)أى برم حبله و هو كنايه عن انتقاض تدابيره المبرمه و رجوعها إليه بالفساد و تأديتها إلى الهلاك (و اجهز عليه) أى أسرع إليه بالقتل بعد كونه مجروحا (عمله) أى أعماله الشّنيعه و أفعاله القبيحه التى صارت سببا لقتله ففى الاسناد توسّع (و كبت به) أى أسقطته على وجهه (بطنته) و إسرافه فى الشّبع كالجواد الذى يكبو من كثره الأكل و الامتلاء.

و الكظه، و هذه كلها إشاره إلى تأدّى حركاته الشّنيعه إلى سوء الخاتمه.

و قد قتل و انتقل إلى الحاميه فى اليوم الثّامن عشر من ذى الحجه من سنه خمس و ثلاثين من الهجره، و ذلك بعد ما غصب الخلافه اثنتى عشره سنه إلاّ إثنى عشر يوما، و قيل إحدى عشره سنه و أحد عشر شهرا و أربعه عشر يوما، و قيل ثمانيه عشر يوما، و قد كان بعد قتله مطروحا فى خندق اليهود إلى ثلاثه أيّام لا يستحلّ أحد دفنه و لا يقدم أحد على ذلك خوفا من المهاجرين و الأنصار حتّى نهبه بنو اميّه و دفنوه، و قيل:

كان مطروحا فى مزبله اليهود ثلاثه أيّام حتّى أكلت الكلاب، إحدى رجليه فاستأذنوا عليّا عليه السّلام فأذن فى دفنه و دفن فى حش كوكب و هى مقبره كانت لليهود بالمدينه، فلمّا ولى معاويه وصلها بمقابر أهل الاسلام و يأتى تفصيل الكلام فى كيفيه قتله فى شرح الكلام الثلاثين إنشاء اللّه هذا.

و العجب أنّ الشّارح المعتزلى بعد ذكره ما حكيناه عنه سابقا فى ذيل قوله عليه السّلام: يخضمونه مال اللّه اه، قال: و قد أجاب أصحابنا عن المطاعن فى عثمان بأجوبه

مشهوره فی کتبهم و الذی نقول نحن: إنّها و إن کانت احداثا إلّا أنّها لم تبلغ المبلغ الذی یستباح به دمه و قد کان الواجب علیهم أن یخلعوه من الخلافه حیث لم یستصلحوه لها و لا یعجلوا بقتله.

أقول: و هذا الکلام منه صریح فی عدم قابلیته للخلافه و مع ذلک لا یکاد ینقضی عجبی منه کیف یجعله ثالث الخلفاء و یعتقد بخلافته؟ و ما ذلک إلّا من أجل أنّهم «ألفوا آبائهم ضالین فهم علی آثارهم یهرعون»

الترجمه

تا آنکه ایستاد و متولی خلافت گردید سوم قوم که عثمان بن عفان علیه النیران بود در حالتی که باد کننده بود هر دو جانب خود را از کثرت کبر و غرور یا از زیادتی اکل و شرب، ایستاد او در میان سرگین یا در میان ذکر خود و موضع علف آن، یعنی همت او مصروف بخوردن و آشامیدن و سرگین انداختن بود مثل بهائم، و ایستادند با او فرزندان پدر او یعنی بنی امیه در حالتی که می خوردند با جمیع دهان خودشان مال خدا را با لذت و رفاهیت مثل خوردن شتر بهمهٔ دهان خود علف بهار را، و مستمرّ بودند بر این حالت تا این که باز شد تاب ریسمان تابیدهٔ او و بکشتن شتاب نمود بعد از جراحت بسیار کردار ناپسندیدهٔ او و برویش افکند کثرت اکل و شدّت امتلاء او.

الفصل الخامس

اشاره

فما راعنی إلّا و النّاس إلیّ کعرف الضّبع ینثالون علیّ حتّی لقد وطیء الحسنان، و شقّ عطفای مجتمعین حولی کربیضه الغنم، فلمّا نهضت بالأمر نکثت طائفه، و مرقت أخری، و فسق آخرون، کأنّهم لم یسمعوا اللّه تعالی یقول: «تِلْکَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ » بلی و اللّه لقد سمعوها

و وعوها، و لكنّه «لكنّهم خ» حليت الدّنيا فى أعينهم و راقهم زبرجها.

اللغه

(راعنى) الشّىء روعا من باب قال أفزعنى و روّعنى مثله و راعنى جماله أعجبنى، و فى شرح المقامات عن الأزهرى ما راعنى إلاّ مجيئك اى ما شعرت إلاّ بمجيئك كأنّه قال: ما أصاب روعى إلاّ لذلك، و هذا كلام يستعمل فى مفاجاه الأمر ألا ترى أنّه يعاقب إذا المفاجاه تقول: خرجنا فاذا زيد بالباب و خرجت فما راعنى إلاّ فلان بالباب و (عرف) الدّابّه شعر عنقها و عرف الضّبع يضرب به المثل فى الازدحام و (الثّول) صبّ ما فى الاناء و انثال انصبّ و انثال عليه القول تتابع و كثر فلم يدر بأيّه يبدء.

و قال المطرزى فى شرح المقامات للحريرى: الانثيال الاجتماع و الانصباب انفعال من الثّول و هو جماعه النّحل و من قولهم: ثويله من النّاس، أى جماعه من بيوت متفرّقه يقال: منه انثالوا عليه و تثولوا أى اجتمعوا و انثال التّراب انصب و منه انثال عليه النّاس من كلّ وجه أى انصبّوا انتهى، و (عطف) الشّىء جانبه و العطفان الجانبان.

و فى بعض النّسخ و شقّ عطا فى و هو بالكسر الرّداء و هو أنسب و (الرّبيض و الرّبيضه) الغنم برعاتها المجتمعه فى مرابضها(۱) و (النّكث) النّقض و (المروق) الخروج يقال مرق السّهم من الرميه مروقا من باب قعد خرج منه من غير مدخله و منه قيل: مرق من الدّين أيضا إذا خرج منه و (فسق) الرّجل فجر و فى بعض النّسخ قسط و هو من باب ضرب جار و عدل من الاضداد و المراد به هنا الأوّل و (وعى) الحديث وعيا من باب وعد حفظه و (حلى) الشّىء بعينى و بصدرى يحلى من باب تعب حسن عندى و أعجبنى و (راقنى) الشّىء أعجبنى و (الزّبرج) الزّينه و الذّهب.

۱- (۱) المريض وزان مجلس الغنم مأويها ليلا مصباح.

الاعراب

فاعل راعنی محذوف مدلول علیه بالفعل، و جمله و النّاس إلیّ حالیّه مبینه لهیئه المفعول و مفسّره للمستثنی المحذوف، و إلیّ متعلق بمحذوف تقدیره و النّاس رسل إلیّ و قد صرّح به فی روایه الاحتجاج، و کون الجمله مفسّره للمحذوف نظیر قوله تعالی:

«ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآیاتِ لَیَسْجُنُنَّهُ حَتّی حِینٍ ».

قال الزّمخشری فی الکشّاف: فاعل بدا مضمر لدلاله ما یفسّره علیه و هو لیسجننّه و المعنی بدا لهم بداء أی ظهر لهم رأی لیسجننّه اه، و تقدیر کلام الامام علیه السّلام علی ما ذکرنا: ما راعنی رایع إلاّ حاله أعنی کون النّاس رسلا إلیّ و الرّسل بفتحتین القطیع من الابل و الجمع أرسال مثل سبب و أسبابا و یشبه به النّاس فیقال: جاءوا أرسالا أی جماعات متتابعین، و جمله ینثالون إمّا خبر بعد خبر للنّاس، أو حال بعد حال و مجتمعین حال من فاعل ینثالون.

المعنی

اعلم انّه علیه السّلام لما ذکر خلافه المتخلّفین الثّلاثه و بیّن حال أیّام خلافتهم و أشار إلی ما ابتلی به النّاس فی تلک الأیام، شرع فی بیان کیفیّه انتقال الأمر إلیه علیه السّلام ظاهرا کما کان له باطنا و کان ذلک فی شهر ذی الحجّه یوم الجمعه بعد ما مضی من الهجره خمس و ثلاثون سنه فقال علیه السّلام (فما راعنی) رایع (إلاّ) حاله (و) هو کون (النّاس) متتابعین (إلیّ) متزاحمین (کعرف الضّبع ینثالون علیّ) یتتابعون و یکثرون القول (من کلّ جانب حتی لقد وطیء الحسنان) الحسن و الحسین صلوات اللّه علیهما من شدّه الازدحام.

و عن المرتضی (قده) انّ أبا عمر محمّد بن عبد الواحد غلام ثعلب روی فی قوله علیه السّلام وطیء الحسنان أنّهما الابهامان و انشد للشّنفر مهضومه(۱) الکشحین خرماء

۱- (۱) الهضم محرکه خمص البطن و لطف الکشح و قله انجفار الجنبین، ق.

الحسن «كذا» و روى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام إنّما كان يومئذ جالسا محتبيا و هى جلسه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المسمّاه بالقر فصاء و هى جمع الركبتين و جمع الذّيل، فلمّا اجتمعوا ليبايعوه زاحموه حتّى وطئوا ابهاميه و شقّوا ذيله بالوطى و لم يعن الحسن و الحسين عليهما السّلام و هما رجلان كساير الحاضرين.

و كيف كان فالمقصود بهذه الجمله الاشاره إلى كثره تزاحم النّاس عليه السّلام و قد أكده ثانيا بقوله:(و شقّ عطفاى) أراد بشقّ عطفيه خدش جانبيه لشدّه الاصطكاك منهم و الزّحام، أو شقّ جانبى قميصه بعلاقه المجاوره، أو جانبى ردائه، و يؤيّده الرّوايه الاخرى أعنى شقّ عطا فى كما فى بعض النسخ هذا.

و شقّهم عطفيه عليه السّلام أو عطافه إمّا لكثره فرحهم به عليه السّلام، أو جريا على ما هو عادتهم من قله مراعاه شرايط التّوقير و الأدب فى المعاشرات و المخاطبات (مجتمعين حولى كربيضه الغنم) المجتمعه فى مرابضها (فلما نهضت بالأمر) و قمت به بعد مضىّ السّنين المتطاوله (نكثت طايفه) و نقضت بيعتها، و المراد بها أصحاب الجمل و قد كان عليه السّلام يتلو وقت مبايعتهم:

«فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ ».

(و مرقت) طايفه (اخرى) أى خرجت من الدّين كمروق السّهم من الرّميه، و المراد بها أصحاب النهروان (و فسق آخرون) بخروجهم على الامام العادل و تعدّيهم عن سنن الحقّ، و هم معاويه و أتباعهم، و فى بعض النّسخ و قسط آخرون أى جاروا فى حقّ أمير المؤمنين و ظلموا آل محمّد عليهم السلام حقّهم، و تسميتهم بالقاسطين كتسميه الأوليين بالنّاكثين و المارقين ممّا سبقت من النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند إخباره عليه السّلام بالملاحم و الوقايع التى تكون بعده صلوات اللّه عليه.

روى فى غايه المرام من أمالى الشّيخ باسناده عن المفضل بن عمر بن أبى عبد اللّه الصّادق عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال: بلغ امّ سلمه زوج النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّ مولى لها ينتقض عليّا عليه السّلام و يتناوله، فأرسلت إليه فلمّا صار إليها قالت له:

يا بنىّ بلغنى أنّک تنقص عليّا و تتناوله؟ قال: نعم يا أمّاه، قالت له: اقعد ثكلتک امّک حتّى أحدّثک بحديث سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، ثمّ اختر لنفسک.

إنّا كنّا عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليله تسع نسوه و كانت ليلتى و يومى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول اللّه؟ قال: لا، فكبوت كبوه شديده مخافه أن يكون ردّنى من سخطه أو نزل فىّ شىء من السّمآء.

ثم البث «كذا» حتّى أتيت الباب الثّانى فقلت: أدخل يا رسول اللّه؟ فقال: لا، فكبوت كبوه أشدّ من الاولى ثم البث «كذا» حتّى أتيت الباب الثالث فقلت: أدخل يا رسول اللّه؟ فقال: ادخلى يا امّ سلمه فدخلت و علىّ عليه السّلام جالس بين يديه و هو يقول: فداک أبى و امّى يا رسول اللّه إذا كان كذا و كذا فما تأمرنى؟ قال: آمرك بالصّبر، ثمّ أعاد عليه القول ثانيه فأمره بالصّبر، فأعاد عليه القول الثالثه فقال له: يا علىّ يا أخى إذا كان ذلک منهم فسلّ سيفک وضعه على عاتقک و اضرب قدما حتّى تلقانى و سيفک شاهر يقطر من دمائهم.

ثمّ التفت صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلىّ فقال لىّ تاللّه ما هذه الكأبه يا أمّ سلمه؟ قلت: الذى كان من ردّک إيّاى يا رسول اللّه، فقال لى: و اللّه ما رددتک من وجوده و إنّک لعلى خير من اللّه و رسوله، و لكن أتيتنى و جبرائيل يخبرنى بالأحداث التى تكون بعدى فأمرنى أن اوصى بذلک عليّا.

يا امّ سلمه اسمعى و اشهدى هذا علىّ بن أبى طالب أخى فى الدّنيا و أخى فى الآخره.

يا امّ سلمه اسمعى و اشهدى هذا علىّ بن أبى طالب حامل لوائى فى الدّنيا و حامل لواء الحمد غدا فى القيامه.

يا امّ سلمه اسمعى و اشهدى هذا علىّ بن أبى طالب وصيّى و خليفتى من بعدى و قاضى عداتى و الذّائد عن حوضى.

يا امّ سلمه اسمعى و اشهدى هذا علىّ بن أبى طالب سيّد المسلمين و إمام

المتقين و قائد العزّ المحجلين و قاتل النّاكثين و القاسطين و المارقين، قلت:

يا رسول اللّه من النّاكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينه و ينكثون بالبصره، قلت:

من القاسطون؟ قال: معاويه و أصحابه من أهل الشّام، قلت: من المارقون؟ قال:

أصحاب النّهروان، فقال مولى امّ سلمه فرّجت عنى فرّج اللّه عنك و اللّه لا سببت عليّا أبدا، هذا.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره يأتى فى مواقعها إنشاء اللّه،ثم انّه عليه السّلام شدّد النكير على الجماعه فى مخالفتهم له و إعراضهم عنه بقوله:(كانّهم لم يسمعوا اللّه تعالى يقول: تلك الدّار الآخره نجعلها للّذين لا يريدون علوّا فى الأرض و لا فسادا و العاقبه للمتقين)لما كانت الآيه داله على كون استحقاق الآخره معلقا على عدم إراده العلوّ و الفساد كان اللاّزم على من سمعها و تدبر فيها إن كان ذا عقل أن لا يريدهما، و هؤلاء الجماعه لما علوا فى الأرض و أفسدوا فيها و خالفوا الامام العادل و تركوا متابعته لا جرم شبّههم بمن لم يسمعها لما ذكرنا من أن لازمه السّماع ترك إرادتهما.

ثمّ دفع توهم الاعتذار عنهم بعدم السّماع لو اعتذر به بقوله:(بلى و اللّه لقد سمعوها و وعوها) مؤكدا بالقسم و اللاّم و كلمه التّحقيق، ثمّ استدرك ذلك بالاشاره إلى سرّ عدم حصول ثمره السّماع بعد حصول نفسه بقوله:(و لكنّهم حليت الدّنيا فى أعينهم وراقهم زبرجها) فكان ذلك هو المانع عن ترتّب ثمره السّماع عليه و الباعث على إعراضهم عن الدّار الآخره و السّبب لاشترائهم الضّلاله بالهدى و لسعيهم فى الأرض بالعلوّ و الفساد.

و حاصل الكلام أنّ سماع الآيه مقتض لعدم إراده العلوّ و الفساد و يترتّب عليه مقتضاه لو لم يصادف وجود المانع، و أمّا مع المصادفه له كما فى حقّ هؤلاء الجماعه حيث افتتنوا بالدنّيا و أعجبهم ذهبا و زينتها فيبقى المقتضى على اقتضائه و لا يترتّب عليه آثاره هذا.

و الضّماير الأربعه فى قوله: و لكنّهم، و لم يسمعوا، و سمعوا، و وعوا إمّا،

ص:۱۰۶

راجعه إلى الطوايف الثلاث: النّاكثين و المارقين و القاسطين و هو الأقرب لفظا و الانسب معنى و الأظهر لمن تدبّر، أو إلى الخلفاء الثلاثه على ما استظهره المحدّث المجلس (قده) معلّلا بأنّ الغرض من الخطبه ذكرهم لا الطوايف، و بأنّه المناسب لما بعد الآيه لا سيّما فى سمعوها، و وعوها، ضمير الجمع.

بقى الكلام فى معنى الآيه الشّريفه و بعض ما تضمّنها من النكات و اللطايف فأقول: المشار إليها فى الآيه هى الجنّه، و الاشاره إلى التعظيم و التفخيم، يعنى تلك التى سمعت بذكرها و بلغك وصفها، و المراد بالعلوّ فى الأرض هو التّجبر و التكبّر على عباد اللّه و الاستكبار عن عباده اللّه، و بالفساد الدّعاء إلى عباده غير اللّه أو أخذ المال و قتل النّفس بغير حقّ أو العمل بالمعاصى.

و روى فى مجمع البيان عن راوان(۱) عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه كان يمشى فى الأسواق وحده و هو دالّ يرشد الضّال و يعين الضّعيف و يمرّ بالبيّاع و البقال فيفتح عليه القرآن و يقرأ: تلك الدّار الآخره نجعلها للّذين لا يريدون علوّا فى الأرض و لا فسادا، و يقول: نزلت هذه الآيه فى أهل العدل و التّواضع من الولاه و أهل القدره من ساير النّاس.

و فى غايه المرام عن أبى الحسن الفقيه ابن المغازلى الشّافعى فى مناقبه باسناده عن زاوان أيضا قال: رأيت عليّا عليه السّلام يمسك الشّسوع بيده ثمّ يمرّ فى الأسواق فيناول الرّجل الشّسع و يرشد الضّالّ و يعين الحمّال على الحموله و يقرأ هذه الآيه:

تلك الدّار الآخره الآيه، ثمّ يقول: هذه الآيه نزلت فى الولاه و ذوى القدره من النّاس.

و فى مجمع البيان عن أبى سلام الأعرج عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: إنّ الرّجل ليعجبه شراك نعله فيدخل فى هذه الآيه، و قريب منه ما فى الكشّاف، قال الطبرسى: يعنى انّ من تكبّر على غيره بلباس يعجبه فهو ممّن يريد علوّا فى الأرض و قيل: إنّ الآيه لما كانت بعد قصّه قارون و قبل قصّه فرعون، كان العلوّ إشاره

۱- (۱) كذا فى النسخه فى المقامين و الصحيح «زاذان» بالزاء و الذال المعجمتين كان من خواص امير - المؤمنين «عليه السلام» و كان حافظا للقرآن باعرابه و همزه بعد ما تكلم على «عليه السلام» بكلام فى اذنه، و تفل فى فيه. «المصحح».

إلى كفر فوعون لقوله تعالى:

«عَلا فِى الْأَرْضِ » و الفساد إلى بغى قارون لقوله: «وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِى الْأَرْضِ ».

ففى كلام الامام عليه السّلام يحتمل كون الأوّل إشاره إلى الأوّلين و الثّانى إلى الثّالث أو الجميع اليهم جميعا، و على ما استظهرناه فالأظهر كون الأوّل إشاره إلى طلحه و زبير و أتباعهما و معاويه و أصحابه و الثّانى إلى أصحاب النّهروان، و يحتمل الاشاره فيهما إلى جميعهم هذا.

و بقى هنا شىء و هو أنّه سبحانه لم يعلق الموعد فى الآيه الشريفه بترك العلوّ و الفساد لكن بترك إرادتهما و ميل القلوب إليهما كما علق الوعيد بالرّكون فى قوله:

«وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ ».

فيدلّ على قبح إراده السّوء و كونها معصيه و يستفاد ذلك أيضا من قوله سبحانه:

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » و قوله: «إِنْ تُبْدُوا ما فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللّهُ ».

و هو المستفاد من الأخبار المستفيضه مثل قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّما يحشر النّاس على نيّاتهم، و قوله صلّى اللّه عليه و آله: و سلّم: نيه الكافر شرّ من عمله، و ما ورد من تعليل خلود أهل النّار فيها و أهل الجنّه فى الجنّه بعزم كلّ منهما على الثّبات على ما كانوا عليه من المعصيه و الطاعه لو كانوا مخلدين فى الدّنيا إلى غير هذه ممّا رواها المحدّث الشيخ الحرّ فى أوائل الوسائل، و إلى ذلک ذهب جمع من الأصحاب منهم العلامه و ابن إدريس و صاحب المدارك و شيخنا البهائى و المحقّق الطوسى فى التّجريد، إلاّ أنّ المستفاد من الأخبار الاخر هو العفو عن نيّه السّوء و أنّها لا تكتب و هى كثيره أيضا رواها فى الوسائل، و هو مذهب شيخنا الشّهيد فى القواعد، قال فى محكى كلامه:

ص:١٠٨

لا يؤثر نيّه المعصيه عقابا و لا ذماما لم يتلبس بها و هو ممّا ثبت فى الأخبار العفو عنه انتهى.

و قد جمع شيخنا العلامه الأنصارى طاب رمسه بينهما، بحمل الأدله الاول على من اشتغل بعد القصد ببعض المقدمات، و الثّانيه على من اكتفى بمجرّد القصد أو حمل الأوّل على من بقى على قصده حتّى عجز عن الفعل لا باختياره، و حمل الآخر على من ارتدع عن قصده بنفسه.

و ربّما يجمع بينها بحمل أخبار العفو على نيّه المسلم و أخبار العقوبه على نيّه الكافر، أو حمل النّفى على عقوبه الآخره و الاثبات على عقوبه الدّنيا، أو حمل النّفى على فعليّه العقاب و الاثبات على الاستحقاق، أو حمل النّفى على عقوبه السّيئه التى همّ بها فلا يكون عقوبه القصد كعقوبه العمل و حمل أخبار العقوبه على ثبوتها فى الجمله، إلى غير هذه من المحامل ممّا لا يخفى على الفطن العارف، و اللّه العالم بحقايق أحكامه

الترجمه

پس تعجب نیاورد مرا تعجب آورنده مگر حالت پیاپی آمدن مردم بسوی من بجهت عقد بیعت مثل یال کفتار در حالتی که تزاحم می کردند بر من از هر طرف حتی این که بتحقیق پایمال گردانیده شدند حسن و حسین علیهما السّلام و شکافته شد دو طرف پیراهن من یا عبای من از کثرت ازدحام در حالتی که مجتمع بودند گردا گرد من مثل گلۀ گوسفند، پس زمانی که برخاستم بامر خلافت شکستند طایفۀ عهد بیعت مرا، و خارج شدند طایفۀ دیگر از جادۀ شریعت مثل خروج تیر از کمان، و فاسق شدند طایفۀ سیم گویا نشنیده اند آنها خداوند تعالی را که می فرماید در قرآن مجید خود، که این دار آخرت است می گردانیم آن را بجهت کسانی که اراده نمی کنند بلندی را در زمین و نه فساد و فتنه را و عاقبت بخیر متقین و پرهیزکاران راست، بلی بخدا قسم که بیقین شنیده اید این آیه را و حفظ کرده اند آنرا و لکن زینت داده شده است دنیا در نظر آن ها و تعجب آورده است زینت و زر دنیای فانی ایشان را.

ص:۱۰۹

الفصل السادس

اشاره

أما و الّذى فلق الحبّه و برأ النّسمه لو لا حضور الحاضر، و قيام الحجه بوجود النّاصر، و ما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقارّوا على كظّه ظالم، و لا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، و لسقيت آخرها بكأس أوّلها، و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطه عنز.

اللغه

(الفلق) الشق قال تعالى: فالق الحبّ و النّوى (و برء) أى خلق قيل: و قلّما يستعمل فى غير الانسان و (النسمه) محرّكه الانسان أو النفس و الرّوح، و قد يستعمل فيما عدا الانسان و (قارّه) مقارّه قرّ معه و قيل إقرار كلّ واحد صاحبه على الأمر و تراضيهما به و (الكظه) ما يعترى الانسان من الامتلاء من الطعام و (السغب) بالتّحريك الجوع و (الغارب) أعلى كتف النّاقه و (الزّهد) خلاف الرّغبه و الزّهيد القليل و (العفطه) قال ابن الأثير: الضّرطه، و قال الشّارح المعتزلى: عفطه عنز ما تنثره من أنفها و أكثر ما يستعمل ذلك فى النعجه، فأما العنز فالمستعمل الأشهر فيها النفطه بالنون و يقولون: ما له عافط و لا نافط أى نعجه و لا عنز، ثم قال:

فان قيل أ يجوز أن يقال العفطه هنا الحبقه(۱) فان ذلك يقال فى العنز خاصّه عفطت(۲) تعفط.

قيل ذلك جايز إلّا أن الأحسن و الأليق بكلام أمير المؤمنين عليه السّلام التّفسير الأوّل، فانّ جلالته و سودده يقتضى أن يكون ذلك أراد لا الثانى فان صحّ أنّه لا يقال فى العطسه عفطه إلّا للنعجه، قلنا إنّه عليه السّلام استعمله فى العنز مجازا.

ص:۱۱۰

۱- (۱) الحبقه الضرطه ق.

۲- (۲) اى ضرطت ق.

الاعراب

کلمه ما فی قوله: و ما أخذ اللّه مصدريّه و الجمله فی تأويل المصدر معطوفه على الحضور أو موصوله و العائد محذوف و على الأوّل فجمله أن لا يقارّوا فی محل النّصب مفعولا لاخذ، و على الثّانی بيان لما أخذه اللّه بتقدير حرف جرّ أو نفس أن تفسيريّه على حدّ قوله تعالى:

«وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ » و قوله: «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا » على ما ذهب اليه بعضهم، و يحتمل أن يكون بدلا أو عطف بيان.

المعنى

لما ذکر عليه السّلام حاله مع القوم و حالهم معه من غصب الأوّل للخلافه و إدلائه بها بعده إلى الثانی و جعله لها بعده شورى و إقرانه له عليه السّلام إلى النّظاير المذكورين و انتهائها إلى ثالث القوم و نبّه على خلاف النّاكثين و القاسطين و المارقين له عليه السّلام بعد قبوله الخلافه و نهوضها، أردف ذلک کله ببيان العذر الحامل له على قبول هذا الأمر بعد عدوله عنه إلى هذه الغايه و قدم على ذلک شاهد صدق على دعواه بتصدير كلامه بالقسم العظيم فقال:

(أمّا و الذى فلق الحبّه) أی شقّها و أخرج النّبات منها بقدرته الكامله (و برء النّسمه) أی خلق الانسان و أنشأه بحكمته التّامه الجامعه (لو لا حضور الحاضر) للبيعه من الأنصار و المهاجر أو حضور الوقت الذى وقّته رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لقيامه بالنّواهی و الأوامر (و قيام الحجّه) عليه عليه السّلام (بوجود النّاصر) و المعين (و) لو لا (ما أخذ) ه (اللّه على العلماء) أی الأئمه عليهم السّلام أو الأعم من (أن لا يقارّوا) و لا يتراضوا و لا يسكنوا(على كظه ظالم)و بطنته(و لا سغب مظلوم)وجوعه و تعبه، و الكظه كنايه عن قوّه ظلم الظالم و السغب كنايه عن شدّه مظلوميّه المظلوم و المقصود أنّه لو لا أخذ اللّه على أئمه العدل و عهده عليهم عدم جواز سكوتهم على المنكرات عند التمكن و القدره(لألقيت حبلها)أی زمام الخلافه(على غاربها)شبّه الخلافه بالنّاقه التی يتركها راعيها لترعى حيث تشاء و لا يبالی من يأخذها

و ما یصیبها، و ذکر المغارب و هو ما بین السّنام و العنق تخییل و القاء الحبل ترشیح (و لسقیت آخرها بکاس أولها) أی ترکتها آخرا کما ترکتها أوّلا و خلیت النّاس یشربون من کأس الحیره و الجهاله بعد عثمان و یعمهون فی سکرتهم کما شربوا فی زمن الثلاثه (و لألفیتم دنیاکم هذه) التی رغبتم فیها و تمکن حبها فی قلوبکم (أزهد عندی) و أهون (من عفطه عنز) أی ضرطتها أو عطستها.

الترجمه

آگاه باش ای طالب منهج قویم و سالک صراط مستقیم، قسم بآن خداوندی که دانه را شکافت بقدرت کامله و انسان را خلق فرمود بحکمت بالغه، اگر نمی بود حضور حاضرین از برای بیعت و قائم شدن حجت بر من بجهت وجود یاری کنندگان و آن چیزی که اخذ فرمود آن را خداوند بر علماء که قرار ندهند با یکدیگر و راضی نشوند بر امتلاء ستمکار و نه بر گرسنگی ستم رسیده، هر آینه می انداختم افسار خلافت را بر کوهان آن و هر آینه سیراب می کردم آخر خلافت را با جام اول آن، و هر آینه می یافتید دنیای خودتان را که بآن می نازید و دین خود را که در طلب آن می بازید، بی مقدارتر در نزد من از جیفهٔ ب ز یا از عطسه آن

الفصل السابع

اشاره

قالوا: و قام إلیه رجل من أهل السّواد عند بلوغه إلی هذا الموضع من خطبته فناوله کتابا فأقبل ینظر فیه، فلمّا فرغ من قراءته قال له ابن عبّاس رحمه اللّه: یا أمیر المؤمنین لو اطّردت مقالتک من حیث أفضیت، فقال: هیهات یابن عبّاس تلک شقشقه هدرت ثمّ قرّت، قال ابن عبّاس: فو اللّه ما أسفت علی کلام قطّ کأسفی علی هذا الکلام ألاّ یکون أمیر المؤمنین علیه السّلام بلغ منه حیث أراد.

اللغه

(أهل السّواد) ساكنو القرى و تسمّى القرى سوادا لخضرتها بالزّرع و النّبات و الاشجار و العرب تسمى الاخضر أسود و (ناوله) أعطاه و (الاطراد) هو الجرى يقال: اطرد الأمر أى تبع بعضه بعضا و جرى بعضه أثر بعض، و نهران يطردان أى يجريان و (الافضاء) الانتهاء قال الشّارح المعتزلى:أصله خروج إلى الفضاء فكأنّه شبهه حيث سكت عليه السّلام عما كان يقول بمن خرج من خباء أو جدار إلى فضاء من الأرض، و ذلك لأنّ النفس و القوى و الهمه عند ارتجال الخطب و الاشعار تجتمع إلى القلب، فاذا قطع الانسان و فرغ تفرقت و خرجت عن حجر الاجتماع و استراحت و (الشقشقه) بالكسر شيء كالرّيه يخرجه البعير من فيه إذا هاج، و يقال للخطيب ذو شقشقه تشبيها له بالفحل و (هدير) الجمل ترديده الصّوت فى حنجرته.

الاعراب

كلمه لو لا- إما للتمنّى أو الجواب محذوف أى لكان حسنا، و المقاله إما مرفوعه على الفاعليّه لو كان اطردت بصيغه المؤنث الغايب من باب الافتعال، أو منصوبه على المفعوليه لو كان بصيغه الخطاب من باب الافعال أو الافتعال أيضا.

المعنى

(قالوا و قام إليه رجل من أهل السواد) قيل: إنه كان من أهل سواد العراق (عند بلوغه عليه السّلام إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا) و أعطاه (فأقبل) إليه و كان (ينظر فيه فلما فرغ) عليه السّلام (من قراءته) و أجاب الرّجل بما أراد حسبما نشير إليه (قال له ابن عباس رحمه اللّه: يا أمير المؤمنين لو اطّردت) أى جرت (مقالتك من حيث أفضيت) و انتهيت لكان حسنا(فقال عليه السّلام: هيهات يابن عبّاس تلك شقشقه هدرت ثمّ قرّت)و سكنت.

شبّه عليه السّلام نفسه بالفحل الهادر فاستعار لخطبته لفظ الشّقشقه التى من خواص الفحل قيل: فى الكلام إشعار بقلّه الاعتناء بمثل هذا الكلام إمّا لعدم التأثير فى السّامعين كما ينبغى، أو لقلّه الاهتمام بأمر الخلافه من حيث إنّها سلطنه، أو للاشعار

بانقضاء مدّته، فانّها كانت فى قرب شـهادته، أو لنوع من التّقيه أو لغيرها (قال ابن عبّاس: فو اللّه ما أسفت على كلام قط كاسفى) و حزنى (على هذا الكلام ألاّ يكون أمير المؤمنين عليه السّـلام بلغ منه حيث أراد) قال الشّارح المعتزلى: حدّثنى شيخى أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطى، قال قرأت على الشّيخ أبى محمّد عبد اللّه بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبه، فلمّا انتهيت إلى هذا الموضع قال لى: لو سمعت ابن عبّاس يقول هذا لقلت له:

و هل بقى فى نفس ابن عمّك أمر لم يبلغه فهذه الخطبه لتتأسّف أن لا يكون بلغ من كلامه ما أراد؟ و اللّه ما رجع عن الأوّلين و لا عن الآخرين و لا بقى فى نفسه أحد لم يذكره إلاّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و بقى الكلام فى الكتاب الـذى ناوله الرّجل فأقول روى الشّارح البحرانى و المحـدّث الجزايرى و غيره عن أبى الحسن الكندرى (ره) أنّه قال: وجدت فى الكتب القديمه أنّ الكتاب الذى دفعه الرّجل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام كان فيه عدّه مسائل إحداها ما الحيوان الذى خرج من بطن حيوان آخر و ليس بينهما نسب؟ فأجاب عليه السّلام بأنه يونس عليه السّلام خرج من بطن حوت.

الثانيه ما الشىء الذى قليله مباح و كثيره حرام؟ فقال عليه السّلام: هو نهر طالوت لقوله تعالى: إلاّ من اغترف غرفه بيده.

الثالثه ما العباده التى إن فعلها أحد استحقّ العقوبه و إن لم يفعلها أيضا استحقّ العقوبه؟ فأجاب عليه السّلام بأنّها صلاه السكارى.

الرابعه ما الطائر الذى لا فرخ له و لا فرع و لا أصل؟ فقال عليه السّلام: هو طاير عيسى عليه السّلام فى قوله:

«وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَهِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى ».

الخامسه رجل عليه من الدّين ألف درهم و له فى كيسه ألف درهم فضمنه ضامن

ص:۱۱۴

بـألف درهم فحـال عليه الحول فالزّكـاه على أىّ المـالين تجب؟ فقال عليه السّـلام: إن ضـمن الضّامن باجازه من عليه الـدّين فلا يكون عليه، و إن ضمنه من غير إذنه فالزّكاه مفروضه فى ماله.

السّادسه حـجّ جماعه و نزلوا فى دار من دور مكّه و تركوا فيها ثيابهم و اغلق واحد منهم باب الدّار و فيها حمام فمتن من العطش قبـل عـودهم إلى الـدّار فـالجزاء على أيّهم يجبّ؟ فقـال عليه السّـلام: على الـذى أغلق البـاب و لم يخرجهنّ و لم يضع لهنّ مـاء السّابعه شهد شهداء أربعه على محصن بالزّنا فأمرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلاثه الباقين و وافقهم قوم أجانب فى الرّجم فرجع من رجمه عن شهادته و المرجوم لم يمت ثمّ مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديته؟ فقال عليه السّلام: يجب على من رجمه من الشّهود و من وافقه.

الثّامنه شـهد شاهدان من اليهود على يهودى أنّه أسـلم فهل يقبل شـهادتهما؟ فقال عليه السّلام: لا تقبل شهادتهما لأنّهما يجوّز ان تغيير كلام اللّه و شهاده الزّور.

التّاسـعه شـهد شاهـدان من النّصارى على نصارى أو مجوسـى أو يهودى أنّه أسـلم؟ فقال عليه السّـلام: تقبل شـهادتهما لقول اللّه سبحانه:

«وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّهً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنّا نَصارى » الآيه و من لا يستكبر عن عباده اللّه لا يشهد شهاده الزّور.

العاشـره قطع إنسان يـد آخر فحضـر أربعه شـهود عنـد الامام و شـهدوا على من قطع يـده و أنّه زنى و أنّه محصن فأراد الامام أن يرجمه فمات قبل الرّجم بقطع يـده على القاطع ديه القطع أو ديه النّفس؟ فقال عليه السّـلام: على من قطع يده ديه القطع حسب و لو شهدوا أنّه سرق نصابا لم يجب ديه يده على قاطعها، و اللّه أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب.

الترجمه

راويان گويند برخاست بسوى آن حضرت مردى از اهل سواد كوفه نزد

ص:۱۱۵

رسیدن او باین موضع از خطبهٔ خود پس داد او را نوشتهٔ پس روی آورد و نظر می فرمود بسوی آن، پس چون فارغ شد از خواندن آن کتاب عرض کرد خدمت آن حضرت عبد اللّه بن عبّاس رحمه اللّه ای امیر مؤمنان و مقتدای عالمیان اگر جاری می فرمودی کلام بلاغت نظام خود را از آنجا که باقی مانده بود هر آینه خوب بود، پس آن حضرت فرمود چه دور است آن حالت نسبت باین حالت ای ابن عباس این مانند شقشقهٔ شتر بود که نزد هیجان نفس و اشتغال آن با صورت و غرّیدن از دهن بیرون آمد بعد از آن قرار گرفت و ساکن شد، گفت عبد اللّه بن عباس بخدا قسم که تأسف نخوردم بر هیچ کلامی هرگز در مدت عمر خود چون تأسف خوردن خود بر این کلام که نشد أمیر المؤمنین علیه السّلام برسد از آن کلام بجائی که اراده کرده بود.

و من خطبه له علیه السلام (بعد مقتل طلحه و الزبیر خ)

اشاره

و هی الخطبه الرابعه

خطب بها أمیر المؤمنین علیه السّلام بعد قتل طلحه و الزّبیر کما فی شرح البحرانی و المعتزلی و زاد فی الأخیر مخاطبا بها لهما و لغیرهما من أمثالهما و فیه أیضا هذه الکلمات و الأمثال ملتقطه من خطبه طویله منسوبه إلیه قد زاد فیها قوم أشیاء حملتهم علیها أهوائهم لا یوافق ألفاظها طریقته علیه السّلام فی الخطب و لا تناسب فصاحتها فصاحته و لا حاجه إلی ذکرها فهی شهیره، و فی البحار قال القطب الرّاوندی: أخبرنا بهذه جماعه عن جعفر الدّوریستی عن أبیه محمّد بن العباس عن محمّد بن علیّ بن موسی عن محمّد بن علیّ الاسترابادی عن علیّ بن محمّد بن سیار عن أبیه عن الحسن العسکری عن آبائه عن أمیر المؤمنین علیهم السّلام و هذا ما ظفرت بعد إلی تلک الخطبه التقطت هذه منها علی ما ذکره الشّارح المعتزلی، نعم رواها فی کتاب الارشاد للمفید (ره) بادنی تغییر و اختلاف، قال: من کلامه علیه السّلام حین قتل طلحه و انقض أهل البصره:

بنا تسنّمتم الشّرف، و بنا انفجرتم عن السّرار، و بنا اهتدیتم فی الظلماء، و قر سمع لم یفقه الواعیه، کیف یراعی النّبأه من أصمّته الصّیحه، ربط جنان لم یفارقه

ص:۱۱۶

الخفقان، ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر، و أتوسّمكم بحليه المغترين، سترنى عنكم جلباب الدّين و بصرنيكم صدق النيه أقمت لكم الحقّ حيث تعرفون و لا دليل و تحتقرون و لا تميهون، اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان، عزب فهم امرء تخلّف عنّى، ما شككت فى الحقّ منذ رأيته، كان بنو يعقوب على المحجّه العظمى حتى عقّوا آبائهم و باعوا أخاهم، و بعد الاقرار كانت توبتهم، و باستغفار أبيهم و أخيهم غفر لهم هذا، و شرح ما ذكره الرضى قدّس سرّه فى ضمن فصلين.

الفصل الاول

اشاره

بنا اهتديتم فى الظّلمآء، و تسنّمتم العلياء، و بنا انفجرتم عن السّرار، و قر سمع لم يفقه الواعيه، و كيف يراعى النّبأه من أصمّته الصّيحه، ربط جنان لم يفارقه الخفقان، ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر، و أتوسّمكم بحليه المغترّين، سترنى عنكم جلباب الدّين، و بصّرنيكم صدق النّيّه.

اللغه

(الظلماء) كصحراء الظلمه و قد تستعمل و صفا يقال ليله ظلماء أى شديده الظلمه و (التّسنّم) هو العلوّ و أصله ركوب السّنام و (العلياء) كصحراء أيضا السّماء و رأس الجبل و المكان العالى و كلّ ما علا من شىء و الفعله العاليه المتضمنه للرفعه و الشّرف و (انفجرتم) أى دخلتم فى الفجر و (السّرار) اللّيله و اللّيلتان يستتر فيهما القمر فى آخر الشهر و روى أفجرتم قال الشّارح المعتزلى: و هو أفصح و أصحّ لان انفعل لا يكون إلاّ لتطاوع فعل نحو كسرته فانكسر و حطمته فانحطم إلاّ ما شذّ من قولهم: غلقت الباب فانغلق، و أزعجته فانزعج، و أيضا فانّه لا يكون إلاّ حيث يكون علاج و تأثير نحو انكسروا نحطم و لهذا قالوا: إنّ قولهم: انعدم خطاء، و أمّا افعل فيجىء لصيروره الشىء على حال و أمر نحو أغدّ البعير أى صار ذاغدّه و أجرب

ص:١١٧

الرّجل إذا صار ذا إبل جربى و غير ذلك و أفجرتم أى صرتم ذوى فجر و (الوقر) ثقل فى الأذن أو ذهاب السّمع كله، و قد وقر كوعد و وجل و مصدره وقر بالسكون و القياس بالتّحريك و وقر كعنى أيضا و وقرها اللّه يقرها.

و (الواعيه) الصّراخ و الصّوت كما فى القاموس لا الصّارفه كما ذكره الشّارح البحرانى و المعتزلى تبعا للجوهرى، و فى القاموس أنّه وهم، و عن الاساس ارتفعت الواعيه أى الصّراخ و الصّوت، و فى الاقيانوس سمعت واعيه القوم أى أصواتهم و (النبأه) الصّوت الخفى و (خفقت) الرّايه كحسب خفقا و خفقانا محرّكه اضطربت و تحركت و (توسّم) الشىء تفرسه و تخيّله و المتوسّم النّاظر فى السّمه الدّاله و هى العلامه و توسم فيه الخير أو الشرّ أى عرف سمه ذلك و (الجلباب) بفتح الجيم و كسرها القميص و فى المصباح ثوب أوسع من الخمار و دون الرّداء و قال ابن فارس: الجلباب ما يغطى به من ثوب و غيره و الجمع الجلابيب.

الاعراب

الباء فى قوله عليه السّلام بنا للسّببيه، و كلمه عن فى قوله عن السرار على حقيقتها الأصليّه و هى المجاوزه أى منتقلين عن السّرار و متجاوزين له، و وقر بفتح الواو و ضمّها على صيغه المعلوم أو المجهول و سمع فاعله على الأوّل و على الثّانى الفاعل هو اللّه.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه من أفصح كلامه عليه السّلام و هى على و جازتها متضمّنه لمطالب شريفه و نكات لطيفه، و مشتمله على مقاصد عاليه و إن لاحظتها بعين البصيره و الاعتبار وجدت كلّ فقره منها مفيده بالاستقلال مطابقه لما اقتضاه المقام و الحال و سيجىء الاشاره إلى بعض ذلك حسب ما ساعدته الوقت و المجال إنشاء اللّه.

فاقول قوله:(بنا اهتديتم فى الظلماء) أى بآل محمّد عليهم السلام اهتديتم فى ظلمات الجهل، و الخطاب لأهل البصره و غيرهم من طلحه و زبير و ساير حاضرى الوقت و هو جار فى حقّ الجميع و فيه إشاره إلى كونهم عليهم السّلام سبب هدايه الأنام فى الغياهب و الظلام، و لمّا كان الظلمه عباره عن عدم الضّوء عمّا من شأنه أن يكون

مضـيئا فتقابل النّور تقابل العدم للملكه على ما ذهب إليه محقّقو المتكلّمين و الفلاسفه، أو عباره عن كيفيّه وجوديّه تقابل التّضاد كما ذهب إليه آخرون و هو الأظهر نظرا إلى أنّها على الأوّل لا تكون شـيئا لأنّها عدم و كيف ذلك و اللّه سبحانه خالقها، و على أيّ تقـدير كـان قوله دالاّـ بالمطابقه على كونهم الهـداه إلى سبيل النجاه فى المـدلهمات و الظلمات، و بالالتزام على كونهم نورا مضيئا و قمرا منيرا إذ الاهتداء فى الظلمه لا يكون إلاّ بالنّور الظاهر فى ذاته المظهر لغيره.

أمّا المدلول المطابقى فقد اشير إليه فى غير واحده من الآيات الكريمه و صرّح به فى الأخبار البالغه حدّ التّظافر بل التّواتر.

منها ما رواه فى الكافى باسناده عن عبد اللّه بن سنان قال سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ » قال: هم الأئمه صلوات اللّه عليهم.

و منها ما فى تفسير علىّ بن إبراهيم فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى:

«أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » فأمّا من يهدى إلى الحقّ فهو محمّد صلّى اللّه عليه و آل محمّـد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من بعـده، و أما من لا يهـدى إلا أن يهـدى فهو من خالف من قريش و غيرهم أهل بيته من بعده.

و منها ما فى البحار من تفسير العيّاشىّ بإسناده عن المعلّى بن خنيس عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله تعالى:

«وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّهِ » قال عليه السّلام هو من يتّخذ دينه برأيه بغير هدى إمام من اللّه من أئمه الهدى.

و منها ما فی البحار أیضا من کنز جامع الفوائد و تأویل الآیات بالاسناد عن عیسی بن داود النّجار عن أبی الحسن موسی بن جعفر علیهما السّلام أنّه سأل أباه عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی » قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أیّها النّاس اتّبعوا هدی اللّه تهتدوا و ترشدوا و هو هدی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فمن اتّبع هداه فی حیاتی و بعد موتی فقد اتّبع هدای و من اتبع هدای فقد اتّبع هدی اللّه فلا یضلّ و لا یشقی، إلی غیر هذه ممّا لا نطیل بذکرها.

و أما المدلول الالتزامی و هو کونهم علیهم السّلام أنوارا یستضاء بها فی اللیله الظلماء و نجوما یهتدی بها فی غیاهب الدّجی فقد اشیر إلیه فی قوله سبحانه و تعالی:

«فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِی أَنْزَلْنا » روی علیّ بن إبراهیم فی تفسیره عن علیّ بن الحسین عن البرقیّ عن ابن محبوب عن أبی أیّوب عن أبی خالد الکابلی قال سألت أبا جعفر علیه السّلام عن هذه الآیه فقال: یا أبا خالد النّور و اللّه الأئمه من آل محمّد إلی یوم القیامه هم و اللّه نور اللّه الذی انزل و هم و اللّه نور اللّه فی السّماوات و الأرض، و اللّه یا أبا خالد لنور الامام فی قلوب المؤمنین أنور من الشّمس المضیئه بالنّهار و هم و اللّه ینوّرون قلوب المؤمنین و یحجب اللّه نورهم عمّن یشاء فتظلم قلوبهم، و اللّه یا أبا خالد لا یحبّنا عبد و یتولّانا حتّی یطهّر اللّه قلبه و لا یطهّر اللّه قلب عبد حتّی یسلم لنا و یکون سلما لنا فإذا کان سلما سلمه اللّه من شدید الحساب و آمنه من فزع یوم القیامه الأکبر.

و قال الصادق علیه السّلام فی مرویّ العیّاشی إنّ اللّه قال فی کتابه:

«اَللّهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ وَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَوْلِیاؤُهُمُ الطّاغُوتُ یُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَی الظُّلُماتِ » فالنّورهم آل محمّد علیهم السّلام و الظلمات عدوّهم.

و فى البحار من تفسير فرات بن إبراهيم عن جعفر بن محمّد الفزارى معنعنا عن ابن عبّاس فى قول اللّه تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ » قال: الحسن و الحسين عليهما السّلام «وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ » قال: أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و فى تفسير علىّ بن إبراهيم فى قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِى ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ » قال: النّجوم آل محمّد عليه و عليهم السّلام.

و فيه أيضا عن عبد الرّحمان بن محمّد العلوى بإسناده عن عكرمه، و سئل عن قول اللّه تعالى:

«وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها وَ النَّهارِ إِذا جَلّاها وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشاها » قال: الشّمس و ضحيها هو محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و القمر إذا تليها أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، و النّهار إذا جلّيها آل محمّد الحسن و الحسين عليهما السّلام، و الليل إذا يغشيها بنو اميّه.

و فى البحار من تفسير العيّاشىّ عن معلّى بن خنيس عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله تعالى:

«وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ »

ص:١٢١

قال: هو أمير المؤمنين عليه السّلام، و فيه من المناقب لابن شهر آشوب عن أبى الورد عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله:

«وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ » قال: نحن النّجم إلى غير هذه ممّا يطلع عليها العارف الخبير و المتتبع المجدّ و بالجمله فقد ظهر و تحقق ممّا ذكرنا كله أنّهم عليهم السّلام نور اللّه فى السّماوات و الأرض و النّجوم التى يهتدى بها فى ظلمات البرّ و البحر و القمر الهادى فى أجواز البلدان و القفار و غياهب الليالى و لجج البحار.

فإن قلت: سلمنا ذلك كله و لكنّك قد ذكرت أنّ الخطاب فى قوله: بنا اهتديتم فى الظلماء لطلحه و الزبير و نظرائهما من أهل الجمل، و من المعلوم أنّهم كانوا من المنافقين الناكثين فكيف يكونون من المهتدين؟ مع أنّ اعتقادنا أنّهم مخلدون فى النّار بخروجهم على الامام العادل و نقضهم بيعته، و المهتدون يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم يوم القيامه و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون كما قال تعالى:

«فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشْقى » قلت: أوّلا إن اهتديتم بصيغه الماضى داله على اهتدائهم فيما مضى فهو لا ينافى بارتدادهم بعد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذ الاهتداء تاره يكون بالوصول إلى المطلوب و هو الموجب للأجر الجميل و هو الذى لا يتصوّر بعده الضلاله، و اخرى بالوصول إلى ما يوصل إلى المطلوب و هو لا يستلزم الوصول إليه ألبتّه و لا ينافى الخذلان و الضلاله قطعا و ثانيا إنّ المراد بالظلماء فى قوله عليه السّلام هو ظلمه الكفر و بالاهتداء هو الاهتداء إلى الاسلام و هو بانفراده لا يكفى فى استحقاق الثّواب، بل لا بدّ و أن ينضم إلى ذلك نور الولايه كما مرّ تحقيق ذلك و تفصيله فى التّذنيب الثالث من تذنيبات الفصل الرّابع من فصول الخطبه الاولى، و يشهد بذلك و يوضحه مضافا إلى ما مرّ:

ما رواه فى البحار من كتاب غيبه النّعمانى عن الكلينى بإسناده عن ابن أبى يعفور، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام إنّى اخالط النّاس فيكثر عجبى من أقوام لا يتوالونكم

و يتوالون فلانا و فلانا لهم أمانه و صدق و وفاء، و أقوام يتوالونكم ليس لهم تلك الأمانه و لا الوفاء و لا الصّدق قال: فاستوى أبو عبد اللّه عليه السّلام جالسا و أقبل علىّ كالمغضب ثمّ قال: لا دين لمن دان بولايه إمام جائر ليس من اللّه، و لا عتب(١) على من دان بولايه إمام عادل من اللّه، قلت: لا دين لاولئك و لا عتب على هؤلاء، ثمّ قال عليه السّلام:

ألا تسمع قول اللّه عزّ و جلّ:

«اَللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ » من ظلمات الذّنوب إلى نور التوبه أو المغفره لولايتهم كلّ إمام عادل من اللّه قال:

«وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ » فأىّ نور يكون للكافر فيخرج منه إنّما عنى بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام فلمّا تولوا كلّ إمام جائر ليس من اللّه خرجوا بولايتهم إيّاهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النّار مع الكفّار فقال:

«أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ » و أوضح من هذه الرّوايه دلاله ما فى البحار من تفسير العياشى عن سعيد بن أبى الأصبغ قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام و هو يسأل عن مستقرّ و مستودع، قال: مستقرّ فى الرّحم و مستودع فى الصّلب، و قد يكون مستودع الايمان ثمّ ينزع منه و لقد مشى الزّبير فى ضوء الايمان و نوره حتّى قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى مشى بالسّيف و هو يقول لا نبايع إلاّ عليّا عليه السّلام و عن العيّاشى أيضا عن جعفر بن مروان قال: إنّ الزّبير اخترط سيفه يوم قبض النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال لا أغمده حتّى ابايع لعلىّ عليه السّلام ثمّ اخترط سيفه فضارب عليّا و كان ممن اعير الايمان فمشى فى ضوء نوره ثمّ سلبه اللّه إيّاه.

(و تسنّمتم العلياء) أى بتلك الهدايه و شرافه الاسلام ركبتم سنام العلياء

١- (١) بالفتح الغضب لغه.

و الرفعه علا ذكركم و رفع قدركم، شبّه عليه السّلام العلياء بالنّاقه و أثبت لها سنامها تخييلا و رشّح ذلك بذكر التّسنّم الذى هو ركوب السّنام (و بنا انفجرتم) أو أفجرتم (عن السّرار)أى انفجرتم انفجار العين من الأرض، أو دخلتم فى الفجر، أو صرتم ذوى فجر منتقلين عن السّرار، و استعار عليه السّلام لفظ السّرار لما كانوا فيه من ليل الجهل و خمول الذّكر فى الجاهليه و غيرها، و لفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك إلى نور الإسلام و استضاءتهم بضياء صباح وجودهم عليهم السّلام كما قال عزّ من قائل:

«وَ اللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ » قال أمير المؤمنين عليه السّلام لابن الكوّا حين سأله عن ذلك: يعنى ظلمه الليل و هذا ضربه اللّه مثلا لمن ادّعى الولايه لنفسه و عدل عن ولاه الأمر قال: فقوله و الصّبح إذا تنفّس قال: يعنى بذلك الأوصياء يقول: إنّ علمهم أنور و أبين من الصّبح إذا تنفس هذا.

و لمّا ذكر فضله عليهم بكونه عليه السّلام سبب هدايتهم و عله لعلوّ مقامهم و سموّ مكانهم وجهه لشرافتهم و رفعه قدرهم و داعيا لصيرورتهم من ظلمه الغوايه و الضلاله إلى فجر الهدايه و الرّشاد مع مقابلتهم كلّ ذلك بالنّفاق و النّفار و العتوّ و الاستكبار، أردف ذلك بالدّعاء عليهم بقوله (وقر سمع لم يفقه الواعيه) إشاره إلى أنّهم كيف لم يفقهوا بيانه بعد ما بيّنه و لم يقبلوه بعد ما سمعوه و لم يطيعوه بعد ما فهموه و جهلوا قدره بعد ما عرفوه.

قال البحرانى: و هذا كما يقول أحد العلماء لبعض تلاميذه المعاند له المدّعى لمثل فضيلته: إنّك بى اهتديت من الجهل و علا قدرك فى النّاس و أنا سبب لشرفك أ فتكبّر علىّ وقر سمعك لم لا تفقه قولى و تقبله هذا، و على ما ذكرناه من كون الواعيه بمعنى الصّوت يكون معنى كلامه عليه السّلام ثقل سمع لم يفقه الصّوت بعد ما سمعه، و على قراءه و قر بصيغه المجهول يكون المعنى أثقل اللّه سمعا لم يفقه الصّراخ، و على ذلك فلا حاجه إلى ما تكلفه بعض شارحى كلامه عليه السّلام تاره بجعل الواعيه صفه لمحذوف مع حذف مفعول لم يفقه أى وقر سمع لم يفقه صاحبه بإذنه الواعيه علم الشّريعه،

و اخرى بجعل الفاعل بمعنى المفعول مع حذف الموصوف أيضا أى لم يفقه الأشياء الموعيه، و ثالثه بجعلها بمعنى الصّارفه.

فإن قلت: ما السّر فى وصفه السّمع بعدم الفقه لا بعدم السّماع و تعبيره بقوله: لم يفقه دون لم يسمع مع كون الواعيه أيضا من قبيل المسموعات لا المفقوهات و الحال أنّ الموصوف و المتعلق كليهما مقتضيان للتعبير بالثّانى دون الأوّل.

قلت: بعد الغضّ عن عدم ملايمه الوصف بالثّانى للدّعاء بالوقر لاستلزامه تحصيل الحاصل أنّ السّر فى ذلك هو أنّ المقصود بالسّمع ليس مجرّد السّماع و الاستماع بل الفقه و الفهم و الاتعاظ بالمواعظ و النّصايح بعد إدراك السّمع لها، فإذا أدركها و لم يفقهها و لم يقم بمقتضياتها فهو حرىّ بالدّعاء عليه بكونه موقورا ثقيلا- مع أنّ فى التعبير بهذه اللفظه إشاره إلى غايه نفارهم و استكبارهم و شدّه لجاجهم و عنادهم و نهايه بغضهم و عداوتهم و منتهى نفرتهم عن قبول الحقّ كما قال عزّ من قائل:

«وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْکَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ » وصفهم بالصّمم مع إثبات الاستماع أوّلا من حيث عدم انتفاعهم بما يستمعون، فهم و الأصمّ على السّواء و ذلك فإنّ الانسان إذا قوى بغضه لانسان آخر و عظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجّهه إلى طلب مقابح كلامه معرضه عن جميع الجهات الحسن فيه، فالصّمم فى الاذن معنى ينافى حصول إدراك الصّوت فكذلك حصول هذا البغض و الاستكبار و المنافره كالمنافى للوقوف عن محاسن ذلك الكلام و الاطلاع بما اريد منه.

ثمّ كما أنّه لا يمكن جعل الأصمّ سميعا فكذلك لا يمكن جعل العدوّ البالغ إلى هذا الحدّ صديقا مطيعا، و لذلك اعتذر عليه السّلام من عدم تأثير كلامه فيهم بقوله:(و كيف يراعى النّبأه) أى الصّوت الخفى (من أصمّته الصيحه) إشاره إلى أنّ من لم يؤثّر فيه كلام اللّه و كلام رسوله الذى هو كالصّيحه المكرّره عليهم حتّى جعلهم أصمّ من كثره التكرار و شدّه الاصرار، كيف يؤثّر فيهم كلامه عليه السّلام الذى

ص:۱۲۵

نسبته إلی کلامهما نسبه النّبأه إلی الصّیحه، و من المعلوم أن الصوت الضّعیف لا یدرک عند الصّوت القوی أو الحواس لا تدرک الأضعف مع وجود الأقوی المماثل فی کیفیّته، ففی هذه الفقره من کلامه دلاله علی عدم اختصاص تمرّدهم به علیه السّلام فقط، بل کانوا متمرّدین من أوّل الأمر مستکبرین عن طاعه اللّه و طاعه رسوله أیضا کما أنّ فیها و فی سابقتها إشاره إلی تمادیهم فی الغفله بما غشت قلوبهم من الظلمه و القسوه حیث لم یسمعوا داعی اللّه و لم یفقهوا کلام اللّه و لم یتدبّروا فی القرآن و نکثوا بیعه ولی الرّحمان، قال سبحانه فی الحدیث القدسی: یا ابن آدم استقامه سماواتی فی الهواء بلا عمد باسم من أسمائی و لا یستقیم قلوبکم بألف موعظه من کتابی، یا أیّها النّاس کما لا یلین الحجر فی الماء کذلک لا یغنی الموعظه للقلوب القاسیه.

ثمّ إنّه علیه السّلام لمّا دعی بالوقر علی الاذن الغیر الواعیه للواعیه و أتبعه بالاشاره إلی عدم إمکان تأثیر نبأته فیمن أصمّته الصّیحه لاستحاله تأثر القلوب القاسیه بالموعظه و النّصیحه، أردف ذلک بالدّعاء للقلوب الوجله الخائفه بقوله:(ربط جنان) أی سکن و ثبت (لم یفارقه) الاضطراب (و الخفقان) من خشیه اللّه و الاشفاق من عذابه ثمّ خاطب علیه السّلام بقیّه أصحاب الجمل أو المقتولین أو هما معا و قال:(ما زلت أنتظر بکم عواقب الغدر) و الحیله و أترقّب منکم المکر و الخدیعه، و ذلک إمّا من أجل أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أخبره بذلک و بأنّهم ینقضون بیعته بعد توکیدها، و إمّا من أجل استنباطه علیه السّلام ذلک من حرکاتهم و وجنات أحوالهم کما یشعر به قوله:

(و أتوسّمکم بحلیه المغترین) و ذلک لأنّه علیه السّلام فهم أنّهم من أهل الغرّه و قبول الباطل عن أدنی شبهه بما لاح له من صفاتهم و سماتهم الدّاله علی ذلک، و کان علمه علیه السّلام بذلک مستلزما لعلمه بغدرهم بعهده و نقضهم لبیعته فکان ینتظر ذلک منهم.

و لذلک إن طلحه و الزّبیر لما دخلا علیه علیه السّلام یستأذنانه فی العمره قال: ما العمره تریدان، فحلفا له باللّه إنّهما ما یریدان غیر العمره، فقال لهما: ما العمره تریدان و إنّما تریدان الغدره و نکث البیعه، فحلفا باللّه ما لخلاف علیه و لا نکث بیعته یریدان و ما رأیهما غیر العمره، قال لهما، فاعیدا البیعه لی ثانیا، فأعاداها بأشد

ص:۱۲۶

ما يكون من الأيمان و المواثيق، فاذن لهما فلمّا خرجا من عنده قال لمن كان حاضرا: و اللّه لا ترونهما إلّا فى فتنه يقتتلان فيها، قالوا: يا أمير المؤمنين فلم يردّهما عليك، قال: ليقضى اللّه أمرا كان مفعولا.

و قوله:(سترنى عنكم جلباب الدين)قال البحرانى: وارد مورد الوعيد للقوم فى قتالهم له و مخالفتهم لأمره، و المعنى انّ الدّين حال بينى و بينكم و سترنى عن أعين بصائركم أن تعرفونى بما أقوى عليكم من العنف بكم و الغلظه عليكم و ساير وجوه تقويكم و ردعكم عن الباطل وراء ما وقفنى عليه الدّين من الرّفق و الشّفقه و شهب ذيل العفو عن الجرائم، فكان الدّين غطاء حال بينهم و بين معرفته فاستعار له لفظ الجلباب قال: و روى ستركم عنّى أى عصم الاسلام منّى دمائكم و اتباع مدبركم و أن اجهز على جريحكم و غير ذلك ممّا يفعل من الأحكام فى حقّ الكفّار هذا.

و لما أشار عليه السّلام إلى عد معرفتهم له حقّ معرفته و غفلتهم عن مراتب شأنه و وظيفته أتبعه بقوله:(و بصّرنيكم صدق النيّه) و أشار بذلك إلى معرفته لهم حقّ المعرفه بعين اليقين و البصيره من حيث صفاء نفسه و خلوص نيّته و نور باطنه كما قال عليه السّلام:

اتّقوا فراسه المؤمن فانّه ينظر بنور اللّه، و قال الرّضا عليه السّلام فى روايه بصائر الدّرجات لنا أعين لا تشبه أعين النّاس و فيها نور ليس للشّيطان فيه شرك، و بذلك النّور يعرفون كلّ مؤمن و منافق و يعرفون صديقهم من عدوّهم كما يدلّ عليه أخبار كثيره.

مثل ما رواه فى البحار عن العيون عن تميم القرشى عن أبيه عن أحمد بن علىّ الأنصارى عن الحسن بن الجهم قال: سئل عن الرّضا عليه السّلام ما وجه إخباركم بما فى قلوب النّاس؟ قال: أ ما بلغك قول الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اتّقوا فراسه المؤمن فإنّه ينظر بنور اللّه؟ قال: بلى، قال: فما من مؤمن إلّا و له فراسه ينظر بنور اللّه على قدر إيمانه و مبلغ استبصاره و علمه، و قد جمع اللّه للأئمّه منّا ما فرّقه فى جميع المؤمنين و قال عزّ و جلّ فى كتابه:

«إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ »

ص:۱۲۷

فأوّل المتوسّمين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، ثمّ أمير المؤمنين عليه السّلام من بعده، ثمّ الحسن و الحسين و الأئمّه من ولد الحسين سلام اللّه عليهم إلى يوم القيامه.

و من كتاب البصائر و الاختصاص عن السّندى بن الرّبيع عن ابن فضّال عن ابن رئاب عن أبى بكر الحضرمى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: ليس مخلوق إلاّ و بين عينيه مكتوب انّه مؤمن أو كافر و ذلك محجوب عنكم و ليس بمحجوب من الأئمّه من آل محمّد عليهم السّلام ليس يدخل عليهم أحد إلا عرفوه هو مؤمن أو كافر، ثمّ تلا هذه الآيه:

«إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ » فهم المتوسمون و من الاختصاص أيضا بإسناده عن جابر قال: بينا أمير المؤمنين عليه السّلام فى مسجد الكوفه إذ جاءت امرأه تستعدى على زوجها فقضى عليه السّلام لزوجها عليها، فغضبت فقالت: لا و اللّه ما الحقّ فيما قضيت و ما تقضى بالسّويه و لا تعدل فى الرّعيّه و لا قضيّتك عند اللّه بالمرضيّه، فنظر إليها مليّا ثمّ قال لها: كذبت يا جريّه يا بذيّه(۱) يا سلفع يا سلقليه(۲) يا التى لا تحمل من حيث تحمل النّساء، قال: فولت المرأه هاربه مولوله و تقول: ويلى و يلى لقد هتكت يابن أبى طالب سترا كان مستورا.

قال: فلحقها عمرو بن حريث فقال: يا أمه اللّه لقد استقبلت عليّا بكلام سررتنى به ثمّ إنّه نزع(۳) لك بكلام فوليت عنه هاربه تولولين، فقالت إنّ عليّا عليه السّلام و اللّه أخبرنى بالحقّ و بما أكتمه من زوجى منذ ولى عصمتى و من أبوىّ، فعاد عمرو إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فأخبره بما قالت له المرأه، و قال له فيما يقول: ما أعرفك بالكهانه فقال له علىّ عليه السّلام: ويلك إنّها ليست بالكهانه منّى و لكنّ اللّه خلق الأرواح قبل

۱- (۱) السيئه الخلق، لغه.

۲- (۲) سلقه فى الكلام اذاه و فلانا طعنه، ق

۳- (۳) لعله على سبيل الاستعاره من قولهم نزع فى القوس اذا مدها، بحار.

الأبدان بألفی عام، فلما ركّب الأرواح فی أبدانها كتب بين أعينهم كافر و مؤمن و ما هم به مبتلون و ما هم عليه من سيئ عملهم و حسنه فی قدر اذن الفاره، ثمّ أنزل بذلك قرانا على نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:

«إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ » فكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المتوسّم، ثم أنا من بعده، و الأئمه من ذرّيتى هم المتوسّمون فلمّا تأمّلتها عرفت ما فيها و ما هی عليه بسيمائها.

و من البصائر بإسناده عن عبد الرّحمان يعنى ابن كثير قال: حججت مع أبى عبد اللّه عليه السّلام فلمّا صرنا فى بعض الطريق صعد على جبل فأشرف فنظر إلى النّاس فقال: ما أكثر الضجيج و أقل الحجيج، فقال له داود الرّقى: يابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هل يستجيب اللّه دعاء هذا الجمع الذى أرى؟ قال: ويحك يا با سليمان إنّ اللّه لا يغفر أن يشرك به، الجاحد لولايه علىّ عليه السّلام كعابد وثن، قال: قلت: جعلت فداك هل تعرفون محبكم و مبغضكم؟ قال: ويحك يا با سليمان إنّه ليس من عبد يولد إلّا كتب بين عينيه مؤمن أو كافر، و إنّ الرّجل ليدخل إلينا بولايتنا و بالبراءه من اعدائنا فنرى مكتوبا بين عينيه مؤمن أو كافر، قال اللّه عزّ و جلّ: «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ » نعرف عدوّنا من وليّنا.

و قد وضح بهذه الأخبار كلّ وضوح معنى قوله السّابق: أتوسّمكم بحليه المغترّين، و ظهر أنّ توسّمه عباره عن نظره عليه السّلام إلى سماتهم الدّاله على خبث الطينه و لحاظه العلامات الكاشفه عن سوء السّريره، فافهم ذلك و اغتنم.

الترجمه

بسبب نور وجود ما هدايت يافتيد در ظلمت شب جهالت، و بواسطهٔ ما سوار شديد بر كوهان بلند يقين، و بجهه ما منتقل گشتيد از شب ضلالت، و بصباح اسلام رسيديد، گردباد يا سنگين باد گوشی كه نفهميد صدای داعی حق را، و چگونه مراعات بنمايد آواز ضعيف را آن كسی كه كر ساخته است او را آواز قوی، ثابت

باد قلبی که جدا نشد از آن طپیدن از ترس خدا، همیشه بودم که انتظار می کشیدم از شما عاقبتهای خیانت را و بفراست می یافتم شما را که متّصفید بزینت فریفتگان از قبول باطل و ناروا، پوشانید مرا از دیدهٔ شما پردهٔ دین من، و بینا گردانید مرا بر حال شما خلوص نیت و صفای باطن من.

الفصل الثانی

اشاره

أقمت لکم علی سنن الحقّ فی جواد المضلّه حیث تلتقون و لا دلیل و تحتفرون و لا تمیهون الیوم أنطق لکم العجماء ذات البیان، عزب رأی امرء تخلف عنّی، ما شککت فی الحقّ مذ رأیته، لم یوجس موسی خیفه علی نفسه، أشفق من غلبه الجهّال، و دول الضّلال، الیوم تواقفنا علی سبیل الحقّ و الباطل، من وثق بمآء لم یظمأ.

اللغه

(أقام) بالمکان اقامه دام (سنن) الطریق مثلّثه و بضمّتین نهجه و جهته و السّنه الطریقه و السّنه من اللّه حکمه و أمره و نهیه و أرض (مضله) بفتح المیم و الضّاد یفتح و یکسر أی یضلّ فیها الطریق و (أماه) الحافر و أموه بلغ الماء، و البهیمه (العجماء) لأنّها لا تفصح و استعجم الکلام علینا مثل استبهم و کلمه عجماء مبهمه و (عزب) الشیء عزوبا من باب قعد بعد، و غرب من بابی قتل و ضرب خفی و غاب و (الوجس) کالوعد الفزع یقع فی القلب و أوجس فی نفسه خیفه أی أحسّ و أضمر و (الاشفاق) الخوف و (دول) مثلّثه جمع دوله.

و قال الفیومی تداول القوم الشیء تداولا و هو حصوله فی ید هذا تاره و فی ید هذا اخری، و الاسم الدّوله بفتح الدّال و ضمّها و جمع المفتوح دول بالکسر مثل قصعه و قصع و جمع المضموم دول بالضم مثل غرفه و غرف، و منهم من یقول الدّوله

بالضمّ فى المال و بالفتح فى الحرب و على هذا فالانسب أن يكون دول فى كلامه عليه السّلام بالكسر ليكون جمع دوله بالفتح و (التّواقف) بالقاف قبل الفاء هو الوقوف و (الظماء) شدّه العطش.

الاعراب

العجماء بالفتح مفعول انطق أو صفه لمحذوف أى الكلمات و خيفه بالنّصب مفعول لم يوجس، و أشفق بصيغه التّفضيل صفه خيفه و يحتمل أن يكون بصيغه الماضى و استدراكا عن سابقه أى لم يوجس موسى خيفه على نفسه و لكنّه أشفق من غلبه الجهال.

المعنى

لمّا ذكر عليه السّلام حال المنافقين معه من غدرهم و اغترارهم و نفارهم و استكبارهم و ما هم عليه من الغفله و الجهاله بشأنه عليه السّلام و رتبته مع كونه سبب هدايتهم فى الظلماء و تسنّمهم على سنام العلياء أردف ذلك بما يدلّ على وجوب اقتفاء آثاره، و اقتباس أشعّه أنواره فى سلوك منهج الحقّ القويم و سير سبيل اللّه المستقيم فقال (أقمت لكم) أى دمت و ثبت (على سنن الحقّ) و جهته (فى جواد المضله) أى الجواد التى يضلّ فيها و يزلّ فيها الاقدام، و المراد بسنن الحقّ هو دين اللّه الذى لا يقبل من العباد غيره و هو الصّراط المستقيم الموصل إلى الرّضوان و من جواد المضلّه هو شبل الشّيطان المؤدّيه إلى النيران.

قال عبد اللّه بن مسعود: خطّ لنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خطا و قال: هذا صراط اللّه ثمّ خط خطوطا عن يمينه و شماله و قال: هذه سبل و على كلّ سبيل منها شيطان يدعون النّاس إليها ثمّ تلا قوله تعالى:

«وَ أَنَّ هـذا صِـراطِي مُسْـتَقِيماً فَـاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » و المراد بقوله عليه السّلام أقمت لكم الإشاره إلى إقامته على نهج الحقّ لدعوه النّاس إليه كما قال تعالى:

«قُلْ هـذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اللّهِ عَلى بَصِيرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِى » قال أبو جعفر عليه السّلام فى تفسيره: ذاك رسول اللّه و أمير المؤمنين و الأوصياء من بعدهما عليهم السّلام يعنى أنّ الدّاعى هو رسول اللّه و من اتّبعه أمير المؤمنين و الأوصياء التّابعون له فى جميع الأقوال و الأفعال فمن أجاب لهم دعوتهم و سلك سبيلهم:

«فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً » و من تخلف عنهم و لم يجبهم دعوتهم و سلك سبيل غيرهم يكون ذلك حسره عليه و يقول:

«يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يا وَيْلَتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا » و بالجمله فمقصوده عليه السّلام من كلامه إنّى فعلت من هدايتكم و إرشادكم و أمركم بالمعروف و نهيكم عن المنكر ما يجب على مثلى فوقفت لكم جادّه الطريق و منهجه حيث انّ طرق الضّلال كثيره مختلفه و أنتم فيها تائهون حائرون (حيث تلتقون) و تجتمعون (و لا دليل) لكم (و تحتفرون) الآبار لتجدوا ماء ترون به غلّتكم (فلا تميهون) و لا تجدون الماء(اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان)لتشهد بوجوب اتّباعى و تدلّ على ما ينبغى فعله فيكلّ باب و كنّى عليه السّلام بالعجماء ذات البيان عن العبر الواضحه و ما حلّ بقوم فسقوا عن أمر ربّهم و عمّا هو واضح من كمال فضله عليه السّلام بالنّسبه إليهم و عن حال الدّين و مقتضى أوامر اللّه، فإنّ هذه الامور عجماء لا نطق لها مقالا ذات البيان حالا، و لمّا بينها عليه السّلام لهم و عرّفهم ما يقوله لسان حالها فكأنّه أنطقها لهم، و قيل: العجماء صفه لمحذوف أى الكلمات العجماء، و المراد بها ما فى هذه الخطبه من الرّموز التى لا نطق لها مع أنّها ذات بيان عند اولى الالباب.

قال الشّارح المعتزلى: و هذه إشاره إلى الرّموز التى تتضمنها هذه الخطبه يقول: هى خفيّه غامضه و هى مع غموضها جليّه لاولى الألباب فكأنّها تنطق كما ينطق

ص:۱۳۲

ذوو الألسنه كما قيل: ما الامور الصّامته النّاطقه؟ فقيل: الدّلائل المخبره و العبر الواضحه، و فى الأثر سل الأرض من شقّ أنهارك و أخرج ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا، ثمّ إنّه عليه السّلام أشار إلى ذمّ من تخلف عنه و توبيخه بقوله:

(عزب) اى بعد أو غاب و خفى (رأى امرء تخلف عنّى) لأنّ التخلف عنه دليل على بعد الرّأى الصّائب عن المختلف، و ذلك لأنّ المتخلف لمّا فكر فى أن أىّ الامور أنفع له أن يكون من متابعيه أو المتخلفين عنه ثمّ رأى أن التخلف عنه أوفق كان ذلك أسوء الآراء و أقبحها فهو فى الحقيقه كمن أقدم على ذلك بغير رأى يحضره أو لأنّ الرّأى الحقّ كان غاربا عنه.

ثمّ اشار عليه السّلام إلى بعض علل وجوب اتّباعه بقوله:(ما شككت فى الحقّ (۱) مذ رأيته) لأنّ من لم يشكّ فى الحقّ أحقّ بالاتّباع ممّن كان فى شكّ من دينه لاحتياجه إلى من يهديه قال سبحانه:

«أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » (لم يوجس موسى خيفه على نفسه أشفق من غلبه الجهّال)على الحقّ(و دول الضلال)و هذا تمثيل و إشاره إلى أنّ خوفه عليه السّلام منهم لم يكن على نفسه بل كان شده خوفه من غلبه أهل الجهل على الدّين و فتنه الخلق بهم و قيام دول الضّلال كما أن خوف موسى من جهله السحره على ما أخبر به سبحانه فى كتابه الكريم كان من هذه الجههقال فى سوره طه:

«قالُوا يا مُوسى إِمّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى قالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى فَأَوْجَسَ »

۱- (۱) فى البحار من كتاب الارشاد فى خطبه له (عليه السلام) و ما شككت فى الحق منذ رايته هلك قوم ارجفوا عنى انه لم يوجس موسى فى نفسه خيفه ارتيابا و لا شكا فيما اتاه من عند اللّه و لم اشكك فيما اتانى من حقّ اللّه و لا ارتبت فى امامتى و خلافه ابن عمى و وصيه الرسول و انما اشفق اخى موسى من غلبه الجهال دول الضلال و غلبه الباطل على الحق انتهى، منه.

«فِی نَفْسِهِ خِیفَهً مُوسی قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ الْأَعْلی » قال الطبرسیّ: معناه فأحسّ موسی و وجد فی نفسه ما یجده الخائف، و یقال أوجس القلب فزعا أی أضمر، و السّبب فی ذلک أنّه خاف أن یلتبس علی النّاس أمرهم فیتوهموا أنّهم فعلوا مثل فعله و یظنّوا المساواه فیشکوا و لا یتّبعونه، ثمّ ذکر وجوها أخر فی سبب الخوف و الأظهر ذلک کما یشهد به کلام الامام علیه السّلام و یدل علیه قوله: لا تخف إنّک أنت الأعلی، فانّه تقریر لغلبته علیهم علی أبلغ وجه و آکده کما یعرب عنه الاستیناف و حرف التّحقیق و تکریر الضّمیر و تعریف الخبر و لفظ العلوّ المنبئ عن الغلبه الظاهره و صیغه التّفضیل (الیوم تواقفنا علی سبیل الحقّ و الباطل) أی وقفت علی سبیل الحقّ و وقفتم علی سبیل الباطل و ضم نفسه إلیهم علی حدّ قوله:

«إِنّا أَوْ إِیّاکُمْ لَعَلی هُدیً أَوْ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ » و قوله (من وثق بماء لم یظمأ) الظاهر أنّ المراد به أنّ من کان علی الحقّ و أیقن علی ذلک و اعتمد علی ربّه و توکل علیه لا یبالی علی ما وقع فیه، کما أنّ من ائتمن بماء لم یفزعه عطشه، و قال الشّارح المعتزلی و البحرانی إنّ مراده علیه السّلام إن سکنتم إلی قولی و وثقتم بی کنتم أقرب إلی الهدی و السّلامه و أبعد من الضّلاله، و ما ذکرناه أظهر

الترجمه

ثابت شدم من بجهه هدایت شما بر طریق حقّ در جادّه هائی که محلّ گمراهی است در مکانی که ملاقات می کردید بهمدیگر و حال آنکه هیچ دلیل و هادی نبود شما را، و چاه می کندید و بآب نمی رسیدید یعنی بحث و کاوش می کردید از برای اخراج نتیجهٔ مطلوب در اودیهٔ قلوب و از تحصیل نتیجهٔ مطلوبه عاجز بودید، امروز بزبان در آوردم بجهه شما حیوان بی زبان را یعنی هر که هست از بیزبانان مخبرند بلسان حال بامتثال مقال من و ناطقند بر وجوب اتّباع و حقیقت حال من، غایب شد رأی صایب مردی که تخلف کرده است از من، شک نکرده ام من در حق از آن

ص:۱۳۴

زمانی که عالم بحق شده ام، احساس نکرد موسی بن عمران علیه السّلام خوفی را بر نفس خود که سخت تر بوده باشد از خوفی که داشت از غلبهٔ جلاهان و قیام دولتهای گمراهان، امروز ایستاده ایم ما و شما بر راه حقّ و باطل یعنی من ایستاده ام بر طریق هدایت و شما ایستاده اید در راه ضلالت، هر کسی که وثوق و اطمینان داشته باشد بآب تشنه نمانند، و اللّه أعلم بالصّواب.

و من كلام له عليه السّلام لما قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خاطبه

اشاره

العباس و ابو سفيان بن حرب فى ان يبايعا له

بالخلافه و هو الخامس من المختار فى باب الخطب

و رواه فى البحار من مناقب ابن الجوزى بأدنى اختلاف تطّلع عليه:

أيّها النّاس شقّوا أمواج الفتن بسفن النّجاه، و عرّجوا عن طريق المنافره، وضعوا تيجان المفاخره، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح، ماء آجن و لقمه يغصّ بها آكلها، و مجتنى الثّمره لغير وقت إيناعها كالزّارع بغير أرضه، فإن أقل يقولوا حرص على الملك، و إن أسكت يقولوا جزع من الموت، هيهات بعد اللّتيا و الّتى، و اللّه لابن أبى طالب آنس بالموت من الطّفل بثدى أمّه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشيه فى الطّوى البعيده.

اللغه

(عرّجوا) أى انحرفوا و اعدلوا يقال: عرجت عنه عدلت عنه و تركته و (تيجان) جمع تاج و هو الاكليل و (فاخره) مفاخره و فخارا عارضه بالفخر، قال الشّارح

المعتزلی: المفاخره هو أن یذکر کلّ من الرّجلین فضائله و مفاخره ثم یتحاکما إلی ثالث و (الماء الاجن) المتغیّر الطعم و اللّون و (غصص) بالکسر و الفتح و یغصّ بالفتح و هو غاصّ و (جنیت الثّمره) و اجتنیتها و (ینعت) الثّمار من باب ضرب و منع أدرکت و (اللتیا) بفتح اللام و التّیاء و تشدید الیاء تصغیر التی، و اللتیا و التی من أسماء الدّاهیه یقال: وقع فلان فی اللتیا و التی أی فی الدّاهیه، و قیل:یکنی بهذه اللفظهمن کمال الشّده و الخزن و بهذه المناسبه جعلت علما للدّاهیه، و قیل:

اللتیا الدّاهیه التی بلغت الغایه و التّصغیر للتّعظیم أو بالعکس و التّصغیر للتّحقیر.

و فی بعض کتب الأدبیّه علی ما ببالی أنّه تزوّج رجل امرأه قصیره سیّئه الخلق فقاسی منها شدائد فطلقّها، و تزوّج طویله فقاسی منها أضعاف القصیره فطلقها و قال بعد اللّتیا و التی لا أتزوّج فصار مثلا، و مثل ذلک ذکر الشّارح البحرانی، و قال الحریریّ فی المقامات: اللّتیا تصغیر التی و هو علی غیر قیاس التّصغیر المطرد لأنّ القیاس أن یضمّ أوّل الاسم إذا صغّر و قد أقرّ هذا الاسم علی فتحه الأصلیّه عند تصغیره إلّا أنّ العرب عوّضته من ضمّ أوّله بأن زادت فی آخره الفا و أجرت أسماء الاشاره عند تصغیرها علی حکمه فقال فی تصغیر الذی و التی: اللّذیا و اللتیا و فی تصغیر ذا و ذاک: ذیّا و ذیّاک، و قد اختلف فی معنی قولهم بعد اللتیا و التی و قیل: هما من أسماء الدّاهیه، و قیل: المراد بهما صغیر المکروه و کبیره انتهی.

و (اندمج) فی الشیء دخل فیه و تستر به و (باح) بسرّه أظهره کإباحه و (الارشیه) جمع رشا ککساء و هو الحبل و (الطوی) کغنی اسم بئر بذی طوی علی ما ذکره الفیروزآبادی، و لعل المراد هنا مطلق البئر کطویه.

الاعراب

ماء آجن مرفوع علی الابتداء و الخبر محذوف و هو ما صرّح به فی روایه ابن الجوزی أی أجدر بالعاقل اه، أو خبر محذوف المبتدأ أی ما تدعونی إلیه ماء آجن و مجتنی الثّمر مبتدأ و کالزّارع خبره و علی فی قوله علیه السّلام علی مکنون علم بمعنی فی

على حدّ قوله: و دخل المدينه على حين غفله، و البعيده صفه و تأنيثها باعتبار أن الطوى اسم للبئر و هى انثى.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه قال الشّارح المعتزلى: لمّا قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اشتغل علىّ عليه السّلام بغسله و دفنه و بويع أبو بكر خلا(۱) الزّبير و أبو سفيان و جماعه من المهاجرين بعبّاس و علىّ عليه السّلام لاجاله الرأى و تكلموا بكلام يقتضى الاستنهاض و التّهييج، فقال العبّاس رضى اللّه عنه، قد سمعنا قولكم فلا لقله نستعين بكم و لا لظنّه نترك آرائكم فامهلونا نراجع الفكر فان لم يكن لنا من الاثم مخرج يصرّ(۲) بنا و بهم الحقّ صرير الجدجد و نبسط إلى المجد أكفّا لا نقبضها أو يبلغ بالمدى، و إن تكن الاخرى فلا لقله فى العدد و لا لوهن فى الأيد و اللّه لو لا أن الاسلام قيّد الفتك لتدكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحلّ العلى، فحلّ عليه السّلام حبوته(۳) و قال: الصّبر حلم و التّقوى دين و الحجّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الطريق الصّراط، أيّها النّاس شقّوا أمواج الفتن الخطبه، ثمّ نهض إلى منزله و افترق القوم.

و قال البحرانى روى أنّه لمّا تمّ فى سقيفه بنى ساعده لأبى بكر أمر البيعه أراد أبو سفيان بن حرب أن يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضا فيكون ذلك دمارا للدّين فمضى إلى العبّاس فقال له: يا أبا الفضل إنّ هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الأمر من بنى هاشم و جعلوه فى بنى تيم، و إنّه ليحكم فينا غدا هذا الفظّ الغليظ من بنى عدى فقم بنا حتّى ندخل على علىّ عليه السّلام و نبايعه بالخلافه و أنت عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنا رجل مقبول القول فى قريش، فإن دافعونا عن ذلك قاتلناهم و قتلناهم، فأتيا أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له أبو سفيان: يا أبا الحسن لا تغافل عن هذا الأمر متى كنّا لتيم الارذال و كان عليه السّلام يعلم من حاله أنّه لا يقول ذلك عصبه للدّين بل للفساد الذى

۱- (۱) من الخلوه.

۲- (۲) صر صريرا صاح و صوت ق.

۳- (۳) و احتبى بالثوب اشتمل او جمع بين ظهره و ساقيه بعمامه و نحوها و الاسم الحبوه و يضم، ق.

زواه فی نفسه فأجابه علیه السّلام بقوله:

(أیّها النّاس شقّوا أمواج الفتن بسفن النّجاه) شبّه الفتن بالبحر المتلاطم فی کون کلّ منهما سبب هلاک الخائضین فیها، و قرن ذلک بالأمواج التی هی من لوازم البحر و کنّی بها عن هیجان الفتنه و ثورانها، و أتبعها بذکر سفینه النّجاه التی هی من ملایمات البحر، و لمّا کانت السّفن الحقیقه تنجی من أمواج البحر استعارها لکل ما یحصل به الخلاص من الفتن و وجه المشابهه کون کل منهما وسیله إلی السّلامه (و عرّجوا) أی انحرفوا و اعدلوا (عن طریق المنافره) إلی المتارکه و المسالمه (و ضعوا تیجان المفاخره)لما کان التّاج ممّا یعظم به قدر الانسان و هو أعظم ما یفتخر به استعاره لما کانوا یتعظمون به و یفتخرون و أمرهم بوضعه مریدا بذلک ترک التّفاخر الموجب لانبعاث الفتنه و هیجان العصبیّه،و لمّا أمر علیه السّلام بالعدول عن النّفار و الافتخار أشار إلی ما ینبغی أن یکون الانسان علیه فی تلک الحاله التی هاجت فیها الفتن و عظمت فیها المحن بقوله:(أفلح من نهض بجناح أو استسلم فاراح) یعنی أن الفلاح فی تلک الحال بأحد الأمرین.

أحدهما النّهوص إلی الأمر و مطالبه الحقّ بوجود النّاصر و المعین اللذین هما بمنزله الجناح للطیر فی کونها واسطه الظفر بالمطلوب و الفوز بالمقصود.

و ثانیهما التسلیم و الانقیاد و التّرک و السّلامه لمن لم یکن له جناح النجاح فیستسلم و ینقاد فیریح نفسه من تعب الطلب.

ثمّ أشار علیه السّلام إلی أنّ ما کانوا یدعون إلیه و یحملونه علیه(ماء آجن)یتغیّر اللون و الطعم(و لقمه یغص بها)أی بأکلها(آکلها)أی ینشب فی حلق آکلها و یکون غاصّا لا یمکنه إساغتها، و تشبیه الخلافه فی تلک الحاله بهما إشاره إلی نفره النّفس عنها و عدم التذاذها بها مع وجود المنافسه التی کانت فیها، فهی فی تلک الحال کانت لقمه منغصه و جرعه لا یسیغها شاربها و قد ذکر شارحو کلامه فی هذا المقام وجوها أخر و ما ذکرناه أظهر، ثمّ إنّ هذا کله علی جعل ماء آجن خبرا لمبتدأ محذوف علی ما اشرنا إلیه و أمّا علی تقدیر جعله مبتدأ حذف خبره مطابقا

لما صرّح به فى روایه ابن الجوزى التى تأتى فى التّكمله الآتیه، فالغرض أنّ التّحمل على المذله و الصّبر على الشدّه أولى مع حسن العاقبه و أحسن من ارتكاب أمر یوجب اشتداد البلیّه و سوء العاقبه.

ثمّ أخذ فى الاعتذار عن الامساك و ترك المنازعه بقوله علیه السّلام:(و مجتنى الثمره لغیر وقت إیناعها كالزّارع بغیر أرضه) یعنى من احتنى الثمره قبل أن تدرك لا ینتفع بها كما لا ینتفع الزّارع بغیر أرضه من زرعه لعدم قدرته على الاقامه فى محلّ زراعته و عدم امكان سعیه فى إصلاحها بسقیها و حراستها و جبایتها و نحوها، و المقصود أنّ هذا الوقت لیس وقت طلب هذا الأمر و لا یسوغ لى المطالبه إمّا لعدم النّاصر أو لغیر ذلك.

و قال المحدّث المجلسى طاب رمسه:و لعلّه شبّه علیه السّلام طلبه فى هذا الوقت بمن یجتنى ثمرته مع عدم ایناعها، و شبّه اختیار الملعون الخلافه بمن زرع فى غیر أرضه فیفید ما تقدّم أى عدم الانتفاع مع كمال التّشبیه فى الفقرتین(فإن أقل) فى باب الخلافه شیئا (یقولوا: حرص على الملك) كما قاله عمر فى غیر موضع واحد (و إن أسكت) من حیث اقتضاء المصلحه (یقولوا: جزع من الموت) و هذا كلّه إشاره إلى عدم أمنه علیه السّلام من حصائد الألسنه و غوائل الزّخرفه، حیث إنّهم مع التّكلم كانوا ینسبونه إلى الحرص و الاهتمام بأمر الدّنیا، و مع السّكوت كانوا ینسبونه إلى الجزع و العجز و الخوف من الموت كما هود أب المنافق الحاسد و الكافر الجاحد فى كلّ عصر و زمان خصوصا فى حقّ مثله علیه السّلام.

كما قال الصّادق علیه السّلام فى روایه المجالس: إنّ رضا النّاس لا یملك و ألسنتهم لا تضبط، ألم ینسبوه صلّى اللّه علیه و آله و سلّم یوم بدر إلى أنّه أخذ من المغنم قطیفه حمراء حتّى أظهره اللّه على القطیفه، و برء نبیّه من الخیانه، و أنزل فى كتابه: و ما كان لنبیّ أن یغلّ الآیه.

و فى الصّافى عن المجالس عن الصّادق علیه السّلام إنّ رضا النّاس لا یملك و ألسنتهم لا تضبط و كیف تسلمون ما لم یسلم منه أنبیاء اللّه و رسله و حججه ألم ینسبوا نبیّنا

ص:۱۳۹

محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى أنّه ينطق عن الهوى فى ابن عمّه علىّ عليه السّلام حتّى كذّبهم اللّه فقال:

«وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى » و قال الشّاعر و ربّما ينسب إليه عليه السّلام.

قيل إنّ الاله ذو ولد و قيل إنّ الرّسول قد كهنا

ما نجا اللّه و الرّسول معا من لسان الورى فكيف أنا

ثمّ إنّه عليه السّلام أشار إلى بطلان ما زعموا فى حقّه و تكذيب ما قالوا فيه من جزعه من الموت على تقدير السّكوت بقوله: (هيهات) أى بعد ما يقولون (بعد اللّتيا و التى) أى بعد هذه الدّاهيه الكبرى و ملاقات كبار الشّدائد و صغارها (و اللّه لابن أبى طالب آنس بالموت) و أرغب فيه و أميل إليه (من) ميل (الطفل) و رغبته (بثدى امّه) و تفضيله عليه السّلام انسه بالموت على انس الطفل بالثّدى بملاحظه أن انس الطفل جبلّى و طبيعى فى معرض الفناء و الزّوال و انسه عليه السّلام بالموت و لقاء ربّه عقلىّ روحانى متّصف بالبقاء و الثبات فاين أحدهما من الآخر.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى سرّ سكوته عن طلب حقّه بقوله:(بل اندمجت) أى انطويت (على مكنون علم لو بحت به) و أظهرته (لاضطربتم اضطراب الأرشيه) و الحبال (فى الطوى البعيده) و البئر العميقه، و اختلفوا فى أنّ المراد بالعلم المكنون ما ذا؟ فقيل: إنّه إشاره إلى الوصيّه التى اختصّ بها و قد كان من جملتها الأمر بترك النّزاع فى مبدء الاختلاف.

و قيل إنّ المراد به علمه بعواقب الامور المانع من سرعته إلى ما فيه المفسده و الموجب لتوقفه على ما اقتضته المصلحه.

و قيل: إنّه أراد به علمه بأحوال الآخره و أهوالها، يعنى أنّ الّذى يمنعنى من المنافسه فى هذا الأمر و القتال عليه اشتغالى بما انطويت عليه من علم الآخره ممّا لو أظهرته لكم لاضطربتم اضطراب الحبال فى الآبار خوفا من العقاب و شوقا إلى الثّواب و لذهلتم عمّا أنتم فيه من التنافس فما أمر؟؟ الدّنيا.

أقول: و الأظهر عنـدى أنّ المراد به هو ما أعلمه النبيّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بالوحى الالهى من جريان حكم القضاء اللاّزم على دوران رحى الضـلاله بعـده صـلوات اللّه عليه و آله على قطبهـا إلى رأس خمس و ثلاثين من الهجره، ثمّ قيام دوله بنى اميّه على ما يجرى فيها على المسلمين و المؤمنين من العذاب الأليم و النّكال العظيم، ثمّ ملك الفراعنه أعنى بنى العبّاس على ما يبتلى به النّاس فيه من الفتن و المحن، و لعلّ هـذا الوجه أقرب، و محصّـله أنّ القضاء الأزلى و القـدر الحتمى قـد جرى على وقوع هذه الامور و استيلاء الدوله الباطله لا محاله، فلا يثمر النّهوض و لا ينفع إلاّ السّكوت، و اللّه العالم بحقايق كلام وليّه صلوات اللّه عليه و آله.

تكمله

هـذا الكلام رواه المجلسى فى البحـار بـأدنى اختلاـف، قـال: مأخوذ من مناقب ابن الجوزى خطبه خطب بها أمير المؤمنين عليه السّلام بعد وفات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، روى مجاهد عن ابن عبّاس قال: لمّا دفن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جاء العبّاس و أبو سـفيان بن حرب و نفر من بنى هاشم إلى أمير المؤمنين عليه السّـلام، فقالوا: مـدّ يـدك نبايعك و هـذا اليوم الذى قال فيه أبو سفيان: إن شئت ملاءتها خيلا و رجلا، فخطب عليه السّلام و قال:

أيّهـا النّـاس شـقّوا أمواج الفتن بسـفن النّجـاه، و عرّجوا عن طريق المنـافره وضـعوا تيجان المفاخره، فقـد فاز من نهض بجناح، أو استسـلم فارتاح، ماء آجن و لقمه يغصّ بها آكلها أجدر بالعاقل من لقمه تحشـى بزنبور، و من شربه تلذّبها شاربها مع ترك النّظر فى عواقب الامور، فان أقل يقولوا: حرص على الملك؛ و إن أسـكت يقولوا: جزع من الموت، هيهات هيهات بعـد اللّتيّا و الّتى و اللّه لاـبن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثـدى امّه، و من الرّجل بأخيه و عمّه، و لقـد انـدمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشيه فى الطوى البعيده.

الترجمه

از جملهٔ كلام آن حضرتست در حينى كه پيغمبر خدا صلوات اللّه عليه و آله از

دنیا احتجاب فرمود و خطاب نمودند به آن حضرت عباس بن عبد المطلب و أبو سفیان بن حرب در آنکه بیعت نمایند باو بخلافت، پس فرمود در جواب ایشان:

ای مردمان بشکافید موجهای فتنه ها را که در تلاطم مانند بحار زخّار است بکشتیهای راستکاری، و منحرف بشوید و عدول نمائید از راه مخالفت بسوی استکانت و سلامت، و بگذارید از سرها تاجهای مکابرت و مفاخرت را، راستکار کردید کسی که برخاست بجناح اعوان و انصار یا اطاعت نمود و نفس خود را راحت کرد، چیزی که مرا بسوی آن دعوت می کنید از عقد بیعت همچو آبی است گندیده، و مانند لقمه ایست که بسبب خوردن آن گلو گیر می شود خورندهٔ آن، و چینندهٔ میوه در غیر وقت رسیدن آن بمنزلهٔ کسی است که زراعت کننده است در غیر زمین خود، پس اگر بگویم که میل دارم در خلافت می گویند که حریص است در ملك و أمارت، و اگر ساکت شوم می گویند که ترسید از مقاتله و شهادت، چه دور است آنچه می گویند بعد از این داهیهٔ عظمی و مصیبت کبری و تعاقب شدائد بسیار و ملاقات سختیهای بی شمار، بخدا قسم هر آینه پسر أبو طالب انس گیرنده تر است بمرك از انس گرفتن طفل شیرخواره بپستان مادر خود، بلکه سبب سکوت و توقف من در این باب آنست که پیچیده شده ام بعلم مخزون و سر مکنونی که پنهان است که اگر اظهار بدارم آن را بشما هر آینه مضطرب می شوید، و بلرزه میافتید مانند لرزیدن ریسمان در چاه دور و دراز، و این اشاره است بقیام دولت أهل ضلالت و طغیان و امتداد زمان غصب خلافت ایشان.

ص:۱۴۲

و من كلام له عليه السّلام لما اشير اليه بان لا يتبع طلحه

اشاره

و الزبير و لا يرصد لهما القتال و هو سادس المختار

فى باب الخطب الجارى مجراها

و رواه فى البحار من الامالى بسند يأتى، فى شرح البحرانى عن أبى عبيد قال أقبل أمير المؤمنين عليه السّلام الطواف و قد عزم على اتباع طلحه و الزّبير و قتالهما فأشار إليه ابنه الحسن عليه السّلام أن لا يتبعهما و لا يرصد لهما القتال فقال عليه السّلام فى جوابه:

و اللّه لا أكون كالضّبع تنام على طول اللّدم حتّى يصل إليها طالبها و يختلها راصدها، و لكنّى أضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبر عنه و بالسّامع المطيع العاصى المريب أبدا حتّى يأتى علىّ يومى، فو اللّه ما زلت مدفوعا عن حقّى مستأثرا علىّ منذ قبض اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى يوم النّاس هذا.

اللغه

(الضّبع) بضمّ الباء حيوان معروف مؤنّثه، قال الفيروزآبادى و هى سبع كالذّئب إلاّ أنّه إذا جرى كأنّه أعرج و لذلك سمّى السّبع العرجاء و (اللّدم) اللّطم و الضّرب بشىء ثقيل يسمع وقعه و (ختله) يختله من باب نصر و ضرب خدعه و (استأثر) بالشىء استبدّ به.

الاعراب

على فى قوله: على طول اللدم، للاستعلاء المجازى على حدّ قوله تعالى:

«و لهم علىّ ذنب»، و الباء فى قوله: بالمقبل و بالسّامع، للاستعانه أو المصاحبه،

ص:۱۴۳

و علیّ فی قوله: یأتی علیّ، زائده، و حتّی فی قوله: حتّی یوم النّاس بمعنی إلی و الاتیان بها دون إلی للاشاره إلی دخول ما بعدها فی حکم ما قبلها إذ الغالب فی حتّی مع الخلوّ من القرینه هو الدّخول، کما أنّ الغالب فی الی العکس؛ صرّح به ابن هشام فی المغنی.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ الضّبع حیوان معروف بالحمق و العرب تقول فی أمثالها أحمق من الضّبع، و من حمقها أنّ الصّائد یأتی إلی باب مغارها فیضرب بعقبه الأرض عند الباب ضربا خفیفا، و ذلک هو اللدم و یقول خامری ام عامر مرارا بصوت لیس بشدید فتنام علی ذلک فیدخل إلیها و یجعل الحبل فی عرقوبها و یجرّها فیخرجها.

و فی شرح المعتزلی و العرب یزعمون أنّ الصّائد یدخل علیها و جارها فیقول:

اطرقی امّ طریق خامری أمّ عامر، و یکرّر ذلک مرارا فتلجأ إلی أقصی مغارها و تنقبض فیقول: امّ عامر لیست فی وجارها أمّ عامر نائمه، فتمدّ یدیها و رجلیها و تستلقی فیدخل علیها و یوثقها.

أقول: عامر هو جر و الضّبع و امّ عامر کنیه لها و معنی خامری امّ عامر استتری و الزمی مکانک من المخامره و هو الاستتار و لزوم المکان، و امّ طریق کقبیط (۱) کنیه لها أیضا و هو کثیر الاطراق.

و فی القاموس یقال: خامری حضاجر أتاک ما تجاوز هکذا وجدناه و الوجه خامر بحذف الیاء أو تجاوزین باثباتها، و حضاجر علم جنس للضّبع غیر منصرف لأنّه منقول عن الجمع و کان فی الأصل حضجر بمعنی عظیم البطن سمّی به الضّبع مبالغه فی عظم بطنها، کأن کلّ فرد منها جماعه من هذا الجنس، فهو علم للمفرد المؤنث و لذلک قال الفیروزآبادی: و الوجه أن یقال: تجاوزین، و أما الوجه الآخر الذی ذکره و هو حذف الیاء فی خامر فهو مبنیّ علی کونه علما لجنس الضّبع الأعمّ الشامل

۱- (۱) القبیط الناطف ق.

للذكر و الانثى على ما ذهب إليه البعض على ما حكاه الفيومى فى المصباح.

و كيف كان فاذا عرفت ما مهّدناه و ضح لك معنى قوله عليه السّلام:(و اللّه لا أكون كالضّبع تنام على طول اللدم حتّى يصل إليها طالبها و يختلها) أى يخدعها (راصدها) و مترقّبها و المقصود إنى لا أقعد عن الحرب و لا اؤخّر القتال فيكون حالى مع القوم المشار إليهم حال الضّبع تنام على حيله صائدها، فأكون قد أسلمت نفسى لهم و يكونون متمكّنين منّى تمكّن صائد النّمبع منها بختله و خديعته (و لكنّى أضرب) مصاحبا (بالمقبل إلى الحقّ) وجه (المدبر عنه و) احارب مستعينا (بالسّامع المطيع) لداعى الحقّ (العاصى المريب) فى الحقّ الشّاك فيه (ابدا) أى ما دام العمر (حتّى يأتى علىّ يومى) الذى قدّر فيه موتى (فو اللّه ما زلت مدفوعا عن حقّى) الذى كنت أستحقّه بنصّ من اللّه و رسوله (مستأثرا علىّ) و مستبدا برأيى غير محتاج إلى مشاوره الغير (منذ قبض اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) إليه (حتّى يوم النّاس هذا) يعنى أنّ التغلب علىّ و اندفاعى عن الخلافه شيء لم يتجدد الآن بل كان منذ قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى ذلك اليوم الذى خالفونى و نكثوا بيعتى.

و فى الاحتجاج قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى أثناء كلام له: و هذا طلحه و الزّبير ليسا من أهل النّبوه و لا من ذريّه الرّسول حتّى رأيا أنّ اللّه قد ردّ علينا حقّنا بعد أعصر فلم يصبرا حولا كاملا و لا شهرا حتّى و ثبا علىّ دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقّى و يفرّقا جماعه المسلمين عنّى ثمّ دعا عليهما.

و ينبغى التنبيه على امور

الاول فى ذكر نسب طلحه و الزّبير

أما طلحه فقد قال العلامه الحلىّ قدّس اللّه روحه فى كشف الحقّ و قد ذكر أبو المنذر هشام بن محمّد السّائب الكلبى من علماء الجمهور انّ من جمله البغايا و ذوى الرّايات صعبه بنت الحضرمى و كانت لها رايه بمكه و استصفت بأبى سفيان فوقع عليها أبو سفيان و تزوّجها عبيد اللّه بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فجاءت بطلحه بن عبيد اللّه لستّه أشهر، فاختصم أبو سفيان و عبيد اللّه فى طلحه فجعلا أمرهما إلى صعبه فألحقته بعبيد اللّه فقيل لها: كيف تركت

أبا سفيان؟ فقالت يد عبيد اللّه طلقه و يد أبى سفيان بكره، و قال أيضا: و ممّن كان يلعب به و يتخنّث عبيد اللّه أبو طلحه.

و أمّا الزّبير فقد قال فى البحار: قال مؤلف كتاب إلزام النّواصب و صاحب تحفه الطالب: قد ورد أنّ العوام كان عبدا لخويلد ثمّ اعتقه و تبنّأه(۱) و لم يكن من قريش و ذلک انّ العرب فى الجاهليّه كان إذا كان لأحدهم عبد و أراد أن ينسبه إلى نفسه و يلحق به نسبه أعتقه و زوّجه كريمه من العرب فيلحقه بنسبه و كان هذا من سنن العرب و يصدّق ذلك شعر عدى بن حاتم فى عبد اللّه بن الزّبير بحضره معاويه و عنده جماعه من قريش و فيهم عبد اللّه بن الزّبير، فقال عبد اللّه لمعاويه يا أمير المؤمنين ذرنا نتكلم عديّا فقد زعموا أنّ عنده جوابا، فقال: إنّى أحذّركموه، فقال: لا عليك دعنا و إيّاه فقال يا أبا طريف متى فقئت عينك؟ فقال: يوم فرّ أبوك و قتل شرّ قتله و ضربك الاشتر على استك فوقعت هاربا من الزّحف و أنشد يقول شعرا.

أماد أبى يابن الزّبير لو انى لقيتك يوم الزّحف رمت مدى سخطا

و كان أبى فى طىّ و أبوابى صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا

قال معاويه: قد حذّرتكموه فأبيتم، و قوله: صحيحين اه تعريض بابن الزّبير بأنّ أباه و أبا أبيه ليسا بصحيحى النّسب و أنّهما من القبط و لم يستطع ابن الزّبير انكار ذلك فى مجلس معاويه.

الثانى

فى سبب نقض طلحه و الزّبير بيعته عليه السّلام

، قال الشّارح المعتزلى: لمّا بويع علىّ عليه السّلام كتب إلى معاويه: أمّا بعد فانّ النّاس قتلوا عثمان من غير مشوره منّى و بايعونى عن مشوره منهم و اجتماع فإذا أتاك كتابى فبايع و أوفد إلى أشراف أهل الشّام قبلك، فلمّا قدم رسوله على معاويه و قرء كتابه بعث رجلا من بنى عيس و كتب معه كتابا إلى الزّبير بن العوام و فيه:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم لعبد اللّه الزّبير أمير المؤمنين من معاويه بن أبى سفيان

۱- (۱) اى اخذه ابنا له منه.

سلام علیک، أمّا بعد فانّی قد بایعت لک أهل الشّام فأجابوا و استوسقوا(۱) کما یستوسق الحلب فدونک الکوفه و البصره لا یسبقنّک إلیهما ابن أبی طالب فانّه لا شیء بعد هذین المصرین، و قد بایعت لطلحه بن عبید اللّه بن بعدک فأظهرا الطلب بدم عثمان و ادعوا النّاس إلی ذلک و لیکن منکما الجدّ و التشمیر أظفر کما اللّه و خذل منادیکما.

فلمّا وصل هذا الکتاب إلی الزّبیر ستر به و أعلم به طلحه و أقرأه إیّاه فلم یشکا فی النّصح لهما من قبل معاویه و أجمعا عند ذلک علی خلاف علیّ علیه السّلام.

قال الشّارح: جاء الزّبیر و طلحه إلی علیّ علیه السّلام بعد البیعه بأیّام فقالا: یا أمیر المؤمنین قد رأیت ما کنا فیه من الجفوه فی ولایه عثمان کلها و علمت رأی عثمان کان فی بنی امیّه و قد ولاک اللّه الخلافه من بعده فولنا بعض أعمالک، فقال علیه السّلام لهما: ارضیا بقسم اللّه لکما حتّی أری رأیی و اعلما أنّی لا اشرک فی أمانتی إلّا من أرضی بدینه و أمانته من أصحابی و من قد عرفت دخیلته فانصرفا عنه و قد دخلهما الیأس فاستأذناه فی العمره.

و فی الاحتجاج عن ابن عبّاس أنّه قال: کنت قاعدا عند علیّ علیه السّلام حین دخل علیه طلحه و الزّبیر فاستأذناه فی العمره فأبی أن یأذن لهما فقال: قد اعتمرتما، فعادا علیه الکلام فأذن لهما ثمّ التفت إلیّ فقال: و اللّه ما یرید ان العمره، قلت: فلا تأذن لهما، فردّهما ثمّ قال لهما: و اللّه ما تریدان العمره و ما تریدان إلّا نکثا لبیعتکما و إلّا فرقه لامّتکما فحلفا له فأذن لهما ثمّ التفت إلیّ فقال: و اللّه ما یریدان العمره، قلت: فلم أذنت لهما؟ قال: حلفا لی باللّه، قال خرجا إلی مکه فدخلا علی عایشه فلم یزالا بها حتّی أخرجاها.

و فی شرح المعتزلی من کتاب الجمل لأبی مخنف أنّ علیّا علیه السّلام خطب لمّا سار الزّبیر و طلحه من مکه و معهما عایشه یریدون البصره فقال:

أیّها النّاس إنّ عایشه سارت إلی البصره و معها طلحه و الزّبیر و کلّ منهما یری

۱- (۱) استوسقوا اجتمعوا و فی بعض النسخ استوثقوا حلف منه.

الأمر له دون صاحبه أمّا طلحه فابن عمها و أمّا الزّبير فختنها، و اللّه لو ظفروا بما أرادوا و لن ينالوا ذلك أبدا ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد و اللّه إنّ راكبه الجمل الأحمر ما تقطع عقبه و لا تحلّ عقده إلاّ فی معصیه اللّه و سخطه حتّی تورد نفسها و من معها موارد الهلكه ای و اللّه لیقتلنّ ثلثهم و لیهربنّ ثلثهم و لیتوبنّ ثلثهم و أنّها التی تنبحها كلاب الحواب و أنّهما لیعلمان أنّهما مخطئان و ربّ عالم قتله جهله و معه علمه لا ینفعه و حسبنا اللّه و نعم الوكیل، فقد قامت الفتنه فیها الفئه الباغیه أین المحتسبون أین المؤمنون؟ مالی و لقریش أما و اللّه لقد قتلتهم كافرین و لأقتلنّهم مفتونین، و ما لنا إلی عایشه من ذنب إلاّ أنّا أدخلناها فی حیزنا و اللّه لا یقرنّ الباطل حتّی یظهر الحقّ من خاصرته.

و رواه فی البحار من كتاب الكافیه لابطال توبه الخاطئه قریبا منه، و فیه بدل قوله: و لیتوبنّ ثلثهم و لیرجع ثلثهم و بدل قوله: و ما لنا إلی عایشه من ذنب و ما لنا الیها من ذنب غیر أنّا خیرنا علیها فأدخلناها فی حیزنا.

الثالث

روی المحدّث المجلسی (قده) فی البحار من أمالی المفید عن الكاتب عن الزّعفرانی عن الثقفی عن الفضل بن دكین عن قیس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: لمّا نزل علیّ علیه السّلام بالرّبذه سألت عن قدومه إلیها فقیل: خالف علیه طلحه و الزّبیر و عایشه و صاروا إلی البصره فخرج یریدهم فصرت إلیه فجلست إلیه حتّی صلّی الظهر و العصر فلمّا فرغ من صلاته قام إلیه ابنه الحسن علیهما السّلام فجلس بین یدیه ثمّ بكی و قال: یا أمیر المؤمنین إنّی لا أستطیع أن اكلّمك و بكی علیه السّلام، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: لاتبك یا بنیّ و تكلّم و لا تحنّ حنین الجاریه.

فقال: یا أمیر المؤمنین إنّ القوم حصروا عثمان یطلبونه بما یطلبونه إمّا ظالمون أو مظلومون فسألتك أن تعتزل النّاس و تلحق بمكه حتی تثوب العرب و تعود إلیها أحلامها و تأتیك وفودها فو اللّه لو كنت فی جحر ضبّ لضربت إلیك العرب آباط الابل حتّی تستخرجك منه ثمّ خالفك إلی الحقّ طلحه و الزّبیر فسألتك أن لا تتبعهما

و تدعهما فان اجتمعت الامّه فذاك و ان اختلفت رضيت بما قسم اللّه و أنا اليوم أسألك أن لا تقدم العراق و اذكرك باللّه أن لا تقتل بمضبعه.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام أمّا قولك: إن عثمان حصر فما ذاك و ما عليّ منه و قد كنت بمعزل عن حصره، و أمّا قولك: ائت مكه فو اللّه ما كنت لأكون الرّجل يستحل به مكه، و أمّا قولك: اعتزل العراق و دع طلحه و الزّبير فو اللّه ما كنت لأكون كالضّبع ينتظر حتّى يدخل عليها طالبها فيضع الحبل فى رجلها حتّى يقطع عرقوبها ثمّ يخرجها فيمزقها اربا اربا و لكن أباك يا بنيّ يضرب المقبل إلى الحقّ المدبر عنه و بالسّامع المطيع العاصى المخالف أبدا حتّى يأتى عليّ يومى فو اللّه ما زال أبوك مدفوعا عن حقّه مستأثرا عليه منذ قبض اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى يوم النّاس هذا و كان طارق بن شهاب أيّ وقت حدث بهذا الحديث بكى هذا.

و المستفاد من هذه الرّوايه أنّه عليه السّلام خطب بهذه الخطبه بالرّبذه، و المستفاد من روايه الشّارح البحرانى السّالفه أنّه خطب بها بمكه، و اللّه العالم بحقايق الوقايع.

الترجمه

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن حضرتست كه فرمود در حينى كه اشاره كرده شد بسوى او كه نرود پى طلحه و زبير و مهيّا نسازد بجهه ايشان مقاتله و محاربه را و اشاره كننده حضرت امام حسن عليه السّلام بود كه بحضور پدر بزرگوار اين عرض را نمود پس آن امام عاليمقام جواب داد:

بخدا سوگند كه من نمى توانم مثل كفتار بشوم كه بخوابد بر درازى زدن صيد كنندهٔ او پاشنهٔ خود را بسنك كه اين از جملهٔ اسباب صيد اوست تا اين كه برسد باو طلب كننده و فريب دهد او را انتظار كشندهٔ او، و لكن من مى زنم باستعانت و مصاحبت كسى كه اقبال كنندهٔ حقّ است ادبار كنندهٔ از حق را و بيارى شنوندهٔ فرمان بردار گنه كار شك آورنده را در جميع حالات و در همه اوقات تا اين كه بيايد بسوى من روز موعود من.

پس بخداوند سوگند هميشه بوده ام دفع كرده شده از حقّ خود ممنوع

ص:۱۴۹

گردیده از خلافت مستبدّ در امر و تنها ایستاده ام بر کار خود و هیچ ناصر و معین من نبوده از آن زمان که قبض فرمود حقّ سبحانه و تعالی روح پر فتوح پیغمبر خود را تا روز مردمان این روزگار، یعنی اغتصاب خلافت و ممنوع شدن من از حقّ خود چیزی نیست که تازگی داشته باشد و از آن استیحاش بکنم، بلکه امریست مستمرّ از روز وفات حضرت رسالت مآب سلام اللّه علیه تا امروز که این منافقین با من بمقام نقض عهد آمده و بنایشان دفع نمودن من است از حقّ خود، و اللّه أعلم بالصّواب.

و من خطبه له علیه السّلام و هی الخطبه السابعه

اشاره

إتّخذوا الشّیطان لأمرهم ملاکا، و اتّخذهم له أشراکا، فباض و فرّخ فی صدورهم، و دبّ و درج فی حجورهم، فنظر فی أعینهم، و نطق بألسنتهم، فرکب بهم الزّلل، و زیّن لهم الخطل، فعل من قد شرّکه الشّیطان فی سلطانه، و نطق بالباطل علی لسانه.

اللغه

(الشّیطان) فیعال من شطن إذا تباعد فکأنّه یتباعد عند ذکر اللّه تعالی، و قیل إنّه فعلان من شاط یشیط إذا احترق غضبا لأنّه یحترق و یغضب إذا أطاع العبد للّه سبحانه و (ملاک) الامر ما به قوامه و (الاشراک) إمّا جمع شریک کشریف و أشراف و هو الأظهر، أو جمع شرک و هو حبائل الصّید و الغالب فی جمعه شرک بضمّتین و قد یجمع علی أشراک کجبل و أجبال و (باض) الطائر و نحوه یبیض بیضا فهو بائض و (فرّخ) من باب التّفعیل و (دبّ) الصّغیر دبیبا من باب ضرب سار و (درج) الصّبی دروجا من باب قعد مشی قلیلا، و قد یختصّ الدّبیب بالحرکه الخفیّه و (الخطل) الکلام الفاسد یقال: أخطل فی کلامه أی أخطأ.

الاعراب

فعل من قد شرکه مفعول مطلق مجازی لقوله: اتّخذوا إذ العامل محذوف و التقدیر

ص:۱۵۰

فعلوا ذلک فعل من اه.

المعنی

اعلم أنّه علیه السّلام أشار فی هذه الخطبه إلی ذمّ المنابذین و المخالفین له و المتمرّدین عن طاعته فقال:(اتّخذوا الشّیطان لأمرهم ملاکا) أی به قوام امورهم و نظام حالهم فجعلوه ولیا لهم سلطانا علیهم متصرّفا فیهم بالأمر و النّهی کما قال سبحانه:

«اِتَّخَذُوا الشَّیاطِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ اللّهِ » و قال تعالی: «إِنّا جَعَلْنَا الشَّیاطِینَ أَوْلِیاءَ لِلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ » أی حکمنا بذلک لأنّهم یتناصرون علی الباطل یؤمنون به و یتولّون الشّیطان و یشرکون بالرّحمن کما قال تعالی:

«إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَی الَّذِینَ یَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِینَ هُمْ بِهِ مُشْرِکُونَ » (و اتّخذهم له أشراکا) یعنی أنّهم بعد ما ملکوا الشّیطان امورهم فتصرّف فیهم بأن أخذهم شرکاء له و جعلهم جنوده و أتباعه کما قال تعالی:

«اِسْتَحْوَذَ عَلَیْهِمُ الشَّیْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِکْرَ اللّهِ أُولئِکَ حِزْبُ الشَّیْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّیْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ » و أمّا علی جعل الاشراکجمعا لشرک فقد قال الشّارح البحرانی أنّه استعاره حسنه، فإنّه لمّا کان فایده الشّرک اصطیاد ما یراد صیده و کان هؤلاء القوم بحسب ملک الشّیطان لآرائهم و تصرّفه فیهم علی حسب حکمه أسبابا لدعوه الخلق إلی مخالفه الحقّ و منابذه إمام الوقت و خلیفه اللّه فی أرضه اشبهوا الأشراک لاصطیادهم الخلق بألسنتهم و أموالهم و جذبهم إلی الباطل بالأسباب الباطله التی ألقاها إلیهم الشّیطان و نطق بها علی ألسنتهم فاستعار لهم لفظ الاشراک.

ثمّ أشار علیه السّلام إلی ملازمه الشّیطان لهم بقوله(فباض و فرخ فی صدورهم)کالطایر الذی یبیض و یفرخ و ذلک لا یکون إلاّ بعد طول الملازمه و الاقامه، فشبّه

ص:۱۵۱

علیه السّلام صدورهم بعشّ الطائر و موطنه إذا البائض لا یبیض إلّا فی مسکنه، و کنّی بالبیض و الفرخ عن إقامته علیهم و مکثه فی قلوبهم لاغوائهم، و یمکن أن یکون المراد بهما معناهما الاصلی لأنّه لا نتاج له و إنّما یبیض و یفرخ بنفسه.

کما یدلّ علیه ما رواه فی البحار من الخصال بإسناده عن أبی عبد الرّحمن عن معاویه بن عمّار عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: الآباء ثلاثه آدم ولد مؤمنا، و الجانّ ولد کافرا و إبلیس ولد کافرا و لیس فیهم نتاج إنّما یبیض و یفرخ و ولده ذکور لیس فیهم اناث.

و فیه من العلل بإسناده عن عمرو بن خالد عن زید بن علیّ عن آبائه عن علیّ علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّ اللّه عزّ و جلّ حین أمر آدم أن یهبط، هبط آدم و زوجته و هبط إبلیس و لا زوجه له و هبطت الحیّه و لا زوج لها فکان أوّل من یلوط بنفسه إبلیس فکانت ذرّیته من نفسه، و کذلک الحیّه و کانت ذرّیه آدم من زوجته فأخبرهما أنّهما عدوّ ان لهما هذا.

و لکنّ الأظهر هو المعنی الأوّل لأنّ الکنایه أبلغ من الافصاح و أسدّ من التّصریح، فیکون ذلک نظیر قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّ الشّیطان یجری من ابن آدم مجری الدّم، فإنّ المقصود به لیس أنّه یدخل عروقه و أوراده و تجاویف أعضائه بل المعنی أن الشّیطان لا یزال یراقب العبد و یوسوس إلیه فی نومه و یقظته، إذ هو جسم لطیف هوائیّ یمکنه أن یصل إلی ذلک الانسان فیوصل کلامه و وسواسه إلی باطن اذنه فیصیر إلی قلبه، و اللّه العالم بکیفیّه ذلک.

و بالجمله کلام العرب إشارات و تلویحات و الکلام إذا ذهب عنه المجاز و الاستعاره و الکنایه زالت براعته و فارقه رونقه و بقی مغسولا و صار عامیّا مرذولا و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کذلک سیّد الأوصیاء علیه السّلام أفصح الفصحاء و أکمل البلغاء، فیکون فائده کلامه صلوات اللّه علیه أنّ الشّیطان یلازمک و یراصدک من حیث لا تعلم فعلیک بالاحتراز منه و التّوقّی من کیده و مکره، و فائده کلامه علیه السّلام أنّ الشّیطان استوطن قلوبهم و لزم صدورهم لزوم الطیر البائض علی بیضته (و دبّ و درج فی حجورهم) دبیب الولد فی حجر والدیه فهو معهم لا یفارقهم و لا یفارقونه، و علی الوجه الآخر

الذی ذکرناه من احتمال استعمال باض و فرّخ فی معناهما الحقیقی فالأظهر رجوع الضّمیرین فی دبّ و درج إلی الفرخ المستفاد من فرخ.

ثمّ أشار علیه السّلام إلی شدّه اتّحاده معهم بقوله (فنظر بأعینهم و نطق بألسنتهم) و ذلک لأنّ النّظر و النّطق و سایر أفعال الأعضاء و الجوارح بأسرها تابعه لاراده القلب، إذ القلب هو الحاکم علیها بالأمر و النهی و المتصرّف فی مملکه البدن و الرّئیس علی الجوارح و المشاعر الباطنه و الظاهره.

و لمّا جعلوا هؤلاء قلوبهم عش الشّیطان و موطنه و ألقوا مقالید امورهم إلیه و عزلوا عقولهم عن التّصرف و التّدبیر، کان إرادتهم القلبیّه التی هی منشأ الحرکات و الأفعال للجوارح تبعا له و منبعثه من وسوسته و إغوائه، فیکون جمیع الأفعال و الحرکات و السّکنات لهم مستنده إلیه و صادره عن حکمه، فیکون نظرهم نظر الشّیطان و نطقهم نطق الشّیطان لا ینظرون إلاّ إلی ما فیه رضاه، و لا ینطقون إلاّ بما مناه.

(ف) عند ذلک (رکب بهم الزّلل) و الضّلاله (و زیّن لهم الخطل) و الفکاهه و فعلوا ذلک مثل (فعل من قد شرکه الشّیطان فی سلطانه و نطق بالباطل علی لسانه) یعنی کما أنّ من جعله الشّیطان شریکا له فی تسلطه و أمره و نهیه و کان ناطقا بالباطل علی لسانه، یکون جمیع أفعاله و أقواله فی جمیع أحواله تبعا لذلک اللعین، فکذلک هؤلاء المنافقین و المنابذین لعنه اللّه علیهم أجمعین.

الترجمه

أخذ نمودند منافقان شیطان را بجهه کارهای خودشان محلّ اعتماد و ما به القوام، و اخذ نمود شیطان ایشان را بجهه خود شریکان، پس تخم شقاوت نهاد و جوجه در آورد و در سینۀ ایشان بحرکت در آمد و با تدریج رفتار کرد در کنار ایشان، پس با چشم آنها نگاه نمود و با زبان ایشان گویا گردید، پس سوار نمود ایشان را بر مرکب لغزش و گناه و زینت داد بجهه ایشان قول فاسد و تباه را، می نمائید کارها را مثل کردن کسی که شریک نموده باشد او را شیطان در سلطان و طغیان خود، و همچو

کردن کسی که گویا باشد بامر باطل بر زبان او، یعنی افعال و أقوال اینها مثل فعل و قول کسی است که من جمیع الوجوه مطیع شیطان بوده باشد و از غایت اختلاط و امتزاج با شیطان اثنینیت از میانه برداشته شود.

و من کلام له علیه السّلام یعنی به الزبیر فی حال اقتضت ذلک

اشاره

و هو ثامن المختار فی باب الخطب

یزعم أنّه قد بایع بیده و لم یبایع بقلبه، فقد أقرّ بالبیعه، و ادّعی الولیجه، فلیأت علیها بأمر یعرف، و إلاّ فلیدخل فیما خرج منه.

اللغه

(ولج) یلج ولوجا و لجه دخل، و الولیجه الدّخیله و البطانه و خاصّتک من الرّجال و من تتّخذه معتمدا من غیر أهلک، و هو ولیجتهم ای لصیق بهم، و المراد هنا ما أضمره الإنسان فی قلبه.

الاعراب

الفاء فی قوله علیه السّلام: فقد أقرّ، و قوله: فلیأت، فصیحه و فی قوله: فلیدخل جواب للشّرط

المعنی

اعلم أنّ الزّبیر بعد نکثه بیعته علیه السّلام کان یعتذر عن ذلک، فیدّعی تاره أنّه اکره علی البیعه و (یزعم) اخری أنّه ورّی فی ذلک توریه و نوی دخیله و (أنّه قد بایع بیده و لم یبایع بقلبه) فأجاب علیه السّلام عنه و ردّ ادّعائه بأنّه (قد أقرّ بالبیعه) بتسلیمه البیعه بیده ظاهرا و (ادّعی) أنّه أضمر فی باطنه ما یفسد بیعته من (الولیجه) و البطانه و هذه دعوی لا تسمع منه و لا تقبل شرعا ما لم ینصب علیها دلیلا و لم یقم علیها برهانا (فلیأت) علی اثباتها (بأمر یعرف) صحّته و دلیل یتّضح دلالته (و إلاّ) أی إن لم یقم علیها برهانا کما أنّ الشّأن ذلک (فلیدخل فیما خرج منه) من طاعته علیه السّلام و انقیاد حکمه و لیمض علی بیعته.

ص:۱۵۴

قال الشّارح المعتزلی: لمّا خرج طلحه و الزّبیر من المدینه إلی مکه لم یلقیا أحدا إلاّ و قالا: لیس لعلیّ فی أعناقنا بیعه و إنّما بایعناه مکرهین فبلغ علیّا علیه السّلام قولهما فقال علیه السّلام: أبعدهما اللّه و أعزب دارهما و أنا و اللّه لقد علمت أنّهما سیقتلان أنفسهما أخبث مقتل و یأتیان من وردا بأشام یوم و لقد أتیانی بوجهی فاجرین و رجعا بوجهی غادرین ناکثین، و اللّه لا یلقیاننی بعد هذا الیوم إلاّ فی کتیبه خشناء یقتتلان فیها أنفسهما فبعدا لهما و سحقا.

و فی الاحتجاج عن نصر بن مزاحم أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام حین وقع القتال و قتل طلحه تقدم علی بلغه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الشّهباء بین الصّفین، فدعا الزّبیر، فدنا إلیه حتّی إذا اختلفت أعناق دابتیهما، فقال: یا زبیر انشدک أسمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: إنّک ستقاتل علیّا و أنت له ظالم، قال، اللّهم نعم، قال: فلم جئت؟ قال: جئت لا صلح بین النّاس فأدبر الزّبیر و هو یقول:

ترک الامور التی یخشی عواقبها للّه أجمل فی الدّنیا و فی الدّین

أتی علیّ بأمر کنت أعرفه (۱) قد کان عمر أبیک الخیر مذ حین

فقلت حسبک من عدل أبا حسن فبعض ما قلته ذا الیوم یکفینی

فاخترت عارا علی نار مؤجّجه أنّی یقوم لها خلق من الطین

نبّئت طلحه وسط النّقع منجدلا مأوی الضّیوف و مأوی کل مسکین

قد کنت أنصره أحیانا و ینصرنی فی النّائبات و یرمی من یرامینی

حتّی ابتلینا بأمر ضاق مصدره فأصبح الیوم ما یعنیه یعنینی

قال: و أقبل الزّبیر إلی عایشه فقال: یا أمّه و اللّه ما لی فی هذا بصیره و أنا منصرف، فقالت عایشه: یا أبا عبد اللّه أ فررت من سیوف ابن أبی طالب؟ فقال: انّها و اللّه طوال حداد تحملها فتیه أنجاد ثمّ خرج راجعا فمرّ بوادی السّباع و فیه الأحنف ابن قیس قد اعتزل فی بنی تمیم فأخبر الأحنف بانصرافه فقال: ما أصنع به إن کان

۱- (۱) نادی علی بأمر لست أذکره، خ ل.

الزّبير قد القى (الف خ) بين غارين(۱) من المسلمين و قتل أحدهما بالآخر ثمّ هو يريد اللحاق بأهله فسمعه ابن جرموز فخرج هو و رجلان معه و قد كان لحق بالزبير رجل من كلب و معه غلامه.

فلمّا أشرف ابن جرموز و صاحباه على الزّبير فحرّك الرّجلان رواحلهما و خلّفا الزّبير وحده، فقال الزّبير: ما لكما هم ثلاثه و نحن ثلاثه فلمّا أقبل ابن جرموز قال له الزّبير: مالك إليك عنّى فقال ابن جرموز: يا أبا عبد اللّه إنّنى جئتك لأسألك عن امور النّاس قال: تركت النّاس على الرّكب يضرب بعضهم وجوه بعض بالسّيف.

قال ابن جرموز: يا أبا عبد اللّه أخبرنى عن أشياء أسألك عنها قال: هات، فقال أخبرنى عن خذلك عثمان و عن بيعتك عليّا و عن نقضك بيعته و عن إخراجك عايشه أمّ المؤمنين و عن صلاتك خلف ابنك و عن هذه الحرب التى جئتها و عن لحوقك بأهلك فقال: أمّا خذلى عثمان فأمر قدّم اللّه فيه الخطيئه و أخّر فيه التّوبه، و أمّا بيعتى عليّا فلم أجد منها بدّا إذ بايعه المهاجرون و الأنصار، و أمّا نقضى بيعته فانّما بايعته بيدى دون قلبى، و أمّا إخراجى أمّ المؤمنين فأردنا أمرا و أراد اللّه غيره، و أمّا صلاتى خلف ابنى فانّما خالته قد متنى، فتنحّى ابن جرموز عنه، و قال قتلنى اللّه إن لم أقتلك.

و فى شرح المعتزلى بعد ما ذكر سؤال ابن جرموز و جواب الزّبير قال: فسار ابن جرموز معه و كلّ واحد منهما يتقى الآخر فلمّا حضرت الصّلاه فقال الزّبير يا هذا إنّا نريد أن نصلّى، فقال ابن جرموز: أنا اريد ذلك فقال الزّبير: فتؤمنّى و اؤمّک، قال: نعم فثنى الزّبير رجلا و أخذ وضوئه، فلمّا قام إلى الصّلاه شدّ ابن جرموز عليه فقتله و أخذ رأسه و خاتمه و سيفه و حثا عليه ترابا يسيرا و رجع إلى

ص:۱۵۶

۱- (۱) و فى حديث على عليه السلام قال يوم الجمل ما ظنك بامرء جمع بين هذين الغارين اى الجيشين و الغار الجماعه هكذا اخرجه أبو موسى فى الغين و الواو و ذكره الهروى فى الغين و الياء قال و منه حديث الاحنف قال فى الزبير حين منصرفه من الجمل ما اصنع ان كان جمع بين غارين، نهايه

الأحنف فأخبره، فقال: و اللّه ما أدرى أسأت أم أحسنت، اذهب إلى علىّ عليه السّلام فاخبره فجاء إلى علىّ فقال للآذن: قل له: عمرو بن جرموز بالباب و معه رأس الزّبير و سيفه فادخله.

و فى كثير من الرّوايات أنّه لم يأت بالرّأس بل بالسّيف فقال له: أنت قتلته قال: نعم قال: و اللّه ما كان ابن صفيّه جبانا و لا لئيما و لكن الحين(١) و مصارع السّوء، ثمّ قال ناولنى سيفه فناوله فهزّه، و قال: سيف طال ما جلى به الكرب عن وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقال ابن جرموز: الجائزه يا أمير المؤمنين، فقال عليه السّلام: أما انّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول بشّر قاتل ابن صفيّه بالنّار، فخرج ابن جرموز خائبا و قال:

أتيت عليّا برأس الزّبير أبغى به عنده الزّلفه

فبشّر بالنّار يوم الحساب فبئست بشاره ذى التّحفه

فقلت له إنّ قتل الزّبير لو لا رضاك من الكلفه

فإن ترض ذاك فمنك الرّضا و إلاّ فدونك لى حلفه

و ربّ المحلّين و المحرمين و ربّ الجماعه و الالفه

لسيّان عندى قتل الزّبير و ضرطه عنز بذى الجحفه

ثمّ خرج ابن جرموز على علىّ عليه السّلام مع أهل النّهر، فقتله معهم فيمن قتل.

فان قيل: أليس ما رواه ذلک صريحا فى توبه الزّبير حيث إنّه لو لم يكن تائبا لما استحقّ قاتله النّار بقتله، فيدل ذلک على صحه ما ذهب إليه الشّارح المعتزلى وفاقا لساير المعتزله من صحّه توبه الزبير.

قلت: قد اجيب عنه تاره بأنّ بشاره القاتل بالنّار لا ينافى كون المقتول فيها أيضا، و لا يلازم توبته، و ذلک لأنّ ابن جرموز قتل الزّبير على وجه الغيله و المكر و هذه منه معصيه لا شبهه فيها فإنّما استحقّ ابن جرموز النّار بقتله ايّاه غدرا لا لأنّ

١- (١) الحين الهلاک.

المقتول فى الجنّه.

و اجيب اخرى بأنّ جرموز كان من جمله الخوارج كما ذكره الشّارح فى آخر كلامه و النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد كان خبّره بحالهم و دلّه على جماعه منهم بأعيانهم و أوصافهم، فلمّا جاءه ابن جرموز برأس الزّبير أشفق أمير المؤمنين عليه السّلام من أن يظنّ به لعظيم ما فعله الخير و يقطع له على سلامه العاقبه و يكون قتله الزّبير شبهه فيما يصير إليه من الخارجيّه قطع عليه بالنّار لتزول الشّبهه فى أمره و ليعلم أنّ هذا الفعل الذى فعله لا يساوى شيئا مع ما يرتكبه فى المستقبل.

و الذى يدلّ على أنّ بشارته بالنّار لم تكن لكون الزّبير تائبا بل لبعض ما ذكرناه هو أنّه لو كان الأمر كما ادّعوه لأقاده أمير المؤمنين عليه السّلام به ففى عدوله عليه السّلام من ذلك دلاله على ما ذكرنا كما هو واضح لا يخفى، مضافا إلى أنّه لو كان تائبا لم يكن مصرعه مصرع سوء لا سيّما و قد قتله غادرا، و يأتى إنشاء اللّه تحقيق هذا المعنى فى شرح الكلام المأه و السّابعه و الثلاثين بما لا مزيد عليه فانتظر.

الترجمه

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن حضرتست كه اراده نموده بآن زبير را در حالى كه اقتضا ميكرد آن را ادّعا ميكند زبير كه بيعت كرده بدست خود و بيعت ننموده بقلب خود، پس بتحقيق اقرار نمود ببيعت خود شرعا و ادّعا كرد پنهان داشتن خلاف آنرا در باطن، پس بايد كه بياورد بر آن دعوى يا دليلى كه شناخته مى شود بآن دليل صحّت آن دعوى، و اگر اقامهٔ دليل نتواند بكند بايد داخل شود بآن چيزى كه از آن خارج شده.

و من كلام له عليه السّلام و هو تاسع المختار فى باب الخطب

اشاره

و قد أرعدوا و أبرقوا، و مع هذين الأمرين الفشل، و لسنا نرعد حتّى نوقع، و لا نسيل حتّى نمطر.

اللغه

(أرعد) الرجل و (أبرق) أوعد و تهدّد قال الكميت:

ص:١٥٨

أرعد و أبرق يا يزيد فما وعيدك لى بضائر

و (الفشل) بفتحتين مصدر فشل إذا ضعف و جبن.

الاعراب

الفشل مرفوع على الابتداء قدم عليه خبره توسّعا، و الفعلان الواقعان بعد حتّى منصوبان إمّا بنفس حتّى كما يقوله الكوفيّون، أو بأن مضمره نظرا إلى أنّ حتّى إنّما تخفض الأسماء و ما يعمل فى الأسماء لا يعمل فى الأفعال، و كيف كان فهى فى الموضعين إمّا بمعنى إلى كما فى قوله سبحانه:

«حَتّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى » أو بمعنى إلاّ كما فى قوله:

ليس العطاء من الفضول سماحه حتّى تجود و ما لديك قليل

قال ابن هشام: و هذا المعنى(١) ظاهر من قول سيبويه فى تفسير قولهم: و اللّه لا أفعل إلاّ أن تفعل، المعنى حتّى أن تفعل و الأظهر فى كلامه عليه السّلام إراده المعنى الثّانى فافهم.

المعنى

اعلم أنّ كلامه عليه السّلام فى هذا المقام ناظر إلى طلحه و الزّبير و أتباعهما من أصحاب الجمل و وارد فى توبيخهم و ذمّهم (و) ذلك لأنّهم (قد أرعدوا و أبرقوا) أى أوعدوا و تهدّدوا قبل ايقاع الحرب (و مع هذين الأمرين الفشل) إذ الوعيد و التّهديد و الضّوضاء قبل ايقاع الحرب و الظّفر على الخصم أماره الضّعف و الجبن و علامه رذاله النّفس، كما أنّ الصّمت و السّكوت أماره الشّجاعه و لذلك أنّه عليه السّلام قال لأصحابه فى تعليم آداب الحرب فى ضمن كلامه المأه و الرّابع و العشرين: و أميتوا أصواتكم فانّه أطرد للفشل، و قال لأصحابه فى غزوه الجمل: إيّاكم و كثره الكلام فانّه فشل ثمّ بعد الاشاره إلى ذمّهم و رذاله أنفسهم أشار عليه السّلام إلى علوّ همّته و فضيله نفسه و أصحابه بقوله:(و لسنا نرعد حتّى نوقع و لا نسيل حتّى نمطر) يعنى كما أنّ

١- (١) اى كون حتى بمعنى الا منه.

فضیله السّحاب اقتران وقوع المطر منه برعده و برقه و إسالته بامطاره فکذلک أقوالنا مقرونه بأفعالنا و إساله عذابنا مقارنه بامطاره، و یحتمل أن یکون المعنی إنّا لا نهدّد إلّا أن نعلم أنّا سنوقع، و لا نوعد إلّا إذا أوقعنا بخصمنا، یعنی إذا أوقعنا بخصمنا أوعدنا حینئذ بالایقاع به غیره من خصومنا و هکذا کان حال الشجعان فی سالف الزّمان و غابره.

کما روی أنّ کاتب حدود الرّوم کتب إلی المعتصم أنّ أبا قیس الرّومی حاکم قلعه عموریه أمسک امرأه من المسلمین یعذّبها و هی تصیح وا محمّداه وا معتصماه و أبو قیس یستهزء بها و یقول: إنّ المعتصم یرکب مع جنوده علی خیل بلق یأتی إلی و یستخرجک من عذابی، فلمّا ورد علیه الکتاب کان خادمه معه قدح من ماء السّکر یشربه المعتصم فقال له احفظ هذا و لا تناولنیه إلّا فی بیت المرأه المسلمه، فخرج من سرّ من رأی و أمر بعساکره أن لا یرکب إلّا من عنده فرس أبلق فاجتمع عنده ثمانون ألفا یرکبون خیلا بلقا، و کان المنجّمون أشاروا علیه بأن لا یسافر و أن قلعه عموریه لا تفتح علی یدیه.

فقال إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: من صدّق منجّما فقد کذب ما أنزل اللّه علی محمّد فسار إلی القلعه و حصرها مدّه و کان الشّتاء فی غایه البرد فخرج المعتصم یوما من خیمته و وجد العسکر واقفا من شدّه البرد لا یقدرون علی رمی السّهام، فأمر بمأتی قوس و رکب إلی حصار القلعه بنفسه فلمّا رآه جنوده رکضوا علی القلعه من أطرافها و فتحوها فسأل عن المرأه فدلوه علیها و اعتذر لدیها، و قال: إنّک ندبتنی من عموریه و سمعتک من سامرّا و قلت: لبّیک، فها أنا رکبت علی الخیل البلق و اخذت بظلامتک، ثمّ أمر خادمه باحضار ماء السّکر فشربه و قال: الآن طاب الشّراب و احتوی علی ما فیها من الأموال و قتل ثلاثین ألف أو أزید هذا.

و فی قوله علیه السّلامو لا نسیل حتّی نمطرتعریض علی أصحاب الجمل و أنّهم فی وعیدهم و اجلابهم بمنزله من یدّعی أنّه یحدث السّیل قبل إحداث المطر و هذا محال لأنّ السّیل إنّما یکون من المطر فکیف یسبق المطر،و اللّه العالم بحقائق

ص:۱۶۰

كلام أوليائه.

الترجمه

يعنى مانند رعد در تهديد مى غرّند و مانند برق در توعيد مى جهند و با اين دو امر ترس و جبن است، و نيستيم ما كه بترسانيم تا اين كه واقع گردانيم، و نه سيل روان نمائيم تا اين كه ببارانيم، و اللّه اعلم.

و من خطبه له عليه السّلام و هى الخطبه العاشره

اشاره

ألا و إنّ الشّيطان قد جمع حزبه، و استجلب خيله و رجله، و إنّ معى لبصيرتى، ما لبّست على نفسى و لا لبّس علىّ، و أيم اللّه لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه، لا يصدرون عنه، و لا يعودون إليه.

اللغه

(الخيل) الفرسان و (الرّجل) بالفتح جمع راجل كالرّكب جمع راكب و (أيم اللّه) مخفّف أيمن قال الفيومى أيمن اسم استعمل فى القسم و التزم رفعه كما التزم رفع لعمرو اللّه، و همزته عند البصريّين وصل و اشتقاقه عندهم من اليمن و هو البركه، و عند الكوفيّين قطع لانّه جمع يمين عندهم و قد يختصر منه و يقال و أيم اللّه بحذف الهمزه و النّون ثم اختصر ثانيا فيقال م اللّه بضم الميم و كسرها و (افرطن) إمّا بفتح الهمزه و ضم الراء مضارع فرط زيد القوم كقعد أى سبقهم و تقدم عليهم، و فرط بفتحتين المتقدم فى طلب الماء يهيئ الدلاء و الارشاء، و إمّا بضم الهمزه و كسر الراء من باب الافعال مأخوذ من أفرط المزاده أى ملأها و (الماتح) كالمايح و هو المستقى من البئر إلاـ أن الفرق بينهما كاعجامهما كما قاله أبو على، يعنى أنّ التاء بنقطتين من فوق و كذلك الماتح لأنّه المستقى فوق البئر و الياء بنقطتين من تحت و كذلك المايح لأنّه الذى ينزل إلى البئر فيملاء الدلو.

ص:١٦١

الاعراب

ألا حرف تنبيه تدلّ على تحقّق ما بعدها لتركبها من همزه الاستفهام و لاء النّفى، و همزه الاستفهام إذا دخلت على النّفى أفادت التحقيق نحو:

«أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى » قال الزمخشرى: و لكونها بهذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجمله بعدها إلا مصدّره بنحو ما يتلقّى به القسم نحو:

«أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ » أقول: و كان ينبغى له أن يضيف إلى ذلك وقوع نفس القسم بعدها كما فى كلامه عليه السّلام، و أيم اللّه مرفوع بالابتداء خبره محذوف أى أيم اللّه قسمى و قد يدخله اللام للتّوكيد فيقال ليمن اللّه قسمى، و افرطن إن كان من فعل فحوضا منصوب بنزع الخافض و اللام فى لهم إمّا للتّقويه على حد قوله: يؤمن للمؤمنين، أو تعليليّه أى لاسبقنهم أو لاسبقن لأجلهم إلى حوض على حد قوله: و اختار موسى قومه، و إن كان من افعل فحوضا مفعول به و لهم مفعول لاجله أى لأملأن لأجلهم حوضا، و جمله لا يصدرون عنه و لا يعودون اليه حاليه أو صفه للحوض.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه ملتقطه من خطبه طويله له عليه السّلام لما بلغه أنّ طلحه و الزبير خلعا بيعته و هو غير منتظم، و قد أورد السّيد منها فصلا آخر و هى الخطبه الثّانيه و العشرون؛ و نورد تمام الخطبه هناك إنشاء اللّه و على ذلك فالمراد بقوله عليه السّلام:

(الا إنّ الشيطان قد جمع حزبه) هو الشّيطان الحقيقى لا معاويه كما توهّمه الشّارح المعتزلى، و حزبه هو طلحه و الزبير و أتباعهما و هم المراد أيضا بقوله:(و استجلب خيله و رجله) و فيه إشاره إلى أنّ الشّيطان هو الباعث لهم على مخالفه الحقّ و الجامع لهم على الباطل بوسوسته و اغرائه و تزيينه الباطل فى قلوبهم و أنّ هؤلاء أطاعوا له و أجابوا دعوته و شاركوه فى الدعاء إلى الباطل فصاروا حزبه قال تعالى:

«وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاّ غُرُوراً » أى استخف من استطعت منهم أن تستفزه بدعائك إلى الفساد قال ابن عبّاس: كل راكب أو راجل فى معصيه اللّه فهو من خيل إبليس و جنوده و يدخل فيه كلّ راكب و ماش فى معصيه اللّه فخيله و رجله كلّ من شاركه فى الدّعاء إلى المعصيه.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى كمال عقله و استعداده بقوله:(و انّ معى لبصيرتى) يريد أنّ البصيره التى كانت معى فى زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم تتغير، و إلى هذه اشيرت فى قوله تعالى:

«قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي » قال أبو جعفر عليه السّلام فى روايه الكافى ذاك رسول اللّه و أمير المؤمنين و الأوصياء من بعدهما، يعنى أنّ الدّاعى إلى اللّه مع البصيره هو رسول اللّه و أمير المؤمنين و الأوصياء التّابعون له فى الأقوال و الأفعال.

ثمّ أكد كمال عقله بالاشاره إلى عدم انخداعه بخدع الشّيطان و بتلبيسه الباطل بصوره الحقّ كما يلبس على ذوى البصائر الضّعيفه و اولى العقول السخيفه سواء كان مخادعته بغير واسطه و هو المشار إليه بقوله:(ما لبّست على نفسى) أى لا يتلبس على نفسى المطمئنه ما تلقيه إليها نفسى الأمّاره، أو بواسطه غيره و هو المشار إليه بقوله:(و لا لبّس علىّ) أى لم يحصل التّلبيس علىّ من الخارج من جنود إبليس و أتباعه الذين تلقفوا عنه الشّبه و صار فى قوتهم أن يلبسوا الحقّ صوره الباطل (و أيم اللّه لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه)هذا الكلام منه عليه السّلام وارد مورد التّهديد و جار على سبيل الاستعاره، و معناه لاسبقنهم أو لاسبقنّ لأجلهم حياض الحرب التى أنا متدرّب بها، أو لأملئنّ لهم حياض الحرب التى هى عادتى و أنا خبير بها

ص:۱۶۳

قال الشّارح البحرانی: استعار إفراط الحوض لجمعه الجند و تهیئه أسباب الحرب و کنّی بقوله: أنا ماتحه، أنّه هو المتولی لذلک و فی تخصیص نفسه بالمتح تأکید تهدید لعلمهم بشجاعته و قد حذف المضاف إلیه أی أنا ماتح مائه إذ الحوض لا یوصف بالمتح و قوله:(لا یصدرون عنه و لا یعودون إلیه) یعنی أنّ الوارد منهم إلیه لا یصدر عنه و لا ینجو منه فهو بمنزله من یغرق فیه و أنّ من نجا منهم لا یطمع فی الحرب مرّه اخری و لا یعود إلیها ابدا.

الترجمه

آگاه باش قسم بخدا که بتحقیق شیطان ملعون جمع کرده است حزب خود را از برای اغواء و اضلال و جمع نموده است سواران و پیادگان یعنی أعوان و انصار خود را، و بدرستی بصیرتی که داشتم در زمان حضرت رسالت مآب صلوات اللّه علیه و آله با من است، نپوشانیده ام بر نفس خود باطل را بصورت حق، و پوشانیده نشده است بر من یعنی بر ضلالت نیفتاده ام نه از قبل نفس خود و نه بواسطهٔ اضلال دیگری قسم بخداوند هر آینه سبقت میکنم ایشان را بسوی حوضهای حرب یا پر میکنم بجهه ایشان حوضهای محاربه و مقاتله را که من آب کشندهٔ آن حوضها می باشم، یعنی خبیر و بصیر باشم به آنها چنان حوضهائی که باز نگردد از آنها آنهائی که آمده باشند و باز نیایند بسوی آنها آنهائی که رهیده باشند، یعنی هر که بسوی بحر حرب شتابد غرق شود و جان بمالک دوزخ بسپارد، و هر که از آن دریای خونخوار نجات یابد دیگر باره طمع در جنگ نمی نماید، و اللّه أعلم بالصّواب و إلیه المرجع و المآب

و من کلام له علیه السّلام لابنه محمد بن الحنفیه لما اعطاه

اشاره

الرایه یوم الجمل و هو الحادی عشر من المختار فی

باب الخطب.

تزول الجبال و لا تزل، عضّ علی ناجذک، أعر اللّه جمجمتک،

تد فی الأرض قدمک، إرم ببصرک أقصی القوم، و غضّ بصرک، و اعلم أنّ النّصر من عند اللّه سبحانه.

اللغه

(عضّ) أمر من عضضت اللّقمه و بها و علیها من باب تعب لکن بسکون المصدر و من باب منع أمسکتها (الناجذ) السنّ بین الضّرس و النّاب و ضحک حتّی بدت نواجذه، قال تغلب: المراد الأنیاب، و قیل النّاجذ آخر الأضراس و هو ضرس الحلم لأنّه ینبت بعد البلوغ و کمال العقل و قیل: الأضراس کلّها نواجذ (و الجمجمه) عظم الرّأس المشتمل علی الدّماغ و ربّما یعبّر بها عن الانسان کما یعبّر عنه بالرّأس و (تد) أمر من و تد قدمه فی الأرض ای أثبتها فیها کالوتد.

الاعراب

متعلّق تزول و تزل محذوف أی تزل الجبال عن مکانها و لا تزل عن مقامک و موضعک، و الباء فی قوله: ارم ببصرک زایده، یقال: رمیته و رمیت به ألقیته، و سبحانه منصوب علی المصدر بمحذوف من جنسه أی سبّحته سبحانا، و نقل عن سیبویه أنّ سبحان لیس بمصدر بل هو واقع موقع المصدر الذی هو التّسبیح، و الاضافه إلی المفعول لأنّه هو المسبّح بالفتح، و نقل عن أبی البقاء أنّه جوّز أن یکون الاضافه إلی الفاعل و قال: المعروف هو الأوّل؛ و المعنی علی ذلک اسبّح مثل ما سبّح اللّه به نفسه

المعنی

اشاره

اعلم أنّه علیه السّلام أشار فی کلامه هذا إلی أنواع آداب الحرب و کیفیّه القتال و علّم محمّدا ستّه امور منها.

الاوّل ما علیه مدار الظفر و الغلبه و هو الثّبات و الملازمه و إلیه أشار بقوله:

(تزول الجبال و لا تزل) و هو خبر فی معنی الشرط ارید به المبالغه أی لو زالت الجبال عن مواضعها لا تزل و هو نهی عن الزّوال مطلقا لأنّ النّهی عنه علی تقدیر زوال الجبال الذی هو محال عاده مستلزم للنّهی عنه علی تقدیر العدم بالطریق الاولی.

الثّانی ما أشار إلیه بقوله:(عضّ علی ناجذک) فانّ عضّ النّواجذ ینبو السّیف عن الدّماغ من حیث إنّ عظام الرّأس تشتدّ و تصلب عند ذلک کما قال علیه السّلام فی موضع آخر: و عضّوا علی النّواجذ، فانّه أنبأ للصّوارم عن الهام مضافا إلی ما فی عضّها من ربط الجاش(۱) عن الفشل و الخوف کما یشاهد فی حال البرد و الخوف الموجب للرّعده فانّه إذا عضّ علی أضراسه تسکن رعدته و یتماسک الانسان بدنه.

الثالث ما أشار إلیه بقوله:(أعر اللّه جمجمتک) و المراد به بذلها فی طاعه اللّه لینتفع بها فی دین اللّه کما ینتفع المستعیر بالعاریه، قال الشّارح المعتزلی: و یمکن أن یقال إنّ ذلک إشعار بانّه لا یقتل فی تلک الحرب لأنّ العاریه مردوده و لو قال له: بع اللّه جمجمتک لکان ذلک إشعارا له بالشّهاده فیها.

أقول: و ذلک لقوله سبحانه:

«إِنَّ اللّهَ اشْتَری مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ فَیَقْتُلُونَ وَ یُقْتَلُونَ » الآیه.

الرّابع ما أشار إلیه بقوله:(تد فی الأرض قدمک) و هو أمر بالزام قدمه فی الأرض کالوتد لاستلزامه ربط الجاش و استصحاب العزم و کونه مظنّه الشّجاعه.

الخامس ما أشار إلیه بقوله:(ارم ببصرک أقصی القوم) و هو الأمر بفتح عینیه و رفع طرفه و مدّ نظره إلی أقاصی القوم لیعلم علی ما ذا یقدم فعل الشّجاع المقدام غیر المبالی لأنّ الجبان تضعف نفسه و یضطرب قلبه فیکون غضیض الطرف ناکس الرأس لا یرتفع طرفه و لا یمتدّ عنقه.

السّادس ما أشار إلیه بقوله:(و غضّ بصرک) و هو أمر بغضّ بصره بعد مدّه عن بریق سیوفهم و لمعان دروعهم، لأنّ مدّ النّظر إلی بریق السّیوف مظنّه الرّهبه و الدّهشه، ثمّ إنّه علیه السّلام بعد تعلیمه آداب المحاربه و المقاتله قال له:(و اعلم أنّ النّصر من عند اللّه سبحانه) لیتأکد ثباته بوتوقه باللّه سبحانه مع ملاحظه قوله تعالی:

۱- (۱) الجاش رواغ القلب اذا اضطرب عند الفزع و نفس الانسان ق.

«إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللّٰهُ فَلا غالِبَ لَكَمْ » هذا.

و ينبغى لنا أن نذكر هنا طرفا من وقايع الجمل ممّا يناسب المقام بما فيه من الاشاره إلى مورد ذلك الكلام منه عليه السّلام.

فاقول: فى البحار من كتاب المناقب من كتاب جمل انساب الأشراف أنّه زحف علىّ عليه السّلام بالنّاس غداه يوم الجمعه لعشر ليال خلون من جمادى الآخره سنه ستّ و ثلاثين و على ميمنته الأشتر و سعيد بن قيس و على ميسرته عمّار و شريح بن هانى و على القلب محمّد بن أبى بكر و عدىّ بن حاتم و على الجناح زياد بن كعب و حجر ابن عدىّ و على الكمين عمرو بن الحمق و جندب بن زهير و على الرّجاله أبو قتاده الأنصارى و أعطى رايته محمّد بن الحنفيّه ثمّ أوقفهم من صلاه الغداه إلى صلاه الظهر يدعوهم و يناشدهم و يقول لعايشه إنّ اللّه أمرك أن تقرى فى بيتك اتقى اللّه و ارجعى، و يقول لطلحه و الزّبير، خبأتما نسائكما و أبرزتما زوجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و استفززتماها فيقولان: إنّما جئنا للطلب بدم عثمان و أن يرد الامر شورى و البست عايشه درعا و ضربت على هودجها صفايح الحديد و ألبس الهودج درعا و كان الهودج لواء أهل البصره و هو على جمل يدعى عسكرا.

ابن مردويه فى كتاب الفضائل من ثمانيه طرق أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال للزّبير: أما تذكر يوما كنت مقبلا بالمدينه تحدّثنى إذ خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فرآك معى و أنت تبسم إلىّ فقال لك: يا زبير أ تحب عليّا؟ فقلت: و كيف لا احبّه و بينى و بينه من النّسب و المودّه فى اللّه ما ليس لغيره، فقال: إنّك ستقاتله و أنت ظالم له فقلت: أعوذ باللّه من ذلك، و قد تظاهرت الرّوايات أنّه عليه السّلام قال: إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لك: يا زبير تقاتله ظلما و ضرب كتفك قال: اللّهم نعم، قال: أفجئت تقاتلنى؟ فقال: أعوذ باللّه من ذلك، ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام: دع هذا بايعتنى طائعا ثمّ جئت محاربا فما عدا ممّا بدا، فقال: لا جرم و اللّه لا قاتلتك.

حليه الاولياء قال عبد الرّحمن بن أبى ليلى فلقاه عبد اللّه ابنه فقال: جبنا جبنا

فقال يا بنىّ: قد علم النّاس أنّى لست بجبان و لكن ذكرنى علىّ شيئا سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فحلفت أن لا اقاتل، فقال: دونك غلامك فلان اعتقه كفاره يمينك نزهه الابصار عن ابن مهدى أنّه قال همام الثقفى:

أ يعتق مكحولاو يعصى نبيّه لقد تاه عن قصد الهدى ثمّ عوق

لشتّان ما بين الضّلاله و الهدى و شتّان من يعصى الاله و يعتق

و فى روايه قالت عايشه لا و اللّه بل خفت سيوف ابن أبى طالب أما أنّها طوال حداد تحملها سواعد أنجاد و لئن خفتها فلقد خافها الرّجال من قبلك، فرجع إلى القتال فقيل: لأمير المؤمنين عليه السّلام إنّه قد رجع، فقال دعوه إنّ الشّيخ محمول عليه، ثمّ قال عليه السّلام: أيّها النّاس غضّوا أبصارهم و عضّوا على نواجذكم و أكثروا من ذكر ربّكم و إيّاكم و كثره الكلام فانّه فشل، و نظرت عايشه إليه و هو يجول بين الصّفين فقالت:

انظروا إليه كان فعله فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم بدر، أما و اللّه ما ينتظر بك إلّا زوال الشّمس فقال علىّ عليه السّلام يا عايشه:

«عَمّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ » فجدّ النّاس فى القتال فنهاهم أمير المؤمنين، و قال: اللّهم إنّى أعذرت و أنظرت فكن لى عليهم من الشّاهدين، ثمّ أخذ المصحف و طلب من يقرأ عليهم:

«وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما » الآيه فقال مسلم المجاشعى: ها أناذا فخوّفه عليه السّلام بقطع يمينه و شماله و قتله فقال: لا عليك يا أمير المؤمنين فهذا قليل فى ذات اللّه فأخذه و دعاهم إلى اللّه فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فقطعت فأخذه بأسنانه فقتل فقالت امّه شعرا:

يا ربّ إنّ مسلما أتاهم بمحكم التّنزيل إذ دعاهم

ص:۱۶۸

يتلو كتاب اللّه لا يخشاهم فرمّلوه(۱) رمّلت لحاهم

(۲) فقال علىّ عليه السّلام: الآن طاب الضّراب، و قال لمحمّد بن الحنفيّه و الرّايه فى يده: يا بنىّ تزول الجبال و لا تزل إلى آخر ما مرّ ثمّ صبر سويعه فصاح النّاس عن كلّ جانب من وقع النّبال، فقال عليه السّلام: تقدّم يا بنىّ فنقدّم و طعن طعنا منكرا و قال عليه السّلام:

اطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير فى الحرب إذا لم توقد

بالمشرفىّ (۳) و القنا المسدّد و الضّرب بالخطى(۴) و المهنّد

فأمر الأشتر أن يحمل فحمل و قتل هلال بن وكيع صاحب ميمنه الجمل و كان زيد يرتجز و يقول: دينى دينى و بيعى بيعى و جعل مخنف بن مسلم يقول:

قد عشت يا نفس و قد غنيت دهرا و قبل اليوم ما عييت

و بعد ذا لا شكّ قد فنيت أما مللت طول ما حييت

فخرج عبد اللّه بن الثّيربى قائلا:

يا ربّ إنّى طالب أبا الحسن ذاك الذى يفرق حقّا بالفتن

فبرز إليه علىّ عليه السّلام قائلا:

إن كنت تبغى أن ترى أبا الحسن فاليوم تلقاه مليّا فاعلمن

فضربه ضربه مجرفه(۵) فخرج بنوضبّه و جعل يقول بعضهم:

نحن بنو ضبّه أعداء علىّ ذاك الذى يعرف فيهم بالوصى

و كان عمر بن الثّيربى يقول:

۱- (۱) اى لطخوه بالدم منه.

۲- (۲) جمع لحيه منه.

۳- (۳) المشرفيه سيوف نسبت الى مشارف و هى قرى من أرض العرب تدلو عن الريف ذكره الجوهرى و قال المهند السيف المطبوع من حديد الهند بحار.

۴- (۴) و الخط موضع باليمامه ينسب إليه الرماح الخطيه لانها تحمل من بلاد الهند فتقوم به بحار

۵- (۵) جرفه جرفا و جرفه ذهب به كله ق.

إن تنكرونى فانا ابن الثّيربى قاتل علباء و هذا الجملى

ثمّ ابن صوحان على دين علىّ فبرز اليه عمار قائلا:

لا تبرح العرصه يابن الثيربى اثبت اقاتلک على دين علىّ

و أرداه عن فرسه و جرّ برجله إلى علىّ عليه السّلام فقتله فخرج أخوه قائلا:

أضربکم و لو أرى عليّا عمّمته أبيض مشرفيّا

و أسمرا عنطنطا(۱) خطيا أبکى عليه الولد و الوليّا

فخرج علىّ عليه السّلام متنکرا و هو يقول:

يا طالبا فى حربه عليّا يمسخه ابيض مشرفيّا

اثبت ستلقاه بها مليّا مهذّبا سميد(۲) عاکميّا

فضربه فرمى نصف رأسه فناداه عبد اللّه بن خلف الخزاعى صاحب منزل عايشه بالبصره:

أ تبارزنى؟ فقال عليه السّلام: ما أکره ذلک و لکن ويحک يا ابن خلف ما راحتک فى القتل و قد علمت من أنا، فقال: ذرنى من بذخک(۳) يابن أبى طالب ثم قال:

إن تدن منّى يا علىّ فترا(۴) فإنّنى دان إليک شبرا

بصارم يسقيک کاسا مرّا ها إنّ فى صدرى عليک وترا(۵)

فبرز إليه علىّ عليه السّلام قائلا.

يا ذا الذى يطلب منّى الوترا إن کنت تبغى أن تزور القبرا

حقّا و تصلى بعد ذلک جمرا فادن تجدنى أسدا هزبرا

۱- (۱) الاسمر الرمح و العنطنط الطويل ق.

۲- (۲) السميدع السيد الموطوء الاکتاف و الکمى الشجاع المتکمى فى سلاحه لانه کمى نفسه اى سترها بالدرع و البيضه بحار.

۳- (۳) البذخ الکبر لغه.

۴- (۴) الفتر ما بين طرف السبابه و الابهام اذا فتحهما لغه.

۵- (۵) الوتر بالكسر و الفتح الحقد و طلب الدم لغه.

اصعطك(۱) اليوم ذعاقا صبرا فضربه عليه السّلام فطيّر جمجمته فخرج ماذن الضّبى قائلا:

لا تطمعوا فى جمعنا المكلل الموت دون الجمل المجلّل

فبرز إليه عبد اللّه بن نهشل قائلا:

إن تنكرونى فانا ابن نهشل فارس هيجا و خطيب فيصل

فقتله و كان طلحه يحثّ النّاس و يقول عباد اللّه الصّبر الصّبر فى كلام له، و عن البلادرى أنّ مروان بن الحكم قال و اللّه ما أطلب ثارى بعثمان بعد اليوم أبدا فرمى طلحه بسهم فأصاب ركبته و التفت إلى أبان بن عثمان و قال لقد كفيتك أحد قتله أبيك معارف القتيبى انّ مروان قتل طلحه يوم الجمل فاصاب ساقه الحميرى:

و اختلّ (۲) من طلحه المزهو جنّته سهم بكفّ قديم الكفر غدّار

فى كفّ مروان اللّعين أرى رهط الملوك ملوك غير أخيار

و له:

و اغترّ طلحه عند مختلف القنا عبل(۳) الذراع شديد اصل المنكب

فاختلّ حبّه قلبه بمدلق(۴) ريّان من دم جوفه المتصبّب

فى مارقين من الجماعه فارقوا باب الهدى و حيا(۵) الربيع المخصب

و حمل أمير المؤمنين عليه السّلام على بنى ضبّه فما رأيتهم إلاّ كرماد اشتدّت به الرّيح فى يوم عاصف فانصرف الزبير فتبعه عمرو بن جرموز و جزّ رأسه و أتى به إلى أمير المؤمنين عليه السّلام القصّه فقالوا: يا عايشه قتل طلحه و الزّبير و جرح عبد اللّه بن عامر

۱- (۱) اصعطه الرمح طعنه به فى انفه و صعطه و اصعطه سعطه، لغه.

۲- (۲) اختل بسهم اى انتظم و اختله به انتظمه به، لغه

۳- (۳) رجل عبل الذراعين ضخمهما بحار

۴- (۴) دلق السيف من عمده اخرجه بحار

۵- (۵) الحيا بالقصر الخصب و المطر بحار.

من یدی علیّ فصالحی علیّا فقال کبر عمرو(۱) عن الطوق و جلّ أمر عن العتاب ثمّ تقدّمت فحزن علیّ علیه السّلام و قال: «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ » فجعل یخرج واحد بعد واحد و یأخذ الزّمام حتّی قتل ثمان و تسعون رجلا ثمّ تقدّمهم کعب بن سوره الازدی و هو یقول:

یا معشر النّاس علیکم أمّکم فإنّها صلاتکم و صومکم

و الحرمه العظمی التی تعمّکم لا تفضحوا الیوم فداکم قومکم

فقتله الاشتر فخرج ابن جفیر الازدی و هو یقول:

قد وقع الأمر بما لم یحذر و النّبل یأخذن وراء العسکر

و امّنا فی حذرها المشمّر

فبرز إلیه الأشتر قائلا:

اسمع و لا تعجل جواب الاشتر و اقرب تلاق کأس موت أحمر

ینسیک ذکر الجمل المشمر

فقتله ثمّ قتل عمیر الغنوی و عبد اللّه بن عتاب بن اسید ثمّ جال فی المیدان جولا و هو یقول:

نحن بنو الموت به غذّینا

فخرج إلیه عبد اللّه بن الزّبیر فطعنه الأشتر و أرداه و جلس علی صدره لیقتله، فصاح عبد اللّه اقتلونی و مالکا و اقتلوا مالکا معی فقصد إلیه من کلّ جانب فخلاه و رکب فرسه فلمّا رأوه راکبا تفرّقوا عنه و شدّ رجل من الأزد علی محمّد بن الحنفیه و هو یقول: یا معشر الأزد کرّوا فضربه ابن الحنفیّه فقطع یده و قال: یا معشر الأزد فرّوا فخرج الأسود بن البختری السّلمی قائلا:

۱- (۱) کبر عمرو عن الطوق ای لم یبق للصلح مجال قال الزمخشری فی المستقصی هو عمرو بن عدی ابن اخت حذیمه قد طوق صغیرا ثم استهوته الجن مده فلما عاد همت امه باعاده الطوق الیه فقال حذیمه ذلک بحار.

ارحم إلهی الکلّ من سلیم و انظر إلیه نظره الرّحیم

فقتله عمرو بن الحمق فخرج جابر الأزدی قائلا

یا لیت أهلی من عمار حاضریمن ساده الأزد و کانوا ناصری

فقتله محمّد بن أبی بکر، و خرج عوف القینی قائلا:

یا أمّ یا أمّ خلا منّی الوطن لا ابتغی القبر و لا أبغی الکفن

فقتله محمّد بن الحنفیّه، فخرج بشر الضّبی قائلا:

ضبّه أبدی للعراق عمعمه(۱) و أضرم الحرب العوان(۲) المضرمه

فقتله عمّار و کانت عایشه تنادی بأرفع صوت أیّها النّاس علیکم بالصّبر و إنّما تصبر الأحرار فأجابها کوفیّ:

یا امّ یا امّ عققت فاعلموا و الامّ تغذو ولدها و ترحم

أ ما تری(۳) کم من شجاع یکلم و تجتلی هامّته و المعصم

و قال آخر:

قلت لها و هی علی مهوات إنّ لنا سواک امّهات

فی مسجد الرّسول نادیات فقال الحجّاج بن عمرو الأنصاری:

یا معشر الأنصار قد جاء الاجل إنّی أری الموت عیانا قد نزل

فبادروه نحو أصحاب الجمل ما کان فی الأنصار جبن و فشل

فکلّ شیء ما خلا اللّه الجلل

(۴) و قال خزیمه بن ثابت:

۱- (۱) العماعم الجماعات المتفرقه، بحار.

۲- (۲) العوان من الحرب التی قوتل فیها مره، بحار.

۳- (۳) اما ترين كم شجاع يكلم، خ ل.

۴- (۴) الجلل بالتحريك العظيم الهين.

لم يغضبوا للّه إلاّ للجمل و الموت خير من مقام فى خمل

و الموت أجرى من فرار و فشل

و قال شريح بن هانى:

لا عيش إلاّ ضرب أصحاب الجمل و القول لا ينفع إلاّ بالعمل

ما إن لنا بعد علىّ من بدل

و قال هانى بن عروه المذحجى:

يا لک حربا حشها جمالها قائده ينقصها ضلالها

هذا علىّ حوله أقيالها

و قال سعد بن قيس الهمدانى:

قل للوصىّ اجتمعت قحطانها إن يک حرب اضرمت نيرانها

و قال عمّار:

إنّى لعمّار و شيخى ياسر صاح کلانا مؤمن مهاجر

طلحه فيها و الزّبير غادر و الحقّ فى کفّ علىّ ظاهر

و قال الأشتر:

هذا علىّ فى الدّجى مصباح نحن بذا فى فضله فصاح

و قال عدىّ بن حاتم:

أنا عدىّ و يمانى حاتم هذا علىّ بالکتاب عالم

لم يعصه فى النّاس إلاّ ظالم

و قال عمرو بن الحمق:

هذا علىّ قائد يرضى به أخو رسول اللّه فى أصحابه

من عوده النّامی و من نصابه

و قال رفاعه بن شداد البجلی:

إنّ الذين قطعوا الوسيله و نازعوا علی علیّ الفضیله

فی حربه کالنّعجه الأکیله

و شکت(۱) السّهام الهودج حتّی کأنّه جناح نسر أو درع قنفذ، فقال أمیر المؤمنین: ما أری یقاتلکم غیر هذا الهودج اعقروا الجمل. و فی روایه عرقبوه، فانّه شیطان و قال لمحمّد بن أبی بکر: انظر إذا عرقب الجمل فأدرک اختک فوارها فعرقب رجل منه فدخل تحته رجل ضبّی ثمّ عرقب اخری عبد الرّحمن فوقع علی جنبه فقطع عمّار نسعه فأتاه علیّ علیه السّلام و دقّ رمحه علی الهودج و قال: یا عایشه أ هکذا أمرک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن تفعلی؟ فقالت: یا أبا الحسن ظفرت فأحسن و ملکت فأسجح فقال لمحمّد بن أبی بکر: شأنک بأختک فلا یدنو أحد منها سواک، فقال: فقلت لها: ما فعلت بنفسک عصیت ربّک و هتکت سترک ثمّ أبحت حرمتک و تعرّضت للقتل، فذهب بها إلی دار عبد اللّه بن خلف الخزاعی فقالت: أقسمت علیک ان تطلب عبد اللّه بن الزّبیر جریحا کان أو قتیلا، فقال: إنّه کان هدفا للأشتر فانصرف محمّد إلی العسکر فوجده، فقال: اجلس یا میشوم أهل بیته، فأتاها به فصاحت و بکت ثمّ قالت: یا أخی استأمن له من علیّ علیه السّلام، فأتی أمیر المؤمنین علیه السّلام فاستأمن له منه فقال علیه السّلام:

أمنته و أمنت جمیع النّاس.

و کانت وقعه الجمل بالخریبه و وقع القتال بعد الظهر و انقضی عند المساء فکان مع أمیر المؤمنین عشرون ألف رجل منهم البدریّون ثمانون رجلا و ممّن بایع تحت الشّجره مائتان و خمسون و من الصّحابه ألف و خمسمائه رجل، و کانت عایشه فی ثلاثین ألف أو یزیدون منها المکّیون ستّمائه رجل، قال قتاده: قتل یوم الجمل عشرون ألفا، و قال الکلبی قتل من أصحاب علیّ علیه السّلام ألف رجل و سبعون فارسا، منهم زید بن صوحان و هند الجملی و أبو عبد اللّه العبدی و عبد اللّه بن رقیه.

و قال أبو مخنف و الکلبی: قتل من أصحاب الجمل من الأزد خاصّه أربعه

ص:۱۷۵

۱- (۱) شکه بالرمح انتظمه بحار.

آلاف رجل، و من بنی عـدیّ و موالیهم تسـعون رجلا، و من بنی بکر بن وائل ثمانمائه رجل، و من بنی حنظله تسـعمائه رجل، و من ناجیه أربعمائه رجل؛ و الباقی من أخلاط النّاس إلی تمام تسـعه آلاف إلّا تسـعین رجلا القرشـیّون منهم طلحه و الزّبیر و عبد اللّه ابن عتاب بن اسـید و عبـد اللّه بن حکیم بن خرام و عبد اللّه بن شافع بن طلحه و محمّد بن طلحه و عبد اللّه بن ابیّ بن خلف الجمحی و عبد الرّحمن بن معد و عبد اللّه بن معد.

و عرقب الجمل أوّلا أمیر المؤمنین علیه السّـلام و یقال المسلم بن عدنان و یقال رجل من الانصار و یقال رجل ذهلی و قیل لعبد الرّحمن بن صرد الشّوخی لم عرقبت الجمل؟ فقال:

عقرت و لم أعقربها لهوانها علیّ و لکنّی رأیت المهالکا

إلی قوله فیا لیتنی عرقبته قبل ذلکا

تبصره

فی ترجمه محمّد بن الحنفیّه و الاشاره إلی بعض أحواله و مناقبه.

أقول: اشـتهاره بابن الحنفیّه لأنّ امّها خوله بنت جعفر بن قیس من قبیله بنی حنیفه و کنیته أبو القاسم برخصه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی ذلک و لم یرخّص فی حقّ غیره أن یکنّی بأبی القاسم و الاسم محمّد ذکره ابن خلّکان فی تاریخه.

قال الشّارح المعتزلی: امّ محمّد رضی اللّه عنه خوله بنت جعفر بن قیس بن مسلمه ابن عبید بن ثعلبه بن یربوع بن ثعلبه بن الدّؤل بن حنیفه بن لجیم بن صعب بن علیّ بن بکر بن وائل، و اختلف فی أمرها فقال قوم: إنّها سبیه من سبایا الرّده قوتل أهلها علی ید خالـد بن الولید فی أیّام أبی بکر لمّا منع کثیر من العرب الزّکاه و ارتدّت بنو حنیفه و ادّعت نبوّه مسـیلمه و أنّ أبا بکر دفعها إلی علیّ علیه السّـلام من سهمه فی المغنم و قال قوم منهم أبو الحسن علیّ بن محمّد بن سیف المداینی: هی سبیه فی أیّام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم قالوا: بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیّا علیه السّلام إلی الیمن فأصاب خوله لابنی زبید و قد ارتدّوا مع عمرو بن معدی کرب و کانت زبید سبتها من بنی حنیفه فی غاره

لهم عليهم فصارت فى سهم علىّ عليه السّلام فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إن ولدت منك غلاما فسمّه باسمى و كنّه بكنيتى فولدت له بعد موت فاطمه عليها السّلام محمّدا فكنّاه أبا القاسم و قال قوم و هم المحقّقون و قولهم الأظهر: إنّ بنى أسد أغارت على بنى حنيفه فى خلافه أبى بكر فسبّوا خوله بنت جعفر و قدموا بها المدينه فباعوها من علىّ عليه السّلام و بلغ قومها خبرها فقدموا المدينه على علىّ فعرفوها و أخبروه بموضعها منهم فأعتقها و مهرها و تزوّجها فولدت له محمّدا فكنّاه أبا القاسم و هذا القول خيار أحمد بن يحيى البلادرى فى كتابه المعروف بتاريخ الأشراف.

و قال: كان علىّ عليه السّلام يقذف لمحمّد فى مهالك الحرب و يكفّ حسنا و حسينا عنها و قيل لمحمّد لم يغرر بك أبوك فى الحرب و لا يغرر بالحسن و الحسين عليهما السّلام؟ فقال: إنّهما عيناه و أنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه.

أقول: هذا الجواب منه رضى اللّه عنه يكفى فى جلاله قدره و سموّ مكانه و خلوص باطنه.

و قال: لمّا تقاعس محمّد يوم الجمل عن الحمله و حمل علىّ بالرّايه فضعضع أركان عسكر الجمل، دفع إليه الرّايه و قال: امح الاولى بالاخرى و هذه الأنصار معك و ضمّ إليه خزيمه بن ثابت ذا الشّهادتين فى جمع الأنصار كثير منهم من أهل بدر حمل حملات كثيره أزال بها القوم عن مواقفهم و أبلى بلاء حسنا فقال خزيمه بن ثابت لعلى عليه السّلام: أما أنّه لو كان غير محمّد اليوم لافتضح(1) و لئن كنت خفت عليه الجبن و هو بينك و بين حمزه و جعفر لما خفناه عليه و ان كنت أردت أن تعلمه الطعان فطال ما علّمته الرّجال، و قالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لو لا ما جعل اللّه تعالى لحسن و حسين عليهما السّلام لما قدمنا على محمّد أحدا من العرب فقال علىّ عليه السّلام: أين النّجم من الشّمس و القمر أمّا انّه قد اغنى و أبلى و له فضله و لا ينقص فضل صاحبيه عليه و حسب صاحبكم ما انتهت به نعمه اللّه إليه فقالوا يا أمير المؤمنين: إنّا و اللّه ما نجعله كالحسن و الحسين و لا نظلمهما له و لا نظلمه لفضلهما عليه حقّه فقال علىّ عليه السّلام أين يقع ابنى من ابنى رسول اللّه

۱- (۱) اى افتضح القوم، منه.

صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال خزيمه بن ثابت فيه شعرا:

محمّد ما فى عودك اليوم وصمه و لا كنت فى الحرب الضّروس معرّدا

أبوك الذى لم يركب الخيل مثله علىّ و سمّاك النّبىّ محمّدا

فلو كان حقّا من أبيك خليفه لكنت و لكن ذاك ما لا يرى له بدّا

و أنت بحمد اللّه أطول غالب لسانا و أنداها بما ملكت يدا

و أقربها من كلّ خير تريده قريش و أوفاها بما قال موعدا

و أطعنهم صدر الكمى برمحه و أكساهم للهام غضبا مهنّدا

سوى أخويك السّيدين كلاهما إمام الورى و الدّاعيان إلى الهدى

أبى اللّه أن يعطى عدوّك مقعدا من الارض أو فى اللّوح مرقى و مصعدا

و فى البحار من المناقب دعا أمير المؤمنين عليه السّلام محمّد بن الحنفيّه يوم الجمل فأعطاه رمحه و قال له: اقصد بهذا الرّمح قصد الجمل فذهب فمنعوه بنو ضبّه فلمّا رجع إلى والده انتزع الحسن رمحه من يده و قصد قصد الجمل و طعنه برمحه و رجع إلى والده و على رمحه أثر الدّم فتمعّز وجه محمّد من ذلك فقال أمير المؤمنين عليه السّلام لا تأنف فانّه ابن النبىّ و أنت ابن علىّ.

أقول: هذا نبذ من مناقبه و فضائله فى زمن أبيه سلام اللّه عليه و أمّا بعده فقد كان خالصا فى التّشيع و مخلصا للولايه لأخويه عليهما السّلام و بعدهما لابن أخيه علىّ بن الحسين سلام اللّه عليه.

كما يوضحه ما رواه ثقه الاسلام الكلينى عطر اللّه مضجعه فى الكافى بإسناده عن المفضّل بن عمر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لمّا حضرت الحسن بن علىّ عليهما السّلام الوفاه قال: يا قنبر انظر هل ترى من وراء بابك مؤمنا من غير آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: اللّه و رسوله و ابن رسوله أعلم منّى قال: ادع لى محمّد بن علىّ فأتيته فلمّا دخلت عليه قال: هل حدث الاخير قلت أجب أبا محمّد فعجل على شسع نعله فلم يسوّه و خرج معى يعدو فلمّا قام بين يديه سلم فقال له الحسن بن علىّ عليهما السّلام: اجلس فانّه ليس مثلك يغيب عن سماع كلام يحيى به الأموات و يموت به الأحياء كونوا وعيه العلم و مصابيح

الهدى فإنّ ضوء النّهار بعضه أضوء من بعض، أما علمت أنّ اللّه تبارک و تعالی جعل ولد ابراهیم علیه السّلام أئمّه و فضل بعضهم علی بعض و أتی داود علیه السّلام زبورا و قد علمت بما استأثر اللّه به محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یا محمّد بن علیّ إنّی أخاف علیک الحسد و إنّما وصف اللّه به الکافرین فقال اللّه عزّ و جل:

«کُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ » و لم یجعل اللّه للشّیطان علیک سلطانا یا محمّد بن علیّ ألا اخبرک بما سمعت من أبیک فیک؟ قال: بلی، قال: سمعت أباک علیه السّلام یقوم یوم الظله (البصره خ) من أحبّ أن یبرّنی فی الدّنیا و الآخره فلیبرّ محمّدا ولدی، یا محمّد بن علیّ لو شئت أن اخبرک و أنت نطفه فی ظهر أبیک لا خبرتک، یا محمّد بن علیّ أما علمت أنّ الحسین بن علیّ علیهما السّلام بعد وفاه نفسی و مفارقه روحی جسمی امام من بعدی و عند اللّه جلّ اسمه فی الکتاب وراثه من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أضافها اللّه عزّ و جل له فی وراثه أبیه و أمّه صلی اللّه علیهم، فعلم اللّه أنکم خیره خلقه فاصطفی منکم محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و اختار محمّد علیّا علیه السّلام و اختارنی علیّ بالامامه و اخترت أنا الحسین علیه السّلام.

فقال له محمّد بن علیّ: أنت إمام و أنت وسیلتی إلی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و اللّه لوددت أن نفسی ذهبت قبل أن أسمع منک هذا الکلام الاوان فی رأسی کلاما لا تنزفه الدلاء و لا تغیّره نقمه الرّیاح کالکتاب المعجم فی الرّق المنمنم اهم ببدائه فاجدنی سبقت الیه سبق الکتاب المنزل أو ما جاءت (خلت خ) به الرّسل و أنّه الکلام یکلّ به لسان الناطق و ید الکاتب حتّی لا یجد قلما و یؤتوا بالقرطاس جما فلا یبلغ فضلک و کذلک یجزی اللّه المحسنین و لا قوّه إلّا باللّه.

الحسین أعلمنا علما و أثقلنا حلما و أقربنا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رحما کان فقیها قبل أن یخلق، و قرء الوحی قبل أن ینطق، و لو علم اللّه فی أحد خیرا غیر محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما اصطفی اللّه محمّدا فلمّا اختار اللّه محمّدا و اختار محمّد علیا و اختارک علیّ اماما و اخترت الحسین، سلمنا و رضینا من بغیره یرضی و من کنا نسلم به من مشکلات أمرنا.

ص:۱۷۹

و عن محمّد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السّلام يذكر فيه كيفيّه دفن الحسن عليه السّلام بعد ما ذكر منع عايشه من دفنه عند النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و احتجاج الحسين عليه السّلام عليها قال: ثمّ تكلّم محمّد بن الحنفيّه و قال لعايشه يوما على بغل و يوما على جمل فما تملكين نفسك و لا تملكين الأرض عداوه لبنى هاشم، قال: فأقبلت عليه فقالت: يابن الحنفيه هؤلاء الفواطم يتكلّمون فما كلامك؟ فقال لها الحسين عليه السّلام: و انّى (أنت خ) تبعدين محمّدا من الفواطم فو اللّه لقد ولدته ثلاث فواطم فاطمه بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم و فاطمه بنت أسد بن هاشم، و فاطمه بنت زائده بن الأصم بن رواحه بن حجر بن عبد معيص (مقص خ) بن عامر الحديث.

و عن أبى عبيده و زراره جميعا عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لمّا قتل الحسين عليه السّلام أرسل محمّد بن الحنفيّه إلى علىّ بن الحسين عليهما السّلام فخلى به فقال له: ابن أخى قد علمت أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دفع الوصيّه و الامامه من بعده إلى أمير المؤمنين عليه السّلام ثمّ الى الحسن ثمّ إلى الحسين عليهما السّلام و قد قتل أبوك رضى اللّه عنه و صلى على روحه و لم يوص و أنا عمك و صنو أبيك و ولادتى من علىّ عليه السّلام فى سنّى و قدمى أحقّ بها فى حداثتك فلا تنازعنى فى الوصيّه و الامامه و لا تحاجّنى.

فقال له علىّ بن الحسين عليهما السّلام: اتّق اللّه و لا تدّع ما ليس لك بحقّ إنّى أعظك أن تكون من الجاهلين إنّ أبى يا عمّ صلوات اللّه عليه أوصى إلىّ قبل أن يتوجّه إلى العراق و عهد إلىّ فى ذلك قبل أن يشهد (يستشهد خ) بساعه و هذا سلاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عندى فلا تتعرّض لهذا فانّى أخاف عليك نقص العمر و تشتّت الحال، إنّ اللّه عزّ و جلّ جعل الوصيّه و الامامه فى عقب الحسين عليه السّلام فاذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر حتّى نتحاكم إليه و نسأله عن ذلك.

قال أبو جعفر عليه السّلام و كان الكلام بينهما بمكه فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علىّ بن الحسين عليهما السّلام لمحمّد بن الحنفيّه: ابدء أنت فابتهل إلى اللّه عزّ و جلّ و اسأله أن ينطق لك الحجر ثمّ سأل فابتهل محمّد فى الدّعاء و سال اللّه عزّ و جلّ ثم دعا الحجر فلم يجبه فقال علىّ بن الحسين عليهما السّلام يا عمّ لو كنت وصيّا و إماما لأجابك

قال له محمّد فادع اللّه أنت يا بن أخى و اسأله فدعا اللّه علىّ بن الحسين عليهما السّلام بما أراد ثمّ قال:

أسألك بالذى جعل فيك ميثاق الأنبياء و ميثاق الأوصياء و ميثاق النّاس أجمعين لما خبرتنا من الوصىّ و الإمام بعد الحسين بن علىّ عليهما السّلام؟ قال: فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه ثمّ أنطقه اللّه عزّ و جلّ بلسان عربى مبين فقال: اللّهمّ إنّ الوصيّه و الامامه بعد الحسين بن علىّ بن فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لك، قال فانصرف محمّد بن علىّ و هو يتولّى علىّ بن الحسين عليهما السّلام.

الترجمه

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن حضرتست كه فرمود پسر خود محمّد بن حنفيّه را هنگامى كه داد او را علم در روز حرب جمل: زايل مى شوند كوهها از جاى خود و تو زايل مشو از جاى خودت، دندان بالاى دندان خود بگذار عاريه بده بخداوند تعالى كاسهٔ سر خودت را، ميخ ساز بر زمين قدم خود را يعنى ثابت قدم باش و در مكان خود محكم بايست، بينداز چشم خود را بر نهايت قوم تا در كار قتال خود با بصيرت بوده باشى، و فرو خوابان چشم خود را از لمعان سيوف كه مظنّهٔ خوف و خشيت است و بدان بدرستى كه نصرت از حقّ سبحانه و تعالى است.

و من كلام له عليه السّلام لما اظفره اللّه باصحاب الجمل و هو

اشاره

الثانى عشر من المختار فى باب الخطب

و قد قال له بعض أصحابه وددت أنّ أخى فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك اللّه به على أعدائك فقال عليه السّلام: أهوى أخيك معنا؟ فقال:

نعم، قال عليه السّلام: فقد شهدنا و لقد شهدنا فى عسكرنا هذا قوم فى أصلاب

الرّجال و أرحام النّساء سيرعف بهم الزّمان، و يقوى بهم الإيمان.

اللغه

(يرعف) بهم الزّمان يوجدهم و يخرجهم كما يرعف الانسان بالدّم الذى يخرجه من انفه قال الشّاعر:

و ما رعف الزّمان بمثل عمرو و لا تلد النّساء له ضريبا

الاعراب

هوى مرفوع المحلّ على الابتداء و معنا خبره و فاعل شهد الأوّل ضمير راجع إلى أخيك، و فاعل شهد الثّانى قوم و اسناد يرعف الى الزّمان مجاز عقليّ إذ الفاعل الحقيقى هو اللّه و هو من قبيل الاسناد إلى الظرف أو الشّرط و المعدّ لأنّ الزّمان من الاسباب المعدّه لقوابل وجودهم.

المعنى

اشاره

لما كان بعض أصحابه عليه السّلام يحبّ حضور أخيه معهم فى تلك الحرب حتّى يرى نصره اللّه لأوليائه على أعدائه و يفرح بذلك قال عليه السّلام له:(أ هوى أخيك معنا) يعنى أنّ أخيك كان هواه معنا و كان إرادته و ميله أن يكون فى حزبنا (فقال: نعم) هو من مواليك و كان هواه معك (قال عليه السّلام: فقد شهدنا) أخوك بالقوّه و إن لم يكن حاضرا بالفعل و حصل له من الأجر مثل ما حصل للحاضرين بمقتضى هواه و محبّته التى كانت له، ثمّ أكّد حضوره بقوله عليه السّلام:(و لقد شهدنا فى عسكرنا هذا قوم فى أصلاب الرّجال و أرحام النّساء) من المحبين و الموالين و عباد اللّه الصالحين (سيرعف بهم الزّمان) و يخرجهم من العدم إلى الوجود (و يقوى بهم الإيمان).

اعلم أنّ الشّارح المعتزلى ذكر فى شرح هذا الفصل نبذا من الوقايع التى صدرت منه عليه السّلام بعد ظفره على أصحاب الجمل و لامهم لنا فى الاطاله بالاشاره إلى جميع ما ذكره هنا مع خلو أكثرها عن المناسبه للمقام، و إنّما ينبغى الاشاره إلى طوافه

ص:۱۸۲

علیه السّـلام علی القتلی بعـد مـا وضـعت الحرب أوزارهـا، و مـا قاله علیه السّـلام لطلحه حین وقوفه علیه قصـدا للتنبیه علی خطاء الشّارح تبعا لأصحابه، و لنذکر أولا ما رواه أصحابنا رضی اللّه عنهم فی هذا الباب، ثمّ نتبعها بما رواه الشّارح.

فـاقول: روی الطبرسـی فی الاحتجاج أنّه علیه السّـلام لما مرّ علی طلحه بین القتلی قال اقعـدوه، فاقعـد فقال: إنّه کانت لک سابقه لکن الشّـیطان دخل منخریک فأوردک النار و فیه أیضا روی أنّه علیه السّـلام مرّ علیه فقال: هـذا النّاکث بیعتی و المنشـیء للفتنه فی الامه و المجلب علیّ و الداعی إلی قتلی و قتل عترتی اجلسوا طلحه، فأجلس فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: یا طلحه بن عبید اللّه لقـد وجدت ما وعدنی ربّی حقّا فهل وجدت ما وعدک ربّک حقّا؟ ثمّ قال: اضـجعوا طلحه، و سار فقال بعض من کان معه: یا أمیر المؤمنین تکلم طلحه بعد قتله؟ فقال: و اللّه لقد سمع کلامی کما سمع أهل القلیب کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یوم بدر، و هکذا فعل علیه السّـلام بکعب بن سور لمّا مرّ به قتیلا، و قال: هذا الذی خرج علینا فی عنقه المصـحف یزعم أنّه ناصر أمّه(۱) یدعو النّاس إلی ما فیه و هو لا یعلم ما فیه، ثم استـفتح و خاب کلّ جبّار عنید، أمّا انّه دعا اللّه أن یقتلنی فقتله اللّه و فی البحار من کتاب الکافیه لابطال توبه الخاطئه روی خالـد بن مخلـد عن زیاد بن المنذر عن أبی جعفر عن آبائه علیهم السّـلام قـال: مرّ أمیر المؤمنین علیه السّـلام علی طلحه و هو صـریع فقـال: أجلسوه، فاجلس، فقال: ام و اللّه لقـد کانت لک صـحبه و لقد شهدت و سمعت و رأیت و لکن الشّیطان أزاغک و أمالک فأوردک جهنّم.

و روی الشّارح المعتزلی عن اصـبغ بن نباته أنه لمّا انهزم أهل البصـره رکـب علیّ علیه السّلام بغله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم الشّـهباء و کـانت بـاقیه عنـده و سـار فی القتلی لیستعرضـهم فمرّ بکعب بن سور القاضـی قاضـی البصـره و هو قتیل فقال: أجلسوه، فاجلس، فقال:

ویل امّک کعب بن سور لقـد کان لک علم لو نفعک و لکن الشّـیطان أضـلک فأزلک فعجّلک إلی النّار أرسـلوه، ثمّ مرّ بطلحه بن عبید اللّه قتیلا فقال: أجلسوه فاجلس، ثمّ قال: قال أبو مخنف فی کتابه: فقال له: ویل امّک طلحه لقد کان لک قدم لو نفعک

۱- (۱) یعنی عایشه، منه.

و لكنّ الشّيطان أضلّك فأزلّك فعجّلك إلى النّار.

قال الشّارح بعد ذكر ذلك و أمّا اصحابنا فيروون غير ذلك، يروون أنّه قال له لمّا أجلسوه: اعزز علىّ أبا محمّد أن أراك معفّرا تحت نجوم السّماء و فى بطن هذا الوادى ابعد جهادك فى اللّه و ذبّك عن رسول اللّه، فجاء إليه انسان فقال: اشهد يا أمير المؤمنين لقد مررت عليه بعد أن أصابه السّهم و هو صريع فصاح بى فقال: من أصحاب من أنت؟ فقلت: من أصحاب أمير المؤمنين، فقال امدد يدك لابايع لأمير المؤمنين فمددت إليه يدى فبايعنى لك فقال علىّ عليه السّلام: أبى اللّه أن يدخل طلحه الجنّه الا و بيعتى فى عنقه، انتهى كلامه.

و أنت خبير بما فيه أمّا أو لا فلأنّ هذه الرّوايه ممّا انفرد أصحابه بنقلها فهى غير مسموعه و المعروف بين الفريقين هو ما رواه أبو مخنف، و ثانيا أنّ الشّارح قال فى أوائل شرحه عند الكلام على البغاه و الخوارج: أمّا أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا هالكون كلهم إلّا عايشه و طلحه و الزّبير، فانّهم تابوا و لو لا التّوبه لحكموا لهم بالنّار لاصرارهم على البغى فانّ هذا الكلام منهم صريح فى استحقاقه للنّار لو لا التّوبه و لا بد لهم من إثبات التّوبه و أنّى لهم بذلك و مبايعته لمن يبايع أمير المؤمنين عليه السّلام فى تلك الحال التى كان عليها صريعا بين القتلى آيسا من الحياه لا يكفى فى رفع العقاب و استحقاق الثّواب قال سبحانه:

«إِنَّمَا التَّوْبَهُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَهٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً وَ لَيْسَتِ التَّوْبَهُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَ لاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً »

ص:۱۸۴

بل أقول: إنّ توبته فی تلک الحال علی تسلیم کون تلک المبایعه منه توبه إنّما هی مثل توبه فرعون التی لم تنجه من عـذاب ربّه کما قال تعالی:

«فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْیاً وَ عَدْواً حَتّی إِذا أَدْرَکَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِی آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِیلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِینَ آلْآنَ وَ قَدْ عَصَیْتَ قَبْلُ وَ کُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ » و حاصل ما ذکرته عدم ثبوت التّوبه أولا و عدم کفایتها فی رفع العقوبه علی تقدیر ثبوتها ثانیا.

و هاهنا لطیفه

یعجبنی ذکرها لمناسبته للمقام و هی انّ الشّیخ المحدّث الشّیخ یوسف البحرانی صاحب الحدائق ذکر فی لؤلؤه البحرین عند التّعرّض لأحوال شیخ الطائفه محمّد بن محمّد بن النّعمان المفید (قده) عن الشّیخ ورام بن أبی فراس فی کتابه أنّ الشّیخ المفید (ره) کان من أهل عکبرا ثمّ انحدر و هو صبیّ من أبیه إلی بغداد و اشتغل بالقرائه علی الشّیخ أبی عبد اللّه المعروف بجعل، و کان منزله فی درب رباح من بغداد و بعد ذلک اشتغل بالدّرس عند أبی یاسر فی باب خراسان من البلده المذکوره.

و لما کان أبو یاسر المذکور بما عجز عن البحث معه و الخروج عن عهدته أشار علیه بالمضیّ إلی علیّ بن عیسی الرّمانی الذی هو من أعاظم علماء الکلام، فقال الشّیخ: إنّی لا أعرفه و لا أجد أحدا یدلّنی علیه، فأرسل أبو یاسر معه بعض تلامذته و أصحابه فلمّا مضی و کان مجلس الرّمانی مشحونا من الفضلاء جلس الشّیخ فی صف النّعال و بقی یتدرّج فی القرب کلما خلا المجلس شیئا فشیئا لاستفاده بعض المسائل من صاحب المجلس، فاتّفق أنّ رجلا من أهل البصره دخل و سأل الرّمانی فقال له:

ما تقول فی حدیث الغدیر و قصّه الغار؟ فقال الرّمانی: قصّه الغار درایه و خبر الغدیر

روایه و لا تعارض الرّوایه الدّرایه و لما کان ذلک الرّجل البصری لیس له قوّه المعارضه سکت و خرج.

فقـال الشّـیخ إنّی لم أجـد صبرا عن السّـکوت عن ذلک فقلت: أیّها الشّـیخ عنـدی سؤال، فقال: قل، فقلت: ما تقول فی من خرج علی الامـام العـادل و حـاربه؟ فقـال: کـافر، ثمّ اسـتدرک فقـال: فـاسق، فقلت مـا تقول فی أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّـلام؟ فقـال: إمـام عـادل، فقلت: مـا تقول فی حرب طلحه و الزّبیر له فی حرب الجمل؟ فقال: انهم تابوا، فقلت له: خبر الحرب درایه و التّوبه روایه، فقال: أ و کنت عند سؤال الرّجل البصری؟ فقلت: نعم، فقال: روایه بروایه و سؤالک متّجه وارد.

ثمّ إنّه سأله من أنت و عند من تقرء من علماء هذا البلد؟ فقلت: عند الشّیخ أبی عبد اللّه جعل، ثمّ قال لی: مکانک و دخل منزله و بعـد لحظه خرج و بیده رقعه ممهوره فدفعها إلیّ فقال: ادفعها إلی شـیخک أبی عبد اللّه، فأخذت الرّقعه من یده و مضـیت إلی مجلس الشّـیخ المـذکور و دفعت له الرّقعه ففتحهـا و بقی مشـغولا بقراءتهـا و هو یضـحک فلمّا فرغ من قراءتها قال: إنّ جمیع ما جری بینک و بینه قد کتب إلیّ و أوصانی بک و لقّبک المفید، و اللّه الهادی.

الترجمه

از جملهٔ کلام آن جناب ولایت مآب است هنگامی که مظفّر و منصور گردانید خداوند سـبحانه و تعالی او را باصـحاب جمل و گفت او را بعض أصحاب او دوست داشتم که برادر من فلان حاضـر بـود در این حرب تـا این که می دیـد آن چیزی را که نصرت داده تو را خدای تعالی بآن بر دشمنان تو، پس فرمود آن حضرت آیا میل و محبّت برادر تو با ماست؟ گفت بلی یا أمیر المؤمنین، فرمود پس بتحقیق حاضـر است با ما و بخدا سوگند البته حاضـرند با ما در این لشـکرگاه ما جماعت محبان ما که در پشـتهای پدرانند و در رحمهای مادران، زود باشد که بیرون آورد ایشان را زمان مانند بیرون آمدن خون از دماغ، و قوّت گیرد بسبب وجود ایشان ایمان و اهل طغیان مقهور شوند

ص:۱۸۶

در دست ایشان.

و من کلام له علیه السّلام فی ذم أهل البصره و هو الثالث

اشاره

عشر من المختار فی باب الخطب

تکلّم بذلک بعد الفراغ من قتال أهلها و قد رواه الطبرسی فی الاحتجاج و علیّ ابن إبراهیم القمی و المحدّث البحرانی بزیاده و نقصان یعرف تفصیل ذلک فی أوّل التنبیهات إنشاء اللّه.

کنتم جند المرأه و أتباع البهیمه، رغا فأجبتم، و عقر فهربتم، أخلاقکم دقاق، و عهدکم شقاق، و دینکم نفاق، و ماؤکم زعاق، المقیم بین أظهرکم مرتهن بذنبه، و الشّاخص عنکم متدارک برحمه من ربّه، کأنّی بمسجدکم کجؤجؤ سفینه، قد بعث اللّه علیها العذاب من فوقها و من تحتها، و غرق من فی ضمنها. و فی روایه و أیم اللّه لتغرقنّ بلدتکم حتّی کأنّی أنظر إلی مسجدها کجؤجؤ سفینه أو نعامه جاثمه. و فی روایه کجؤجؤ طیر فی لجّه بحر.

اللغه

(الرّغاء) وزان غراب صوت البعیر و رغت النّاقه ترغو صوتت فهی راغیه و (الدّقیق) خلاف الجلیل و (شاقّه) مشاقه و شقاقا خالفه و حقیقته ان یأتی کلّ منهما ما یشقّ علی صاحبه فیکون کلّ منهما فی شقّ غیر شقّ صاحبه و (نافق) الرّجل نفاقا إذا أظهر الاسلام لأهله و أضمر غیر الاسلام و (الزّعاق) بضمّ الزّاء المعجمه المالح و (بین أظهر) النّاس و بین ظهریهم و بین ظهرانیهم بفتح النّون کلها بمعنی بینهم، و فائده

إدخاله فی الکلام أن إقامته بینهم علی سبیل الاستظهار بهم و الاستناد إلیهم و کان المعنی أنّ ظهرا منه قدامه و ظهرا ورائه فکانّه مکنوف من جانبیه هذا أصله، ثمّ کثر حتّی استعمل فی الاقامه بین القوم و إن کان غیر مکنوف بینهم و (الجؤجؤ) کهدهد من الطیر و السّفینه صدرهما و قیل عظام الصّدر و (جثم) الطائر و الارنب یجثم من باب ضرب جثوما و هو کالبروک من البعیر.

الاعراب

الفاء فی قوله: فاجبتم، و قوله: فهربتم، فصیحه، و قوله کأنّی بمسجدکم اه کان للتّقریب و الباء زائده و الأصل کأنّی أبصر مسجدکم ثمّ حذف الفعل و زیدت الباء کما ذکره المطرزی فی شرح قول الحریری: کأنّی بک تنحط، من أنّ الأصل کأنّی ابصرک تنحط حذف الفعل و زیدت الباء و قال ابن عصفور: الباء و الکاف فی کأنّی بک تنحط، و کانّک بالدّنیا لم تکن، کافتان لکأنّ عن العمل، و الباء زائده فی المبتدأ و علی ذلک فیکون قوله علیه السّلام بمسجدکم مبتداء و کجؤجؤ سفینه خبره و جمله قد بعث حال متمّمه لمعنی الکلام کالحال فی قوله تعالی:

«فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْکِرَهِ مُعْرِضِینَ » و قال نجم الأئمه الرّضیّ فی المثال الثانی: الأولی أن تبقی کأنّ علی معنی التشبیه و لا تحکم بزیاده شیء و تقول التّقدیر کأنّک تبصر بالدّنیا أی تشاهدها من قوله تعالی:

«فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ » و الجمله بعد المجرور بالباء حال أی کأنّک تبصر بالدّنیا و تشاهدها غیر کاینه.

المعنی

اشاره

اعلم أنّه علیه السّلام ذکر فی کلامه ذلک امورا سبعه نبّه فیها علی ذمّهم و توبیخهم

الاول ما أشار علیه السّلام إلیه بقوله:(کنتم جند المرأه)

و أراد بها عایشه حیث جعلوها عقد نظامهم و مدار قوامهم، و من المعلوم أنّ النّساء علی نقصان عقولهنّ

ص:۱۸۸

و حظوظهنّ و ايمانهنّ على ما ستعرفها تفصيلا فى محلّها مذمومه عند العرب و ساير العقلاء، فالتّابع لها و الجاعل زمام أمره إليها لا بدّ و أن يكون أنقص عقلا منهنّ و حرّ يا بالذّم و التّوبيخ.

روى فى البحار من كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات عن محمّد البرقى عن الحسين ابن سيف عن أخيه عن أبيه عن سالم بن مكرم عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول فى قوله تعالى:

«مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ » قال: هى الحميراء قال مؤلّف الكتاب: إنّما كنّى عنها بالعنكبوت لأنّه حيوان ضعيف اتّخذت بيتا ضعيفا أو هن البيوت، و كذلك الحميراء حيوان ضعيف لقله عقلها و حظها و دينها اتّخذت من رأيها الضّعيف و عقلها السّخيف فى مخالفتها و عداوتها لمولاها بيتا مثل بيت العنكبوت فى الوهن و الضعف و سيأتى بعض الأخبار فيها فى التّنبيه الثّانى إنشاء اللّه.

الثانى ما نبّه عليه السّلام عليه بقوله:(و أتباع البهيمه)

و أراد بها الجمل.

قال فى البحار: و أعطى يعلى بن منبه عايشه جملا اسمه عسكر اشتراه بمأتى دينار و قيل بثمانين دينارا فركبته و قيل: كان جملها لرجل من عرنيه قال العرنى بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لى راكب قال ا تبيع جملك؟ قلت: نعم، قال: بكم؟ قلت: بألف درهم قال: أ مجنون أنت؟ قلت: و لم و اللّه ما طلبت عليه أحدا إلّا أدركته و لا طلبنى و أنا عليه أحد إلّا فتّه، قال: لو تعلم لمن نريده إنّما نريده لأمّ المؤمنين عايشه، فقلت: خذه بغير ثمن قال: بل ارجع معنا إلى الرّحل فنعطيك ناقه و دراهم قال: فرجعت فأعطونى ناقه مهريّه و أربعمائه درهم أو ستمائه.

و فى شرح المعتزلى لمّا عزمت عايشه على الخروج إلى البصره طلبوا لها بعيرا ايّدا يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن اميّه ببعير المسمّى عسكرا و كان عظم الخلق

ص:١٨٩

شديدا، فلمّا رأته أعجبها و أنشأ الجمال يحدثها بقوّته و شدّته و يقول فى أثناء كلامه عسكر، فلمّا سمعت هذه اللفظه استرجعت و قالت ردّوه لا حاجه لى فيه و ذكرت حيث سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذكر لها هذا الاسم و نهاها عن ركوبه و أمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغير لها بجلال غير جلاله، و قيل لها قد أصبنا لک أعظم منه خلقا و أشدّ قوّه و اتيت به فرضيت.

ثمّ إنّه عليه السّلام أوضح متابعتهم للبهيمه بقوله:(رغا فأجبتم) فانّ كونهم مجيبين لرغائه شاهد صدق على المتابعه و قد كان الجمل رايه أهل البصره قتلوا دونه كما يقتل الرّجال تحت الرّايات، و كان كلّ من أراد الجد فى الحرب و قاتل قتال مستميت يتقدّم الجمل و يأخذ بخطامه و روى أنّه اخذ الخطام سبعون رجلا من قريش قتلوا كلهم و كان أكثر النّاس حمايه له و ذبّا عنه بنى ضبّه و الأزد.

و فى شرح المعتزلى عن المداينى و الواقدى أنّه ما حفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل، و أكثره لبنى ضبّه و الأزد الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه و لقد كانت الرءوس تندر عن الكواهل، و الأيدى تطيح من المعاصم، و أقتاب البطن تندلق من الأجواف، و هم حول الجمل كالجراد الثابته لا تزلزل و لا تتحلحل(١) حتّى لقد صرخ بأعلى صوته ويلكم: اعقروا الجمل فانّه شيطان، ثمّ قال عليه السّلام اعقروه و إلاّ فنيت العرب لا يزال السّيف قائما و راكعا حتّى يهوى البعير إلى الأرض فعمدوا له حتّى عقروه فسقط و له رغاء شديد فلمّا برک كانت الهزيمه و إليه أشار عليه السّلام بقوله:

(و عقر فهربتم).

قال أبو مخنف حدّثنا مسلم الأعور عن حبّه العرنىّ قال: فلمّا رأى علىّ عليه السّلام أنّ الموت عند الجمل و أنّه ما دام قائما فالحرب لا يطفأ وضع سيفه على عاتقه و عطف نحوه و أمر أصحابه بذلک و مشى نحوه و الخطام مع بنى ضبّه فاقتتلوا قتالا شديدا و استحرّ القتل فى بنى ضبّه فقتل منهم مقتله عظيمه و خلص علىّ عليه السّلام فى جماعه من النخع و همدان إلى الجمل.

١- (١) حلحلهم ازالهم عن مواضعهم ق.

فقال لرجل من النخع اسمه بحير: دونک الجمل یا بحیر فضرب عجز الجمل بسیفه فوقع لجنبه و ضرب بجرانه الأرض و عج عجا شدیدا لم یسمع بأشدّ منه فما هو إلاّ أن صرع الجمل حتّی فرّت الرّجال کما یطیر الجراد فی الرّیح الشّدیده الهبوب و احتملت عایشه بهودجها فحملت إلی دار عبد اللّه بن خلف و أمر علیّ علیه السّلام بالجمل أن یحرق ثمّ یذری بالرّیح، و قال: لعنه اللّه من دابّه فما أشبهه بعجل بنی إسرائیل ثمّ قرء:

«وَ انْظُرْ إِلی إِلهِکَ الَّذِی ظَلْتَ عَلَیْهِ عاکِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِی الْیَمِّ نَسْفاً » و فی الاحتجاج أنّ محمّد بن أبی بکر و عمّار بن یاسر تولیا عقره بعد طول دمائه، و روی أنّه کلما قطعت قائمه من قوائمه ثبت علی اخری حتّی قتل.

الثالث ما ذکره بقوله علیه السّلام (أخلاقکم دقاق)

أی رذیله حقیره قال الشّارح المعتزلی: فی الحدیث انّ رجلا قال له: یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنّی أحبّ أن انکح فلانه إلاّ أنّ فی أخلاق أهلها دقه فقال له: إیّاک و خضراء الدّمن إیّاک و المرأه الحسناء فی منبت السّوء و علّل البحرانی دقّه أخلاقهم بأنّ أصول الفضائل الخلقیّه لما کانت ثلاثه: الحکمه و العفّه و الشّجاعه و کانوا علی طرف الجهل لوجوه الآراء المصلحیّه و هو طرف التّفریط من الحکمه العلمیّه و علی طرف الجبن و هو التّفریط من الشّجاعه و علی طرف الفجور و هو طرف الافراط من ملکه العفّه و العداله لا جرم صدق أنّهم علی رذایل الأخلاق و دقاقها.

أقول: و یشهد علی جهلهم اتباعهم للمرأه و متابعتهم للبهیمه، و علی جبنهم ما مر فی الخطب السّابقه من قوله علیه السّلام: و قد أرعدوا و أبرقوا و مع هذین الأمرین الفشل، و علی فجورهم خروجهم علی الامام العادل و محاربتهم معه.

ص:۱۹۱

الرابع ما نبّه عليه السّلام عليه بقوله:(و عهدكم شقاق)

يعنى معاهدتكم لا يمكن الاعتماد عليها و الوثوق بها، لأنّها صوريّه و ظاهريّه و فى المعنى و الحقيقه مخالفه و عداوه يشهد بذلك نكثهم لبيعته بعد عقدهم إيّاه.

الخامس ما أشار عليه السّلام إليه بقوله:(و دينكم نفاق)

و ذلك أنّهم أظهروا الاسلام أى الايمان بألسنتهم و خالفوا بقلوبهم كما حكى عليه السّلام فيما سبق عن الزّبير أنّه: يزعم أنّه بايع بيده و لم يبايع بقلبه فقد أقرّ بالبيعه و ادّعى الوليجه.

السادس ملوحه مائهم المشار إليه بقوله:(و ماؤكم زعاق)

أى مالح بسبب قربه من البحر يوجب أمراضا كثيره كسوء المزاج و البلاده و فساد الطحال و نحوها و هذا و إن لم يكن من افعالهم الاختياريه إلاّ أنّه ممّا يذّم به البلد فيستحقّون بذلك المذمه لسوء اختيارهم ذلك المكان قال الشّاعر:

بلاد بها الحمّى و اسد عرينه و فيها المعلّى يعتدى و يجور

فانّى لمن قد حلّ فيها لراحم و إنّى لمن لم يأتها لنذير

(و) السابع أنّ (المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه)

لأنّه إمّا أن يشاركهم فى الذّنوب أو يراها فلا ينكرها، و قد ورد الاخبار عن أئمتنا الأطهار سلام اللّه عليهم على تحريم مجاوره أهل المعاصى و مخالطتهم اختيارا و المجالسه معهم و كون المجاور و المجالس مستحقا بذلك للعقوبه.

مثل ما رواه فى الوسائل باسناده عن مهاجر الأسدى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

مرّ عيسى بن مريم عليه السّلام على قريه قد مات أهلها و طيرها و دوابها فقال: أمّا أنّهم لم يموتوا إلاّ لسخطه و لو ماتوا متفرّقين لتدافنوا، فقال الحواريون: يا روح اللّه و كلمته ادع اللّه أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنتجنّبها، قال: فدعا عيسى عليه السّلام فنودى من الجوّ أن نادهم فقام عيسى بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل القريه، فأجابه مجيب منهم لبيك، فقال: و يحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عباده

الطاغوت و حبّ الدّنيا مع خوف قليل و أمل بعيد و غفله فى لهو و لعب إلى أن قال:

و كيف عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعه لأهل المعاصى قال: كيف كان عاقبه أمركم؟ قال: بتنافى عافيه و أصبحنا فى الهاويه، فقال: و ما الهاويه؟ قال: سجّين، قال:

و ما سجّين؟ قال: جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامه إلى أن قال، قال:

ويحك كيف لم يكلّمنى غيرك من بينهم؟ قال: يا روح اللّه إنّهم ملجمون بلجم من نار: بأيدى ملائكه غلاظ شداد و إنّى كنت فيهم و لم أكن منهم فلمّا نزل العذاب أعمّنى معهم و أنا معلّق بشعره على شفير جهنّم لا أدرى أكبكب فيها أم أنجو منها، فالتفت عيسى عليه السّلام إلى الحواريين فقال: يا أولياء اللّه أكل الخبز اليابس بالملح الجريش و النّوم على المزابل خير كثير مع عافيه الدّنيا و الآخره.

و عن أبى حمزه عن أبى جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليهما السّلام قال: سمعته يقول: أما أنّه ليس من سنه أقلّ مطرا من سنه و لكن اللّه يضعه حيث يشاء إنّ اللّه جلّ جلاله إذا عمل قوم بالمعاصى صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر فى تلك السّنه إلى غيرهم و إلى الفيافى و البحار و الجبال، و إنّ اللّه ليعذّب الجعل فى جحرتها بحبس المطر عن الأرض التى هى بمحلّتها لخطايا من بحضرتها، و قد جعل اللّه لها السّبيل إلى مسلك سوى محله أهل المعاصى قال: ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: فاعتبروا يا اولى الأبصار.

و عن أبى حمزه عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام فى حديث طويل قال: ايّاكم و صحبه العاصين و معونه الظالمين و مجاوره الفاسقين، احذروا فتنتهم و تباعدوا من ساحتهم.

و فى الفقيه عن محمّد بن مسلم قال: مرّ بى أبو جعفر عليه السّلام و أنا جالس عند قاض بالمدينه فدخلت عليه من الغد فقال عليه السّلام: ما مجلس رأيتك فيه أمس قال: قلت له:

جعلت فداك إنّ هذا القاضى لى مكرم فربّما جلست إليه فقال: و ما يؤمنك أن تنزل اللعنه فتعمّك معه، و روى فى خبر آخر فتعمّ من فى المجلس.

و فى الكافى عن الجعفرى قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: مالى رأيتك عند عبد الرّحمن بن يعقوب؟ فقال: إنّه خالى، فقال عليه السّلام: إنّه يقول فى اللّه قولا عظيما يصف اللّه و لا يوصف فإمّا جلست معه و تركتنا، و إمّا جلست معنا و تركته؟ فقلت:

هو يقول ما شاء أىّ شىء علىّ منه إذا لم أقل ما يقول؟ فقال أبو الحسن عليه السّلام: أما تخاف أن تنزل به نقمه فتصيبكم جميعا، أما علمت بالذى كان من أصحاب موسى عليه السّلام و كان أبوه من أصحاب فرعون فلمّا لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه و هو يراغمه حتى بلغ طرفا من البحر فغرقا جميعا فأتى موسى الخبر فقال: هو فى رحمه اللّه و لكن النّقمه إذا نزلت ليس لها عمّن قارب المذنب دفاع.

و قوله عليه السّلام:(و الشّاخص عنكم متدارك برحمه من ربّه) و ذلك لأنّ المقيم بينهم و المخالط معهم إذا كان رهينا بذنبه يلزمه كون الشّاخص عنهم و المتباعد من ساحتهم متداركا برحمه اللّه لسلامته من عقوبه المجاوره و المجالسه.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى ابتلائهم بالعقوبه الدّنيويه قبل عذاب الآخره و قال:

(كأنّى بمسجدكم كجؤجؤ سفينه قد) برز من الماء حين (بعث اللّه عليها) أى على البصره (العذاب من فوقها و من تحتها و غرق من فى ضمنها) قال الرّضى (و فى روايه) اخرى (و أيم اللّه لتغرقنّ بلدتكم حتّى كأنّى أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينه أو نعامه جاثمه) أى باركه متلبّده بالأرض قال:(و فى روايه) ثالثه (كجؤجؤ طير فى لجّه بحر).

قال الشّارح المعتزلى: أمّا إخباره عليه السّلام أنّ البصره تغرق عدا المسجد الجامع فقد رأيت من يذكر أنّ كتب الملاحم تدلّ على أنّ البصره يهلك بالماء الأسود ينفجر من أرضها فتغرق و يبقى مسجدها، و الصّحيح أنّ المخبر به قد وقع فانّ البصره غرقت مرّتين مرّه فى أيّام القادر باللّه و مرّه فى أيّام القائم بأمر اللّه غرقت بأجمعها و لم يبق منها إلاّ مسجدها الجامع مبارزا بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السّلام: جاءها الماء من بحر الفارس من جهه الموضع المعروف الآن بجزيره الفرس و من جهه الجبل المعروف الآن بجزيره السّنّام، و خربت دورها و غرق كلّ ما فى ضمنها و هلك كثير من أهلها، و أخبار هذين الغرقين عند أهل البصره يتناقله خلفهم عن سلفهم.

أقول: و لا بأس بما ذكره إلاّ أنّ المستفاد من ذيل هذه الخطبه على ما رواها

الشّارح البحرانی حسبما تعرفه فی أوّل التنبیهات أنّ الماء الـذی یغرق به البصـره ینفجر من الأرض کما قال علیه السّـلام: و إنّی لأعرف موضع منفجره من قریتکم هذه و ظاهر ذلک أنّه لا یکون من ناحیه اخری، و اللّه العالم بحقایق الامور

و ینبغی التنبیه علی امور

الاول

اعلم أنّ هذه الخطبه رویت بطرق مختلفه

قد رواها جماعه من الأصحاب بزیاده و نقصان و لا بأس بالاشاره إلیها تکثیرا للفائده.

فمنهـا مـا فی الاحتجـاج عن ابن عبـاس (رض) قـال: لمّا فرغ أمیر المؤمنین علیه السّـلام من قتال أهل البصـره وضع قتبا علی قتب فحمد اللّه و أثنی علیه فقال: یا أهل البصـره یا أهل المؤتفکه یا أهل الدّاء(۱) العضال یا أتباع البهیمه یا جنـد المرأه رغا فأجبتم و عقر فهربتم، مـاؤکم زعـاق، و دینکم نفـاق، و أحلامکم دقاق، ثمّ نزل علیه السّـلام یمشـی بعـد فراغه من خطبته فمشـینا معه فمرّ بالحسن البصـری و هو یتوضّأ فقال: یا حسن أسـبغ الوضوء فقال: یا أمیر المؤمنین لقـد قتلت بالأمس أناسا یشـهدون أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شـریک له و أنّ محمّدا عبده و رسوله و یصـلّون الخمس و یسـبغون الوضوء، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: قد کـان مـا رأیت فمـا منعک أن تعین علینا عـدوّنا؟ فقال: و اللّه لاصـدقنّک یا أمیر المؤمنین لقـد خرجت فی أوّل یوم فاغتسلت و تحنّطت و صـببت علیّ سلاحی و أنا لا أشکّ فی أنّ التّخلّف عن أمّ المؤمنین عایشه کفر، فلمّا انتهیت إلی موضع من الخریبه(۲) نادی مناد یا حسن إلی أین ارجع فانّ القاتل و المقتول فی النّار، فرجعت ذاعرا و جلست فی بیتی.

فلمّا کان فی الیوم الثّانی لم أشکّ أنّ التّخلّف عن أمّ المؤمنین هو الکفر فتحنّطت و صـببت علیّ سـلاحی و خرجت اریـد القتال حتّی انتهیت إلی موضع من الخریبه فنادی مناد من خلفی یا حسن إلی أین مرّه بعد اخری فانّ القاتل و المقتول فی النّار.

۱- (۱) الداء العضال الداء الذی لا دواء له صحاح.

۲- (۲) هی بضم الخاء محله من محال البصره ینسب الیها خلق کثیر نهایه.

قال علىّ عليه السّلام: صدقت أ فتدرى من ذلك المنادى؟ قال: لا، قال عليه السّلام: أخوك إبليس و صدقك أنّ القاتل و المقتول منهم فى النّار، فقال الحسن البصرى: الآن عرفت يا أمير المؤمنين أنّ القوم هلكى.

و منها ما فى تفسير علىّ بن إبراهيم القمّى فى تفسير قوله:

«وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى » قال: المؤتفكه(۱) البصره، و الدّليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السّلام: يا أهل البصره و يا أهل المؤتفكه يا جند المرأه و أتباع البهيمه رغا فأجبتم و عقر فهربتم ماؤكم زعاق و اخلاقكم دقاق «و أحلامكم رقاق خ ل» و فيكم ختم النّفاق و لعنتم على لسان سبعين نبيّا إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخبرنى أنّ جبرئيل عليه السّلام أخبره أنّه طوى له الأرض فرأى البصره أقرب الأرضين من الماء و أبعدها من السّماء، و فيها تسعه أعشار الشرّ و الدّاء العضال، المقيم فيها مذنب و الخارج عنها برحمه و قد ائتفكت بأهلها مرّتين و على اللّه تمام الثّالثه، و تمام الثّالثه فى الرّجعه.

أقول: قال فى مجمع البيان: المؤتفكه المنقلبه و هى التى صار أعلاها أسفلها و أسفلها أعلاها، و أهوى أى انزل بها فى الهواء قال: و المؤتفكه قرى قوم لوط المخسوفه أهوى أى اسقط أهواها جبرئيل بعد أن رفعها و هذا تنزيلها و ما رواه القمّى رحمه اللّه تأويلها، و قال القمىّ فى تفسير قوله سبحانه:

«وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَهِ » المؤتفكات البصره، و الخاطئه فلانه و فى نسخه حميراء، و فى البحار و أمّا التأويل الذى(۲) ذكره علىّ بن إبراهيم فقد رواه مؤلف تأويل الآيات الباهره عن محمّد البرقى عن سيف بن عميره عن أخيه عن منصور بن حازم عن حمران قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: و جاء فرعون يعنى الثّالث، و من قبله يعنى الأوّلين، و المؤتفكات أهل

۱- (۱) قال فى تفسير البيضاوى المؤتفكه القرى التى ائتفكت باهلها اى انقلبت و عن النهايه فى حديث انس البصره احدى المؤتفكات يعنى انها غرقت فشبه غرقها بانقلابها منه.

۲- (۲) يعنى فى الآيه الاخيره، منه.

البصره، بالخاطئه الحميراء، فالمراد بمجيء الأوّلين و الثّالث بعايشه أنّهم أسّسوا لها بما فعلوا من الجور على أهل البيت عليهم السّلام أساسا به تيسّر لها الخروج و لو لا ما فعلوا لم تكن تجترى على ما فعلت، و المراد بالمؤتفكات أهل المؤتفكات و الجمع باعتبار البقاع و القرى و المحلات.

و منها ما فى شرح البحرانى متفرّقه إلاّ أنّ المحدّث العلاّمه المجلسى (ره) جمع ما وجد منها فى البحار و ألف شتاتها و نحن نرويها من البحار من الشرح.

قال (قدّه): روى الشّيخ كمال الدّين بن ميثم البحرانى مرسلا أنّه لمّا فرغ أمير المؤمنين عليه السّلام من أمر الحرب لأهل الجمل أمر مناديا ينادى فى أهل البصره أن الصّلاه الجامعه لثلاثه(۱) أيّام من غد إنشاء اللّه و لا عذر لمن تخلّف إلاّ من حجّه أو عله فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فلمّا كان اليوم الذى اجتمعوا فيه خرج عليه السّلام فصلى بالنّاس الغداه فى المسجد الجامع فلمّا قضى صلاته قام فأسند ظهره إلى حائط القبله عن يمين المصلّى فخطب النّاس و أثنى عليه بما هو أهله و صلّى على النّبى و آله و استغفر للمؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات ثمّ قال:

يا أهل البصره يا أهل المؤتفكه ائتفكت(۲) بأهلها ثلاثا و على اللّه تمام الرّابعه، يا جند المراه و اعوان البهيمه رغا فأجبتم و عقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق و دينكم نفاق و ماؤكم زعاق، و بلادكم انتن بلاد اللّه تربه و ابعدها من السّماء، بها تسعه اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه و الخارج منها بعفو اللّه، كأنّى انظر إلى قريتكم هذه و قد طبقها الماء حتّى ما يرى منها الاّ شرف المسجد كأنّه جؤجؤ طير فى لجّه بحر فقام إليه الأحنف(۳) بن قيس فقال له: يا أمير المؤمنين متى يكون ذلك؟

۱- (۱) اى بعد ثلاثه ايام و اللام للاختصاص منه،

۲- (۲) اى انقلبت اما حقيقه أو كنايه عن الغرق منه.

۳- (۳) الاحنف هو الذى كان معتزلا عن الفريقين يوم الجمل و يكنى ابا بحر بالباء الموحده و اسمه الضحاك بن قيس من بنى تميم، بحار الانوار.

قال: یا أبا بحر إنک لن تدرک ذلک الزّمان و انّ بینک و بینه لقرونا و لکن لیبلغ الشّاهد منکم الغائب عنکم لکی یبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصره قد تحوّلت أخصاصها(۱) دورا و آجامها قصورا فالهرب الهرب فانّه لا بصره لکم یومئذ.

ثمّ التفت عن یمینه فقال: کم بینکم و بین الأبلّه؟(۲) فقال له المنذر بن الجارود فداک أبی و امّی أربعه فراسخ قال له: صدقت فو الذی بعث محمّدا و آله و أکرمه بالنّبوّه و خصّه بالرّساله و عجّل بروحه إلی الجنّه لقد سمعت منه کما تسمعون منی أن قال لی: یا علیّ هل علمت أنّ بین التی تسمی البصره و تسمی الابلّه أربعه فراسخ و سیکون فی التی تسمّی الابله موضع أصحاب العشور یقتل فی ذلک الموضع من امّتی سبعون ألفا شهیدهم یومئذ بمنزله شهداء بدر.

فقال له المنذر: یا أمیر المؤمنین و من یقتلهم فداک أبی و أمّی؟ قال: یقتلهم اخوان الجنّ و هم جیل(۳) کأنّهم الشّیاطین سود ألوانهم منتنه أریاحهم(۴) شدید کلبهم(۵) قلیل سلبهم طوبی لمن قتلهم و طوبی لمن قتلوه، ینفر لجهادهم فی ذلک الزّمان(۶) قوم هم أذله عند المتکبرین من أهل ذلک الزّمان، مجهولون فی الأرض معروفون فی السّماء تبکی السّماء علیهم و سکانها و الأرض و سکانها.

۱- (۱) جمع خص بیت یعمل من الخشب القضب بحار.

۲- (۲) بضم الهمزه و الباء و تشدید اللام الموضع الذی به مدینه البصره و فی الابله الیوم موضع العشارین حسبما اخبر (علیه السلام) به بحار.

۳- (۳) الجیل هو الصف من الناس و قیل کل قوم یختصمون بلغه فهم جیل بحار.

۴- (۴) جمع ریح و هی الرایحه بحار.

۵- (۵) الکلب بالتحریک الشر و الاذی و شبه جنون یعرض الانسان من عض الکلب الکلب و السلب بالتحریک ما یأخذه أحد القرینین فی الحرب من قرینه مما یکون علیه بحار.

۶- (۶) و کانه أشار الی خروج صاحب الریح و کان جیشه حفاتا مشاتا لم یکن لهم قعقعه لجم و لا جمجمه خیل بحار الانوار.

ثمّ هملت(۱) عيناه بالبكاء ثمّ قال: ويحك يا بصره ويلك يا بصره لا رهج(۲) له و لا حس(۳) فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين و ما الذى يصيبهم من قبل الغرق ممّا ذكرت و ما الويح و ما الويل؟ فقال: هما بابان فالويح باب رحمه و الويل باب عذاب يابن الجارود نعم تارات(۴) عظيمه.

منها عصبه يقتل بعضها بعضا، و منها فتنه يكون بها خراب منازل و خراب ديار و انتهاك أموال(۵) و قتل رجال و سباء نساء يذبحن و نجايا ويل امرهن حديث عجيب منها أن يستحل(۶) بها الدّجال الأكبر الأعور(۷) الممسوح العين اليمنى و الاخرى كأنّها ممزوجه بالدّم لكأنّها فى الحمره علقه ناتى(۸) الحدقه كهيئه حبّه العنب الطافيه(۹) على الماء فيتبعه من أهلها عدّه من قتل بالابله من الشهداء اناجيلهم فى صدورهم يقتل من يقتل و يهرب من يهرب ثمّ رجف(۱۰) ثمّ قذف(۱۱) ثمّ خسف(۱۲) ثمّ مسخ ثمّ الجوع الأغبر ثمّ الموت الأحمر و هو الغرق.

يا منذر إنّ للبصره ثلاثه أسماء سوى البصره فى الزّبر الأوّل لا يعلمها الاّ

۱- (۱) اى فاضت بالدمع بحار.

۲- (۲) بالتحريك الغبار بحار.

۳- (۳) الصوت الخفى بحار.

۴- (۴) جمع تاره اى مرات و المعنى ترد عليهم فتنه عظيمه مره بعد اخرى بحار.

۵- (۵) اخذ الاموال بما لا يحل بحار.

۶- (۶) اى يتخذها مسكنا و ينزلها من حل بالمكان اذا نزل وصف الدجال بالاكبر لكثره مدعى الاباطيل كما فى بعض الاخبار بحار.

۷- (۷) الذى ذهب احدى عينيه بحار.

۸- (۸) الناتى المرتفع بحار.

۹- (۹) طفا على الماء يطفوا اذا علا و لم يرسب بحار.

۱۰- (۱۰) الرجف الزلزله و الاضطراب بحار.

۱۱- (۱۱) القذف الرمى بالحجاره و نحوها م.

۱۲- (۱۲) الخسف الذهاب فى الارض و خسف المكان ان يغيب فى الارض و هذا الخسف يحتمل. ان يكون خسف جيش او طائفه بالبصره أو خسف مدينتهم و بعض مساكنهم و وصف الجوع بالاغبر لان الجوع غالبا يكون فى السنين المجدبه و سنو الجدب تسمى غبر الاغبرار اطالها من قله الامطار و ارضيها لعدم النبات و اما لان وجه الجائع يشبه الوجه المغبر و المراد بالجوع الاغبر الجوع الكامل الذى يظهر لكل أحد بحار.

العلماء منها الخربیه و منها تدمر(۱) و منها المؤتفکه، یا منذر و الذی فلق الحبّه و برء النسمه لو أشاء لأخبرتکم بخراب العرصات عرصه عرصه متی تخرب و متی تعمر بعد خرابها إلی یوم القیامه و انّ عندی من ذلک علما جمّا(۲) و ان تسألونی تجدونی به عالما لا اخطی منه علما(۳) و لا دار فناء و لقد استودعت علم القرون الاولی و ما هو کائن إلی یوم القیامه.

ثمّ قال: یا أهل البصره إنّ اللّه لم یجعل لأحد من أمصار المسلمین خطه شرف و لا کرم إلّا و قد جعل فیکم أفضل ذلک و زادکم من فضله بمنّه ما لیس لهم أنتم أقوم النّاس قبله قبلتکم علی المقام حیث یقوم الامام بمکّه، و قارئکم أقرء النّاس، و زاهدکم أزهد النّاس، و عابدکم أعبد النّاس، و تاجرکم انجر النّاس و أصدقهم فی تجارته، و متصدّقکم أکرم النّاس صدقه، و غنیّکم أشدّ النّاس بذلا و تواضعا، و شریفکم أحسن النّاس خلقا، و أنتم أکرم النّاس جوارا و أقلّهم تکلفا لما لا یعنیه و أحرصهم علی الصلاه فی جماعه، ثمرتکم أکثر الثّمار، و أموالکم أکثر الأموال و صغارکم أکیس(۴) الاولاد، نساؤکم أقنع النساء و أحسنهن تبعلا(۵) سخر لکم الماء یغدو(۶) علیکم و یروح، صلاحا لمعاشکم و البحر سببا لکثره أموالکم فلو صبرتم

۱- (۱) من الدمار بمعنی الهلاک بحار.

۲- (۲) الجم الکثیر بحار.

۳- (۳) العلم بالتحریک الجبل و الرایه و دار فناء الامر داخله ذکره فی القاموس ای لا اخطی منه ظاهرا و لا خفیّا بحار.

۴- (۴) الکیس بالفتح خلاف الحمق بحار.

۵- (۵) مصاحبه الزوجیه بحار.

۶- (۶) غدو الماء و رواحه الیه کنایه عن الجزر و المد فی الوقتین فان نهر البصره و الانهار المقارنه له یمد فی کل یوم و لیله مرتین و یدور فی الیوم و اللیله و لا یخص وقتا کطلوع الشمس و غروبها و ارتفاعها و انخفاضها و یکون ذلک بالمد الیومی و یکون المد عند زیاده نور القمر اسد و یسمی ذلک بالمد الشهری و اشار علیه السلام بهذه الفقره الی فایده المد و الجزر بحار.

و استقمتم لکانت لکم شجره طوبی مقیلا ظلاّ ظلیلا(۱) غیر أنّ حکم اللّه فیکم ماض و قضاؤه نافذ لا معقّب لحکمه و هو سریع الحساب یقول اللّه:

«وَ إِنْ مِنْ قَرْیَهٍ إِلاّ نَحْنُ مُهْلِکُوها قَبْلَ یَوْمِ الْقِیامَهِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِیداً کانَ ذلِکَ فِی الْکِتابِ مَسْطُوراً » و اقسم لکم یا أهل البصره ما الذی ابتدأتکم به من التّوبیخ إلاّ تذکیرا و موعظه لما بعد لکیلا تسرعوا إلی الوثوب فی مثل الذی و ثبتم و قد قال اللّه لنبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «وَ ذَکِّرْ فَإِنَّ الذِّکْری تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِینَ » و لا الذی ذکرت فیکم من المدح و التطریه(۲) بعد التّذکیر و الموعظه رهبه منّی لکم و لا رغبه فی شیء ممّا قبلکم فانّی لا ارید المقام بین أظهرکم إنشاء اللّه لامور تحضرنی قد یلزمنی المقام بها فیما بینی و بین اللّه لا عذر لی فی ترکها و لا علم لکم بشیء منها حتّی یقع ممّا ارید أن أخوضها(۳) مقبلا و مدبرا.

فمن أراد أن یأخذ بنصیبه منها فلیفعل، فلعمری إنّه للجهاد الصّافی صفاه(۴) لنا کتاب اللّه و لا الذی أردت به من ذکر بلادکم موجده(۵) منّی علیکم لما شاققتمونی

۱- (۱) الظل الظلیل القوی الکامل و من عاده العرب وصف الشیء بمثل لفظه للمبالغه و قیل ای الظل الدائم الذی لا تنسخه الشمس کما فی الدنیا بحار.

۲- (۲) التطریه المبالغه فی المدح و الغالب فیه الاطراء بحار.

۳- (۳) الخوض فی تلک الامور مقبلا و مدبرا مبالغه فی نفی الاستنکاف عنها و توطین النفس عن القیام بها بحار.

۴- (۴) أی جعله خالصا عن الشوائب منه.

۵- (۵) بکسر الجیم الغضب و المشاقه و الانشقاق الخلاف و العداوه بحار.

غير أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لى يوما و ليس معه غيرى: إنّ جبرئيل الرّوح الأمين حملنى على منكبه الأيمن حتى أرانى الأرض و من عليها و أعطانى أقاليدها(۱) و لم يكبر ذلک علىّ كما لم يكبر على أبى آدم علمه الاسماء و لم يعلمه الملائكه المقرّبون.

و إنّى رأيت بقعه على شاطى البحر تسمّى البصره، فاذا هى أبعد الأرض من السّماء و أقربها من الماء و أنّها لأسرع الأرض خرابا و أخشنها (اخشبها خ) ترابا و أشدّها عذابا، و لقد خسف بها فى القرون الخاليه مرارا و ليأتين(۲) عليها زمان و إنّ لكم يا أهل البصره و ما حولكم من القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه و إنى لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه، ثمّ امور قبل ذلک تدهمكم(۳) اخفيت عليكم و علمناه فمن خرج عند دنوّ غرقها فبرحمه من اللّه سبقت له، و من بقى فيها غير مرابط بها فبذنبه و ما اللّه بظلّام للعبيد.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى من أهل الجماعه و من أهل الفرقه و من أهل البدعه و من أهل السنّه؟ فقال عليه السّلام: إذا سألتنى فافهم عنّى و لا عليک أن لا تسأل أحدا بعدى، أمّا أهل الجماعه فأنا و من اتّبعنى و إن قلّوا، فذلک الحقّ عن أمر اللّه و أمر رسوله، و أمّا أهل الفرقه فالمخالفون لى و لمن اتّبعني و إن كثروا، و أمّا أهل السّنه فالمستمسكون بما سنّه اللّه و رسوله و إن قلّوا؛ و أمّا أهل البدعه فالمخالفون لأمر اللّه و لكتابه و لرسوله العالمون «العاملون ظ» برأيهم و هوائهم و إن كثروا قد مضى منهم الفوج(۴) الأوّل و بقيت أفواج و على اللّه قصمها(۵) و استيصالها عن جدد الأرض(۶) و باللّه التّوفيق

۱- (۱) جمع اقليد و هو المفتاح بحار.

۲- (۲) النون للتفخيم اى يأتى عليها زمان شديد بحار.

۳- (۳) اى تفجاكم و تغشيكم بحار.

۴- (۴) المراد به اما أصحاب الجمل أو الاعم منهم و من الخلفاء و اتباعهم بحار.

۵- (۵) القصم كسر الشيء مع الابانه بحار.

۶- (۶) الجد الارض الصلبه المستويه بحار.

أقول: و لعلّ تمام الخطبه ما رواه فی الاحتجاج عن یحیی بن عبد اللّه بن الحسن عن أبیه عبد اللّه بن الحسن، قال: کان أمیر المؤمنین علیه السّلام یخطب بالبصره بعد دخولها بأیّام، فقام إلیه رجل فقال: یا أمیر المؤمنین أخبرنی من أهل الجماعه و من أهل الفرقه؟ و ساق إلی قوله و استیصالها عن جدد الأرض و بعده فقام إلیه عمّار و قال: یا أمیر المؤمنین إنّ النّاس یذکرون الفیء و یزعمون أنّ من قاتلنا فهو و ماله و ولده فیء لنا.

فقام إلیه رجل من بکر بن وائل یدعی عباد بن قیس و کان ذا عارضه و لسان شدید فقال یا أمیر المؤمنین و اللّه ما قسمت بالسّویه و لا عدلت فی الرّعیه فقال: علیه السّلام و لم ویحک؟ قال: لأنّک قسمت ما فی العسکر و ترکت الأموال و النّساء و الذّریه فقال: أیّها النّاس من کان له جراحه فلیداوها بالسّمن، فقال عباد: جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالتّرّهات.

فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: إن کنت کاذبا فلا أماتک اللّه حتّی یدرکک غلام ثقیف، قیل: و من غلام ثقیف؟ فقال رجل لا یدع للّه حرمه إلّا انتهکها فقیل أ فیموت أو یقتل؟ فقال علیه السّلام یقصه قاصم الجبّارین بموت فاحش یحترق منه دبره لکثره ما یجری من بطنه.

یا أخا بکر انت امرء ضعیف الرأی أو ما علمت أنّا لا نأخذ الصّغیر بذنب الکبیر، و أنّ الأموال کانت لهم قبل الفرقه؟؟ و تزوّجوا علی رشده و ولد و اعلی فطره و إنّما لکم ما حوی عسکرهم و ما کان فی دورهم فهو میراث فان عدا أحد منهم أخذنا بذنبه و إن کفّ عنّا لم نحمل علیه ذنب غیره.

یا أخا بکر لقد حکمت فیهم بحکم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی أهل مکّه، فقسّم ما حوی العسکر و لم یتعرّض لما سوی ذلک. و إنّما اتبعت أثره حذ و النّعل بالنّعل.

یا أخا بکر أما علمت أنّ دار الحرب یحلّ ما فیها و أنّ دار الهجره لا یحلّ ما فیها إلاّ بحقّ فمهلا مهلا رحمکم اللّه فان لم تصدّقونی و أکثرتم علیّ و ذلک(۱)

۱- (۱) جمله معترضه من کلام الراوی منه.

أنّه تكلم فی هذا غیر واحد فأیّکم یأخذ عایشه بسهمه؟ فقالوا: یا أمیر المؤمنین أصبت و أخطأنا و علمت و جهلنا فنحن نستغفر اللّه و نادی النّاس من کل جانب أصبت یا أمیر المؤمنین أصاب اللّه بک الرّشاد و السّداد.

فقام عباد (عمار خ) فقال: أیّها النّاس إنّکم و اللّه ان اتّبعتموه و أطعتموه لن یضلّ بکم عن منهل نبیّکم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتّی قیس(۱) شعره کیف؟ و لا یکون ذلک و قد استودعه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علم المنایا و القضایا (و الوصایا خ ل) و فصل الخطاب علی منهاج هارون علیه السّلام و قال له أنت منّی بمنزله هارون من موسی إلاّ أنّه لا نبی بعدی، فضلا خصّه اللّه به و إکراما منه لنبیّه حیث أعطاه ما لم یعط أحدا من خلقه.

ثمّ قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: انظروا رحمکم اللّه ما تؤمرون به فامضوا له فان العالم أعلم بما یأتی به من الجاهل الخسیس الأخسّ فانّی حاملکم إنشاء اللّه إن أطعتمونی علی سبیل النّجاه و إن کان فیه مشقّه شدیده و مراره عتیده(۲) و الدّنیا حلوه و الحلاوه لمن اغترّ بها من الشّقوه و النّدامه عمّا قلیل.

ثمّ إنّی اخبرکم أنّ جیلا من بنی إسرائیل أمرهم نبیّهم أن لا یشربوا من النّهر فلجوا فی ترک أمره فشربوا منه إلاّ قلیلا منهم، فکونوا رحمکم اللّه من أولئک الذین أطاعوا نبیّهم و لم یعصوا ربّهم و أمّا عایشه فأدرکها رأی النّساء و لها بعد ذلک حرمتها الاولی و الحساب علی اللّه، یعفو عمّن یشاء و یعذّب من یشاء.

الثانی

فی الاشاره إلی جمله من الآیات و الأخبار الوارده فی نهی عایشه عن الخروج

إلی القتال

و ما فیها الاشاره إلی تعدّیها عن حدود اللّه و عمّا أوجباه فی حقّها فنقول قال تعالی:

«یا نِساءَ النَّبِیِّ مَنْ یَأْتِ مِنْکُنَّ بِفاحِشَهٍ مُبَیِّنَهٍ یُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ »

ص:۲۰۴

۱- (۱) یقال بینها قیس رمح و قاس رمح ای قدر رمح صحاح.

۲- (۲) العتید الحاضر المهیا لغه.

«ضِعْفَيْنِ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً » روى علىّ بن إبراهيم فى تفسيره باسناده عن حريز عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: الفاحشه الخروج بالسّيف، و قال تعالى:

«وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّهِ الْأُولى » روى فى الصّافى من الاكمال عن ابن مسعود عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث انّ يوشع ابن نون وصىّ موسى عاش بعد موسى ثلاثين سنه و خرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجه موسى فقالت: أنا أحقّ منك بال. مر فقاتلها فقتل مقاتليها و أحسن اسرها، و إنّ ابنه أبى بكر ستخرج على علىّ عليه السّلام فى كذا و كذا ألف من امّتى فيقاتلها فيقتل مقاتليها و يأسرها فيحسن اسرها، و فيها أنزل اللّه تعالى: «وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّهِ الْأُولى » يعنى صفراء بنت شعيب، و روى القمّى عن الصّادق عن أبيه عليهما السّلام فى هذه الآيه قال: أى سيكون جاهليّه اخرى، و فى البحار من الكافيه من تفسير الكلبى عن ابن عبّاس لمّا علم اللّه أنّه سيجرى حرب الجمل قال لأزواج النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و قرن فى بيوتكن و لا تبرّجن تبرّج الجاهليّه الاولى و قال:

«يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَهٍ مُبَيِّنَهٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ » فى حربها مع علىّ عليه السّلام و فى الاحتجاج روى الشّعبى عن عبد الرّحمان بن مسعود العبدى قال: كنت بمكه مع عبد اللّه بن الزّبير و طلحه و الزبير فارسلا إلى عبد اللّه بن الزّبير و أنا معه فقالا له: إنّ عثمان قتل مظلوما و إنّا نخاف أمر أمّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يختلّ بهم، فان رأت عايشه أن تخرج معنا لعل اللّه أن يرتق بها فتقا و يشعب بها صدعا.

قال: فخرجنا نمشى حتّى انتهينا إليها فدخل عبد اللّه بن الزّبير معها فى سترها و جلست على الباب فأبلغها ما ارسلا به إليها، فقالت: سبحان اللّه، و اللّه ما امرت بالخروج و ما تحضرنى من أمّهات المؤمنين إلاّ امّ سلمه فان خرجت خرجت معها

فرجع إليها فبلّغهما ذلك فقالا- ارجع فلتأتها فهى أثقل عليها منّا فرجع إليها فبلغها فأقبلت حتّى دخلت على امّ سلمه فقالت أمّ سلمه: مرحبا بعايشه و اللّه ما كنت لى بزوّاره فما بدا لك؟ قال: قدم طلحه و الزّبير فخبّرا أنّ أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما، فصرخت أمّ سلمه صرخه أسمعت من فى الدّار، فقالت: يا عايشه أنت بالامس تشهدين عليه بالكفر و هو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوما. فما تريدين؟ قالت: تخرجين معنا فلعلّ اللّه أن يصلح بخروجنا أمر امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قالت: يا عايشه اخرجى و قد سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما سمعنا.

نشدتك باللّه يا عايشه الذى يعلم صدقك إن صدقت أ تذكرين يوما كان نوبتك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فصنعت حريره فى بيتى فأتيت بها و هو يقول: و اللّه لا تذهب الليالى و الأيام حتّى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له: الحوأب امرأه من نسائى فى فئه باغيه فسقط الاناء من يدى فرفع رأسه إلىّ و قال: ما لك يا أمّ سلمه؟ فقلت:

يا رسول اللّه ألا يسقط الاناء من يدى و أنت تقول ما تقول؟ ما يؤمننى أن أكون أناهى؟ فضحكت أنت فالتفت إليك فقال: ممّ تضحكين يا حميراء السّاقين إنّى أحسبک هيه.

و نشدتك باللّه يا عايشه أ تذكرين ليله أسرى بنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من مكان كذا و كذا و هو بينى و بين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يحدّثنا فادخلت جملك فحال بينه و بين علىّ فرفع مقرعه كانت معه فضرب بها وجه جملك و قال: أما و اللّه ما يومه منك بواحد و لا بليته منك بواحده إنّه لا يبغضه إلاّ منافق كذّاب.

و انشدك باللّه أ تذكرين مرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى قبض فيه فأتاه أبوک يعوده و معه عمر و قد كان علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يتعاهد ثوب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و نعله و خفّه و يصلح ما دهى(۱) منها، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هى حضرميه و هو يخصفها خلف البيت فاستأذنا عليه فأذن لهما فقالا- يا رسول اللّه كيف أصبحت؟ قال: أحمد اللّه، قالا- لا بدّ من الموت، قال: صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أجل لا بدّ من الموت: قالا

۱- (۱) دهى كوعى و ولى انخرق و انشق و استرخى أباطيه ق.

يا رسول اللّه فهل استخلفت أحدا؟ قال: ما خليفتى فيكم إلّا خاصف النّعل فمرّا على علىّ عليه السّلام و هو يخصف نعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كلّ ذلك تعرفيه يا عايشه و تشهدين عليه ثمّ قالت امّ سلمه: يا عايشه أنا أخرج على علىّ عليه السّلام بعد الذى سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فرجعت إلى منزلها و قالت: يابن الزّبير ابلغهما إنّى لست بخارجه من بعد الذى سمعته من أمّ سلمه فرجع فبلغهما قال: فما انتصف الليل حتّى سمعنا رغاء إبلها ترتحل فارتحلت معهما.

و فيه عن جعفر بن محمّد الصّادق عن أبيه عن آبائه عن علىّ عليهم السّلام قال:

كنت أنا و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى المسجد بعد أن صلّى الفجر ثمّ نهض و نهضت معه و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا أراد أن يتجه إلىّ أعلمنى بذلك و كان إذا أبطأ فى ذلك الموضع صرت إليه لأعرف خبره لأنّه لا يتصابر قلبى على فراقه ساعه واحده، فقال لى: أنا متّجه إلى بيت عايشه فمضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مضيت إلى بيت فاطمه الزّهراء عليها السّلام فلم أزل مع الحسن و الحسين فأنا و هى مسروران بهما.

ثمّ إنّى نهضت و صرت إلى باب عايشه فطرقت الباب فقالت لى عايشه: من هذا؟ فقلت لها: أنا علىّ فقالت: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم راقد فانصرفت، ثمّ قلت:

رسول اللّه راقد و عايشه فى الدّار فرجعت و طرقت الباب فقالت لى عايشه: من هذا؟ فقلت لها: أنا علىّ، فقالت: إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على حاجه فانثنيت مستحييا من دقّى الباب و وجدت فى صدرى ما لا أستطيع عليه صبرا، فرجعت مسرعا فدققت الباب دقا عنيفا، فقالت لى عايشه من هذا؟ فقلت لها: أنا علىّ فسمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول لها: افتحى البابا، ففتحت و دخلت فقال لى: اقعد يا أبا الحسن احدّثك بما أنا فيه أو تحدّثنى بابطائك عنى؟ فقلت: يا رسول اللّه حدّثنى فانّ حديثك أحسن.

فقال: يا أبا الحسن كنت فى أمر كتمته من ألم الجوع فلمّا دخلت بيت عايشه و أطلت القعود ليس عندها شىء تأتى به فمددت يدى و سألت اللّه القريب المجيب فهبط علىّ حبيبى جبرئيل و معه هذا الطير و وضع اصبعه على طاير بين يديه فقال: إنّ اللّه تعالى أوحى إلىّ أن آخذ هذا الطير و هو أطيب طعام فى الجنّه فأتيتك به يا محمّد،

فحمدت اللّه عزّ و جلّ كثيرا و عرج جبرئيل فرفعت يدى إلى السّماء فقلت: اللهمّ يسّر عبدا يحبّك و يحبّنى يأكل معى هذا الطير، فمكثت مليّا فلم أر أحدا يطرق الباب فرفعت يدى إلى السّماء فقلت: اللّهم يسّر عبدا يحبّك و يحبّنى أن يأكل معى هذا الطير فمكثت مليّا فلم أر أحدا يطرق الباب فرفعت يدى إلى السماء فقلت: اللّهمّ يسّر عبدا يحبّك و يحبّنى و تحبّه و أحبّه يأكل معى هذا الطير، فسمعت طرقك الباب و ارتفاع صوتك فقلت لعايشه: ادخلى عليّا، فدخلت.

فلم أزل حامدا للّه حتّى بلغت إلىّ إذ كنت تحبّ اللّه و تحبّنى و يحبّك اللّه و احبّك، فكل يا علىّ فلما أكلت أنا و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الطائر قال لى: يا علىّ حدّثنى فقلت: يا رسول اللّه لم أزل منذ فارقتك أنا و فاطمه و الحسن و الحسين مسرورين جميعا ثمّ نهضت اريدك فجئت فطرقت الباب فقالت لى عايشه: من هذا؟ فقلت:

أنا علىّ، فقالت: إنّ رسول اللّه راقد، فانصرفت فلمّا أن صرت إلى بعض الطريق الذى سلكته رجعت فقلت: إنّ رسول اللّه راقد و عايشه فى الدار لا يكون هذا، فجئت فطرقت الباب فقالت لى: من هذا؟ فقلت لها أنا علىّ فقالت إنّ رسول اللّه على حاجه فانصرفت مستحييا، فلمّا انتهيت إلى الموضع الذى رجعت منه أوّل مره وجدت فى قلبى ما لم أستطع عليه صبرا، فقلت: النّبىّ عليه السّلام على حاجه و عايشه فى الدار، فرجعت فدققت الباب الدقّ الذى سمعته يا رسول اللّه فسمعتك يا رسول اللّه و أنت تقول لها: ادخلى عليا فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أبيت(1) إلاّ أن يكون الأمر هكذا يا حميرا ما حملك على هذا؟ قالت: يا رسول اللّه اشتهيت أن يكون أبى يأكل من الطير، فقال لها: ما هو أوّل ضغن بينك و بين علىّ عليه السّلام و قد وقفت على ما فى قلبك إنشاء اللّه لتقاتلينه فقالت: يا رسول اللّه و تكون النّساء يقاتلن الرّجال؟ فقال لها: يا عايشه إنّك لتقاتلين عليّا و يصحبك و يدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتى و أصحابى فيحملونك عليه

١- (١) أبى اللّه خ ل كذا فى نسخه عديده قديمه.

و لیکونن فی قتالک أمر یتحدّث به الأوّلون و الآخرون و علامه ذلک أنّک ترکبین الشّیطان ثمّ تبتلین قبل أن تبلغی إلی الموضع الذی یقصد بک إلیه فتنبح علیک کلاب الحوأب فتسألین الرّجوع فتشهد عندک قسامه أربعین رجلا ما هی کلاب الحوأب فتصیرین إلی بلد أهله أنصارک، و هو أبعد بلاد علی الأرض من السّماء و أقربها إلی الماء، و لترجعن و أنت صاغره غیر بالغه ما تریدین، و یکون هذا الذی یردّک مع من یثق به من أصحابه و أنّه لک خیر منک له و لینذرنک ما یکون الفراق بینی و بینک فی الآخره و کلّ من فرق علیّ بینی و بینه بعد وفاتی ففراقه جایز.

فقالت یا رسول اللّه: لیتنی متّ قبل أن یکون ما تعدنی فقال: هیهات هیهات و الذی نفسی بیده لیکونن ما قلت حتّی کأنّی أراه، ثمّ قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لی: قم یا علیّ فقد وجبت صلاه الظهر حتّی أمر بلالا ـ بالأذان فأذّن بلال و أقام و صلّی و صلّیت معه و لم نزل فی المسجد.

و فیه عن الباقر علیه السّلام أنّه قال: لمّا کان یوم الجمل و قد رشق(۱) هودج عایشه بالنّبل قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: و اللّه ما أرانی إلّا مطلّقها فانشد اللّه رجلا سمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: یا علیّ أمر نسائی بیدک من بعدی لما قام فشهد قال: فقام ثلاثه عشر رجلا فیهم بدریّان فشهدوا أنّهم سمعوا رسول اللّه یقول یا علیّ أمر نسائی بیدک من بعدی، قال: فبکت عایشه عند ذلک حتّی سمعوا بکائها.

و فی البحار من کتاب الکافیه لابطال توبه الخاطئه عن الحسن بن حماد عن زیاد بن المنذر عن الأصبغ بن نباته قال: لمّا عقر الجمل وقف علیّ علیه السّلام علی عایشه فقال و ما حملک علی ما صنعت؟ قالت ذیت(۲) و ذیت، فقال: أما و الذی فلق الحبّه و برء النّسمه لقد ملأت اذنیک من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو یلعن أصحاب الجمل و أصحاب النّهروان أمّا أحیاؤهم فیقتلون فی الفتنه و أمّا أمواتهم ففی النّار علی ملّه الیهود،

۱- (۱) الرشق تیرباران کردن.

۲- (۲) ذیت و ذیت ای کیت و کیت.

إلى غير ذلک ممّا رواها الأصحاب و ترکنا روایتها مخافه الاطناب.

الثالث

قال العلامه الحلّی طاب ثراه فی کتاب کشف الحقّ و نهج الصّدق: خرجت عایشه إلى قتال أمیر المؤمنین صلوات اللّه علیه و معلوم أنّها عاصیه بذلک.

أمّا أوّلا فلأنّ اللّه قد نهاها عن الخروج و أمرها بالاستقرار فی منزلها فهتکت حجاب اللّه و رسوله و تبرّجت و سافرت فی محفل عظیم و جمّ غفیر یزید على ستّه عشر ألفا.

و أمّا ثانیا فلأنّها لیست ولیّ الدّم حتّى تطالب به و لا لها حکم الخلافه فبأیّ وجه خرجت للطلب؟.

و أمّا ثالثا فلأنّها طلبته من غیر من علیه الحقّ لأنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام لم یحضر قتله و لا أمر به و لا واطأ علیه و قد ذکر ذلک کثیرا.

و أمّا رابعا فلأنّها کانت تحرّض على قتل عثمان و تقول: اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا فلمّا بلغها قتله فرحت بذلک، فلمّا قام أمیر المؤمنین علیه السّلام بالخلافه اسندت القتل إلیه و طالبته بدمه لبغضها له و عداوتها معه، ثمّ مع ذلک تبعها خلق عظیم و ساعدها علیه جماعه کثیره الوفا مضاعفه، و فاطمه سلام اللّه علیها لمّا جاءت تطالب بحقّ ارثها الذی جعله اللّه لها فی کتابه العزیز و هی محقّه فیه لم یتبعها مخلوق و لم یساعدها بشر انتهى کلامه.

الترجمه

از جملهٔ کلام فصاحت نظام آن امام عالیمقام است که در مذمت بصره و أهل آن فرموده: بودید شما لشکر زن که عایشه است و تابعان بهیمه که جمل او بود آواز کرد آن جمل، پس جواب دادید آن را و پی کرده شد پس گریختید، خلقهای شما رذیل و حقیر است و عهد شما مخالفت است و شقاق، و دین شما دوروئی است و نفاق، و آب شما بی مزه است و شور، اقامت کننده در میان شما رهین است بگناه خویش، و رحلت نماینده از شما دریافته شده است برحمه پروردگار خود، گویا من

نظر میکنم بمسجد شما که فرا گرفته است آن را آب بمرتبهٔ که دیده نمی شود مگر کنگره های آن مسجد مانند سینهٔ کشتی در دریا، بتحقیق که فرو فرستاده خداوند سبحانه بر بصره که شهر شما است عذاب را از بالای آن، و غرق کرده شده کسی که در میان آن شهر بوده، و در روایت دیگر وارد شده که فرمود قسم بذات خداوند هر آینه غرق کرده شود این شهر شما تا این که گویا من نظر میکنم بسوی مسجد آن شهر همچو سینهٔ کشتی بر روی دریا یا شتر مرغ سینه خوابیده در دریا، و در روایت دیگر آمده که همچو سینهٔ مرغ در میان دریا.

و من کلام له علیه السّلام فی مثل ذلک و هو الرابع عشر من

اشاره

المختار فی باب الخطب الجاری مجراها

أرضکم قریبه من الماء، بعیده من السّماء، خفّت عقولکم، و سفهت حلومکم، فأنتم غرض لنابل، و أکله لآکل، و فریسه لصائل.

اللغه

(سفه) سفها من باب تعب و سفه بالضمّ سفاهه فهو سفیه و السّفه النّقص فی العقل و أصله الخفّه و سفه الحقّ جهله قال سبحانه:

«وَ مَنْ یَرْغَبُ عَنْ مِلَّهِ إِبْراهِیمَ إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ » قال الطبرسیّ صاحب التّفسیر: أی جهل قدره و (الحلم) العقل و الجمع حلوم و أحلام و (الغرض) ما ینصب لیرمی بالسّهام و (النّابل) ذو النّبل و (الاکله) بضمّ الهمزه اسم للمأکول و (فریسه) الأسد ما یفرسه و (صول) البعیر و الأسد ککرم صاله واثب النّاس أو صار یقتل النّاس و یعد و علیهم فهو صائل و صؤل.

الاعراب

العطف فی قوله علیه السّلام: و سفهت حلومکم للتّفسیر و التوکید إن کان المراد بالسّفه المعنی الأوّل، و إلاّ فللتأسیس و الفاء فی قوله: فأنتم، فصیحه و هو ظاهر.

ص:۲۱۱

المعنى

قد عرفت فی شرح الخطبه السّابقه أنّ قوله علیه السّلام (أرضکم قریبه من الماء بعیده من السّماء) ممّا حکاه علیه السّلام عن النّبیّ و المراد بقرب أرضهم من الماء إمّا کون موضع البصره منخفضا قریبا من البحر کما یشاهد من دخول الماء حدایقهم و مزارعهم کلّ یوم مرّه أو مرّتین، أو کونها قریبه من الغرق بالماء فیکون قوله علیه السّلام: من الماء من قبیل الحذف و الایصال، و أمّا بعد أرضهم من السماء فامّا من حیث انخفاضها عن غیرها من الأرض، أو من حیث بعدها عن دائره المعدّل.

قال الشّارح المعتزلی: إنّ أرباب علم الهیئه و أهل صناعه التنجیم یذکرون إنّ أبعد موضع فی الأرض من السّماء الابله، و ذلک موافق لقوله علیه السّلام و معنی البعد عن السّماء هاهنا هو بعد تلک الأرض المخصوصه عن دائره معدّل النّهار، و البقاع و البلاد تختلف فی ذلک، و قد دلّت الارصاد و الآلات النّجومیّه علی أنّ أبعد موضع فی المعموره عن دائره معدّل النّهار هو الابله، و الابله هی قصبه البصره انتهی.

و فیه أنّ کونها أبعد بلاد العرب من المعدّل مسلّم و أما کونها أبعد موضع منه فی المعموره ممنوع قطعا و فاسد حسّا إلاّ أن یکون مراده به ما ذکرناه و یکون التّسامح فی العباره هذا.

و یحتمل أن یکون المراد ببعدها من السّماء البعد من سماء الرّحمه و الاستعداد لنزول العذاب و قوله:(خفّت عقولکم و سفهت حلومکم) وصف لهم بقلّه العقل و السّفاهه الموجبه لانحطاط الرّتبه و الدّرجه فی العقائد الدّینیّه و العبادات البدنیّه و إشاره إلی قلّه استعدادهم لدرک وجوه المصالح الواقعیّه کما یشهد به متابعتهم للمرأه و إجابتهم للبهیمه، و تنبیه علی جهالتهم و عدم تفکّرهم فی عواقب الامور و غفلتهم عن اصلاح أحوالهم و علی تسرّعهم إلی ما لا ینبغی و لأجل ذلک حسن التّفریع بقوله: (فأنتم غرض لنابل) أی هدف لمن یرید أذاکم (و اکله لآکل) أی عرضه لأن یطمع فی أموالکم و یأکلها من یرید أکلها و (فریسه لصائل) أی فی

معرض أن يفترسكم من يريد قتلكم و هلاككم، و هذا كلّه من لوازم خفّه العقل و السّفاهه و قلّه الفهم و الغباوه.

الترجمه

از جملهٔ کلام آن امام انام است در مثل همین مقام: زمین شما نزدیک است بآب و دور است از آسمان خفیف است عقلهای شما و سفیه است حلمهای شما، پس شما بواسطهٔ نقصان عقل و قله تدبیر نشانه اید از برای هر تیر اندازندهٔ، و طعمه اید از برای هر خورنده، و شکارید از برای هر حمله کننده، و هجوم آورنده، و اللّه اعلم بالصّواب.

و من كلام له عليه السّلام فيما رده على المسلمين من قطايع

اشاره

عثمان و هو الخامس عشر من المختار فی باب

الخطب الجاری مجراها

و اللّه لو وجدته قد تزوّج به النّساء، و ملك به الإماء، لرددته فإنّ فی العدل سعه، و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق.

اللغه

(القطايع) اسم لما لا- ينقل من المال كالاراضی و الحصون و يقابله الصّـفايا و هو اسم للمنقول و فی شرح المعتزلی القطايع ما يقطعه الامام لبعض الرّعيه من أرض بيت المال ذات الخراج و يسقط عنه خراجه و يجعل عليه ضريبه يسيره عوضا عن الخراج

الاعراب

اسناد تزوّج و ملك إلی النّساء و الاماء مع خلوهما من علامه التأنيث علی حدّ قوله تعالی: «وَ قالَ نِسْوَةٌ ».

المعنی

اعلم أنّ هذا الكلام مع الخطبه الآتيه من فصول خطبه خطب عليه السّلام بها بعد

ص:۲۱۳

قتل عثمان، و قد رويت بزياده و نقصان و نحن نوردها بتمامها فى شرح الخطبه الاتيه و نقول هنا مضافا إلى ما سيأتى أنّه قد رواه الشّارح المعتزلى عن الكلبى مرفوعا إلى أبى صالح عن ابن عباس (رض) قال: إنّ عليّا عليه السّلام خطب فى اليوم الثانى من بيعته بالمدينه فقال: ألا إنّ كلّ قطيعه أقطعها عثمان و كلّ مال أعطاه من مال اللّه فهو مردود فى بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شىء، و لو وجدته قد تزوّج به النسّاء و فرق فى البلدان لرددته إلى حاله فإنّ فى العدل سعه و من ضاق عنه العدل فالجور عنه أضيق إذا أحطت خبرا بذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السّلام على ما أورده الرّضىّ ره.

فنقول: إنّ عثمان كان أقطع كثيرا من بنى اميّه و غيرهم من أصحابه و أتباعه قطايع من أرض الخراج كما عرفته فى شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبه الشقشقيه و قد كان عمر أقطعها أيضا إلاّ أنّه أقطعها لأرباب الجهد و العناء و ذوى الوقايع المشهوره فى الحروب، ترغيبا فى الجهاد، و لمّا كان قطايعه لغرض صحيح لم يتعرّض عليه السّلام له بعد نهوضه بالخلافه، و إنّما تعرض لقطايع عثمان التى أقطعها لمجرّد هوى نفسه و ميلا إلى أصحابه من غير عناء فى الحرب فقال عليه السّلام (و اللّه لو وجدته) أى ما بذله عثمان من تلك القطايع (قد تزوّج به النّساء و ملك به الاماء) أى صار مهرا للحرائر و ثمنا للاماء (لرددته) إلى حاله و إلى بيت مال المسلمين.

ثمّ علل ذلك بقوله:(فإنّ فى العدل سعه) يعنى أنّ وجوب الردّ بمقتضى العدل و فيه وسعه للنّاس إذ به نظامهم و قوام امورهم، و لولاه لاختلّ النّظام و ضاع القوام.

ثمّ أكّد ذلك بقوله:(و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) يعنى من ضاق عليه القيام بالحكم الذى اقتضاه العدل فالجور الذى أقدم عليه بمقتضى هوى نفسه و ميل طبعه أضيق عليه فى الدّنيا و الآخره، و ذلك توعيد لهم و إشاره إلى أنّ ردّ القطايع التى أقطعها عثمان لهم و إن كان ضيقا عليهم و شاقا فى أنفسهم، لكنّه عدل و القيام به سهل بالنّسبه إلى عدم الرّدّ و الامتناع منه، لأنّه جور و هو أضيق عليهم منه فى الدّنيا و الآخره، أمّا فى الدّنيا فلأنّها ربّما انتزعت منهم قهرا و يكون

جورهم سببا للتحريج و التّضييق، و أمّا الآخره فلكونها موجبه للسّخطه و العقوبه هذا.

و ذكر شارحوا الكتاب فى تفسير كلامه عليه السّلام ذلك وجوها يأبى عنها الذّوق السّليم و الطبع المستقيم من أراد الاطلاع عليها فليرجع إليها.

قال الكلبىّ بعد روايته ما روينا عنه سابقا: ثمّ أمر عليه السّلام بكلّ سلاح وجد لعثمان فى داره ممّا تقوى بها(۱) على المسلمين فقبض و أمر بقبض نجائب كانت فى داره من ابل الصّدقه فقبضت و أمر بقبض سيفه و درعه و أمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمون و بالكفّ عن جميع أمواله التى وجدت فى داره و غير داره، و أمر أن ترتجع الأموال التى أجاز بها عثمان و حيث اصيبت أو اصيبت أصحابها فبلغ ذلك عمرو بن العاص و كان بايله من أرض الشّام أتاها حيث دثب النّاس على عثمان فنزلها، فكتب إلى معاويه ما كنت صانعا فاصنع اذا قشرك ابن أبى طالب من كلّ مال تملكه كما تقشر عن العصا لحائها(۲) قال الشّارح المعتزلى: و قال الوليد بن عقبه و هو أخو عثمان من امّه يذكر قبض علىّ عليه السّلام نجائب عثمان و سيفه و صلاحه:(۳).

بنى هاشم ردّوا سلاح ابن اختكم و لا تنهبوه لا تحلّ مناهبه

بنى هاشم كيف الهواده بيننا و عند علىّ درعه و نجائبه

بنى هاشم كيف التّودّد منكم(۴) و بز ابن اردى(۵) فيكم و حرائبه

بنى هاشم إلا تردّوا فانّنا سواء علينا قاتلاه و سالبه

بنى هاشم إنّا و ما كان منكم كصدع الصّفا لا يشعب الصّدع شاعبه

۱- (۱) متعلق بقوله وجد منه.

۲- (۲) اى قشرها منه.

۳- (۳) اى الصلح

۴- (۴) اى سلبه،

۵- (۵) اردى ام عثمان منه.

قتلتم أخی کی ما تکونوا مکانه کما غدرت یوما بکسری مراز به

فأجابه عبد اللّه بن أبی سفیان بن الحرث بن عبد المطلب بأبیات طویله من جملتها:

فلا تسألونا سیفکم إنّ سیفکم اضیع و القاه لدی الرّوع صاحبه

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن اختنا فهم سلبوه سیفه و حرائبه

و کان ولیّ الأمر بعد محمّد علیّ و فی کلّ المواطن صاحبه

علیّ إلی أن أظهر اللّه دینه و أنت مع الاشقین فیمن یحاربه

و أنت امرؤ من أهل صفّور نارخ فما لک فینا من حمیم یغائبه

و قد أنزل الرحمن إنّک فاسق و ما لک فی الاسلام سهم تطالبه

و شبّهته کسری و قد کان مثله شبیها بکسری هدیه و ضرائبه

أی کان کافرا کما کان کسری کافرا قال الشّارح: و کان المنصور إذا أنشد هذا البیت یقول لعن اللّه الولید هو الذی فرّق بین بنی عبد مناف بهذا الشّعر.

الترجمه

از جملهٔ کلام آن حضرت است در خصوص چیزی که ردّ فرموده بود آن را بر مسلمانان از قطیعه های عثمان که بر بنی امیّه و سایر اعوان خود بخشش کرده بود و آن کلام عدل نظام اینست که فرمود: بخداوند سوگند اگر بیابم آن مال را که تزویج شده باشند بآن زنان و ملک شده باشند بآن کنیزان هر آینه بر می گردانم آن را، از جهه این که در عدل وسعت است و هر که تنک آید بر او عدل پس جور و ستم بر او تنک تر است.

و من کلام له علیه السّلام لما بویع بالمدینه و هو السادس عشر

اشاره

من المختار فی باب الخطب الجاری مجراها

و الأولی العنوان بمن خطبه له علیه السّلام کما فی بعض النّسخ لأنّ هذه من جلائل خطبها و من مشهوراتها و هو أوّل خطبه خطبها بالمدینه بعد ما نهض بالخلافه و قد رواها جمع منّا و من العامه کالکلینی فی روضه الکافی و المفید فی الارشاد و المحدّث

المجلسی و الشارح البحرانی و الشارح المعتزلی من کتاب البیان و التبیین للجاحظ عن أبی عبیده معمّر بن المثنی و غیر هؤلاء إلّا أنّ فیها علی اختلاف طرقها زیاده و نقصانا و تغییرا کثیرا و نحن نوردها بتمامها بعد الفراغ من شرح ما أورده الرّضیّ قدّس سرّه بطریق الکلینی توضیحا لما أورده و تثبیتا لما ذکره مع الاشاره إلی تفسیر بعض ما رواه الکلینی أیضا و شرح ما أورده الرّضیّ ره فی ضمن فصلین.

الفصل الاول

اشاره

ذمّتی بما أقول رهینه و أنا به زعیم، إنّ من صرّحت له العبر عمّا بین یدیه من المثلات، حجزه التّقوی عن التّقحّم فی الشّبهات، ألا و إنّ بلیّتکم قد عادت کهیئتها یوم بعث اللّه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و الّذی بعثه بالحقّ، لتبلبلنّ بلبله، و لتغربلنّ غربله، و لتساطنّ سوط القدر، حتّی یعود أسفلکم أعلاکم، و أعلاکم أسفلکم، و لیسبقنّ سابقون کانوا قصّروا، و لیقصّرنّ سبّاقون کانوا سبقوا، و اللّه ما کتمت وسمه، و لا کذبت کذبه، و لقد نبّئت بهذا المقام، و هذا الیوم ألا و إنّ الخطایا خیل شمس حمل علیها أهلها، و خلعت لجمها، فتقحّمت بهم فی النّار، ألا و إنّ التّقوی مطایا ذلل حمل علیها أهلها، و أعطوا إزمّتها، فأوردتهم الجنّه حقّ و باطل، و لکلّ أهل فلئن أمر الباطل لقدیما فعل، و لئن قلّ الحقّ فلربّما و لعلّ، و لقلّما أدبر شیء فأقبل.

ص:۲۱۷

قال الرّضىّ ره أقول: إنّ فى هذا الكلام أدنى من مواقع الاحسان(۱) ما تبلغه مواضع الاستحسان، و إنّ حظّ العجب منه أكثر من حظّ العجب به، و فيه مع الحال الّتى وصفنا زوائد من الفصاحه لا يقوم بها لسان، و لا يطلع فجّها إنسان، و لا يعرف ما أقول إلاّ من ضرب فى هذه الصّناعه بحقّ، و جرى فيها على عرق، و ما يعقلها إلاّ العالمون

اللغه

(الرهينه) الوثيقه و (الزّعيم) الكفيل و (صرحت) كشفت و (العبر) جمع العبره و (المثلات) العقوبات و (الحجز) الحجب و المنع و (تقحّم) فلان ألقى نفسه فى المهلكه، و تقحّم الانسان فى الأمر دخل فيه من غير رويّه و (تبلبلت) الألسن اى اختلطت، و فى النّهايه البلابل الهموم و الأحزان و بلبله الصّدر وسوسته و منه حديث علىّ عليه السّلام لتبلبلنّ بلبله و (تغربلنّ) من غربل الدّقيق أى نخله أو من غربلت اللحم أى قطعته و (ساط) القدر يسوطه سوطا قلب ما فيها من الطعام بالمحراك و أداره حتّى اختلط أجزائه و (السباق) كشدّاد و (الوشمه) بالشين المعجمه الكلمه و بالمهمله الأثر و العلامه و (شمس) الفرس شموسا و شماسا منع ظهره من الرّكوب فهو شموس و الجمع شمس كرسل و (اللجم) بضمّتين جمع لجام و (ذلل) جمع ذلول كرسل و رسول و هو المنقاد قال سبحانه:

«فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا » و (امر) الباطل بالكسر إذا كثر و تمّ

الاعراب

من المثلات بيان لما، و جمله حجزه اه مرفوعه المحلّ على كونها خبر انّ، و تبلبلنّ و تعزبلنّ و تساطنّ كلّها بالبناء على المفعول، و كتمت بالبناء على المفعول أو على

۱- (۱) الاحسان فى كلام السيد ره مصدر احسن اذا فعل حسنا و مواقع الاحسان الكلمات الحسنه و مواضع الاستحسان الفكر المستحسنه قوله و ان حظ الى قوله به اى ان تعجب الفصحاء من حسنه أكثر من عجبهم بانفسهم باستخراج محاسنه لان فيه محاسن لا يمكنهم التعبير عنها و ان تعجبوا منها من حواشى نهج البلاغه.

المعلوم و كلاهما صحيحان محتملان، و فاعل خلعت ضمير مستتر راجع إلى الخيل و لجمها منصوب على المفعوليّه، أو خلعت بصيغه المجهول، و لجمها نايب عن الفاعل و حقّ و باطل خبران لمبتدأ محذوف بقرينه المقام أى الامور كلها إمّا حقّ أو باطل أو أنّ التّقوى حقّ و الخطاء باطل على ما سبق التّصريح اليهما.

و قولهلقديما فعلفاعل الفعل عايد إلى الباطل و المفعول محذوف أى قديما فعل الباطل ذلك و إسناده إليه مجاز و المراد به أهلهأو أنّ فعل بمعنى افعل كما فى قوله قد جبر الدّين الا له فجبر أى فانجبر، و قوله: فلربّما و لعلّ كلمه ما كافّه مهيئه لدخول ربّ على الفعل المحذوف بعدها بقرينه المقام، و لعلّ للترجّى و المعمول محذوف و تقدير الكلام و لئن قلّ الحقّ فلربّما يكون غالبا و لعلّه ينتصر أهله.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه عليه السّلام صدّر كلامه بما يكون مرغّبا لهم فى الاستماع بما يقوله بقوله:

(ذمّتى بما أقول) ه (رهينه) أى وثيقه (و أنا به) أى بكونه صدقا مطابقا للواقع (زعيم) و كفيل ثمّ أشار عليه السّلام إلى وجوب الاعتبار بالعبر النّافعه من حيث كونها وسيله إلى التقوى الحاجز عن الاقتحام فى الشّبهه و قال (إنّ من صرّحت له العبر) أى كشفت (عمّا بين يديه من المثلات) و العقوبات الواقعه على الامم السّابقه و الجاريه فى القرون الخاليه يكون انكشاف تلك العبر و اعتباره بها مؤدّيا إلى الخشيه من اللّه سبحانه و (حجزه التّقوى عن التقحّم فى الشّبهات) و الاقتحام فى الهلكات من غير رويّه.

و المراد بالشّبهات الامور الباطله الشّبيهه بالحقّ و حاجزيّه التقوى منها من حيث إنّه لمّا كان عباره عن اتيان الأوامر و ترك النّواهى كما قال الصّادق عليه السّلام فى تفسيره بعد ما سئل عنه: أن لا يفقدك اللّه حيث أمرك و لا يراك حيث نهاك، لا بدّ و أن يكون المتّصف به مجتنبا من الشّبهات كيلا يقع فى المناهى و المحرّمات، فانّ الأخذ بها و التّقحّم فيها مظنّه الوقوع فى الحرام من حيث لا يعلم و قد وقع الاشاره إلى ذلك فى عدّه روايات

مثل ما رواه فی الوسائل بإسناده عن فضیل بن عیّاض عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت له: من الورع من النّاس؟ قال: الذی یتورّع من محارم اللّه و یجتنب هؤلاء فاذا لم یتّق الشّبهات وقع فی الحرام و هو لا یعرفه.

و عن عمر بن حنظله عنه علیه السّلام أیضا فی حدیث قال: و إنّما الامور ثلاثه: أمر بیّن رشده فیتّبع، و أمر بیّن فیجتنب، و أمر مشکل یردّ علمه إلی اللّه سبحانه، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حلال بیّن و حرام بیّن و شبهات بین ذلک فمن ترک الشّبهات نجا من المحرّمات و من أخذ بالشّبهات ارتکب المحرّمات و هلک من حیث لا یعلم، ثمّ قال فی آخر الحدیث: فإنّ الوقوف عند الشّبهات خیر من الاقتحام فی الهلکات.

و عن النّعمان بن بشیر قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: إنّ لکلّ ملک حمی و إنّ حمی اللّه حلاله و حرامه و المشتبهات بین ذلک، کما لو أنّ راعیا رعی إلی جانب الحمی لم یثبت غنمه أن تقع فی وسطه، فدعوا المشتبهات.

إذا عرفت ذلک فاعلم أنّه علیه السّلام لمّا نبّههم علی لزوم التّقوی و أنّه مانع من تقحّم الشّبهات نبّههم بعده علی أنّهم فی الشّبهات مغمورون بقوله:(ألا و إنّ بلیّتکم هذه قد عادت کهیئتها یوم بعث اللّه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم) و أشار علیه السّلام ببلیّتهم هذه إلی ما هم علیه من تشتّت الآراء و تفرّق الأهواء و عدم الالفه و الاجتماع فی نصره اللّه عن شبهات یلقیها الشّیطان علی الأذهان القابله لوسوسته المقهوره فی یده، و ذلک من أعظم الفتن التی بها یبتلی اللّه عباده کما قال:

«وَ نَبْلُوکُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَیْرِ فِتْنَهً وَ إِلَیْنا تُرْجَعُونَ » و هی امور تشبه ما کان علیه النّاس حال بعثه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، لأنّهم کانوا یومئذ مللا متفرّقه و أهواء منتشره و طرائق متشتّته، و فیه تنبیه لهم علی أنّهم لیسوا من تقوی اللّه فی شیء، و لا علی دین الحقّ أیّام خلافه الثلاثه کما أنّهم لم یکونوا من أهل الدّیانه فی أیّام الفتره و یوم بعثه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و إشاره إلی أنّهم کما کانوا یومئذ مأمورین بالتمسّک بأذیال النّبوّه کی یخلصوا من الکفر و الضّلاله فکذلک هؤلاء

اليوم مأمورون باتباعه و الاقتباس من أنواره عليه السّلام ليهتدوا بها فى ظلمات الشّبهات و مدلهمّات الجهاله.

كما قال الرّضا عليه السّلام فى حديث عبد اللّه بن جندب المروىّ فى الوسائل من تفسير العيّاشى: إنّ هؤلاء القوم سنح لهم الشّيطان اغترّهم بالشّبهه و لبّس عليهم أمر دينهم و أرادوا الهدى من تلقاء أنفسهم فقالوا لم و متى و كيف فأتاهم الهلك من مأمن احتياطهم و ذلك بما كسبت أيديهم و ما ربّك بظلّام للعبيد، و لم يكن ذلك لهم و عليهم بل كان الفرض عليهم و الواجب لهم من ذلك الوقوف عند التحير و ردّ ما جهلوه من ذلك إلى عامله «عالمه ظ» و مستنبطه لأنّ اللّه يقول فى كتابه:

«وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » يعنى آل محمّد عليهم السّلام و هم الذين يستنبطون من القرآن و يعرفون الحلال و الحرام و هم الحجّه للّه على خلقه و قد مضى فى شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبه الثانيه.

ثمّ إنّه عليه السّلام لمّا ذكر وقوعهم فى البليّه و قابل يوم بيعته بيوم البعثه أشار إلى مآل ذلك الابتداء و ما يؤل إليه آخر أمر المبايعين من خلوص بعضهم و ارتداد الآخرين فقال:(و الذى بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبله) أى لتخلطنّ بعضكم ببعض و تقعنّ فى الهموم و الأحزان و وساوس الصّدور (و لتغربلنّ غربله) أى ليتميزنّ جيّدكم من رديّكم تميز نخاله الدّقيق من خالصه بالغربال.

كما قال الصّادق عليه السّلام فى روايه ابن أبى يعفور المرويه فى الكافى فى باب التمحيص و الامتحان: لا بدّ للنّاس من أن يمحّصوا و يميّزوا و يغربلوا و يستخرج فى الغربال خلق كثير (و لتساطنّ سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم و أعلاكم أسفلكم) لتصريف أئمه الجور إيّاكم و تقليبكم من حال إلى حال و إهانتكم و تغييركم من وضع إلى وضع و من دين إلى دين، و يحتمل أن يكون المراد به أنّه يصير عزيزكم ذليلا و ذليلكم عزيزا و يرفع أراذلكم و يحطّ أكابركم (و ليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا) و هم

المقصّ‍رون عن نصرته فی مبدء الأمر بعد وفاه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم النّاصرون للّه فی ولایته المقاتلون معه فی سایر حروبه (و لیقصّ‍رن سبّاقون کانوا سبقوا) و هم الذین کانت لهم سابقه فی الاسلام ثمّ خذلوه و انحرفوا عنه و قاتلوه کأصحاب الجمل و الشام و أهل النّهروان قال الشّارح البحرانی: و یشبه أن یکون مراده علیه السّلام أعمّ من ذلک، فالمقصّ‍رون الذین یسبقون کلّ من أخذت العنایه الالهیّه بیده و قاده زمام التّوفیق إلی الجدّ فی طاعه اللّه و اتّباع سایر أوامره و الوقوف عند نواهیه و زواجره بعد تقصیر فی ذلک، و عکس هؤلاء من کان فی مبدء الأمر مستمرّا فی سلوک سبیل اللّه ثمّ جذبه هواه إلی غیر ما کان علیه و سلک به الشّیطان مسالکه فاستبدل بسبقه فی الدّین تقصیرا و انحرافا عنه.

ثمّ إنّه علیه السّلام لمّا أخبرهم بعواقب امورهم و مآل حالهم أکّد ذلک بالقسم البارّ تحقیقا لوقوع المخبر به لا محاله، و نبّه علیه السّلام علی أنّه ما ینطق عن الهوی فی هذه الأخبار و أمثالها و إنّما تلقّاها من مصدر النّبوّه و دوحه الرّساله فقال:(و اللّه ما کتمت وشمه) علی البناء للمفعول أی لم یکتم منّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کلمه أو علامه ممّ‍ا یجب علیه إظهاره، أو بالبناء علی المعلوم أی لم أکتم شیئا ممّ‍ا یتعیّن علیّ الاباحه(۱) به من کلمه أو أثر و علامه (و لا کذبت کذبه) فی شیء ممّا اخبرت به (و لقد نبّئت) أی أنبئنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم (بهذا المقام) و هو مقام اجتماع الخلق علیه (و هذا الیوم) أی یوم بیعتهم له.

ثمّ إنّه علیه السّلام أردف کلامه بالتّرهیب عن الخطاء و التّرغیب فی التّقوی بالتنبیه علی ما یقود إلیه کلّ منهما و قال:(ألا و إنّ الخطایا خیل شمس حمل علیها أهلها و خلعت لجمها فتقحّمت بهم فی النّار)و هو من لطیف التّشبیه و من قبیل تشبیه المعقول بالمحسوس، و وجه الشّبه أنّ الفرس الشّموس التی خلعت لجامها کما أنّها تجری علی غیر نظام و تتقحّم بصاحبها فی المعاطب و المهالک، فکذلک الخطیئه یجری راکبها برکوبه علیها علی غیر نظام الشّریعه فتورده أعظم موارد الهلکه، و هی نار

۱- (۱) اباح به اظهره لغه؟؟؟.

الجحيم المعدّه للعاصين و الخاطئين(ألا و إنّ التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها و اعطوا أزمّتها فأوردتهم الجنّه)و التّشبيه فيه كما فى سابقه، و وجه الشّبه أنّ المطيه الذّلول التى زمامها بيد راكبها كما أنّ من شأنها أن تتحرّك براكبها على رفق و نظام و يصرفها الرّاكب من أجل كون زمامها بيده عن المهالك و يسير بها إلى المقاصد، فكذلك التّقوى، فإنّ صاحبه الذى زمامه بيده و هى الحدود الشّرعيّه التى بها يملكه و يستقرّ عليه يسهل(۱) له سلوك الصّراط المستقيم و العطف عن الشّمال و اليمين، و يتمكّن من الفوز بالسّعاده الأبديّه و من الوصول إلى أسنى المطالب السّنيه و هى الجنّه التى عرضها السّماوات و الأرض أعدّت للمتّقين.

ثمّ إنّه عليه السّلام لمّا أشار إلى أنّ هاهنا طريقين مسلوكين أحدهما طريق الخطاء و الآخر طريق التّقوى ذكر بعدهما أنّهما (حقّ و باطل) يعنى أنّ التّقوى حقّ و الخطاء باطل أو أنّ الأمور كلّها إمّا حقّ أو باطل (و لكلّ) منهما (أهل) أى سالك يسلكه و طالب يطلبه بمقتضى طيب الطينه و خبثها (فلئن امر الباطل) و كثر (لقديما فعل) الباطل أى أهله ذلك (و لئن قلّ الحق فلربّما) يكون غالبا مع قلّته على الباطل (و لعلّه) ينتصر أهله (و لقلّما أدبر شىء فأقبل) قال الشّارح البحرانى: استبعاد لرجوع الحقّ الى الكثره و القوّه بعد قلّته و ضعفه على وجه كلّى فإنّ زوال الاستعداد للأمر مستلزم لزوال صورته و صوره الحقّ إنّما افيضت على قلوب صفت و استعدت لقبوله فإذا اخذ ذلك الاستعداد فى النقصان بموت أهله أو بموت قلوبهم، و تسوّد ألواح نفوسهم بشبه الباطل، فلا بدّ أن ينقص نور الحقّ و تكثر ظلمه بسبب قوّه الاستعداد لها، و ظاهر أنّ عود الحقّ و إضاءه نوره بعد ادباره و إقبال ظلمه الباطل أمر بعيد و قلّما يعود مثل ذلك الاستعداد لقبول مثل تلك الصّوره للحقّ و لعلّه يعود بقوّه فيصبح ألواح النّفوس و أرضها مشرقه بأنوار الحقّ و يكرّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق و ما ذلك على اللّه بعزيز،

۱- (۱) خبر ان منه.

و فی ذلک تنبیه لهم علی لزوم الحقّ و بعث علی القیام به کیلا یضمحلّ بتخاذلهم عنه فلا یمکنهم تدارکه انتهی کلامه هذا.

و لعلّ الظاهر المناسب فی شرح الفقرات الأخیره أعنی قوله: حقّ و باطل إلی آخر کلامه علیه السّلام ما ذکره بعض الأخبار بین(۱) حیث قال حقّ و باطل خبران لمبتدأ محذوف أی الامام حقّ و باطل و هو تقسیم للامام علی قسمین، أحدهما الامام بالحقّ و إلیه اشیر فی قوله تعالی:

«إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً » و فی قوله: «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا » و الثّانی الامام بالباطل و إلیه الاشاره فی قوله:

«وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَدْعُونَ إِلَی النّارِ » و أمر الباطل من باب نصر و علم و حسن من الاماره بمعنی الولایه، و لقدیما منصوب علی الظرفیّه، و عامله فعل بعده علی البناء للمجهول و ضمیره عاید إلی المصدر المفهوم من أمر و حذف فاء الجزاء مع کون الشّرط و الجزاء ماضیین لفظا و معنی اکتفاء بذکرها فی الجمله التّالیه، و لئن قلّ الحقّ بضمّ القاف علی البناء للمفعول من باب نصر من القلّ و هو الرّفع، قال فی القاموس استقلّه حمله و رفعه کقلّه و اقلّه، فلربّما و لعلّ للتقلیل و ندره الوقوع و التّقدیر ربّما کان کذلک و لعله کان کذلک.

و هو إشاره إلی أنّ الحقّ قد یکون غالبا کما فی زمن سلیمان علیه السّلام و ذی القرنین و المقصود بذلک الاشاره إلی کون الحقّ غالبا فی زمن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و مغلوبا فی أزمنه الخلفاء الثّلاثه و غالبا فی زمنه علیه السّلام أیضا و هو نادر و علی هذا فمعنی کلامه علیه السّلام أنّ الامام حقّ و باطل و لکلّ منهما أهله فان صار الباطل أمیرا بعد الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فلقد فعل ذلک أی امره الباطل فی قدیم الزّمان و لیس بأمر حادث یتعجّب منه، و لئن ارتفع الامام بالحقّ بعد خلافه الثلاثه فلربّما کان کذلک و لعلّه کان کذلک و لقلّما

ص:۲۲۴

۱- (۱) ملا خلیل القزوینی فی شرح روضه الکافی منه.

أدبر شیء من الحقّ فأقبل إلیه انتهی کلامه و اللّه العالم.

تکمله

قد أشرنا فی صدر الکلام أنّ هذا الفصل من کلامه علیه السّلام کالفصل الآتی من کلامه ممّا رواه العامّه و الخاصّه و وعدناک هناک أن نذکر تمام الخطبه و نفسّر بعض فقراتها المحتاجه إلی التّفسیر و البیان فأقول و باللّه التکلان:

روی ثقه الاسلام محمّد بن یعقوب الکلینیّ عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ابن محبوب عن علیّ بن رئاب و یعقوب السّراج عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام لمّا بویع بعد مقتل عثمان صعد المنبر فقال:

الحمد للّه الّذی علا فاستعلی، و دنا فتعالی و ارتفع فوق کلّ منظر، و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له، و أشهد أنّ محمّدا (عبده و رسوله خ ل) رسول اللّه خاتم النّبیّین، و حجّه اللّه علی العالمین، مصدّقا للرّسل الأوّلین، و کان بالمؤمنین رءوفا رحیما، و صلّی اللّه و ملائکته علیه و علی آله. أمّا بعد أیّها النّاس فإنّ البغی یقود أصحابه إلی النّار، و إنّ أوّل من بغی علی اللّه جلّ ذکره عناق بنت آدم، و أوّل قتیل قتله اللّه عناق، و کان مجلسها جریبا من الأرض فی جریب، و کان لها عشرون إصبعا، فی کلّ إصبع ظفران مثل المنجلین، فسلّط اللّه علیها أسدا کالفیل، و ذئبا کالبعیر، و نسرا مثل البغل، فقتلوها، و قد قتل اللّه الجبابره علی أفضل أحوالهم، و آمن ما کانوا علیه، و أمات هامان و أهلک فرعون، و قد قتل عثمان، ألاّ و إنّ بلیّتکم قد عادت

كهيئتها يوم بعث اللّه نبيّه.

و الّذى بعثه بـالحقّ لتبلبلنّ بلبله، و لتغربلنّ غربله، و لتساطنّ سوط القـدر، حتّى يعود أسـفلكم أعلاـكم، و أعلاـكم أسـفلكم، و ليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا، و ليقصّرنّ سبّاقون كانوا سبقوا، و اللّه ما كتمت وسمه، و لا كذبت كذبه، و لقد نبّئت بهذا المقام، و هذا اليوم.

ألا و إنّ الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها، و خلعت لجمها، فتقحّمت بهم فى النّار.

ألاـ و إنّ التّقوى مطايـا ذلل حمل عليها أهلها، و أعطوا أزمّتها، فأوردتهم الجنّه، و فتحت لهم أبوابها، و وجـدوا ريحها و طيبها، و قيل لهم أدخلوها بسلام آمنين.

ألا و قد سبقنى إلى هذا الأمر من لم أشركه فيه، و من لم أهبه له، و من ليست له توبه إلّا بنبىّ يبعث.

ألا و لا نبىّ بعد محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أشرف منه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنّم، حقّ و باطل و لكلّ أهل، فلئن أمر الباطل لقديما فعل، و لئن قلّ الحقّ لربّما و لعلّ، و لقلّما أدبر شىء فأقبل، و لئن ردّ عليكم أمركم إنّكم سعداء، و ما علىّ إلّا الجهد، و إنّى لأخشى أن تكونوا على فتره ملتم عنّى ميله كنتم فيها عندى غير

محمودی الرّأی، و لو أشاء لقلت عفا اللّه عمّا سلف.

سبق فیه الرّجلان و قام الثّالث کالغراب، همّته بطنه، ویله لو قصّ جناحاه و قطع رأسه لکان خیرا له، شغل عن الجنّه و النّار أمامه ثلثه و إثنان، خمسه لیس لهم سادس ملک یطیر بجناحیه، و نبیّ أخذ اللّه بضبعیه، و ساع مجتهد، و طالب یرجو، و مقصّر فی النّار.

ألیمین و الشّمال مضلّه، و الطّریق الوسطی هی الجادّه، علیها باقی الکتاب و آثار النّبوّه، هلک من ادّعی، و خاب من افتری، إنّ اللّه أدّب هذه الأمّه بالسّیف و السّوط، و لیس لأحد عند الإمام فیهما هواده، فاستتروا فی بیوتکم، و أصلحوا ذات بینکم، و التّوبه من ورائکم من أبدی صفحته للحقّ هلک.

و فی مرویّ البحرانی بعد قوله علیه السّلام: من أبدی صفحته للحقّ هلک: ألا و إنّ کلّ قطیعه أقطعها عثمان و ما أخذه من بیت «مال ظ» المسلمین فهو مردود علیهم فی بیت مالهم و لو وجدته قد تزوّج به النّساء و فرّق فی البلد، فإنّه إن لم یسعه الحقّ فالباطل أضیق عنه.

بیان

(الجریب) الوادی استعیر للقطعه المتمیّزه من الأرض و فی المصباح للفیومی من کتاب المساحه للسّؤال ما محصّله أنّه عشره آلاف ذراع و عن قدامه الکاتب ما محصّله أنّه ثلاثه آلاف ذراع و ستّمأه ذراع، و (المنجل) کمنبر حدیده یقضب بها الزّرع و الواسع الجرح من الاسنه (و أمات هامان و أهلک فرعون) کنایه عن الأوّل و الثّانی کما فی قوله تعالی:

«وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِینَ وَ نُمَکِّنَ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَ نُرِیَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما کانُوا یَحْذَرُونَ » (من لم اشرک فیه) کما أشرک موسی هارون علی ما اشیر إلیه فی قوله سبحانه:

«و أشرکه فی أمری» و هو نصّ صریح فی عدم رضائه بخلافه من سبق إلیه (و من لم أهبه له) اللّام للانتفاع (و من لیست له توبه الّا بنبیّ یبعث) استثناء مفرّغ و المقصود أنّه لا یتصوّر للثلاثه توبه بسبب من الاسباب إلاّ أن یبعث اللّه نبیّا بعد وفاه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، دون فصل یکون شرعه ناسخا لشرع محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و رافعا لما أوجبه من خلافته علیه السّلام و وجوب اتّباعه و ما حکم به من بطلان خلافه الثّلاثه (أشرف منه) قیل: الضّمیر فی أشرف عاید إلی من و فی منه راجع إلی مصدر سبقنی و کلمه من للتّعلیل و الجمله استینافیّه بیانیّه و المعنی أنّه أشرف من لم اشرکه فیه من أجل سبقته إلی هذا الأمر (علی شفا جرف هار) ای علی قاعده هی أضعف القواعد و هو الباطل و النّفاق الذی مثله مثل شفا جرف هار فی قلّه الثبات (فانهار به فی نار جهنّم) أی فهو الباطل به فی نار جهنّم و هذا مأخوذ من قوله سبحانه فی سوره البراءه:

«أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْیانَهُ عَلی تَقْوی مِنَ اللّهِ وَ رِضْوانٍ خَیْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ »

«بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ وَ اللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ »(۱)(لئن ردّ عليكم أمركم) الذى يلزمكم القيام به و هو امتثالهم لأمره و تصديقهم بامامته عليه السّلام (انّكم) تكونون حينئذ (سعداء و ما علىّ إلاّ الجهد) بفتح الجيم اى الجدّ و الاجتهاد يعنى أنا أعمل على ما يجب علىّ القيام به من أمر الشريعه و عزل ولاه السّوء و امراء الفساد عن المسلمين فان تمّ ما اريده فذاك، و إلاّ كنت قد أعذرت نظير قوله سبحانه:

«فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ » قوله: (كالغراب همّته بطنه) حيث يقع على الجيفه و على الثّمره و على الحبّه و فى المثل أحرص من غراب و أجشع من غراب (ويله) منصوب على النداء و حرف النّداء محذوف (لو قصّ جناحاه) أى قطع بالمقراض و نحوه كان خيرا له و المقصود أنّه لو كان قتل قبل تلبّسه بالخلافه كان خيرا له من تقحّمه فيه و قوله (ثلاثه و اثنان) مرفوعان على الابتداء و (خمسه) خبر لهما و هو فذلكه العدد كما فى قوله سبحانه:

«ثَلاثَةِ أَيّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ » و المقصود أنّ المكلفين على خمسه أقسام منشعبه من قسمين لأنّه إمّا معصوم أو غير معصوم، و المعصوم على ثلاثه أقسام (ملك يطير بجناحيه) حامل للوحى و نحوه (و نبىّ أخذ اللّه بضبعيه) و عضده و وصىّ (ساع) فى الدّين (مجتهد) فى الشّرع أى متحمّل للجهد و المشقّه (و) غير المعصوم على قسمين أحدهما (طالب) للجنّه (يرجو) رحمه ربّه (و) الثّانى (مقصّر) فى الدّين هالك (فى النّار) قوله: (إنّ اللّه أدّب) اه

ص:۲۲۹

۱- (۱) الشفا الشفير و جرف الوادى جانبه الذى ينحفر اصله بالماء و تجرفه السيول و الهار الهائر الذى اشرف على السقوط و الهدم تفسير صافى.

إشاره إلى بعض مطاعن الثّلاثه من تعطيلهم حدود اللّه سبحانه لملاحظه القرابه او لأغراض أخر و (الهواده) اللّين و ما يرجى به الصّلاح و قيل هو الشّفاعه لترك الانتقام من مرتكب العصيان هذا.

و غير ما ذكرته ممّا يحتاج من كلامه عليه السّلام إلى التّفسير يأتى فى شرح الفصل الآتى بيانه، و اللّه الهادى.

الترجمه

و از جملهٔ کلام بلاغت نظام آن حضرت است: عهد و پیمان من بصحت آنچه می گویم در گرو است و من بصدق و صواب بودن آن کفیل و ضامنم، بدرستی که کشف نمود از برای او عبرتها از آنچه در پیش او گذشته از عقوبات مانع می شود او را پرهیزکاری از انداختن نفس خود در شبهه ها، آگاه باشید بتحقیق که بلیّه که عبارت است از اختلاف آراء و تفرّق اهواء رجوع نموده بر مثال و هیئت آن در آن روز که خداوند سبحانه پیغمبر خود را مبعوث فرمود.

قسم بآن کسی که برانگیخت پیغمبر خود را بحقّ هر آینه مخلوط می شوید بهمدیگر مخلوط شدنی، و البتّه بیخته می شوید بغربال بیختنی که خوب و بد از همدیگر تمیز می یابد، و البتّه بر هم زده می شوید مثل بر هم زدن آنچه در دیکست از طعام با قاشق و نحو آن تا باز برگردد پست ترین شما بر بلندترین شما و بلندترین شما بر پست ترین شما، یعنی زیر و بالا می شوید، و البته پیشی می گیرند پیش افتاده گانی که بودند باز پس مانده، و البته مقصر میشوند پیش گیرندگانی که بودند پیش افتاده مراد از طایفهٔ اولی اشخاصی بودند که بعد از وفات حضرت رسالتمآب صلوات اللّه علیه و آله از نصرت آن حضرت قصور ورزیدند و در زمان خلافت آن بزرگوار با جان و دل بیعت نموده و شیعهٔ خالص وی شدند.

و مراد از طایفهٔ دوم اشخاصی هستند که ایشان را در اسلام سابقهٔ بود و در زمان امامت آن امام عالیمقام انحراف ورزیده و با او بمقام مقاتله و محاربه بر آمدند مثل طلحه و زبیر و سایر اصحاب جمل و نهروان.

ص:۲۳۰

بعـد از آن اشاره می فرمایـد باین که این اخبار غیبیه از منبع نبوّت و مهبط وحی و رسالت مأخوذ گردیـده و احتمال خلاف در آن بوجه نمی باشد، و فرمود بخدا سوگند پنهان داشـته نشده ام از هیچ کلمه، یعنی حضـرت رسول صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم جمیع مطالب را بمن اطلاع داد، یا این که پنهان نداشـتم هیـچ کلمـهٔ را که لازم بود اظهار آن و دروغ نگفته ام هیچ دروغی، و بتحقیق که خبر داده شده ام باین مقام که مقام اجتماعی خلق است بر من و بر این روز که روز بیعت مردمان است با من.

آگاه باشـید که بتحقیق خطاها اسبانی هستند سرکش که سوار شده باشند بر آن صاحبان آن و بر کنده باشند لجامهای خود را، پس انـداخته باشـند در مهالک آتش راکبان خود را، آگاه باشـید بدرستی که تقوی و پرهیزکاری شترانی هسـتند رام که سوار شـده باشـند بر آن صاحبان آن، و داده شـده باشند بدسـتهای ایشان افسارهای ایشان، پس وارد سازنـد در بهشت عنبر سرشـت سواران خود را، پرهیزکاری راهی است راست و خطاها راهی است باطل و هر یکی را از این دو راه اهلی است، پس اگر بسیار شود باطل هر آینه در قـدیم الزّمان کرده است آن را اهل آن و در آن زمان بهمان قرار، و اگر کم شـده است حقّ در آن زمان پس بسـا که غـالب شود آن و امیـد هست که منصور باشـد اهـل آن و هر آینه کم است که پشت کرده باشـد چیزی پس روی آورد.

سیّد رضـی رضـی اللّه عنه بعد از اداء خطبه فرموده که می گویم من بدرستی در این کلام امام علیه السّلام که کوتاه ترین لفظ است از مـوارد حسن چیزی هست که نمی رسـد بـآن مواضـع وقوع تحسـین، یعنی فکرهـا که ادراک حسن کلاـم را میکننـد و تعـداد محاسن آن را می نماینـد و بدرستی که بهرهٔ تعجب از این کلام بیشتر است از بهرهٔ خود پسـندی، یعنی تعجب فصـحا از بدایع حسن او بیشتر است از بهرهٔ عجب بسـبب استخراج نکات رائقه و لطائف فایقهٔ آن، بجهه این که بسا بدایعی در آن هست که عقل آن را بنور بصیرت ادراک می نماید، ولی زبان بیان از تعبیر و تقریرش عاجز و قاصر است.

ص:۲۳۱

و در این کلام بلاغت نظام با وجود حالتی که وصف کردم زیادتهاست از صناعت فصاحت که قایم نمی شود بأدای آن هیچ زبان، و اطلاع نمی یابد بعمق آن هیچ انسان، و نمی شناسد آن چیزی را که من گفتم از این اوصاف مگر کسی که عمر خود را مصروف بدارد در این صناعت فصاحت براستی، و جاری شود این صناعت بر عروق و اعصاب آن، و آن را کما هو حقّه دانسته باشد، و تعقل نمی کند آن را مگر عالمان کاملان.

الفصل الثانی

اشاره

شغل من الجنّه و النّار أمامه، ساع سریع نجا، و طالب بطیء رجا، و مقصّر فی النّار هوی، الیمین و الشّمال مضلّه، و الطّریق الوسطی هی الجادّه، علیها باقی الکتاب و آثار النّبوّه، و منها منفذ السّنّه، و إلیها مصیر العاقبه، هلک من ادّعی، و خاب من افتری، من أبدی صفحته للحقّ هلک عند جهله النّاس، و کفی بالمرء جهلا أن لا یعرف قدره، لا یهلک علی التّقوی سنخ أصل، و لا یظمأ علیه زرع قوم، فاستتروا بیوتکم، و أصلحوا ذات بینکم، و التّوبه من ورائکم، و لا یحمد حامد إلاّ ربّه، و لا یلم لاءم إلاّ نفسه.

اللغه

(الطریق) یذکّر فی لغه نجد و به جاء القرآن فی قوله تعالی:

«فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِیقاً فِی الْبَحْرِ یَبَساً » و یؤنّث فی لغه الحجاز و علیه جری قوله علیه السّلام و (الجادّه) معظم الطریق و (الصّفحه)

من كلّ شىء كالصّفح جانبه و (السّنخ) من كلّ شىء أصله و (البين) بالفتح من الأضداد يطلق على الوصل و على الفرقه، و منه ذات البين للعداوه و البغضاء، و قولهم لاصلاح ذات البين أى لاصلاح الفساد بين القوم، و المراد اسكان النّائره.

الاعراب

شغل على البناء للمفعول، و من الموصوله نائب عن الفاعل؛ و الجنّه و النّار مرفوعان على الابتداء، و أمامه خبر و الجمله صله لمن، و قيل: إنّ شغل مسند إلى الضّمير المستتر العايد إلى الثّالث السّابق فى كلامه عليه السّلام حسبما حكيناه من الكافى، و من الجنّه بكسر الميم جار و مجرور، و النّار أمامه مبتدأ و خبر.

و يؤيد ذلك ما فى روايه الكافى من تبديل كلمه من بكلمه عن، و عليه فالمعنى شغل الثالث يعنى عثمان عن الجنّه و الحال أنّ النار أمامه، و ساع و طالب و مقصّر مرفوعات على الخبريه من محذوف بقرينه المقام، و إضافه الباقى إلى الكتاب إمّا من قبيل إضافه الصفه إلى الموصوف أى الكتاب الباقى بين الأمّه، أو بمعنى من، ففيها إشاره إلى وقوع التحريف فى القرآن و النقصان فيه، و كفى بالمرء الباء زائده فى المفعول، و إضافه السّنخ إلى أصل من قبيل سعيد كرز و كرى القوم، و استتروا بيوتكم أى فى بيوتكم منصوب بنزع الخافض، و التّوبه من ورائكم كلمه من بمعنى فى و هو واضح.

المعنى

قد عرفت فى شرح الفصل السابق أنّ هذا الفصل من الخطبه التى ذكرناها هناك و قوله عليه السّلام (شغل من الجنّه و النّار امامه) جمله خبريه فى معنى الانشاء، يعنى من كان الجنّه و النّار أمامه يجب أن يكون مشغولا بهما عن جميع ما يشغل عنهما من زبرج الدّنيا و زخارفها و لذّاتها و شهواتها، و المراد بالاشتغال بهما الاشتغال بما يؤدّيه إلى الجنّه و ينجيه من النّار، و من كونهما أمامه كونهما نصب قلبه و خياله بمرئى و مسمع منه غير غافل عنها متذكّرا لهما مدّه عمره، فيشغل بهما عن غيرهما.

ص:۲۳۳

و يحتمل أن يكون المراد أنّ الانسان لما كان من بدو نشأته و عمره إلى منتهاه بمنزله المسافر إلى اللّه، و كان دائما فى قطع مسافه و الانتقال من نشأه إلى نشأه، و التبدّل من طور الى طور من أطوار العالم الجسمانى و أطوار نشأه الآخره من حين الموت إلى حين البعث من حيث إن الموت ليس عباره عن عدم الانسان، بل من بطلان قالبه لخروج روح منه قائما بذاتها دون افتقارها بهذا البدن فله بعد هذه النشأه نشآت كثيره فى القبر و البرزخ و عند العرض و الحساب و الميزان إلى أن يدخل الجنّه أو النّار، لا جرم(١) كان المنزل لذلك المسافر إحداهما فكأنّما أمامه فى ذلك السفر و غايتين يؤمّهما الانسان من مبدء خلقته إلى أن ينزل إلى إحداهما و من كان أبدا فى السّفر إلى غايه معيّنه فيجب أن يكون مشغولا بمهمات تلك الغايه.

و لمّا نبّه عليه السّلام على وجوب الاشتغال بهما قسّم النّاس باعتبار ذلك الاشتغال إلى أقسام ثلاثه أحدها (ساع) إلى رضوان اللّه (سريع) فى عدوه (نجا) برحمه ربّه (و) الثّانى (طالب) للرّضوان (بطىء) فى سيره (رجا) للغفران (و) الثّالث (مقصّر) فى طاعه الرّحمن سالك سبيل الشّيطان مخلّد (فى النّار هوى) إلى الجحيم و استحقّ العذاب الأليم و قد أشير إلى الأقسام الثلاثه فى قوله سبحانه:

«وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَهِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَهِ وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَهِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَهِ وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ » فأصحاب الميمنه هم المؤمنون من أهل التّبعات يوقفون للحساب، و أصحاب المشئمه هم المقصّرون الظالمون الذين سلك بهم الشّيطان سبله فأوردهم النّار و هم مهانون و أمّا السّابقون فهم الفائزون الحائزون لقصب السّبق يسبقون الخلق إلى الجنّه من غير حساب، و يشمل هذا القسم الأنبياء و الأولياء كشمول قوله عليه السّلام: ساع

١- (١) جواب لما منه.

سریع نجا، لهم.

و یشهد به ما فی غایه المرام من تفسیر الثّعلبی باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: قسم اللّه الخلق قسمین، فجعلنی فی خیرها قسما فذلک قوله تعالی:

«وَ أَصْحابُ الْیَمِینِ ما أَصْحابُ الْیَمِینِ » فأنا خیر أصحاب الیمین، ثمّ جعل القسمین أثلاثا فجعلنی فی خیرها ثلاثا، فذلک قوله تعالی:

«فَأَصْحابُ الْمَیْمَنَهِ ما أَصْحابُ الْمَیْمَنَهِ »... «وَ السّابِقُونَ » و أنا من خیر السّابقین، ثمّ جعل الأثلاث قبائل فجعلنی من خیرها بیتا فذلک قوله تعالی:

«إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً » هذا و الأظهر بمقتضی الحال و المقام و بملاحظه إقراره الأنبیاء فی قسم رابع مستقلّ کما سبق ذکره فی شرح الفصل السّابق، خروج الأنبیاء من هذا القسم و إرادته بالسّاع السّریع نفسه الشّریف و النّقباء من شیعته کسلمان و أبی ذر و المقداد، و بالطالب البطیء سائر الشّیعه، و بالمقصّر الجاحد لولایته، و قد فسّر السّابقون فی الآیه بذلک أیضا.

کما رواه فی غایه المرام من أمالی الشّیخ باسناده عن ابن عبّاس قال: سألت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ فِی جَنّاتِ النَّعِیمِ » فقال لی جبرائیل: ذلک علیّ و شیعته هم السّابقون إلی الجنّه المقرّبون من اللّه بکرامه لهم.

و یؤیّده(۱) ما رواه علیّ بن إبراهیم فی تفسیر قوله:

۱- (۱) هذا تأیید لادخال النقباء فی السابقین، منه.

«وَ السّـابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ » قال: و هم النّقباء: أبو ذر و المقـداد و سـلمان و عمّار و من آمن و صـدّق و ثبت على ولايه أمير المؤمنين عليه السّلام.

و لمّـا قسم النّـاس إلى السّـابقين و اللاّـحقين و المقصّـرين، أشـار عليه السّـلام لهم إلى الطريق التى يجب سـلوكها و نصب عليها أعلاـم الهـدى ليوصل إلى حضـره الحقّ سـبحانه و تعالى فقال:(اليمين و الشّـمال مضـلّه و الطريق الوسـطى هى الجادّه) الموصـله لسالكهـا إلى المطلوب و هى حظيره القـدس، و ذلك لأنّ طريق السّالكين إلى اللّه إمّا العلم أو العمل، فالعلم طريق القوّه النّظريه، و العمل طريق القوّه العمليّه، و كلّ منهما محتو برذيلتين هما طرفا التّفريط و الافراط، و الوسط منهما هو العدل و الطريق الوسـطى هى الجادّه الواضحه لمن اهتدى.

أقول: و لعلّه كنّى باليمين و الشّمالعن طريق الجبت و الطاغوت، و بالطريق الوسطى عن طريق الولايه له عليه السّلام، و أشار بقوله مضـلّه إلى كونهمـا فى ضـلاله فيضـلاّن سـالكى طريقهمـا البتّه، و بقوله هى الجادّه إلى وجوب سـلوك الطريق الوسـطى، و هى ولايته لكونها سالمه و محفوظه من الضـلاله منصوبه عليها أعلام الهدايه فهو عليه السّلام السّبيل الأعظم و الصّراط الأقوم و ولايته الطريق الوسطى و الجادّه العظمى لأنّ جميع العباد إنّما يصلون إلى اللّه تعالى إلى محبّته و جنّته و قربه و الفوز لديه بما أعدّه لمن أطـاعه بولاـيته و محبّته و طـاعته، و إنّمـا تصـعد أعمـال الخلق إلى اللّه إذا كانت جاريه على سـنّته و طريقته و كانت مأخوذه عنه بالتسليم له و الردّ إليه و بالولايه له و البراءه من أعدائهو هو قول اللّه عزّ و جلّ:

«إِنَّمـا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ » يعنى أنّ اللّه لاـ يقبـل من أحـد عمله إلاّ من المتّقى، و هو الـذى أحبّ اللّه و رسوله و ائتمر بأمره و انتهى عن نهيه و والى ولىّ اللّه و عـادى عـدوّ اللّه، و معنى المتّقين فى البـاطن المتّقـون من ولاـيه أعـدائه عليه السّـلام و هم أهل الشّمال و اليمين، فمن اتّقى سنّه أعدائه

ص:۲۳۶

فهو المتّقى، فكان عليه السّلام هو الطريق إلى اللّه و ولايته أيضا طريق صعود الأعمال إليه تعالى و قد اشير إلى هذه الطرق الثّلاث أعنى اليمين و الشّمال و الوسطى، و إلى التّحذير من الأوّلين و وجوب سلوك الأخيره فى غير واحد من الآيات و الأخبار مثل ما رواه فى غايه المرام من الكافى باسناده عن بريد العجلى قال سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه:

«أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » فكان جوابه:

«أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً » يقول الأئمّه الضّلال و الدّعاه إلى النّار هؤلاء أهدى من آل محمّد سبيلا «أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً » و فيه من تفسير العياشى باسناده عن بريد العجلى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

«وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » قال: تدرى ما يعنى بصراطى مستقيما؟ قلت: لا، قال: ولايه علىّ و الأوصياء، قال:

و تدرى ما يعنى فاتّبعوه؟ قلت: لا، قال: يعنى علىّ بن أبى طالب صلوات اللّه عليه، قال: و تدرى ما يعنى بقوله: و لا تتّبعوا السّبل؟ قلت: لا، قال: ولايه فلان و فلان و اللّه، قال: و تدرى ما يعنى فتفرّق بكم عن سبيله؟ قال: قلت: لا، قال: يعنى سبيل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

و فيه عن الكلينىّ باسناده عن محمّد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السّلام قال: قلت:

«أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » قال: إنّ اللّه ضرب مثل من حاد عن ولايه علىّ عليه السّلام كمن يمشى مكبّا على وجهه لا يهتدى لأمره، و جعل من تبعه سويّا على صراط مستقيم؛ و الصّراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السّلام.

و فيه عن ابن شهر آشوب عن ابن عبّاس كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يحكم و علىّ بين يديه مقابله، و رجل عن يمينه، و رجل عن شماله، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اليمين و الشّمال مضلّه، و الطريق السّوى الجادّه، ثمّ أشار صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بيده إنّ هذا صراط علىّ مستقيم فاتّبعوه الآيه.

و فيه عن علىّ بن إبراهيم فى تفسيره قال: حدّثنى أبى عن الحسن بن محبوب عن علىّ بن رئاب قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: نحن و اللّه سبيل اللّه الذى أمركم اللّه باتّباعه، و نحن و اللّه الصّراط المستقيم، و نحن و اللّه الذين أمر اللّه بطاعتهم، فمن شاء فليأخذ من هنا، و من شاء فليأخذ من هناك، لا تجدون «عنّا و اللّه محيصا خ ل» عنها محيصا.

و فيه عن سعد بن عبد اللّه فى كتاب بصائر الدّرجات بإسناده عن زرّ بن حبيش عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: سمعته يقول: إذا دخل الرّجل حفرته أتاه ملكان اسمهما منكر و نكير فأوّل ما يسألانه عن ربّه ثمّ عن نبيّه ثمّ عن وليّه فان أجاب نجا، و إن تحيّر عذّباه، فقال رجل: فما حال من عرف ربّه و لم يعرف وليّه؟ قال:

مذبذب لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلا و من يضلل اللّه فلن تجد له سبيلا، فذلك لا سبيل له، و قد قيل للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من وليّنا يا نبىّ اللّه؟ فقال: وليّكم فى هذا الزّمان علىّ و من بعده وصيّه لكلّ زمان عالم يحتجّ اللّه به لئن يكون كما قال الضّلال قبلهم حين فارقتهم أنبياؤهم

«لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى » فما کان من ضلالتهم و هی جهالتهم بالآيات و هم الأوصياء فأجابهم اللّه عزّ و جلّ:

«قُلْ کُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدى » و إنّما کان تربّصهم أن قالوا: نحن فی سعه من معرفه الأوصياء حتّى نعرف إماما فعيّرهم اللّه بذلک، و الأوصياء هم أصحاب الصّراط وقوفا عليه لا يدخل الجنّه إلّا من عرفهم عند أخذه المواثيق عليهم و وصفهم فی کتابه، فقال عزّ و جلّ:

«وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ کُلًّا بِسِيماهُمْ » و هم الشّهداء على أوليائهم و النّبیّ الشّهيد عليهم أخذ لهم مواثيق العباد بالطاعه و أخذ النبیّ الميثاق بالطاعه فجرت نبوّته عليهم ذلک قول اللّه عزّ و جلّ:

«فَکَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ کَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لا يَکْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً » و فيه عن محمّد بن العبّاس معنعنا عن الحضرمی عن أبی جعفر عليه السّلام فی قوله تعالى:

«فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدى » قال: علیّ صاحب الصّراط السّوی و من اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت.

و إذا أحطت خبرا بما ذکرنا و ظهر لک أنّ المراد بالطريق الوسطى هی ولايته عليه السّلام المعبّر عنه تاره بالصراط السّویّ، و اخرى بالصراط المستقيم، و ثالثه بالطريق السّویّ، و رابعه بسبيل اللّه الذی أمر اللّه باتّباعه، ظهر لک معنى قوله:(عليها باقی الکتاب) أی على الطريق الوسطى الباقی من الکتاب بعد وقوع التّحريف فيه أو عليها الکتاب الباقی بين الأمّه و الثقل الأکبر الذی خلّفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيهم.

و على أىّ تقـدير فـالمراد به أنّ من سـلك طريـق الولاـيه يحصـل له العلم بالكتـاب و يتيسّـر له أخـذه من قيّمه و العـالم به و هو صـاحب الولاـيه المطلقه، لمـا قـد عرفت التلاـزم و عـدم الافتراق بين الثقلين الأكبر و الأصـغر فى الفصل السّابع عشـر من فصول الخطبه الاولى و عرفت تفصيلا فى التّذييل الثّالث من تذييلات ذلك الفصل أنّ أمير المؤمنين و الطيّبين من آله عليهم السّلام هم العالمون بتنزيل الكتاب و تأويله و عامّه و خاصّه و مرسله و محدوده و مجمله و مبيّنه و ناسـخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و ظاهره و باطنه، و أنّ علمه منحصر فيهم عليهم السلام و أنّ من ادّعى حمله و حفظه على ما انزل و العلم بما فيه غير العتره الطاهره فهو كذّاب، و فى بعض النّسخ عليها ما فى الكتاب يعنى مدار ما فى الكتاب و قوامه على تلك الطريقه هذا.

و يحتمـل أن يكون المراد من كون بـاقى الكتـاب أو ما فى الكتاب عليها كونه منصوبا عليها و علما يهتـدى به اليها، إذ فيه دلاله على هـذه الطريقه كمـا أنّ فى البـاقى منه على تقـدير النقصـان مـا فيه كفايه لوجوب سـلوكها و لزوم متابعتها كالآيات السّالفه و غيرها من الآيات النّازله فى شأنه عليه السّلام و المشيره إلى ولايته.

و هذان الاحتمالان جاريان فى قوله عليه السّـلام:(و آثار النّبوه) أى على هذه الطريقه أعلام النّبوّه و أماراتها، من سـلكها يظهر له تلـك الأعلاـم لكون الولاـيه مظهر النّبوه، و على الاحتمـال الثّـانى فـالمعنى أنّ آثار النبوّه منصوبه على تلك الطريق بتلك الآثار يهتدى إليها و يستدلّ عليها، و لا يبعد أن يكون المراد بالآثار على هذا الاحتمال هو الأخبار النبوّيه و الرّوايات المنقوله عنه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم (و منها منفذ السّنه) النبويّه و مخرج الشريعه المحمّديه عليه و آله آلاف الثّناء و التّحيه، إذ به و بالطيّبين من اولاده سلام اللّه عليهم انتشر الشّرايع و الأحكام و عرف الحلال و الحرام، و استقامت الشّريعه الطاهره و استحكمت السنه الباهره.

(و اليها مصير العاقبه) أى عاقبه الخلق فى الدّنيا و الآخره، أمّا فى الدّنيا

ص:۲۴۰

فلأنّ نظام امورهم فی حرکاتهم و سکناتهم مبنیّ علی القوانین الشّرعیّه المأخوذه من هذه الطریقه، و إلی تلک القوانین ترد عواقب امورهم، و علیها یحملون، و أمّا فی الآخره فواضح لأنّ إیاب الخلق إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و إلی أولاده الطاهرین، و حسابهم علیهم و إلیه الاشاره فی قوله سبحانه:

«إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ » أی إلی أولیائنا رجوعهم و مصیرهم بعد الموت، و علیهم جزاؤهم علی أعمالهم، و یشهد بما ذکرته صریحا ما ورد فی فقرات الزّیاره الجامعه الکبیره: و إیاب الخلق إلیکم و حسابهم علیکم.

قال المحدّث المجلسیّ فی شرح هذه الفقره: أی رجوعهم فی الدّنیا لأجل المسائل و الزّیارات، و فی الآخره لأجل الحساب، کما روی عنهم علیهم السّلام أنّهم المیزان أی الحقیقی و الواقعی، أو فی الآخره بقرینه و حسابهم علیکم کما قال تعالی أی إنّ إلینا أی إلی أولیائنا بقرینه إیابهم ثمّ إنّ علینا حسابهم.

و روی فی الأخبار الکثیره أنّ حساب الخلایق یوم القیامه إلیهم و لا استبعاد فی ذلک کما أنّ اللّه تعالی قرّر الشهود علیهم من الملائکه و الأنبیاء و الأوصیاء و الجوارح مع أنّه تعالی قال:

«وَ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً » و هو القادر الدّیان یوم القیامه ویمکن أن یکونمجازا باعتبار حضورهم مع الأنبیاء عند محاسبه اللّه إیّاهم انتهی.

أقول: و ما ذکره أولا هو الأظهر إذ المصیر إلی المجاز إنّما هو مع تعذّر إراده المعنی الحقیقی، و أمّا مع الامکان فلا، و قد دلّت الأخبار الکثیره کما اعترف (ره) به أیضا علی أنّ المحاسب هم علیهم السّلام فیتعیّن إراده الحقیقه.

و من هذه الأخبار ما فی الکافی عن الباقر علیه السّلام إذا کان یوم القیامه و جمع اللّه

الأوّلين و الآخرين لفصل الخطاب دعى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و دعى أمير المؤمنين فيكسى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حلّه خضراء تضيء ما بين المشرق و المغرب و يكسى أمير المؤمنين عليه السّلام مثلها و يكسى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و رديه يضيء لها ما بين المشرق و المغرب و يكسى علىّ عليه السّلام مثلها، ثمّ يصعدان عندها، ثمّ يدعى بنا فيدفع إلينا حساب النّاس، فنحن و اللّه مدخل أهل الجنّه الجنّه و أهل النّار النّار.

و عن الكاظم عليه السّلام و إلينا إياب هذا الخلق و علينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم و بين اللّه عزّ و جلّ حتمنا على اللّه فى تركه لنا فأجابنا إلى ذلك، و ما كان بينهم و بين النّاس استوهبناه منهم و أجابوا إلى ذلك و عوّضهم اللّه عزّ و جلّ هذا.

و يحتمل أن يكون المراد من قوله عليه السّلام: و إليها مصير العاقبه، كون مدار عاقبه الخلق و خاتمتهم خيرا و شرّا على الولايه، فان كان العبد مذعنا بالولايه كان عاقبته عاقبه خير، و إن كان منكرا لها كان عاقبته عاقبه شرّ، كما دلّت عليه الأخبار المتواتره و المستفيضه الوارده فى تفسير قوله سبحانه:

«وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ » مثل ما روى فى غايه المرام عن الشّيخ فى مصباح الأنوار بإسناده عن عبد اللّه بن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إذا كان يوم القيامه أقف أنا و علىّ على الصّراط بيد كلّ واحد منّا سيف فلا يمرّ أحد من خلق اللّه إلاّ سألناه عن ولايه علىّ عليه السّلام فمن معه شيء منها نجا و إلاّ ضربنا عنقه و ألقيناه فى النّار ثمّ تلا.

«وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ ما لَكُمْ لا تَناصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ » و الأخبار فى هذا المعنى كثيره لا حاجه إلى الاطاله (هلك من ادّعى) الامامه من غير استحقاق لها (و خاب من افترى) على اللّه و على رسوله فى دعواه لها، و الجملتان تحتملان الدّعاء و الاخبار، و المراد بالهلاك الهلاك الاخروى و بالخيبه الحرمان و الخسران كما أشير إليه فى قوله تعالى:

«وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّهٌ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ » قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فى مروىّ البحار من غيبه النّعمانى بإسناده عن ابن ظبيان عنه فى تفسيره: من زعم أنّه إمام و ليس بإمام.

و فى البحار أيضا من تفسير العيّاشى عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام:

«وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْ ءٌ وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ » قال: من ادّعى الامامه دون الامام.

و عن علىّ بن ميمون الصّايغ عن ابن أبى يعفور قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: ثلاثه لا ينظر اللّه إليهم يوم القيامه و لا يزكّيهم و لهم عذاب أليم: من ادّعى امامه من اللّه ليست له، و من جحد إماما من اللّه، و من قال: إنّ لفلان و لفلان نصيبا فى الإسلام.

و من المحاسن بإسناده عن العلا عن محمّد قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ أئمّه الجور و أتباعهم لمعزولون عن دين اللّه و الحقّ قد ضلّوا بأعمالهم التى يعملونها.

«كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُوا عَلى شَيْ ءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ » (و من أبدى صفحته للحقّ هلك عند جهله النّاس) أراد به نفسه و نبه به على أنّ المتجرّد لاظهار الحقّ فى مقابله كلّ باطل و ردّ الجهّال من جهالاتهم و حملهم على مرّ الحقّ و صعبه فى كلّ وقت يكون فى معرض الهلاك بأيديهم و ألسنتهم، إذ لا يعدم منهم من يوليه المكروه و يسعى فى دمه.

و يشهد بذلك ما رواه السّيد المحدّث الجزائرى ره مرفوعا فى كتابه المسمّى

بزهر الرّبيع أنّ الصّادق عليه السّلام سئل عن الخلفاء الأربعه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما بال الشّيخين قد انتظمت لهما أمور الخلافه و جرت على أيديهم فتوح البلاد من غير معارضه أحد من المسلمين؟ و ما بال عثمان و أمير المؤمنين عليه السّلام لم تنتظم لهما امور الخلافه بل قامت المسلمون على عثمان و حصروه فى داره و قتلوه وسط بيته، و أمّا أمير المؤمنين عليه السّلام فثارت الفتن فى زمن خلافته حتّى قتل النّاكثين و القاسطين و المارقين؟ فأجاب عليه السّلام أنّ أمور تلك الدّنيا و الخلافه فيها لا يجرى بباطل بحت و لا بحقّ خالص، بل تجرى بحقّ و بباطل ممزوجين، فأمّا عثمان فأراد أن يجرى امور الخلافه بمحض الباطل فلم يتمّ له الامر، و أمّا أمير المؤمنين عليه السّلام فأراد أن يجرى أحكامها على الطريقه المستقيمه و السّنن النّبويّه فلم يحصل له ما أراد، و أمّا الشّيخان فأخذا قبضه من الحقّ و قبضه من الباطل فجرت لهما الامور كما أرادا.

و لمّا نبّه عليه السّلام على معانده الجهال للحقّ و أهله أشار إلى ما يترتب على صفه الجهاله و ما هى ثمره لها بقوله:(و كفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره) و يتعدى طوره و يجهل رتبته و لا يتصوّر نفسه كآحاد النّاس، و هذا من أعظم المهلكات لكونه منشأ العجب و الكبر و الغرور و الانّيه و ادّعاء ما ليس له بأهل كما فى معاويه عليه الهاويه حيث لم يعرف رتبته و قدره و ادّعى الخلافه و سعى فى إهلاكه عليه السّلام و إفساد الأمر عليه لابداء صفحته للحقّ، و حمله النّاس على الطريقه المستقيمه و المحجّه البيضاء التى كانت مكروهه لذلك اللّعين بمقتضى طينته الخبيثه.

ثمّ نبّه عليه السّلام على لزوم التّقوى بقوله:(و لا يهلك على التّقوى سنخ أصل) كان بناؤه عليه إذ الأصل الذى كان بنيانه على التّقوى محال أن يهلك و يلحق بانيه خسران كما قال سبحانه:

«أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللّهِ وَ رِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ »

(و لا يظمأ عليه زرع قوم) لأنّ من زرع فى أرض قلبه زرعا أخرويّا كالمعارف الالهيّه و العقائد الحقّه و سقاها ماء التقوى و جعله مادّتها فلا يلحق ذلك الزّرع ظماء، بل عليه ينشأ بأقوى ساق و أزكى ثمره و قوله:(فاستتروا بيوتكم)قد عرفت فى شرح الفصل السّابق أنّ هذا الكلام مسبوق بقوله عليه السّلام: إنّ اللّه أدّب هذه الامّه بالسّيف و السّوط و ليس لأحد عند الامام فيهما هواده، أى شفاعه فى تأخير التعزير أو تركه و هو وارد فى مقام التّهديد و التّوعيد و إشاره إلى أنّه عليه السّلام لا يأخذه فى اللّه لومه لائم و أنّه لا يشفع عنده فى إقامه الحدود و السّياسات و لا يعطل الأحكام بالشّفاعه كما عطلها من تقدّم عليه عليه السّلام.

و لمّا نبّههم على ذلك أمرهم بالاستتار فى بيوتهم كيلا يجتمعوا على المنافرات و المفاخرات و المشاجرات فيحصل من اجتماعهم ما يوجب الحدّ و التعزير و لا يمكن له إسقاطه بالشّفاعه و الهواده، فالاستتار فى البيوت كنايه عن الاعتزال حسما لماده الفتن و لمّا كان قطع مادّه الفتنه سببا لاصلاح ذات البين أردفه بقوله:(و أصلحوا ذات بينكم) ثمّ نبّه العصاه على استدراك عصيانهم بالرّجوع إلى التّوبه بقوله:

(و التّوبه من ورائكم) قال الشّارح البحرانى: و كونها وراء لأنّ الجواذب الالهيه إذا أخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصيه حتّى أعرض عنها و التفت بوجه نفسه إلى ما كان معرضا عنه من النّدم على المعصيه و التّوجّه إلى القبله الحقيقه فانّه يصدق عليه اذن أنّ التّوبه وراء أى وراء عقليّا و هو أولى من قول من قال من المفسّرين أنّ ورائكم بمعنى أمامكم (و لا يحمد حامد إلاّ ربّه و لا يلم لائم إلاّ نفسه) جملتان خبريّتان فى معنى الانشاء يعنى أنّه يجب أن يكون حمد كلّ حامد للّه سبحانه لكونه مبدء جميع المحامد و الخيرات، و يجب أن يكون لوم كلّ لائم على نفسه لكونها منشأ الشّرور و الخطيئات كما قال تعالى:

«ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَهٍ فَمِنَ اللّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَهٍ فَمِنْ نَفْسِكَ » و الحمد للّه و الصّلاه على نبيّه و وليّه و آله.

ص:۲۴۵

الترجمه

مشغول گردید آن کسی که بهشت و دوزخ در پیش اوست باینها از غیر اینها و مکلفین باعتبار اشتغال باینها سه فرقه اند یکی سعی نماینده برضای خداوند شتابنده در سعی خود و نجات یافت برحمت پروردگار، دومی طلب کنندهٔ خیرات که کامل است در آن طلب امیدوار است بمغفرت کردگار، سوّمی تقصیر کننده در طاعات که فرود آمده است در جهنّم، جانب راست و جانب چپ محلّ ضلالت و گمراهی است و راه میانهٔ آن جادّه است درست، و بر اوست باقی کتاب واجب التّکریم و علامت نبوّه واجب التعظیم، و از اوست مخرج سنّه مطهّره و باوست بازگشت عاقبت خلق در دنیا و آخرت، هلاک شد کسی که دعوی امامت نمود بباطل، و فضول و نومید گردید کسی که افترا بست بخداوند و رسول، کسی که ظاهر گردانید روی خود را از برای حقّ در مقابل باطل هلاک شد نزد مردمان نادان و جاهل، و کفایت میکند مر او را از حیث جهالت این که قدر خود را نشناسد و رتبه و شان خود را نداند، و هلاک نمی شود أصلی که بناء آن پرهیزکاری بوده باشد، و تشنه نمی باشد زراعت هیچ گروهی که آبیاری آن از پرهیزکاری گردد، پس پنهان شوید در خانه های خودتان و اصلاح کنید در میان مردمان و توبه و پشیمانی در پیش شما است، و باید که حمد و ثنا نکند هیچ ستایش کنندهٔ در روزگار مگر بپروردگار خود، بجهه این که اوست منعم علی الاطلاق و سزاوار تعظیم و اجلال، و باید که ملامت نکند هیچ ملامت کنندهٔ مگر نفس خود را که منشأ شرّ است و فساد.

و من کلام له علیه السّلام فی صفه من یتصدی للحکم بین

اشاره

الامه و لیس لذلک باهل و هو السابع عشر من

المختار فی باب الخطب الجاری مجراها

هذا الکلام الشّریف رواه المفید فی الارشاد من ثقات أهل النقل عند الخاصّه

ص:۲۴۶

و العامّه، و الطبرسىّ أيضا فى الاحتجاج مرسلا عنه عليه السّلام كالكتاب، و ثقه الاسلام الكلينى قدّس اللّه روحه فى باب البدع و الرّأى و المقاييس من اصول الكافى مسندا تاره و مرفوعا اخرى حسبما تعرفه، و أمّا ما ذكره الرّضىّ قدّس سرّه فهو أنّه قال:

إنّ أبغض الخلق الى اللّه رجلان: رجل و كله اللّه إلى نفسه، جائر عن قصد السّبيل مشغوف بكلام بدعه، و دعاء ضلاله فهو فتنه لمن افتتن به، ضالّ عن هدى من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به فى حياته و بعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته، و رجل قمش جهلا، موضع فى جهّال الامه، غارّ فى أغباش الفتنه، عم بما فى عقد الهدنه، قد سمّاه أشباه النّاس عالما و ليس به، بكّر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتّى إذا ارتوى من آجن، و اكتنز من غير طائل، جلس بين النّاس قاضيا، ضامنا لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيّألها حشوا رثّا من رأيه، ثمّ قطع به، فهو من لبس الشّبهات مثل نسج العنكبوت، لا يدرى أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، جاهل خبّاط جهالات، عاش ركّاب عشوات، لم يعضّ على العلم بضرس قاطع، يذرى الرّوايات إذ راء الرّيح الهشيم، لا ملى و اللّه بإصدار ما ورد عليه، و لا هو أهل لما فوّض إليه، لا

ص:۲۴۷

يحسب العلم فى شىء ممّا أنكره، و لا يرى أنّ من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره، و إن أظلم عليه أمر اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدّماء، و تعجّ منه المواريث، إلى اللّه أشكو من معشر يعيشون جهّالا، و يموتون ضلّالا، ليس فيهم سلعه أبور من الكتاب إذا تلى حقّ تلاوته، و لا سلعه أنفق بيعا، و لا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، و لا عندهم أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر.

اللغه

(وكله) إلى نفسه بالتخفيف يكله و كلا- و وكولا- تركه و نفسه و (الجائر) باعجام الأوّل أو باعجامهما و فى بعض نسخ الكافى بالمهملتين و المعانى متقاربه أى عادل أو متجاوز أو حيران (عن قصد السبيل مشغوف) بالغين المعجمه و فى بعض النّسخ بالمهمله و بهما قرء قوله تعالى: قد شغفها حبّا و على الأوّل فهو مأخوذ من شغاف القلب أى حجابه أو سويداه، و على الثّانى من الشّعف و هو شدّه الحبّ و إحراقه القلب و (البدعه) اسم من ابتدع الأمر إذا أحدثه كالرّفعه من الارتفاع و الخلفه من الاختلاف و (الهدى) بفتح الأوّل و سكون الثّانى الطريقه و السّيره أو بالضمّ و القصر و هو الرّشاد و (رهن) و فى بعض النّسخ رهين أى مأخوذ و (القمش) جمع الشىء من ههنا و ههنا و (موضع) بضمّ الميم و كسر الضاد مسرع من وضع البعير أسرع و أوضعه راكبه فهو موضع به أى أسرع به و (غار) بالغين المعجمه و الرّاء المهمله المشدّده أى غافل و فى بعض النّسخ عاد بالعين و الدّال المهملتين من العدو بمعنى السّعى أو من العدوان، و فى أكثر نسخ الكافى عان بالعين و النّون من

ص:۲۴۸

قولهم عنى فيهم اسيرا أى أقام فيهم على اساره و احتبس و عناه غيره حبسه، و العانى الأسير او من عنى بالكسر بمعنى تعب أو من عنى به فهو عان اشتغل و اهتمّ به، و (الأغباش) جمع غبش كسبب و أسباب و هو ظلمه آخر اللّيل، و فى بعض النّسخ أغطاش الفتنه، و الغطش أيضا الظلمه.

و عمى عما كرضى ذهب بصره كلّه فهو أعمى و (عم) و هى عمياء و عميه و العمى أيضا ذهاب بصر القلب و البكره و البكور هو الصّباح و (بكّر) و بكر بالتّشديد و التّخفيف إذا دخل فيه و كثيرا ما يستعملان فى المبادره و الاسراع إلى شىء فى أىّ وقت كان، و منه الحديث بكّروا بصلاه المغرب أى صلّوها عند سقوط القرص و روى من الماء بالكسر و (ارتوى) امتلا من شربه و الماء (الآجن) المتغيّر الطعم و اللّون و (اكتنز) من الاكتناز و هو الاجتماع و فى بعض النّسخ و أكثر و هو الظاهر.

و (التخليص) التّبيين و هو قريب من التّلخيص أو هما واحد و (الحشو) فضل الكلام و (الرّث) بفتح الرّاء و التّشديد الخلق ضدّ الجديد و (عاش) خابط فى ظلام و (العشوه) بتثليث الأوّل الأمر الملتبس الذى لا يعرف وجهه مأخوذه من عشوه الليل أى ظلمته (و ذرت) الريح الشىء ذروا و أذرته إذ راء أطارته و قلبته و (الهشيم) النّبت اليابس المنكسر و فى بعض الرّوايات يذر و الرّوايات ذرو الريح و فى بعضها يذرى الرّوايات ذرو الرّيح الهشيم، و توجيهه مع كون الذّرو مصدر يذر و لا يذرى هو كونهما بمعنى واحد حسبما عرفت فصحّ إقامه مصدر المجرّد مقام مصدر المزيد (و الملىء) بالهمزه الثقه الغنى قال الجزرى: قد أولع النّاس بحذف الهمزه و تشديد الياء و (يحسب) إمّا بكسر السّين من الحسبان، و إمّا بالضمّ من الحساب و (العجّ) رفع الصّوت و (السّلعه) بالكسر المتاع و (أبور) أفعل من البور و هو الفاسد و بار الشّىء فسد و بارت السّلعه كسدت و لم ينفق، و هو المراد ههنا و أصله الفساد أيضا و (نفق) البيع إذا راج.

ص:۲۴۹

الاعراب

قوله بكّر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر روى من جمع منوّنا و بغير تنوين أمّا بالتّنوين فيحتمل كونه بمعنى المفعول أى من مجموع و كونه على معناه الحقيقى المصدرى و على كلّ تقدير فما موصوله مبتداء و خير خبره و قلّ صلتها و فاعل قلّ ضمير مستكن عايد إلى الاستكثار المفهوم من استكثر و ضمير منه عايد إلى الموصول و الجمله مجروره المحلّ لكونها بدلا للجمع، و أمّيا بـدون التّنوين فـالموصوف محـذوف و هو المضـاف إليه أى من جمع شـىء الـذى قـلّ منه خير، فمـا على ذلـك موصوله و يحتمل كونها مصدريه أى من جمع شىء قلّته خير من كثرته.

و قيل إنّ جمع مضاف إلى ما و المحذوف هو ان المصدريّه بعدها، و قلّ مبتداء بتقديرها على حدّ و تسمع بالمعيدى خير من أن تراه، أى من جمع مـا أن أقـلّ منه أى قلّته خير، و فى روايه الكافى بكّر فاسـتكثر ما قلّ منه خير،و قوله:و اكتنز من غير طائلاسـناد اكتنز إلى فـاعله و هو الرّجل الموصوف إمّا على سبيل المجاز أو فى الكلام تقـدير أى اكتنز له العلوم الباطله، و على ما فى بعض النّسخ من قوله:

فاكثر من غير طائل لا يحتاج إلى تكلّف، و ضامنا إمّا صفه لقاضيا أو حال بعد حال.

المعنى

اشاره

اعلمأنّ البغض كالحبّ الذى هو ضدّه لمّا كان من صفات النّفس أعنى نفار النّفس عن الشىء و كان إسناده إليه سبحانه محالا لا جرم ينبغى أن يراد به حيثما اسـند إليه معناه المجازى أعنى سـلب الفيض و الاحسان و هـذا المعنى هو المراد بقوله عليه السّـلام: (انّ أبغض الخلائق إلى اللّه رجلان) مما ز جان بين الحقّ و الباطل متشبّثان بـذيل الشّـبهات و الجهالات يحسـبان أنّها من علوم الدّين و مراتب اليقين.

و إنّما كانا أبغض الخلايق باعتبار أنّ ضـررهما النّاشـى من جهالتهما بأمر الدّين لم يكن راجعا إلى أنفسـهما فقط، بل متعدّيا إلى الغير و ساريا إلى الأتباع و باقيا فى الأعقاب إلى يوم القيامه فكانا مع ضلالتهما فى نفسهما مضلّين لغيرهما عن

سلوک جادّه الیقین و تحصیل معارف الدّین، فلذلک کانا أبغض الخلائق.

و کیف کان فأحمد الرّجلین (رجل و کله اللّه إلی نفسه) أی فوّض إلیه أمره و خلاه و نفسه و جعل و کوله و اعتماده علیها لظنّه الاستقلال فی نفسه علی القیام بمصالحه و زعمه القدره علی تحصیل المراد و الوصول إلیه بالرأی و القیاس و الاستحسانات الفاسده التی لا أصل لها، و الرّوایات التی لم تؤخذ من مأخذها فلا جرم أفاض اللّه علیه صوره الاعتماد علی نفسه فیما یریده من امور الدّین و قوانین الشّرع المبین فلم یدر أنّه هلک فی أیّ واد:

«وَ مَنْ یُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ » و حیث إنّه کان اعتماده علیه (فهو جائر عن قصد السّبیل) و مائل عن طریق الحقّ و ضالّ عن الصّراط المستقیم و واقع فی طرف الافراط من فضیله العدل قریب من الشّر بعید عن الخیر کما ورد فی بعض الأدعیه: و لا تکلنی إلی نفسی طرفه عین، فانک ان وکلتنی إلی نفسی تقربنی من الشرّ و تباعدنی من الخیر.

و سرّ ذلک أنّ النّفس بالذّات مایله إلی الشرّ فاذا سلبت عنها أسباب التوفیق و الهدایه تاهت فی طریق الضلاله و الغوایه (مشغوف بکلام بدعه و دعاء ضلاله) أی دخل حبّ کلام البدعه و دعوته النّاس إلی الضلاله شغاف قلبه أی حجابه أو سویداه و علی کونه بالعین المهمله فالمعنی أنّه غشی حبّها قلبه من فوقه إذ الشّعفه من القلب رأسه عند معلّق النّیاط، و هو عرق علق به القلب إذا انقطع مات صاحبه، و علی أیّ تقدیر فالمقصود به کونه أشدّ حبّا و أفرط میلا إلی کلامه الذی لا أصل له فی الدّین و دعوته المضلّه عن نهج الیقین، فهو من الأخسرین أعمالا الذین ضلّ سعیهم فی الحیوه الدّنیا فهم یحسبون أنّهم بحسنون صنعا.

کما قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: کلّ بدعه ضلاله و کلّ ضلاله فی النّار و عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا فی روایه الکافی: أبی اللّه لصاحب البدعه بالتّوبه، قیل: یا رسول اللّه و کیف ذلک؟ قال: إنّه قد اشرب قلبه حبّها

و لا بأس بتحقيق الكلام فى معنى البدعه و قد عرفت معناها اللغوى و غلبت فى العرف على ما هو زياده فى الدّين أو نقصان منه، و قيل: كلّ ما لم يكن فى زمن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهو بدعه.

و ردّه الأردبيلى بمنع الشّرطيّه و قال: البدعه هى كلّ عباده لم تكن مشروعه ثمّ أحدثت بغير دليل شرعى أو دلّ دليل شرعىّ على نفيها فلو صلّى أو دعى أو فعل غير ذلك من العبادات مع عدم وجودها فى زمانه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانّه ليس بحرام لأنّ الأصل كونها عباده و لغير ذلك مثل الصّلاه خير موضوع و الدّعاء حسن انتهى، و أنت خبير بما فى تخصيصها بالعبادات لظهور عمومها لها و لغيرها.

و التّحقيق فيها ما ذكره الشّهيد قده فى القواعد قال فى محكى كلامه: و محدثات الامور بعد عهد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تنقسم أقساما لا يطلق اسم البدعه عندنا إلّا ما هو محرّم عندنا أوّلها الواجب كتدوين القرآن و السنّه إذا خيف عليها التفلّت من الصّدور فانّ التّبليغ للقرون الآتيه واجب إجماعا و لا يتمّ إلّا بالحفظ، و هذا فى زمن الغيبه واجب، و أمّا فى زمان ظهور الامام عليه السّلام لأنّه الحافظ لها حفظا لا يتطرّق إليه خلل و ثانيها المحرّم؛ و هو كلّ بدعه تناولها قواعد التّحريم و أدلّته من الشريعه كتقديم غير المعصومين عليهم و أخذهم مناصبهم و استيثار ولاه الجور بالأموال و منعها مستحقّها و قتال أهل الحقّ و تشريدهم و إبعادهم و القتل على الظنّه و الالزام ببيعه الفسّاق و المقام عليها و تحريم مخالفتها و الغسل فى المسح و المسح على غير القدم، و شرب كثير من الأشربه، و الجماعه فى النّوافل و الأذان الثّانى يوم الجمعه، و تحريم المتعتين، و البغى على الامام و توريث الأباعد و منع الأقارب، و منع الخمس أهله و الافطار فى غير وقته إلى غير ذلك من المحدثات المشهورات، و منها تولية المناصب غير الصّالح لها ببذل أو إرث أو غير ذلك.

و ثالثها المستحبّ و هو ما تناولته أدلّه النّدب كبناء المدارس و الرّبط، و ليس منه اتخاذ الملوك الاهبه ليعظموا فى النّفوس اللّهمّ إلّا أن يكون مرهبا للعدوّ.

و رابعها المكروه، و هو ما شملته أدلّه الكراهه كالزّياده فى تسبيح الزّهراء

ص:۲۵۲

علیها السّلام و سایر الموظّفات أو النقیصه منها و التنعّم فی الملابس و المآکل بحیث یبلغ الاسراف بالنّسبه إلی الفاعل و ربّما أدّی إلی التّحریم إذا استضرّبه هو و عیاله و خامسها المباح، و هو الدّاخل تحت الأدلّه المباحه کنخل الدّقیق فقد ورد أوّل شیء أحدثه النّاس بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اتّخاذ المناخل لأنّ لین العیش و الرّفاهیه من المباحات فوسیلته مباحه انتهی کلامه رفع مقامه.

و قد تحصّل من ذلک أنّ البدعه عباره عن محدثات الامور المحرّمه و أنّ الرّجل الموکول إلی نفسه الجائر عن قصد السّبیل قد شغف بها و بدعوته إلی الضلاله و من أجل ذلک کان سببا لضلاله من أجاب دعوته (فهو فتنه لمن افتتن به) و بلاء لمن اتبع له (ضالّ عن هدی من کان قبله) أی عن سیره أئمه الدّین و طریقه أعلام الیقین الذین أخذوا العلوم الحقیقیه و المعارف الیقینیه بالهام الهیّ و إرشاد نبویّ، و ذلک من حیث اغتراره بنفسه و اعجابه بکلامه و استقلاله برأیه و استغنائه بما اخترعه فهمه و ما ابتدعه و همه عن الرّجوع إلیهم و العکوف علیهم.

کما قال أبو الحسن موسی بن جعفر علیهما السّلام(۱) لعن اللّه أبا حنیفه کان یقول: قال علیّ و قلت أنا، و قالت الصّحابه و قلت هذا و علی کون هدی فی کلامه علیه السّلام بضمّ الهاء و الألف المقصوره فالمراد به کونه ضالاّ عن الصّراط المستقیم مع وجود هدی قبله مأمور باتّباعه و هو کتاب اللّه و سنّه رسوله و أعلام هداه الحاملون لدینه، لما أشرنا الیه من استبداده برأیه الفاسد و نظره الکاسد نظیر ما صدر عن أبی حنیفه و نظرائه.

کما حکاه الزّمخشری فی ربیع الأبرار قال: قال یوسف بن أسباط: ردّ أبو حنیفه علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أربعمائه حدیث أو أکثر قیل: مثل ما ذا؟ قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: للفرس سهمان، و قال أبو حنیفه: لا أجعل سهم بهیمه أکثر من سهم المؤمن و أشعر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أصحابه البدن، و قال أبو حنیفه: الاشعار مثله، و قال

۱- (۱) رواه فی الکافی فی باب البدع و الرأی، منه.

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: البيّعان بالخيار ما لم يفترقا، و قال أبو حنيفه اذا وجب البيع فقد لزم، و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقرع بين نسائه إذا أراد سفرا، و قال أبو حنيفه: القرعه قمار انتهى (مضلّ لمن اقتدى به فى حياته و بعد موته) و ذلك لأنّ من كان ضالاّ فى نفسه و مشعوفا بكلامه البدعه و دعاته الضّالّه لا بدّ أن يكون مضلاّ و سببا لا ضلال غيره فى حال حياته و هو ظاهر، و بعد مماته أيضا من حيث بقاء العقائد الباطله و المذاهب الفاسده المكتسبه عنه بعده، ألا ترى كيف بقى مذهب أبى حنيفه و الشّافعى و أحمد بن حنبل و مالك و غيرها من المذاهب المبتدعه و الآراء المخترعه المضلّه إلى الآن؟ و تبقى إلى ظهور صاحب الزّمان فتبعها جمع كثير و تضلّ بها جمّ غفير و لذلك صار هذا الرّجل المضلّ (حمّال خطايا غيره) كحمله خطايا نفسه حيث كان سببا لضلالته فهو (رهن بخطيئته) كما أنّه رهين بخطيئه غيره مأخوذ بها و معاقب عليها كما قال سبحانه:

«لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ » قال الفخر الرّازى: إنّه يحصل للرّؤسآء مثل أوزار الأتباع، و السّبب فيه ما روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: أيّما داع دعا إلى الهدى فاتّبع كان له مثل أجر من اتّبعه لا ينقص من أجورهم شىء، و أيّما داع دعا إلى ضلاله فاتّبع كان عليه مثل وزر من اتّبعه لا ينقص من آثامهم شىء.

و اعلم أنّه ليس المراد أنّه تعالى يوصل العقاب الذى يستحقّه الأتباع إلى الرّؤساء، لأنّ هذا لا يليق بعدل اللّه و الدّليل عليه قوله تعالى:

«وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى » و قوله: «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى » بل المعنى أنّ الرّئيس إذا وضع سنّه قبيحه عظم عقابه حتّى أنّ ذلك العقاب

يكون مساويا لكلّ ما يستحقّه كلّ واحد من الأتباع.

قال الواحدى: لفظه من فى قوله: و من أوزار الذين يضلّونهم، ليست للتّبعيض لأنّها لو كانت للتّبعيض لخفف عن الأتباع بعض أوزارهم و ذلك غير جايز لقوله عليه السّلام من غير أن ينقص من أوزارهم شىء، و لكنّها للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الأتباع هذا.

و لمّا فرغ من أوصاف أوّل الرّجلين أشار إلى ثانيهما و ذكر له أحدا و عشرين وصفا.

الأوّل ما أشار إليه بقوله:(و رجل قمش جهلا)أى جمعه من أفواه الرّجال أو من الرّوايات الغير الثّابته عن الحجّه أو ممّا اخترعه و همه بالقياس و الاستحسان و استعار لفظ الجمع المحسوس للمعقول بقصد الايضاح.

الثّانى أنّه (موضع فى جهّال الامّه) يعنى أنّه مسرع بين الجهّال أو أنّه مطرح فيهم وضيع ليس من أشراف النّاس على ما ذكره البحرانى من كون وضع بفتح الضّاد، و قال إنّه يفهم منه أنّه خرج فى حقّ شخص معيّن و إن عمّه و غيره.

الثّالث أنّه (غار فى أغباش الفتنه) أى غافل فى ظلمات الخصومات لا يهتدى إلى قطعها سبيلا، و قد مرّ فيه وجوه أخر فى بيان اللّغه.

الرّابع أنّه (عم بما فى عقد الهدنه) يعنى أنّه عميت بصيرته عن ادراك مصالح المصالحه بين النّاس فهو جاهل بالمصالح مثير للفتن.

الخامس أنّه (قد سمّاه أشباه النّاس عالما و ليس به) و المراد بأسباه النّاس العوام و الجهّال لخلوّهم عن معنى الانسانيه و حقيقتها و هم يشبهون النّاس فى الصّوره الظاهره الحسيه التى بها يقع التمايز على ساير الصّور البهيميه، و لا يشبهون فى الصّور الباطنيه العقليه التى هى معيار المعارف اليقينيه و العلوم الحقيقيّه، فهؤلاء الأشباه لفقد بصائرهم و نقصان كمالاتهم ينخدعون بتمويه ذلك الرّجل و يزعمون من تلبّسه بزىّ العلماء أنّه عالم مع أنّه ليس بعالم

السّادس أنّه(بكّر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر)يعنى أنّه أسرع و بادر فى كلّ صباح، و هو كنايه من شده اهتمامه و طلبه فى كلّ يوم أو فى أوّل العمر إلى جمع شىء فاستكثر منه ما قليله خير من كثيره، أو قلّته خير من كثرته، و المراد بذلك الشىء إمّا زهرات(۱) الدّنيا و أسبابها، و يؤيّده مناسبته لما قبله يعنى أنّه لم يطلب العلم و لكن طلب أسباب الدّنيا التى قليلها خير من كثيرها، هذا إن كان جمعها على وجه الحلال و إلاّ فلا خير فيه أصلا، و إمّا الشبهات المضلّه و الآراء الفاسده و العقائد الباطله و يؤيّده زياده ارتباط ذلك بما بعده، و على التّقديرين فيه تنبيه على غايه بعده عن الحقّ و العلم لرسوخ الباطل فى طبعه و ثبوته فى ذهنه.

السّابع ما يترتّب على بكوره و استكثاره من جمع الشّبهات، و هو ما أشار إليه بقوله:(حتّى إذا ارتوى من آجن)يعنى حصل له الامتلاء من شرب الماء الآجن المتعفّن(و اكتنز)أى اجتمع له العلوم الباطله(من غير طائل)و لا فائده يتصوّر فيها(جلس بين النّاس قاضيا)استعار الآجن للشّبهات الفاسده و الأفكار الباطله و العلوم الحاصله له من الاستحسانات و الاقيسه، كما يستعار عن العلوم الحقيقيه و المعارف اليقينيه بالماء الصّافى الزّلال، ثمّ و شح تلك الاستعاره بذكر الارتواء و جعل غايته المشار إليها من ذلك الاستكثار جلوسه بين النّاس قاضيا.

الثّامن كونه (ضامنا لتخليص ما التبس على غيره) لوثوقه من نفسه بفصل ما بين النّاس من الخصومات و المرافعات و ظنّه القابليّه لقطع المنازعات، و منشأ ذلك الوثوق و الاطمينان هو زعمه أن العلوم الحاصله له من آرائه الفاسده و أقيسته الباطله علوم كامله كافيه فى تخليص الملتبسات و تخليص المشكلات مع أنّها ليست بذلك.

التّاسع ما أشار إليه بقوله:(فان نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشوا

ص:۲۵۶

۱- (۱) زهره الدنيا بهجتها و نضارتها و حسنها ق.

رثّا من رأيه ثمّ جزم به) يعنى أنّه إذا نزلت به إحدى المسائل المبهمه المشكله الملتبس عليه وجه فصلها و طريق حلّها هيّأ لها كلاما لا طائل تحته و لا غناء فيه و أعدّ لحلّها وجها ضعيفا من رأيه ثمّ قطع به كما هو شأن أصحاب الجهل المركب.

العاشر ما نبّه عليه بقوله:(فهو من لبس الشّبهات فى مثل نسج العنكبوت)نسج العنكبوت مثل للامور الواهيه كما قال سبحانه:

«وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ » قال الشّارح البحرانى: و وجه هذا التّمثيل أنّ الشّبهات التى تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حلّ قضيّه تكثر فيلتبس على ذهنه وجه الحقّ منها فلا يهتدى له لضعف ذهنه، فتلك الشبهات فى الوها تشبه نسج العنكبوت، و ذهنه فيها يشبه ذهن الذّباب الواقع فيه، فكما لا يتمكّن الذّباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه، فكذا ذهن هذا الرّجل لا يقدر على التخلّص من تلك الشّبهات، و قال المحدّث المجلسىّ بعد نقله كلام البحرانى هذا: أقول: و يحتمل أيضا أن يكون المراد تشبيه ما يلبّس على النّاس من الشّبهات بنسج العنكبوت لضعفها و ظهور بطلانها لكن تقع فيها ضعفاء العقول فلا يقدرون على التّخلّص منها لجهلهم و ضعف يقينهم، و الأوّل أنسب بما بعده.

الحادى عشر أنّه (لا يدرى أصاب) فيما حكم به (أم أخطأ فان أصاب خاف أن يكون قد أخطأ و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب) و خوف الخطاء مع الاصابه و رجاء الاصابه مع الخطاء من لوازم عدم الدّرايه فى الحكم و الافتاء.

الثّانى عشر أنّه(جاهل خبّاط جهالات)أراد به أنّه جاهل بالأحكام كثيرا لخبط فى جهلاته، كنّى به عن كثره أغلاطه التى يقع فيها فى القضايا و الأحكام فيمشى فيها على غير طريق الحقّ من القوانين، و ذلك معنى خبطه مأخوذ من خبط العشواء و هى النّاقه التى فى بصرها ضعف تخبط بيدها كلّ شيء إذا مشت.

الثّالث عشر أنّه (عاش ركّاب عشوات) يعنى أنّ به عشاوه و سوء بصر بالليل

ص:۲۵۷

و النّهـار و أنّه كثير الرّكوب على الامور الملتبسه المظلمه، قـال الشّارح البحرانىّ ره و هى إشاره إلى أنّه لا يستنتج نور الحقّ فى ظلمات الشّبهات الاّ على ضعف و نقصان فى نور بصيرته، فهو يمشى فيها على ما يتخيّله دون ما يتحقّقه من الصّفه هذه، أى و كثيرا ما يكون حاله كذلك و لمّا كان من شأن العاشى إلى الضّوء فى الطرق المظلمه تاره يلوح له فيمشى عليه و تاره يخفى عنه فيضلّ عن القصد و يمشى على الوهم و الخيال كذلك حال السّالك فى طرق الدّين من غير أن يستكمل نور بصيرته بقواعد الدّين و يعلم كيفيّه سلوك طرقه، فانّه تاره يكون نور الحقّ فى المسأله ظاهرا فيدركه و تاره يغلب عليه ظلمات الشّبهات فتعمى عليه الموارد و المصادر فيبقى فى الظلمه خابطا و عن القصد جائرا.

الرّابع عشر أنّه(لم يعضّ على العلم بضرس قاطع)و هو كنايه عن عدم نفاذ بصيرته فى العلوم و عدم اتقانه للقوانين الشّرعيه لينتفع بها انتفاعا تامّا، يقال فلان لم يعضّ على العلم بضرس قاطع إذا لم يحكمها و لم يتقنها، و أصله أن الانسان يمضغ الطعام الذى هو غذاؤه ثمّ لا يجيّد مضغه لينتفع به البدن انتفاعا تامّا فمثل به من لم يحكم و لم يتقن ما يدخل فيه من المعقولات التى هو غذاء الرّوح لينتفع به الرّوح انتفاعا كاملا.

الخامس عشر أنّه(يذرى الرّوايات إذراء الرّيح الهشيم)اليابس من النّبات المنكسر و فيه تشبيه تمثيلى و وجه الشّبه صدور فعل بلا رويّه من غير أن يعود إلى الفاعل نفع و فائده، فانّ هذا الرّجل المتصفّح للرّوايات ليس له بصيره بها و لا شعور بوجه العمل عليها بل هو يمرّ على روايه بعد اخرى و يمشى عليها من غير فائده، كما أنّ الرّيح التى تذرى الهشيم لا شعور لها بفعلها و لا يعود إليها من ذلك نفع.

السّادس عشر أنّه (لاملىء و اللّه باصدار ما ورد عليه) أى ليس له من العلم و الثّقه قدر ما يمكنه أن يصدر عنه انحلال ما ورد عليه من الشّبهات و الاشكالات.

السّابع عشر ما فى بعض نسخ الكتاب من قوله:(و لا هو أهل لما فوّض إليه) أى ليس هو بأهل لما فوّضه إليه النّاس من امور دينهم، و أكثر النسخ خال من

ذكر هـذا الوصف و فى روايه الكـافى الآتيه و لا هو أهل لما منه فرط بالتخفيف بمعنى سـبق و تقـدّم أى ليس هو أهل لما ادّعاه من علم الحقّ الذى من أجله سبق النّاس و تقدّم عليهم بالرّياسه و الحكومه، و ربّما يقرأ بالتشديد أى ليس هو من أهل العلم كما يـدّعيه لما فرّط فيه و قصّـر عنه، و عن الارشاد و لا يندم على ما منه فرط، و قال الشّارح المعتزلى: و فى كتاب ابن قتيبه و لا أهل لما فرّط به قال: أى ليس بمستحقّ للمدح الذى مدح به.

الثّامن عشـر أنّـه (لاـ يحسـب العلم فى شـىء ممّـا أنكره) و لم يعرفه يعنى أنّ ذلـك الرّجـل يعتقـد أنّ مـاله من العلم المغشـوش المـدلس بالشّـبهات الـذى يكون الجهـل خيرا منه بمراتب هو العلم و لاـ يظنّ لغـايه جهله وجود العلم لأحـد فى شـىء ممّا جهله لاعتقـاده أنّه أعلم العلماء و أنّ كلّ ما هو مجهول له مجهول لغيره بالطريق الأولى، و على احتمال كون يحسب من الحساب على ما مرّت إليه الاشاره فالمعنى أنّه لا يعدّ ما ينكره علما و لا يدخله تحت الحساب و الاعتبار بل ينكره كساير ما أنكره.

التّـاسع عشـر مـا أشار إليه بقوله:(و لا يرى أنّ من وراء ما بلغ منه مـذهبا لغيره) يعنى أنّه لوفور جهله يظنّ أنّه بلغ غايه العلم فليس بعد ما بلغ إليه فكره لأحد موضع تفكر و مذهب صحيح.

العشـرون ما نبّه عليه بقوله:(و إن أظلم عليه أمر اكتتم به) أى إن صار عليه أمر من امور الـدّين مظلما مشـتبها لا يـدرى وجه الحقّ فيه و لا وجه الشّـبهه أيضا اكتتم به و ستره من غيره من أهل العلم و غيرهـم و ذلك (لما يعلم من جهل نفسه) بذلك الأمر و عدم معرفته به حتّى من وجه الشّبهه و الرّأى فيستره و يخفيه و لا يسأله من غيره و لا يصغى إلى غيره حتّى يستفيده، و ذلك لئلاّ يقال: إنّه لا يعلمه فيحفظ بذلك علوّ منزلته بين النّاس كما هو المشاهد من قضاه السّوء، فانّهم كثيرا ما يشكل عليهم الأمر فى القضايا و الأحكـام فيكتتمـون مـا أشكل عليهـم و لاـ يسألون أهـل العلم عنه لئلاـ يظهر جهلهم بين أهـل الفضـل مراعـاه لحفـظ المنزله و المناصب.

الحادى و العشرون أنّه(تصرخ من جور قضائه الدّماء و تعجّ منه المواريث)

ص:٢٥٩

و یستحلّ بقضائه الفرج الحرام و یحرم بقضائه الفرج الحلال، کما فی روایه الکافی الآتیه و نسبه الصّراخ إلی الدّماء و العجیج إلی المواریث إمّا من قبیل الحذف و الایصال، أی تصرخ أولیاء الدّماء و تعجّ مستحقّوا المواریث، أو من قبیل المجاز فی الاسناد علی نحو صام نهاره مبالغه علی سبیل التّمثیل و التّخییل بتشبیه الدّماء و المواریث بالانسان الباکی من جهه الظلم و الجور و إثبات الصّراخ و العجیج لهما، أو من قبیل الاستعاره التحقیقیّه التبعیّه باستعاره لفظ الصّراخ و العجیج لنطق الدّماء و المواریث بلسان حالها المفصح عن مقالها، و وجه المشابهه أنّ الصّراخ و العجّ لما کانا یصدران من ظلم و جور و کانت الدّماء المهراقه و المواریث المستباحه بالأحکام الباطله ناطقه بلسان حالها مفصحه بالتظلم و الشّکایه، لا جرم حسن تشبیه نطقها بالصّراخ و العجّ و استعارتهما له، فالمعنی أنّه تنطق الدّماء و المواریث بالشّکایه و التظلّم من جور قضایاه و أحکامه.

و أمّا استحلال الفرج الحرام بقضائه و تحریم الفرج الحلال فامّا من أجل جهله بالحکم أو لخطائه و سهوه فی موضع الحکم لعدم مراعاه الاحتیاط أو لوقوع ذلک منه عمدا لغرض دنیوی کالتقرّب بالجایر أو أخذ الرّشوه أو نحو ذلک.

ثمّ انّه علیه السّلام بعد أن خصّ الرجلین المذکورین بما ذکر فیهما من الاوصاف المنفره علی سبیل التفصیل، أردف ذلک بالتنفیر عنهما علی الاجمال بما یعمّهما و غیرهما من سایر الجهال و الضلال فقال:(إلی اللّه أشکو من معشر یعیشون جهّالا و یموتون ضلّالا) و الثّانی مسبّب عن الأوّل إذ العیش علی الجهاله یؤدّی إلی الموت علی الضّلاله (لیس فیهم سلعه) و متاع (أبور من الکتاب إذا تلی حقّ تلاوته) یعنی إذا فسّر الکتاب و حمل علی الوجه الذی انزل علیه و علی المعنی الذی ارید منه اعتقدوه فاسدا و طرحوه لمنافاه ذلک الوجه و المعنی لأغراضهم (و لا سلعه أنفق بیعا) ای أکثر رواجا (و لا أغلی ثمنا إذا حرّف عن مواضعه) و مقاصده الأصلیّه و نزل علی حسب أغراضهم و مقاصدهم و منشأ کلّ ذلک و أصله هو الجهل (و لا عندهم أنکر من المعروف و لا أعرف من المنکر) و ذلک لأنّ المعروف لما خالف أغراضهم و مقاصدهم طرحوه

ص:۲۶۰

حتّی صار منکرا بینهم یستقبحون فعله و المنکر لما وافق دواعیهم و لائم طباعهم لزموه حتّی صار معروفا بینهم یستحسنون إتیانه هذا.

و ینبغی الاشاره إلی الفرق بین الرّجلین الموصوفین فأقول:

قال الشّارح المعتزلی: فان قیل: بیّنوا الفرق بین الرّجلین اللّذین أحدهما وکله اللّه إلی نفسه و الآخر رجل قمش جهلا؟ قیل: أمّا الرّجل الأوّل فهو الضّال فی اصول العقائد کالمشبّه و المجبّر و نحوهما، ألا تراه کیف قال: مشغوف بکلام بدعه و دعاء ضلاله، و هذا یشعر بما قلناه من أنّ مراده به المتکلّم فی أصول الدّین و هو ضالّ عن الحقّ، و لهذا قال: إنّه فتنه لمن افتتن به ضالّ عن هدی من قبله مضلّ لمن یجیء بعده، و أمّا الرّجل الثّانی فهو المتفقّه فی فروع الشّرعیّات و لیس بأهل لذلک کفقهاء السّوء ألا تراه کیف یقول: جالس بین النّاس قاضیا، و قال أیضا:

تصرخ من جور قضائه الدّماء و تعجّ منه المواریث.

و قال المحدّث المجلسیّ قده فی کتاب مرآه العقول بعد حکایه کلام الشّارح علی ما حکیناه: أقول: و یمکن الفرق بأن یکون المراد بالأوّل من نصب نفسه لمناصب الافاده و الارشاد، و بالثّانی من تعرّض للقضاء و الحکم بین النّاس و لعلّه أظهر.

و یحتمل أیضا أن یکون المراد بالأوّل العبّاد المبتدعین فی العمل و العباده کالمتصوّفه و المرتاضین بالرّیاضات الغیر المشروعه، و بالثّانی علماء المخالفین و من یحذو حذوهم حیث یفتون النّاس بالقیاسات الفاسده و الآراء الواهیه و فی الارشاد و أنّ أبغض الخلق عند اللّه عزّ و جلّ رجل و کله اللّه إلی نفسه إلی قوله: رهن بخطیئته و قد قمش جهلا، فالکلّ صفه لصنف واحد.

تکمله استبصاریه

اعلم انّک قد عرفت الاشاره إلی أنّ هذا الکلام له علیه السّلام ممّا رواه ثقه الاسلام الکلینیّ فی الکافی و صاحب الاحتجاج عطر اللّه مضجعهما فأحببت أن أذکر ما فی الکتابین اعتضادا لما أورده الرّضیّ (ره) فی الکتاب و معرفه لک بمواقع الاختلاف بین الرّوایات فأقول:

ص:۲۶۱

روی فی الکافی عن محمّد بن یحیی عن بعض أصحابه و علیّ بن إبراهیم عن هارون ابن مسلم عن مسعده بن صدقه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام و علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ابن محبوب رفعه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنّه قال:

من أبغض الخلق إلی اللّه تعالی لرجلین: رجل و کله اللّه تعالی إلی نفسه فهو جائر عن قصد السّبیل مشعوف بکلام بدعه قد لهج(۱) بالصّوم و الصّلاه فهو فتنه لمن افتتن به، ضالّ عن هدی من کان قبله، مضلّ لمن اقتدی به فی حیاته و بعد موته حمّال خطایا غیره رهن بخطیئته.

و رجل قمش جهلا فی جهّال النّاس عان بأغباش الفتنه قد سمّاه أشباه الناس عالما و لم یغن(۲) فیه یوما سالما، بکّر فاستکثر ما قلّمنه خیر ممّا کثر حتّی إذا ارتوی من آجن و اکتنز من غیر طائل جلس بین النّاس قاضیا ضامنا لتلخیص (لتخلیص خ) ما التبس علی غیره، و إن خالف قاضیا سبقه لم یأمن أن ینقض حکمه من یأتی بعده کفعله بمن کان قبله، و إن نزلت به احدی المبهمات المعضلات هیّألها حشوا من رأیه ثمّ قطع(۳).

فهو من لبس الشبهات فی مثل غزل العنکبوت لا یدری أصاب أم أخطأ لا یحسب العلم فی شیء ممّا أنکر و لا یری أنّ وراء ما بلغ فیه مذهبا، إن قاس شیئا بشیء لم یکذب نظره، و إن أظلم علیه أمر اکتتم به لما یعلم من جهل نفسه لکیلا یقال له:

لا یعلم، ثمّ جسر فقضی فهو مفاتیح(۴) (مفتاح خ ل) عشوات رکّاب شبهات خبّاط جهالات لا یعتذر ممّا لا یعلم فیسلم، و لا یعضّ فی العلم بضرس قاطع فیغنم یذری

۱- (۱) اللهج بالشیء محرکه الولوع فیه و الحرص علیه ای هو حریص علی الصوم و الصلاه و بذلک یفتتن به الناس، مرآت العقول.

۲- (۲) من قولک غنیت بالمکان اغنی اذا قمت به نهایه.

۳- (۳) ای جزم و فی النهج به و فی غیره علیه، مرآت العقول.

۴- (۴) ای یفتح علی الناس ظلمات الشبهات و الجهالات أو بسببها، مرآت العقول.

الرّوايات ذرو الرّيح الهشيم تبكى منه المواريث و تصرخ منه الدّماء و يستحلّ بقضائه الفرج الحرام، و يحرم بقضائه الفرج الحلال لا ملىء باصدار ما عليه ورد، و لا هو أهل لما منه فرط، من ادعائه علم الحقّ.

و فى الاحتجاج و روى أنّه عليه السّلام قال: إنّ أبغض الخلائق إلى اللّه رجلان: رجل وكله اللّه إلى نفسه فهو جاير عن قصد السّبيل؛ ساير بغير علم و لا دليل، مشعوف بكلام بدعه و دعاء ضلاله، فهو فتنه لمن افتتن به ضالّ عن هدى من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به فى حياته و بعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته.

و رجل قمش جهلا فوضع فى جهله الامه، عان باغباش فتنه، قد لهج منها بالصّوم و الصّلاه، عم بما فى عقد الهدنه قد سمّاه اللّه عاريا منسلخا و قد سمّاه أشباه الناس (الرجال خ ل) عالما، و لما يغن فى العلم يوما سالما، بكّر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتوى من آجن، و أكثر من غير طائل جلس بين النّاس مفتيا قاضيا ضامنا لتخليص (تلخيص خ ل) ما التبس على غيره.

إن خالف من سبقه لم يأمن من نقض حكمه من يأتى من بعده كفعله بمن كان قبله، فان نزلت به إحدى المبهمات (المعضلات خ ل) هيألها حشوا من رأيه ثمّ قطع به، فهو من لبس الشّبهات فى مثل نسج العنكبوت خبّاط جهالات، و ركّاب عشوات، و مفتاح شبهات، فهو و إن أصاب أخطاء لا يدرى أصاب الحقّ أم أخطأ، إن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب.

فهو من رأيه مثل نسج (غزل خ ل) العنكبوت الذى إذا مرّت به النّار لم يعلم بها، لم يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم، يذرى الرّوايات إذ راء الرّيح الهشيم لا ملىء و اللّه باصدار ما ورد عليه، لا يحسب العلم فى شىء ممّا أنكره، و لا يرى أن من وراء ما ذهب فيه مذهب ناطق، و إن قاس شيئا بشىء لم يكذّب رأيه كيلا يقال له لا يعلم شيئا و إن خالف قاضيا سبقه لم يأمن فى صحّته حين خالفه و إن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم.

ص:۲۶۳

من معشر(۱) یعیشون جهّالا ـ و یموتون ضلّالا لا ـ یعتذر ممّا لا یعلم فیسلم، تصرخ منه الدّماء، و تولول منه الفتیاء و تبکی منه المواریث، و یحلّل بقضائه الفرج الحرام، و یحرّم بقضائه الفرج الحلال و یأخذ المال من أهله فیدفعه إلی غیر أهله.

و روی الطبرسیّ و المفید فی الارشاد بعد روایه هذا الکلام نحوا ممّا تقدّم أنّه علیه السّلام قال بعد ذلک:

أیّها النّاس علیکم بالطاعه و المعرفه بمن لا تعذرون بجهاله، فإنّ العلم الذی هبط به آدم علیه السّلام و جمیع ما فضّلت به النبیّون إلی خاتم النّبیّین فی عتره نبیّکم محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فانّی یتاه بکم بل أین تذهبون یا من نسخ من أصلاب أصحاب السّفینه، هذه مثلها فیکم فارکبوها، فکما نجا فی هاتیک من نجا فکذلک ینجو فی هذه من دخلها أنا رهین بذلک قسما حقا و ما أنا من المتکلّفین، و الویل لمن تخلّف ثمّ الویل لمن تخلّف.

أما بغلکم ما قال فیکم نبیّکم؟ حیث یقول فی حجّه الوادع: إنّی تارکم فیکم الثّقلین ما إن تمسّکتم بهما لن تضلّوا بعدی، کتاب اللّه و عترتی أهل بیتی و انّهما لم یفترقا حتّی یردا علیّ الحوض، فانظروا کیف تخلفونی فیهما، ألا هذا عذب فرات فاشربوا، و هذا ملح اجاج فاجتنبوا.

الترجمه

از جملهٔ کلام آن عالی مقام است در صفت کسی که متصدّی شود بحکم کردن میان امّه محمّدیه و حال این که اهلیّت نداشته باشد، بتحقیق که دشمن ترین خلق بسوی خدا دو مردند یکی از این دو نفر مردی است که باز گذاشته باشد حق تعالی او را بنفس خودش، و الطاف خفیّهٔ خود را از او سلب نموده باشد پس آن بد روزگار تبه کار میل کننده است از میانه راه راست

۱- (۱) هکذا فی نسخه الاحتجاج و الظاهر ان یکون الاصل الی اللّه من معشر و علی هذه النسخه فیحتمل ان یکون قوله من معشر خبر مبتدأ محذوف ای هو من معشر منه.

بمیان دل او رسانیده شده است سخنان بدعه و جهالت با این که دل سوخته شده است از فرط محبت باینکلام بدعه، و بخواندن مردم بگمراهی و ضلالت، پس آن مرد فتنه و بلا است مر آن کسی را که در فتنه و بلا افتاده باشد بواسطه او و گمراه است از راه راست و طریقه مستقیم آن کسیکه بوده است پیش او و گمراه کننده است مر کسی را که اقتدا نماید او را در حال حیات او و بعد از وفات او، بردارنده است بار گناهان غیر خود را، در گرو است بگناه خود و گرفتار است بکار تباه خود.

و دومی از این دو نفر مردی است که جمع کرده جهالت را سرعه کننده است باین که وضیع و پست گردانیده شده در میان جاهلان امه، غافل است در ظلمات خصومات بی بصیرت است به آن چه در عقد صلحست از مصالح مصالحه، بتحقیق که نام نهاده اند او را جهّال مردمان که در صورت انسان و در معنی حیوان می باشند عالم بعلوم شریعت و حال آنکه عالم نیست، بامداد کرد پس بسیار نمود از جمع آوردن چیزی که اندکی آن از او بهتر است از آنچه بسیار است، یا آنکه از جمع آوردن چیزی که کمی او بهتر است از زیاده آن، مراد فکرهای فاسده و رأیهای باطله است تا این که چون سیراب شد از آب متعفن گندیده، و پر شد از مسایل بی فایده ناپسندیده نشست در میان مردم در حالتی که حکم کننده است میان ایشان، ضامن است از برای خالص کردن آن چیزی که مشتبه است حل آن بر غیر او، پس اگر نازل بشود بر او یکی از قضایای مشکله مهیّا میکند از برای آن سخنان بی فایده ضعیف و سست از رأی باطلهٔ خود، پس از آن جزم و قطع کند بآن کلام، پس او از پوشیدگی و التباس شبه ها افتاده است در امور واهیه که مثل تار عنکبوت است، نمی داند به صواب حکم میکند یا بخطاء، پس اگر بصواب حکم میکند می ترسد از آنکه خطا کرده باشد و اگر بخطا حکم نماید امید می دارد که صواب گفته باشد.

نادانست بسیار خبط کننده در نادانیها ضعیف البصر است در ظلمات جهل سوارهٔ شبهات، نگزیده علم و دانش بدندان برنده و این کنایه است از عدم ایقان بر قوانین شرعیه و عدم اتقان مسائل دینیّه، منتشر می سازد و می پراند روایات را مثل

پرانـدن و منتشـر کردن بـاد گیاه خشک را، بخـدا سوگنـد که نیست قادر و توانا بباز گردانیـدن و جواب دادن آنچه وارد شـده است بر او از مسائل، گمان نمی برد که علمی که و رای اعتقاد اوست فضـیلتی داشـته باشـد، و گمان نمی کند این که از ورای آنچه رسیده است باو مذهبی بوده باشد مر غیر او را.

و اگر پوشـیده و پنهان باشد بر او کاری پنهان می کند آن را بجهه آنکه می داند از جهل نفس خود به مسائل و می خواهد که آشـکار نشود حال او بارباب فضائل فریاد می کند از جور حکم او خونهای ناحق ریخته، و می نالد از ستم او میراثهای مأخوذه با حکمهای باطله.

بسـوی خداونـد شـکایت می کنـم از جمـاعتی کـه زنـدگانی می کننـد در حـالتی کـه جاهلاننـد، و می میرنـد در حـالتی که گمراهاننـد، نیست در میان ایشان هیچ متاعی که کاسدتر باشد از کتاب اللّه وقتی که خوانده شود حق خواندن بدون تحریف و تغییر، و نیست هیـچ متاعی که رواج تر باشـد از روی فروختن و نه پر بها باشد از کتاب خدا وقتی که تحریف و تغییر داده شود از مواضع خود، و نیست نزد ایشان زشت تر از معروف و نه نیکوتر از منکر، و اللّه العالم.

و من کلام له علیه السّلام فی ذم اختلاف العلماء فی الفتیا

اشاره

و هو الثامن عشر من المختار فی باب الخطب

الجاری مجراها

و قد رواه الطبرسیّ فی الاحتجاج مرسلا عنه کالکتاب ترد علی أحدهم القضیّه فی حکم من الأحکام فیحکم فیها برأیه، ثمّ ترد تلک القضیّه بعینها علی غیره فیحکم فیها بخلاف غیره «قوله خ»

ص:۲۶۶

ثمّ يجتمع القضاه بذلك عند الإمام الّذى استقضاهم فيصوّب آرائهم جميعا، و إلههم واحد، و نبيّهم واحد، و كتابهم واحد، أ فأمرهم اللّه بالإختلاف فأطاعوه؟ أم نهيهم عنه فعصوه؟ أم أنزل اللّه دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركائه فلهم أن يقولوا و عليه أن يرضى؟ أم أنزل اللّه دينا تآمّا فقصّر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن تبليغه و أدائه؟ و اللّه سبحانه يقول: «ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْ ءٍ » و قال: «فِيه تِبْيانُ كلِّ شَيْ ءٍ» و ذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضا، و أنّه لا اختلاف فيه فقال سبحانه: «وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً » و إنّ القرآن ظاهره أنيق، و باطنه عميق، لا تفنى عجائبه «و لا تنقضى عجائبه خ» و لا تكشف الظّلمات إلاّ به.

اللغه

(الفتيا) بالضّم الفتوى و (استقضى) فلانا طلب إليه أن يقضيه و استقضى صير قاضيا و (التّبيان) بالكسر و قد يفتح من المصادر الشاذه إذ المصادر على وزن التفعال لم تجىء إلاّ بالفتح كالتكرار و التّذكار و (الأنيق) كأمير الحسن المعجب.

الاعراب

الضّمير فى غيره الثانى راجع إلى غيره الأوّل، و فى بعض النّسخ كالاحتجاج فيحكم فيها بخلاف قوله، فيكون مرجع الضّمير فيه و فى غيره الأوّل واحدا و هو أحدهم، و الواو فى قوله و الههم واحد حاليّه كاللّتين بعدها، و الهمزه فى قوله

أ فأمرهم للاستفهام على سبيل الانكار الابطالى على حدّ قوله: «أ فأصفاكم ربّكم بالبنين» و كلمه من فى قوله: من شىء، زائده فى المفعول، و قوله و انّ القرآن اه جمله استينافيه

المعنى

اعلم انّه لا بدّ قبل الخوض فى شرح كلامه عليه السّلام من تمهيد مقدّمه

اشاره

و هى أنّه وقع الخلاف بين العامّه و الخاصّه فى التخطئه و التّصويب، و قد عنونه أصحابنا رضى اللّه عنهم فى كتبهم الأصوليّه و حقّقوا الكلام فيه بما لا مزيد عليه، و محصّل ما ذكروه أنّ الكلام يقع فيه فى مقامات أربعه.

الاول اصول العقائد

و قد نقل غير واحد من الأصحاب إجماع الكلّ على أنّ المصيب فيها واحد و على أنّ المخطى فيها آثم كافر إن كان نافيا للاسلام، و لم يخالف فيه إلاّ أبو عبد اللّه الحسين العنبرى و الجاحظ فذهبا إلى أنّ الكل مصيب، قال العلامه ليس مرادهما الاصابه من حيث المطابقه فى نفس الأمر، بل المراد زوال الحرج و الاثم عن المخطى باعتقاد خلاف الواقع و خروجه عن عهده التّكليف باجتهاده، و ربّما عزى الخلاف إلى الأوّل فى أصل الاصابه و إلى الثّانى فى تحقّق الاثم على ما ذكره العلاّمه.

و على ايّ تقدير فهو شاذّ ضعيف لا يلتفت إليه، ضروره بطلان الاصابه و استحالتها ببديهه العقل، و إلاّ لزم اجتماع النّقيضين فى مثل قدم العالم و حدوثه، و عصمه الامام و عدمها، و وجود المعاد الجسمانى و عدمه.

و أمّا من حيث الاثم فالحقّ فيه التفصيل بين القصور و التّقصير فالمقصّر آثم دون القاصر، و إلاّ لزم التكليف بما لا يطاق، و هو ظاهر إلاّ أنّ الكلام فى تحقّق الصغرى و أنّ القصور هل هو ممكن موجود؟ و تفصيل الكلام فى الاصول، و لا يخفى أنّ ما ذكرناه من أنّه لا إثم على الكافر القاصر فانّما هو فى الآخره، و أمّا فى الدّنيا فلا يبعد القول باجراء أحكام الكفر عليه.

الثانى الفرعيّات التى استقلّ العقل بحكمها

، فالحقّ فيها أيضا من حيث الاصابه هو العدم كما عليه الجمهور حذرا من اجتماع النّقيضين فى مثل قبح الظلم

و العدوان، و من حيث الاثم و عدم التّفصيل بين التقصير و القصور على ما سبق، و لا خفاء فى امكان القصور هنا بل تحقّقه غالبا فى مطلق النّاس، و أمّا المجتهد فلا يبعد فى حقّهم دعوى امكان الوصول إلى الواقع دائما.

الثالث الفرعيات العمليه التى قام الدّليل القطعى عليها كالضّروريّات من العبادات

و المعاملات

، فالحقّ فيها أيضا أنّ المصيب واحد و أمّا من حيث الاثم ففيه ما مرّ من التّفصيل، قال بعض الأصحاب: أمّا إمكان الخفاء و العدم ففيه فى هذا المقام خفاء لكن بعد التأمل يظهر الامكان نادرا فى غير المجتهدين، و أمّا المجتهدون المتفحّصون ففى إمكان الخفاء عليهم لأجل عروض الشّبهات إشكال لكن لو رأينا أحدا أنكر و احتمل فى حقّه الشّبهه أجرينا عليه أحكام المقصّر لغلبه التّقصير فى المنكرين، و هذه الغلبه معتبره عندهم فى هذا المقام.

الرابع الفرعيّات التى لم يستقلّ العقل بحكمها و لم يقم عليها دليل قطعيّ

، و هذه هى التى صارت معركه للآراء بينهم، فذهب أصحابنا إلى أنّ للّه سبحانه فى كلّ واقعه حكما واحدا معيّنا، و المصيب واحد و من أخطأ فهو معذور فلا اثم عليه.

و ذهب جمهور المخالفين إلى أنّه لا حكم معيّن للّه تعالى فيها بل حكمه تابع لظنّ المجتهد و ظنّ كل مجتهد فيها حكم اللّه فى حقّه و حقّ مقلّده، و كلّ مجتهد مصيب لحكم اللّه غير آثم و تصوير الاصابه فيها بوجوه.

أحدها أنّ الحكم تابع للحسن و القبح و أنّهما يختلفان بالوجوه و الاعتبارات فحدوث العلم و الجهل محدث للصّفه و الصّفه يتبعها الحكم فرأى المجتهد محدث للحكم، و يكون الأحكام متعلّقه على آرائهم.

الثّانى أنّه تعالى أوجد أحكاما مقصوده بالأصاله و يطابقها آراء المجتهدين قهرا عليهم.

الثّالث أنّه تعالى أوجد أحكاما واقعيّه و يطابقها آراء المجتهدين من باب الاتفاق لا محاله.

الرّابع أنّه تعالى لمّا علم أنّ الآراء يتعلّق بالأحكام المخصوصه فجعل لأجل علمه بذلك أحكاما فيطابقها، و بعباره اخرى أنّه تعالى جعل أحكاما مختلفه فى الواقع بحسب اختلاف آراء المجتهدين على ما يعلمه من أن كلّ واحد منهم لدى التّشبث بالأماره يؤدّى ظنّه إليه حتّى أنّه ربّما يكون فى حقّ الشّخص الواحد أحكاما مختلفه بحسب الواقع باختلاف الأمارات المتعدّده فى الأزمنه المتدرّجه فضلا عن اختلاف الواقعيّات فى حقّ الأشخاص و يجمعه و سابقه انتفاء الحكم الواقعى المشترك فيه الكلّ و إن كان فى الوجه الأوّل بانتفاء المقيّد و فى الثلاثه الأخيره بانتفاء القيد و كيف كان و التّصويب بجميع تصويراته باطل عند أصحابنا نوّر اللّه مضاجعهم و قد أقاموا على بطلانه الأدلّه القاطعه و البراهين السّاطعه فى كتبهم الاصوليّه و دلّت نصوصهم المتواتره عن أئمّتهم سلام اللّه عليهم على أنّ حكم اللّه سبحانه فى الوقايع واحد بحسب الواقع و أنّ للّه تعالى فى كلّ واقعه حكما مخزونا عند أهله أصابه من أصابه، و أخطأه من أخطاه، و من جمله تلك النّصوص كلامه عليه السّلام الذى نحن بصدد شرحه حسبما تعرفه إن شاء اللّه.

لا يقال: المستفاد من كلامه عليه السّلام و ما ضاهاه هو اتّحاد الحكم بقول مطلق، و هو ينافى بناء الأصحاب على آرائهم و عملهم بما أدّى إليه ظنونهم و تعبّدهم بالعمل بذلك بناء على أنّه حكم اللّه فى حقّ المجتهد و حقّ مقلّده، ضروره أنّ الآراء مختلفه فيختلف باختلافها الأحكام جدّا.

لأنّا نقول: أوّلا إنّ كلامه عليه السّلام ناظر إلى العاملين بالقياس و الرّأى لا بالكتاب و السنّه كما صرّح به الفاضل القمّى فى القوانين.

و أشار إليه الشّارح المعتزلى حيث قال: و المراد الرّدّ على أهل الاجتهاد فى الأحكام الشّرعيه و إفساد قول من قال: كلّ مجتهد مصيب، و تلخيص الاحتجاج من وجوه خمسه ثمّ ذكر الوجوه الخمسه ثمّ قال: و اعلم أنّ هذه الوجوه هى التى يتعلّق بها الاماميّه و نفاه القياس و الاجتهاد فى الشّرعيّات.

و ثانیا أنّ کلامه علیه السّلام و إن کان مطلقا إلاّ أنّه لا بدّ أن یراد به اتّحاد الأحکام الواقعیه لقیام الاجماع علی تعدّد الأحکام الظاهریّه و علی أنّ المجتهد متعبّد بظنّه و تکلیفه العمل بما أدّی إلیه ظنّه الحاصل من الأمارات الشّرعیّه کظواهر الکتاب و السنّه و أخبار الآحاد و غیرها.

فإن قلت: إذا کان تکلیف المجتهد التعبّد بظنه و العمل بمودّیات الظنونات و اختلفت الأحکام باختلافها فلا فرق حینئذ بین المصوبه و المخطئه إذ مآل القولین کلیهما إلی تعدّد الأحکام بتعدّد الظنونات فیکون الحکم الشّرعیّ تبعا للظنّ قلت: الفرق بینهما واضح، ضروره أنّ القائلین بالتّصویب یقولون بتبعیّه الأحکام الواقعیّه لعلم المجتهد أو ظنّه و أنّ العلم أو الظنّ یوجب جعل الحکم فی حقّه فی الواقع، فما لم یحصل له علم أو ظن لا ـ یکون فی حقّه حکم واقعا و أمّا القائلون بالتخطئه فیقولون: إنّ للّه سبحانه حکمین واقعیّ و هو الذی کلّفنا به أوّلا ـ لو لا ـ جهل المکلّف المانع من تعلّق التکلیف به، و حکم ظاهریّ و هو الذی یجب علینا البناء علیه و التعبد به فی ظاهر الشّرع بمقتضی الأمارات الشّرعیّه، سواء علمنا مطابقته للأوّل، أو ظنّناه، أو شککناه، أو ظنّنا مخالفته، أو علمنا بالمخالفه کما هو فی بعض الفروض.

و بعباره اخری مقتضی القول بالتّصویب هو کون الحکم من أصله تابعا للأماره بحیث لا یکون فی حقّ الجاهل مع قطع النّظر عن وجود الأماره و عدمها حکم، فیکون الأحکام مختصّه فی الواقع بالعالمین بها، و الجاهل مع قطع النّظر عن قیام أماره عنده علی حکم العالمین لا حکم له أو محکوم بما یعلم اللّه أنّ الأماره تؤدّی إلیه.

و مقتضی القول بالتخطئه هو أنّ فی الواقع حکما مشترکا بین الکلّ، و علیه فإن حصل للمکلّف علم به أو ظنّ مطابق له فهو، و إلاّ فتکلیفه العمل بما أدّی إلیه ظنّه فی ظاهر الشّرع و یکون ذلک واقعیّا ثانویّا فی حقّه.

فان قلت: إذا کان تکلیفه عند عدم حصول العلم بالواقع هو العمل بالظنّ فلا

تفاوت بين أن نقول: إنّ هناك حكما واقعيّا وراء المظنون كما يقوله المخطئه، و بين أن نقول: بأن لا حكم هنا وراء المظنون، و محصّله عدم ثمره عمليه بين القولين و عدم فايده تترتّب على الخلاف فى مقام العمل.

قلنا: الثّمره إنّما تظهر إذا انكشف له الحال بعد العمل بالظنّ بأن حصل له العلم بالواقع و كان ظنّه الذى عمل به مخالفا للواقع فيلزمه الاتيان به ثانيا على القول بالتخطئه لأنّ مطلوب الشّارع فى المقام حقيقه هو الواقع و إنّما تعلق التّكليف بالظاهر نظرا إلى اشتباه المكلف و عجزه عن الوصول إلى الواقع.

و تحقيق ذلك أنّ مؤدّيات الطرق الشّرعيّه على القول بالتّصويب مجعولات فى الواقع ليس للمكلف فى الواقع تكليف ورائها، فحالها مثل حال الأوامر الواقعيّه الاختياريّه لا إشكال فى إجزائها بل لا يتصوّر انكشاف الخلاف فيها أصلا، و أمّا على القول بالتخطئه فإنّما يترتّب عليها الآثار الشّرعيّه مع عدم حصول العلم بخلافها، و مع قصور المكلّف عن الوصول إلى الواقع و أمّا بعد انكشاف الخلاف و حصول علمه بالواقع فيكون مكلّفا به و يرجع الأمر إلى التكليف الأوّل، فإن كان الوقت باقيا وجب الاعاده بمقتضى الأصل لبقاء التكليف و وجوب الامتثال، و إن كان فايتا وجب القضاء لو دلّ دليل على وجوب القضاء لصدق الفوات.

ثمّ إنّ هذا كله مبنيّ على ما ذهب إليه غير واحد من متأخّرى أصحابنا من جعلهم مسأله الاجزاء من متفرّعات مسأله التخطئه و التصويب و بنوا الاجزاء على التّصويب و عدمه على التخطئه إلا أنّ الشأن عدم تماميّه التفريع فى الطرفين لعدم الملازمه بين التخطئه و عدم الاجزاء بل مع القول بها مجال للاجزاء و عدمه، و تفصيل الكلام فى ذلك موكول إلى الاصول فليرجع إليه.

و إذا تمهّد لك هذه المقدّمه فلنرجع إلى شرح كلامه عليه السّلام فنقول: إنّه صدر كلامه بيان حال العلماء السّوء العاملين بالآراء تعريضا عليهم ببطلان عملهم بالرّأى و توبيخا لهم على ذلك ثمّ أردفه بالاشاره على بنائهم عليه من القول بالتّصويب فى

الأحكام المختلفه المنشعبه عن الآراء المتشتّته، و نبّه على بطلان ذلك البناء و فساد هذا القول بالوجوه الآتيه فقال:

(ترد على أحدهم القضيّه فى حكم من الأحكام) الشّرعيّه (فيحكم فيها برأيه) أى بظنونه المأخوذه لا من الأدله الشّرعيّه و المآخذ المنتهيه إلى الشّارع بل من الاستحسانات العقليّه و القياسات الفقهيّه (ثمّ ترد تلك القضيّه بعينها على غيره) اى على غير القاضى الأوّل (فيحكم فيها بخلاف قوله) أى قول الأوّل استنادا إلى رأيه الفاسد و نظره الكاسد أيضا، كما كان استناد الأوّل فى حكمه إليه.

(ثمّ يجتمع القضاه بذلك) الحكم المختلف (عند الامام) الضّالّ و رئيسهم المضلّ (الذى استقضاهم) و صيّرهم قاضيا (فيصوّب آرائهم جميعا) و يحكم بكون الأحكام المختلفه الصّادره عنهم فى قضيّه شخصيه كلّها صوابا مطابقا للواقع (و) هو باطل بالضّروره، لأنّ (الههم واحد و نبيّهم واحد و كتابهم واحد) و ليس لكلّ منهم اله يحكم بحكم مخالف لحكم اله الآخر و يرسل على ذلك رسولا- و ينزل على ذلك كتابا حتّى يسند كلّ منهم حكمه المخالف لحكم الآخر إلى إلهه، و إذا ثبت وحده الاله سبحانه فلا بدّ أن يكون الحكم الواقعى واحدا إذ الوجوه المتصوّره لاستناد تعدّد الاحكام و اختلافها حينئذ(1) إليها امور كلّها باطله بحكم العقل و النّقل كما أشار إليها بقوله:(أ فأمرهم اللّه بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه) مفاد همزه الاستفهام المفيده للانكار على سبيل الابطال مع أم المنقطعه المفيده للاضراب مفادها فى قوله تعالى:

«قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ » فيدلّ الكلام على ذلك، على أنّ اختلافهم ليس مأمورا به بل منهيّ عنه فيكونون عاصين فيه، أمّا أنّه ليس مأمورا به فلعدم ورود أمر بذلك فى الكتاب و السّنه، و أمّا أنّه منهيّ عنه فلدلاله العقل و النّقل على ذلك، أمّا العقل فلتقبيح العقلاء

١- (١) اى حين إذ كان الاله واحدا منه

من يتكلّف من قبل مولاه بما لا يعلم بوروده عن المولى فضلا عمّا علم بعدم وروده و أمّا النّقل فمن الكتاب الآيه السّابقه حيث دلّت على أنّ ما ليس باذن من اللّه فهو افتراء له و من المعلوم أنّ الافتراء حرام و منهيّ عنه و قوله:

«وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ » و قوله:

«وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ » و قوله: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ » فانّ الحكم بالرّأى الذى هو منشأ للاختلاف حكم بغير ما نزل من اللّه سبحانه إذ العمل بالرّأى و القياس إنّما هو فيما لم يتبيّن حكمه فى الكتاب و السنّه كما هو ظاهر.

و من السّنه ما رواه محمّد بن خالد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: القضاه أربعه ثلاثه فى النّار و واحد فى الجنّه: رجل قضى بالجور و هو يعلم فهو فى النّار، و رجل قضى بالجور و هو لا يعلم فهو فى النّار، و رجل قضى بالحقّ و هو لا يعلم فهو فى النّار، و رجل قضى بالحقّ و هو يعلم فهو فى الجنّه.

و وجه الدّلاله غير خفىّ حيث إنّ المستفاد منه أنّ القضاء بما لا يعلم سواء كان حقّا أو جورا موجب لدخول النّار فيكون محرّما منهيّا عنه، و من المعلوم أنّ القضاء بالآراء المختلفه قضاء بما لا يعلم فيكون منهيّا عنه و ستعرف توضيح ذلك بما لا مزيد عليه فى التّنبيه الآتى، و كيف كان فقد تحصّل ممّا ذكرناه أنّ الاختلاف ليس مأمورا به بل منهىّ عنه هذا.

و لمّا نبّه عليه السّلام على بطلان كون الاختلاف بأمر منه سبحانه أردفه بساير الوجوه التى يحتمل كونه بسببها ممّا هو ضرورى البطلان، و هى بحسب الاستقراء منحصره فى ثلاثه اذ اختلافهم فى دينه و شرعه و حاجتهم إلى ذلك إمّا أن يكون مع نقصانه أو مع تمامه و تقصير الرّسول فى أدائه، و على الوجه الأوّل فذلك الاختلاف إنّما يكون

على أحد وجهين، أحدهما أن يكون اتماما لذلك النّقصان أو على وجه أعمّ من ذلك و هو كونهم شركاءه فى الدّين و قد أشار عليه السّلام إلى الوجه الأوّل بقوله:(أم أنزل اللّه دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه) و إلى الثّانى بقوله:(أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا و عليه أن يرضى) و إلى الثّالث بقوله:(أم أنزل اللّه دينا تامّا فقصّر الرّسول عن تبليغه و أدائه)ثمّ استدل على بطلان الوجوه الثلاثه بقوله:(و اللّه سبحانه يقول) فى سوره الانعام (ما فرّطنا فى الكتاب من شىء) (و قال) (فيه تبيان كلّ شىء) و هذا مضمون آيه فى سوره النّحل و هو قوله تعالى:

«وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْ ءٍ » و مثلها قوله سبحانه فى سوره الانعام:

«وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ » فانّ دلاله هذه الآيات على بطلان الوجهين الأوّلين واضحه، ضروره انّ الكتاب الحكيم إذا لم يترك فيه شىء و لم يفرط فيه من شىء بل كان فيه بيان كلّ شىء و كل رطب و يابس فلا بدّ أن يكون الدّين بتمامه منزلا فيه و حينئذ فلا يكون فيه نقصان حتّى يستعان بهم على إتمامه أو يأخذهم شركاء له فى أحكامه، فالقول بكون الدّين ناقصا باطل بنصّ القرآن و حسبان الاستعانه و الافتقار بهم على الاتمام أو كونهم مشاركين له فى الاحكام كفر و زندقه بالبديهه و العيان و أمّا دلالتها على بطلان الوجه الثّالث فهى أيضا ظاهره بعد ثبوت عصمه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عدم إمكان تصوير التّقصير منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى التّبليغ و قد قال تعالى:

«قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما يُوحى إِلَيَّ »

روی الصّدوق فی العیون عن الرضا علیه السّلام أنّه سئل یوما و قد اجتمع عنده قوم من أصحابه و قد کانوا یتنازعون فی الحدیثین المختلفین عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الشیء الواحد فقال علیه السّلام: إنّ اللّه عزّ و جلّ حرّم حراما و أحلّ حلالا و فرض فرایض فما جاء فی تحلیل ما حرّم اللّه أو تحریم ما أحلّ اللّه أو رفع فریضه فی کتاب اللّه رسمها قائم بلا نسخ نسخ ذلک فذلک شیء لا یسع الأخذ به، لأنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یکن لیحرّم ما أحلّ اللّه و لا لیحلّل ما حرّم اللّه و لا لیغیّر فرائض اللّه و أحکامه و کان فی ذلک کلّه متّبعا مسلّما مؤیدا عن اللّه عزّ و جلّ و ذلک قول اللّه عزّ و جلّ: إن أتّبع إلّا ما یوحی إلیّ فکان متّبعا مؤدّیا عن اللّه ما امر به من تبلیغ الرّساله.

ثمّ إنّه بعد ما تحصّل من کلامه بطلان کون الاختلاف جائزا و مأذونا فیه و بأمر من اللّه سبحانه، أکّد ذلک بالتّصریح علی دلیل ذلک بقوله:(و ذکر أنّ الکتاب یصدّق بعضه بعضا و أنّه لا اختلاف فیه فقال سبحانه) فی سوره النّساء أفلا یتدبّرون القرآن (و لو کان من عند غیر اللّه) ای من کلام غیره سبحانه (لوجدوا فیه اختلافا کثیرا) و تقریب الاستدلال بها أنّ القرآن مدرک الدّین و مشتمل علی الاحکام الشّرعیه و قد أخبر اللّه سبحانه بأنّه لا یوجد فیه اختلاف، لکونه من عنده فلا یوجد فیه أحکام مختلفه من حیث إنّ نفی العامّ مستلزم لنفی الخاصّ فاذن لا یکون الاختلاف فی الاحکام من عنده سبحانه و مأذونا فیه و هو واضح.

قال الطبرسیّ فی مجمع البیان و هذه الآیه تضمّنت الدّلاله علی أنّ التّناقض من الکلام لا یکون من فعل اللّه، لانّه لو کان من فعله لکان من عنده لا من عند غیره و الاختلاف فی الکلام یکون علی ثلاثه أضرب: اختلاف تناقض، و اختلاف تفاوت و اختلاف تلاوه، و اختلاف التفاوت یکون فی الحسن و القبح و الخطاء و الصّواب ممّا تدعو إلیه الحکمه و تصرف عنه، و هذا الجنس من الاختلاف لا یوجد فی القرآن کما لا یوجد اختلاف التناقض، و أمّا اختلاف التلاوه فهو کاختلاف وجوه القرآن و اختلاف مقادیر الآیات و السّور و اختلاف الاحکام فی النّاسخ و المنسوخ فذلک موجود فی القرآن و کلّه حقّ و صواب.

ص:۲۷۶

ثمّ إنّه علیه السّلام أردف کلامه بالتنبیه علی أنّ الکتاب العزیز واف بجمیع المطالب إذا تدبّروا معناه و لا حظوا أسراره فقال:(و إنّ القرآن ظاهره أنیق) أی حسن معجب بانواع البیان و أصنافه و غرابه الاسلوب و حسنه و ایتلاف النّظم و انساقه (و باطنه عمیق) لاشتماله علی أنواع الحکم من أمر بحسن و نهی عن قبیح و خبر عن مخبر صدق و دعاء إلی مکارم الأخلاق و حثّ علی الخیر و الزّهد و اشتماله علی تبیان کلّ شیء و علی ما کان و ما یکون و ما هو کائن.

کما قال الصّادق علیه السّلام فی روایه العیّاشی: نحن و اللّه نعلم ما فی السّماوات و ما فی الأرض و ما فی الجنّه و ما فی النّار و ما بین ذلک، ثمّ قال: إنّ ذلک فی کتاب اللّه ثمّ تلا قوله تعالی:

«وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْ ءٍ » و فی الکافی عنه علیه السّلام إنّی لأعلم ما فی السّماوات و ما فی الأرض و أعلم ما فی الجنّه و أعلم ما فی النّار و أعلم ما کان و ما یکون ثمّ سکت هنیئه فرأی أنّ ذلک کبر علی من سمعه منه فقال: علمت ذلک من کتاب اللّه عزّ و جلّ إنّ اللّه یقول: فیه تبیان کلّ شیء (و لا تفنی عجائبه) أی الأمور المعجبه منه (و لا تنقضی غرائبه) أی النّکت الغریبه فیه (و لا تکشف الظلمات) أی ظلمات الشّبهات (إلاّ به) أی بسواطع أنواره و لوامع أسراره

تنبیه

قد تحصّل ممّا ذکرنا کلّه أنّ مقصود الامام علیه السّلام بهذا الکلام من أوّله إلی آخره هو المنع عن العمل بالرّأی و إبطال الاختلاف فی الأحکام المنشعب عن الآراء المختلفه و إفساد القول بالتّصویب فیها، و هذا کلّه موافق لاصول الامامیّه رضوان اللّه علیهم و مطابق لأخبارهم المتواتره المأثوره عن العتره الطاهره، و لا بأس بالاشاره الی بعض تلک الاخبار تثبیتا للمرام و توضیحا لکلام الامام علیه السّلام.

فمنها ما رواه ثقه الاسلام محمّد بن یعقوب الکلینیّ قدّس اللّه روحه فی الکافی عن

محمّد بن أبی عبد اللّه رفعه عن یونس بن عبد الرّحمن قال: قلت لأبی الحسن الأوّل علیه السّلام(۱) فقال: یا یونس لا تکوننّ مبتدعا من نظر برأیه هلک، و من ترک أهل بیت نبیّه ضلّ، و من ترک کتاب اللّه و قول نبیّه کفر(۲).

و عن علیّ بن إبراهیم عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه قال: حدّثنی جعفر علیه السّلام عن أبیه أنّ علیّا علیه السّلام قال: من نصب نفسه للقیاس لم یزل دهره فی التباس و من دان اللّه بالرّأی لم یزل دهره فی ارتماس، قال: و قال أبو جعفر علیه السّلام: من أفتی النّاس برأیه فقد دان اللّه بما لا یعلم و من دان اللّه بما لا یعلم فقد ضادّ اللّه، حیث أحلّ و حرّم فیما لا یعلم و الظاهر أنّ المراد بالالتباس هو التخلیط بین الحقّ و الباطل، و بالارتماس الانغماس فی ظلمات الشّبهه و الضّلاله، فالالتباس باعتبار استخراج الاحکام بالرّأی و القیاس، لأنّه یلتبس علیه الامور و یشتبه علیه الحقّ و الباطل، و الارتماس باعتبار العمل بتلک الاحکام، قال المجلسیّ (قده) فی قوله فقد ضادّ اللّه: أی جعل نفسه شریکا للّه.

و عن علیّ بن محمّد بن عیسی عن یونس عن قتیبه قال سأل رجل أبا عبد اللّه علیه السّلام عن مسأله فأجابه فیها فقال الرّجل أرأیت إن کان کذا و کذا ما یکون القول فیها؟ فقال له: مه ما أجبتک فیه من شیء فهو عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لسنا من رأیت فی شیء قال المجلسیّ: لمّا کان مراده أخبرنی عن رأیک الذی تختاره بالظنّ و الاجتهاد نهاه علیه السّلام عن هذا الشیء من الظنّ و بیّن انّهم لا یقولون شیئا إلاّ بالجزم و الیقین و بما وصل إلیهم من سید المرسلین صلوات اللّه علیه و علیهم أجمعین.

و منها ما فی الوسائل عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقی فی المحاسن عن أبیه عمّن ذکره عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی رسالته إلی أصحاب الرّأی و القیاس: أمّا بعد فإنّ

۱- (۱) هکذا فی النسخه و الصحیح کما فی الکافی و فیه: قلت لابی الحسن الاول علیه السلام: بما أوحد اللّه؟ فقال إلخ «المصحح».

۲- (۲) لا یخفی ان عمده منظور الامام علیه السلام بهذا الکلام کمنظور الائمه سلام اللّه علیهم بهذه الاخبار هو الرد علی الذین استغنوا بعلمهم بالآراء و الاقیسه عنهم علیهم السلام کما هو شعار العامه العمیاء زعما منهم عدم کون جمیع الاحکام مودعا و عدم وجوب الرجوع الیهم و یشهد بما ذکرناه ملاحظه الاخبار الوارده فی هذا الباب، منه ره.

من دعا غيره إلى دينه بالارتيآء و المقائيس لم ينصف و لم يصب حظّه، لأنّ المدعوّ إلى ذلك أيضا لا- يخلو من الارتياء و المقائيس، و متى لم يكن بالدّاعى قوّه فى دعائه على المدعوّ لم يؤمن على الدّاعى أن يحتاج إلى المدعوّ بعد قليل، لأنّا قد رأينا المتعلّم الطالب ربّما كان فائقا لمعلّمه و لو بعد حين، و رأينا المعلّم الدّاعى ربّما احتاج فى رأيه إلى رأى من يدعو، و فى ذلك تحير الجاهلون و شكّ المرتابون و ظنّ الظانون و لو كان ذلك عند اللّه جائزا لم يبعث اللّه الرّسل بما فيه الفصل و لم ينه عن الهزل و لم يعب الجهل و لكن النّاس لمّا سفهوا الحقّ و غمطوا النّعمه و استغنوا بجهلهم و تدابيرهم عن علم اللّه و اكتفوا بذلك عن رسله و القوّام بأمره و قالوا لا شيء إلّا ما أدركته عقولنا و عرفته ألبابنا فولّاهم اللّه ما تولّوا و أهملهم و خذلهم حتّى صاروا عبده أنفسهم من حيث لا يعلمون و لو كان اللّه رضى منهم اجتهادهم و ارتيائهم فيما ادّعوا من ذلك لم يبعث إليهم فاصلا لما بينهم و لا زاجرا عن وصفهم.

و إنّما استدللنا أنّ رضاء اللّه غير ذلك ببعثه الرّسل بالامور القيمه الصّحيحه و التّحذير من الامور المشكله المفسده ثمّ جعلهم أبوابه و صراطه و الأدلّاء عليهم بامور محجوبه عن الرّأى و القياس فمن طلب ما عند اللّه بقياس و رأى لم يزدد من اللّه الّا بعدا، و لم يبعث رسولا- قط و إن طال عمره قائلا- من النّاس خلاف ما جاء به حتّى يكون متبوعا مرّه و تابعا اخرى و لم ير أيضا فيما جاء به استعمل رأيا و لا مقياسا حتّى يكون ذلك واضحا عند اللّه كالوحى من اللّه و فى ذلك دليل لكلّ ذى لبّ و حجى أنّ أصحاب الرأى و القياس مخطئون مدحضون.

و الأخبار فى هذا المعنى فوق حدّ الاحصاء و قد عقد فى الوسائل كالكافى بابا لعدم جواز القضاء و الحكم بالرأى و الاجتهاد و المقائيس و نحوها من الاستنباطات الظنّيّه فى الأحكام الشّرعيّه من أراد الاطلاع فليراجع إلى الكتابين، و اللّه الهادى

الترجمه

از جملۀ كلام بلاغت نظام آن امام عالميان است در مذّمت اختلاف علماء در فتواها كه استغنا ورزيده اند بجهه عمل بآراء از أئمۀ هدى سلام اللّه عليهم: وارد مى شود

بر یکی از آنها قضیّه در حکمی از حکمها پس حکم می کند در آن قضیّه برأی فاسد و نظر کاسد خودش که مستند است باستحسانات عقلیّه و قیاسات ظنّیه، بعد از آن وارد می شود همین قضیّهٔ شخصیّه بر غیر آن حاکم پس حکم می کند آن حاکم ثانی در همان قضیّه بخلاف قول حاکم أوّل، بعد از آن جمع می شوند قاضیان بآن أحکام نزد پیشوای خودشان که آنها را قاضی نموده است، پس حکم می کند بصواب بودن رأی های همهٔ ایشان و حال آنکه این تصویب فاسد است، بجهه این که خدای ایشان یکی است و پیغمبر ایشان یکی است و کتاب ایشان یکی است.

پس آیا امر نموده است خداوند ایشان را باختلاف؟ پس اطاعت کرده اند او را یا این که نهی فرموده است ایشان را از آن اختلاف؟ پس معصیت کرده اند ایشان باو یا آنکه خداوند فرو فرستاده دین ناقصی پس یاری خواسته بایشان در اتمام آن یا این که بوده اند ایشان شریکان خداوند رحمن، پس ایشان راست این که بگویند و مر او راست این که راضی بشود بگفتار ایشان چنانکه شأن شریکان با همدیگر این است یا این که فرو فرستاده خداوند دین تمامی پس تقصیر کرده حضرت رسالتمآب صلّی اللّه علیه و آله از رسانیدن و ادا نمودن آن بر انام.

و حال آنکه حق تعالی فرموده در کتاب مجید خود: که ما تقصیر نکرده ایم در کتاب خود از هیچ چیز در هیچ باب و در آن کتاب است بیان هر چیزی، و ذکر فرموده این که بدرستی که قرآن تصدیق کننده است بعضی از آن مر بعض دیگر را، و بدرستی که بوجه من الوجوه در آن اختلاف نیست، پس فرموده است: که اگر بودی این کتاب عزیز از نزد غیر پروردگار هر آینه یافتندی در آن اختلاف بسیار و بدرستی که ظاهر قرآن حسن است و معجب و باطن آن عمیق است و بی پایان، فانی نمی شود سخنان عجیبهٔ آن و بنهایت نمی رسد نکته های غریبهٔ آن و زایل نمی شود ظلمات شبهات مگر بانوار آیات باهرات آن

و من كلام له عليه السّلام و هو التاسع عشر من المختار

اشاره

فی باب الخطب الجاری مجراها

قاله للأشعث بن قیس و هو علی منبر الکوفه یخطب فمضی فی بعض کلامه علیه السّلام شیء اعترضه الأشعث فقال یا أمیر المؤمنین: هذه علیک لا لک، فخفض علیه السّلام إلیه بصره ثمّ قال علیه السّلام له:

و ما یدریک ما علیّ و مالی؟ علیک لعنه اللّه و لعنه اللّاعنین، حائک بن حائک، منافق بن کافر، و اللّه لقد أسرک الکفر مرّه و الإسلام أخری، فما فداک منهما مالک و لا حسبک، و إنّ امرء دلّ علی قومه السّیف، و ساق إلیهم الحتف، لحریّ أن یمقته الأقرب، و لا یأمنه الأبعد.

أقول: یرید أنّه اسر فی الکفر مرّه و فی الاسلام مرّه و أمّا قوله: دلّ علی قومه السّیف فأراد به حدیثا کان للاشعث مع خالد بن الولید بالیمامه غرّ فیه قومه و مکر بهم حتّی أوقع بهم خالد، و کان قومه بعد ذلک یسمّونه عرف النّار، و هو اسم للغادر عندهم.

اللغه

(خفض إلیه بصره) طأطأه و (الحائک) بالهمزه النّاسج و (الفداء) ما یفدیه الأسیر لفکّ رقبته و (الحتف) الموت و(العرف)الرمل و المکان المرتفعان قال الشّارح البحرانی و أمّا استعارتهم له عرف النّار فلأنّ العرف عباره عن کلّ عال مرتفع، و الأعراف فی القرآن الکریم سور بین الجنّه و النّار، و لمّا کان من شأن کلّ عال مرتفع أن یستر ما ورائه و کان الغادر یستر بمکره و حیلته امورا

كثيره و كان هو قد غرّ قومه بالباطل و غدر بهم، صدق عليه بوجه الاستعاره لفظ عرف النار لستره عليهم لما ورائه من نار الحرب أو نار الآخره إذ حملهم على الباطل.

أقول: روى فى المجلّد التّاسع من البحار فى الباب المأه و الثلاثه عشر المتضمّن للأخبار الغيبيّه لأمير المؤمنين عليه السّلام عن الحسن بن علىّ عليهما السّلام فى خبر أنّ الأشعث ابن قيس الكندى بنى فى داره ميذنه و كان يرقى إليها إذا سمع الأذان فى أوقات الصّلاه فى مسجد جامع الكوفه فيصيح من أعلى ميذنته: يا رجل إنّك لكذّاب ساحر، و كان أبى يسمّيه عنق النّار و فى روايه عرف النّار، فسئل عن ذلك فقال إنّ الاشعث إذا حضرته الوفاه دخل عليه عنق من النّار ممدوده من السّماء فتحرقه فلا يدفن إلّا و هو فحمه سوداء، فلمّا توفّى نظر ساير من حضر إلى النّار و قد دخلت عليه كالعنق الممدود حتّى أحرقته و هو يصيح و يدعو بالويل و الثبور.

و الميذنه بالكسر موضع الأذان و المناره، و قد ظهر من هذه الرّوايه سبب تسميته بعرف النّار، و أنّه ليس سببها ما توهّمه البحرانى ره

الاعراب

كلمه ما مرفوع المحلّ على الابتداء، و يدريك خبره، و ماء الثّانيه فى موضع رفع على الابتداء، و يدريك معلّق لتضمّنه معنى الاستفهام و على خبره و الجمله متعلّقه بيدريك فى موضع المفعول الثّانى على حدّ قوله سبحانه: و ما أدريك ما الحاقّه قال الثّورى: يقال: للمعلوم ما أدريك و لما ليس بمعلوم ما يدريك فى جميع القرآن و حائك مرفوع على أنّه خبر لمبتدأ محذوف، أى أنت حائك، أو على النّداء بحذف حرف النّداء، أو منصوب بتقدير الفعل المحذوف أى أذمّ حائك بن حائك على حدّ قوله:

و امرأته حمّاله الحطب فتأمّل.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام (قاله عليه السّلام للأشعث بن قيس) الأشجّ لأنّه شجّ فى بعض حروبه و هو من بنى كنده و اسمه معدى كرب و كان أشعث الرأس أبدا فغلب الأشعث عليه حتّى

نسی اسمه و کیف کان فقد قاله (و هو علی منبر الکوفه یخطب) خطبه یذکر فیها أمر الحکمین و ذلک بعد ما انقضی أمر الخوارج (فمضی فی بعض کلامه شیء) و هو أنّه قام إلیه رجل من أصحابه و قال له: نهیتنا عن الحکومه ثمّ أمرتنا بها فما ندری أیّ الأمرین أرشد؟ فصفق علیه السّلام باحدی یدیه علی الاخری و قال: هذا جزاء من ترک العقده أی جزای حیث وافقتکم علی ما الزمتمونی به من أمر التحکیم و ترک الحزم فلمّا قال ذلک (اعترضه الأشعث) لشبهه وجدها فی نفسه من ترکه علیه السّلام وجه المصلحه و اتباع الآراء الباطله و أراد إفحامه (فقال یا أمیر المؤمنین هذه علیک لا لک) و جهل أو تجاهل أنّ وجه المصلحه قد یترک محافظه علی أمر أعظم منه و مصلحته أهمّ فانّه علیه السّلام لم یترک العقده إلّا خوفا من أصحابه أن یقتلوه کما ستطلع علیه فی قصّتهم هذا و قال الشّارح المعتزلی: إنّ الشیء الذی اعترضه الأشعث فی کلامه هو أنّه کان مقصوده بقوله: هذا جزاء من ترک العقده هذا جزاؤکم إذ ترکتم الرّأی و الحزم و أصررتم علی إجابه القوم إلی التحکیم، فظنّ الاشعث أنّه أراد هذا جزای حیث ترکت الرّأی و الحزم و حکمت لأنّ هذه اللفظه محتمله ألا تری أنّ الرّئیس إذا شغب علیه جنده و طلبوا منه اعتماد أمر لیس بصواب فوافقهم تسکینا لشغبهم لا استصلاحا لرأیهم ثمّ ندموا بعد ذلک، قد یقول هذا(۱) جزاء من ترک الرأی و خالف وجه الحزم، و یعنی بذلک أصحابه و قد یقوله یعنی به نفسه حیث وافقهم أمیر المؤمنین علیه السّلام إنّما عنی ما ذکرناه دون ما خطر للأشعث.

(ف) لمّا قال له هذه علیک لا لک (خفض علیه السّلام إلیه بصره) و طأطأه (ثمّ قال له:

و ما یدریک ما علیّ ممّا لی) إشاره إلی جهله و عدم جواز الاعتراض من مثله علیه سلام اللّه علیه، ثمّ اتبعه بالطرد و الابعاد عن رحمه اللّه سبحانه و قال (علیک لعنه اللّه و لعنه اللاّعنین) و استحقاقه بذلک من حیث کونه من المنافقین فی خلافته علیه السّلام و هو فی أصحابه کعبد اللّه بن أبی سلول فی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کلّ واحد منهما رأس النّفاق فی زمانه کما یدلّ علیه اعتراضه علیه علیه السّلام و یشهد به شهادته علیه السّلام بأنّه منافق

ص:۲۸۳

۱- (۱) أی الندامه منه.

ابن كافر، و لا شکّ أنّ المنافق مستحقّ للّعن و الطرد لقوله تعالی:

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُـدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ » و يدلّ علی كفره و نفـاقه صـريحا مـا رواه الشّارح المعتزلی عن أبی الفرج الاصـبهانی فی شـرح كلام الخامس و السّتين فی ذكر كيفيّه شهاده أمير المؤمنين عليه السّـلام، قال: قال أبو الفرج: و قـد كان ابن ملجم لعنه اللّه أتی الأشـعث بن قيس فی هـذه اللّيله فخلا به فی بعض نواحی المسـجد و مرّ بهمـا حجر بن عـدیّ فسـمع الأشـعث و هو قول: ابن ملجم النّجا النّجـا بحاجتـک فقـد فضـحک الصّـبح، قـال له حجر: قتلته يـا أعور، و خرج مبـادرا إلی علیّ عليه السّـلام و قـد سـبقه ابن ملجم و ضـربه، و أقبـل حجر و النّاس يقولون: قتل أمير المؤمنين عليه السّلام.

قال أبو الفرج: و للأشعث بن قيس فی انحرافه عن أمير المؤمنين عليه السّلام أخبار يطول شرحها.

منها أنّه جاء الأشـعث إلی علیّ عليه السّلام يستأذن عليه فردّه قنبر فأدمی الأشعث أنفه فخرج علیّ عليه السّلام و هو يقول: مالی و لک يا أشعث أما و اللّه لو لعبد ثقيف تمرست لا قشعرت شعيراتک، قيل يا أمير المؤمنين من عبد ثقيف؟ قال غلام لهم لا يبقی أهل من العرب الاّ أدخلهم ذلاّ، قيل يا أمير المؤمنين كم يلی أو كم يمكث؟ قال:

عشرين إن بلغها.

و قال أبو الفرج: إنّ الأشـعث دخل علی علیّ عليه السّلام فكلّمه فأغلظ علیّ عليه السّلام له فعرض له الأشعث ان سبقتک به فقال له علیّ عليه السّـلام: أ بـالموت تخـوّفنی أو تهـدّدنی؟ فو اللّه مـا ابـالی وقعت علی الموت أو وقع الموت علیّ أقول: و أشـار بعبد ثقيـف إلی حجّـاج بن يوسـف الثّقفی و المسـتفاد من روايه أبی مخنـف المرويه فی البحـار أنّ حضـور الأشـعث تلـک الليله فی المسجد إنّما كان

لمعونه ابن ملجم لعنه اللّه على قتله عليه السّلام، و فى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الاشعث بن قيس شرك فى دم أمير المؤمنين، و ابنته جعده سمّت الحسن، و ابنه محمّد شرك فى دم الحسين عليهم السّلام.

ثمّ عيّره عليه السّلام بأنّه(حائک بن حائک)و المراد بهما إمّا معناهما الحقيقى لما روى أنّه كان هو و أبوه ينسجان برود اليمن و ليس هذا ممّا يخصّ بالأشعث بل أهل اليمن كلهم يعيّرون بذلک كما قال خالد بن صفوان: ما أقول فى قوم ليس فيهم إلّا حائک برد، أو دابغ جلد، أو سايس قرد، ملكتهم امرأه، و أغرقتهم فاره، و دلّ عليهم هدهد و إمّا معناهما المجازى، و هو حائک الكذب على اللّه و رسوله و وليّه كما هو شأن المنافق و الكافر.

و من ذلک ما رواه فى الوسائل مرفوعا إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال ذكر الحائک عند أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه ملعون، فقال: إنّما ذلک الذى يحوک الكذب على اللّه و رسوله و على هذا المعنى فارداف اللعن به يكون إشاره إلى علّه الاستحقاق له هذا.

و الأظهر أنّهوارد على سبيل الاستعاره إشاره إلى نقصان عقله و قلّه تدبيره و استعداده، كما أنّ الحائک ناقص العقل، إمّا من حيث كون معاملته و معاشرته غالبا مع النّساء و الصّبيان كالمعلّمين، و لا شکّ أنّ المخالطه مؤثّره و لذلک قال الصّادق عليه السّلام لا تستشيروا المعلّمين و لا الحوكه فإنّ اللّه قد سلبهم عقولهم مبالغه فى قصور عقلهم.

و فى حديث آخر عنه عليه السّلام أنّه قال: عقل أربعين معلّما عقل حائک، و عقل أربعين حائكا عقل امرأه، و المرأه لا عقل لها.

و إمّا من حيث إنّ ذهنه عامّه وقته مصروف إلى جهه صنعته مصبوب الفكر إلى أوضاع الخيوط المتفرّقه و ترتيبها و نظامها محتاجا إلى حركه يديه و رجليه كما أنّ الشّاهد له يعلم من حاله أنّه مشغول الفكر عمّا وراء ما هو فيه غافل عمّا عداه.

و يمكن أن يكون المقصود بالاستعاره الاشاره إلى دنائه النّفس و رذاله الطبع

و البعـد عن مكـارم الأخلاـق و محاسن الآداب و التخلّق بالأوصاف الـذّميمه و الأخلاق الـدّنيّه، لاتّصاف الحائک بـذلک کلّه،و لذلک ورد فی بعض الأخبار النّهی عن الصّـلاه خلفه، بل ورد أنّ ولده لا ینجب إلی سبعه أبطن نحو ما ورد فی ولد الزّنا و روی القمیّ فی تفسیر قوله سبحانه:

«وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَهِ » انّه کـان ذلـک الیوم یوم سوق فاستقبلها الحـاکه و کانت الحیاکه أنبل صـناعه فی ذلک الزّمان، فـأقبلوا علی بغـال شـهب فقـالت لهم مریم: أین النخله الیـابسه؟ فاسـتهزءوا بهـا و زجروهـا، فقالت لهـم: جعل اللّه کسـبکم بورا و جعلکم فی النّاس عارا، ثمّ اسـتقبلها جمع من التّجار فدلّوها علی النخله الیابسه فقالت لهم: جعل اللّه البرکه فی کسـبکم و أحوج النّاس إلیکم الحدیث.

و روی المحدّث الجزایری ره فی کتـاب زهر الرّبیع عن شـیخنا بهاء الملّه و الـدّین أنّه دخل رجل إلی مسـجد الکوفه و کان ابن عبّاس مع أمیر المؤمنین علیه السّـلام یتـذاکران العلم، فـدخل الرّجل و لم یسـلّم و کان أصـلع(۱) الرّأس من أوحش مـا خلـق اللّه تعالی و خرج أیضا و لم یسلّم.

فقـال أمیر المؤمنین علیه السّـلام: یـا بن عبّـاس اتّبع هـذا الرّجـل و اسأله ما حاجته و من أین و إلی أین فأتی و سأله فقال: أنا من خراسان و أبی من القیروان و امّی من اصـفهان قال: و إلی أین تطلب؟ قال: البصـره فی طلب العلم، قال ابن عباس: فضحکت من کلامه فقلت له: یا هذا تترک علیّا جالسا فی المجسد و تذهب إلی البصره فی طلب العلم و النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: أنـا مـدینه العلم و علیّ بابهـا فمن أراد العلم فلیأت المـدینه من بابها، فسـمعنی علیّ علیه السّـلام و أنا أقول له ذلک، فقال: یا ابن عبّـاس اسأله ما تکون صـنعته، فسألته فقال: إنّی رجل حائک، فقال علیه السّـلام: صـدق و اللّه حبیبی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث قال: یا علیّ إیّاک و الحائک، فانّ اللّه نزع البرکه من أرزاقهم فی الدّنیا

۱- (۱) الصلع انحسار شعر مقدم الرأس لقله ماده الشعر فی تلک البقعه ق.

و هم الأرذلون.

ثمّ قال عليه السّلام: يا ابن عبّاس أ تدرى ما فعل الحيّاک فی الأنبياء و الأوصياء من عهد آدم إلى يومنا هذا، فقال: اللّه و رسوله و ابن عمّ رسوله أعلم، فقال عليه السّلام معاشر النّاس من أراد أن يسمع حديث الحائک فعليه بمعاشره الديلم، ألا و من مشى مع الحائک قتر عليه رزقه، و من أصبح به جفى، فقلت: يا أمير المؤمنين و لم ذلک؟ قال عليه السّلام: لأنّهم سرقوا ذخيره نوح، و قدر شعيب، و نعلى شيث، و جبّه آدم، و قميص حوّاء، و درع داود، و قميص هود، و رداء صالح، و شمله إبراهيم، و نخوت اسحاق، و قدر يعقوب، و منطقه يوشع، و سروال زليخا، و ازار أيوب، و حديد داود، و خاتم سليمان، و عمّامه إسماعيل، و غزل ساره، و مغزل هاجر، و فصيل ناقه صالح، و اطفاء سراج لوط، و القوا الرّمل فی دقيق شعيب، و سرقوا حمار العزير و علّقوه فی السقف و حلفوا أنّه لا فی الأرض و لا فی السّماء، و سرقوا مردد «مرود ظ» الخضر، و مصلّى زكريّا، و قلنسوه يحيى، و فوطه يونس، و شاه إسماعيل؛ و سيف ذی القرنين و منطقه أحمد، و عصا موسى، و برد هارون، و قصعه لقمان، و دلو المسيح، و استر شدتهم مريم فدلوها على غير الطريق، و سرقوا ركاب النبیّ، و حطام النّاقه و لجام فرسى، و قرط خديجه، و قرطى فاطمه، و نعل الحسن، و منديل الحسين، و قماط إبراهيم، و خمار فاطمه، و سراويل أبى طالب، و قميص العبّاس، و حصير حمزه، و مصحف ذی النّون، و مقراض إدريس، و بصقوا فی الكعبه، و بالوا فی زمزم، و طرحوا الشّوک و العثار فی طريق المسلمين.

و هم شعبه البلاء، و سلاح الفتنه، و نسّاج الغيبه، و أنصار الخوارج، و اللّه تعالى نزع البركه من بين أيديهم بسوء أعمالهم، و هم الذين ذكرهم فی محكم كتابه العزيز بقوله «وَ كانَ فِی الْمَدِينَهِ تِسْعَهُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ » و هم الحاكه و الحجّام فلا تخالطوهم و لا تشاركوهم، فقد نهى اللّه عنهم.

و يناسب هذه الرّوايه الشّعر المنسوب إليه عليه السّلام و إن لم أجده فی الدّيوان

ص:۲۸۷

المعروف نسبته إليه و هو:

لعن الحائک فی عشر خصال فعلوها بشلنک لنک لنک و مکوک ترحوها

و برجلین تطق طق و برأس حرکوها و بکرّ کرّ فرّ هاء هوء نسجوها

سرقوا قدر شعیب و حریص أکلوها قتلوا ناقه صالح ثمّ جاءوا قسموها

و منادیل رسول سرقوها حرقوها و بسبعین نبیّا کلّهم قد لعنوها

و بالجمله فقد تحصّل ممّا ذکرناه أنّ تعریضه علیه السّلام علی الأشعث الملعون بأنّه حائک بن حائک دلاله علی کمال القدح و الطعن و أکّده بقوله (منافق بن کافر) بحذف حرف العطف إشاره إلی کمال الاتّصال المعنوی ثمّ أتبعه بقوله:(و اللّه لقد أسرک الکفر مرّه و الاسلام أخری) تأکیدا لنقصان عقله و إشاره إلی أنّه لو کان له عقل لما حصل له فی الأسر مرّتین.

أمّا اسره الواقع فی الکفر فهو علی ما رواه الشّارح المعتزلی عن ابن الکلبی أنّه لمّا قتلت مراد أباه قیسا الأشجّ خرج الأشعث طالبا بثاره، فخرجت کنده متساندین علی ثلاثه ألویه، علی أحد الألویه کبش بن هانی بن شرجیل، و علی أحدها القشعم، و علی أحدها الأشعث فأخطئوا مرادا و لم یقعوا علیهم و وقعوا علی بنی الحارث بن کعب، فقتل کبش و القشعم و اسر الأشعث ففدی بثلاثه آلاف بعیر لم یفد بها عربیّ قبله و لا بعده، فقال فی ذلک عمرو بن معدیکرب الزّبیدی فکان فداؤه ألفی بعیر و ألف من طریفات و تله و أمّا اسره الواقع فی الاسلام فهو أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لما قدمت کنده حجاجا عرض نفسه علیهم کما کان یعرض نفسه علی احیاء العرب، فدفعه بنو ولیعه من بنی عمرو بن معاویه و لم یقبلوه فلمّا هاجر صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تمهّدت دعوته و جائته و فود العرب جاءه و تد کنده و فیهم الأشعث و بنو ولیعه، فأسلموا فأطعم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بنی ولیعه من صدقات حضرموت، و کان قد استعمل علی حضرموت زیاد بن لبید البیاضی الانصاری فدفعها زیاد إلیهم فأبوا أخذها و قالوا: لا ظهر لنا فابعث بها إلی بلادنا علی ظهر

ص:۲۸۸

من عندك، فأبى زياد و حدث بينهم و بين زياد شرّ كاد يكون حربا، فرجع منهم قوم إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كتب زياد إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يشكوهم قال الشّارح المعتزلى و فى هذه الواقعه كان الخبر المشهور عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لبنى وليعه: لتنتهنّ يا بنى وليعه أو لأبعثنّ إليكم رجلا- عديل نفسى يقتل مقاتليكم و يسبى ذراريكم، قال عمر بن الخطاب: فما تمنّيت الاماره إلّا يومئذ و جعلت أنصب له صدرى رجاء أن يقول: هو هذا، فأخذ بيد علىّ و قال: هو هذا.

ثمّ كتب لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى زياد فوصلوا إليه الكتاب و قد توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و طار الخبر بموته إلى قبائل العرب فارتدّت بنو وليعه و غنّت بغاياهم و خضبن له أيديهنّ، فأمّر أبو بكر زيادا على حضرموت و أمره بأخذ البيعه على أهلها و استيفاء صدقاتهم فبايعوه إلّا بنى وليعه فلمّا خرج ليقبض الصّدقات من بنى عمرو بن معاويه أخذ ناقه لغلام منهم يعرف بشيطان بن حجر و كانت صفيّه نفيسه اسمها شذره، فمنعه الغلام عنها، و قال خذ غيرها فأبى زياد ذلك و لجّ فاستغاث الشّيطان بأخيه الغداء بن حجر، فقال لزياد دعها و خذ غيرها، فأبى زياد ذلك و لجّ الغلامان فى أخذها و لجّ زياد فهتف الغلامان مسروق بن معدى كرب، فقال مسروق لزياد: أطلقها، فأبى ثمّ قام فأطلقها فاجتمع إلى زياد بن لبيد أصحابه و اجتمع بنو وليعه و أظهروا أمرهم فتبينهم زيادوهم غارون فقتل منهم جمعا كثيرا و نهب و سبى و لحق فلهم ودّ بالأشعث بن قيس اللّعين فاستنصروه فقال لا- أنصركم حتّى تملكونى عليكم، فملكوه و توّجوه كما يتوّج الملك من قحطان فخرج إلى زياد فى جمع كثيف.

و كتب أبو بكر إلى مهاجر بن أبى أميّه و هو على صنعاء أن يسير بمن معه إلى زياد، فاستخلف على صنعاء و سار إلى زياد، فلقوا الأشعث فهزموه و قتل مسروق و لجأ الأشعث و الباقون إلى الحصن المعروف بالبخير، فحاصرهم المسلمون حصارا شديدا حتّى ضعفوا، و نزل الأشعث ليلا إلى مهاجر و زياد فسألهما الأمان على نفسه حتّى يقدما به على أبى بكر فيرى فيه رأيه على أن يفتح لهم الحصن و يسلم إليهم من فيه

و قیل بل کان فی الأمان عشره من أهل الأشعث فآمناه و أمضیا شرطه، ففتح لهم الحصن فدخلوه و استنزلوا کل من فیه و أخذوا أسلحتهم و قالوا للأشعث:

اعزل العشره، فعزلهم فترکوهم و قتلوا الباقین و کانوا ثمانمائه، و قطعوا أیدی النّساء اللواتی شمتن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فاسروا الأشعث و حملوه إلی أبی بکر موثقا فی الحدید هو و العشره.

و قیل: إنّه لمّا حاصره المسلمون و قومه بعث إلی زیاد یطلب منه الأمان لأهله و لبعض قومه، و کان من غفلته أنّه لم یطلب لنفسه بالتعیین فلمّا نزل أسره زیاد و بعث به إلی أبی بکر فسأل أبا بکر أن یستبقیه لحربه فعفا عنه و زوّجه اخته أمّ فروه بنت أبی قحافه.

و کان من جهالته أنّه بعد خروجه من مجلس عقد امّ فروه أصلت سیفه فی أزقّه المدینه و عقر کلّ بعیر رآه و ذبح کلّ شاه استقبلها للنّاس و التجأ إلی دار من دور الأنصار، فصاح به النّاس من کلّ جانب و قالوا: قد ارتدّ الأشعث مرّه ثانیه فأشرف علیهم من السّطح و قال یا أهل المدینه إنّی غریب ببلدکم قد أولمت بما نحرت و ذبحت فلیأکل کلّ إنسان منکم ما وجد و لیغد إلیّ من کان له علی حقّ حتّی ارضیه فدفع أثمانها إلی أربابها فضرب أهل المدینه به المثل و قالوا أو لم من الأشعث و فیه قال الشّاعر:

لقد أولم الکندیّ یوم ملاکه ولیمه حمّال لثقل العظائم

فإن قلت: المستفاد ممّا ذکرته أخیرا مضافا إلی ما ذکرته سابقا من أنّه فدی عند اسره فی الکفر بثلاثه آلاف بعیر أنّه کان ذا مال و ثروه فکیف یجتمع ذلک مع قوله علیه السّلام:(فما فداک من واحده منهما مالک و لا حسبک)؟ قلت: لم یرد علیه السّلام به الفداء الحقیقی و إنّما أراد به ما دفع عنک الاسر مالک و لا حسبک و ما نجاک من الوقوع فیه شیء منهما.

ثمّ أردف علیه السّلام ذلک کلّه بالاشاره إلی صفه رذیله أخری له أعنی صفه الغدر الذی هو مقابل فضیله الوفاء و قال:(و انّ امرء دلّ علی قومه السّیف و قاد إلیهم الحتف

ص:۲۹۰

لحریّ بـأن یمقته الأقرب و) حقیق بأن (لا یأمنه الأبعد) و المراد به الاشاره إلی ما سبق ذکره منّا أنّه طلب الأمان لنفسه أو له مع عشره من قومه ففتح لزیاد و مهاجر باب الحصن و عزل العشره و أسلم الباقین للقتل فقتلوا صبرا، و لا شکّ أنّ من کان کذلک لجدیر أن یمقته قومه و لا یأمنه غیرهم، و أمّا ما قاله السّید رضی اللّه عنه من أنّه أراد به حدیثا کان للأشعث مع خالد بن الولید بالیمامه إلی آخر ما مرّ ذکره، فأنکره الشّارحان الاّ أنّ البحرانی قال: و حسن الظنّ بالسّید یقتضی تصحیح نقل السّید ره.

الترجمه

از جملۀ کلام آن عالی مقام است که گفته است آن را با شعث بن قیس علیه اللعنه و العذاب در حالتی که بر بالای منبر کوفه خطبه می فرمود پس گذشت در اثنای کلام آن حضرت چیزی که اشعث بآن اعتراض نمود پس گفت ای أمیر مؤمنان این کلمه که فرمودی بر ضرر تو است نه بر نفع تو پس فرود آورد بسوی اشعث چشم خود را بعد از آن فرمود:

و چه دانا گردانید تو را بر آنچه بر من مضرّ است از آنچه بر من نفع دارد بر تو باد لعنت خدا و لعنت جمیع لعن کنندگان ای جولاه پسر جولاه و منافق پسر کافر، قسم بخدا که اسیر نمودند تو را أهل کفر یک بار و اهل اسلام یک بار دیگر، پس نجات نداد از افتادن تو در دست هر یک از أهل کفر و اسلام مال تو و نه حسب تو، و بدرستی مردی را که راهنمائی کند بر قوم خود شمشیر برنده را و بکشد بسوی ایشان مرگ و هلاک را هر آینه سزاوار است باین که دشمن دارد او را نزدیکتر او و خاطر جمع نباشد باو دورتر او، یعنی کسی که متّصف باشد بصفت غدر لایق است باین که قوم و بیگانه از او ایمن نشود و باین که او را دشمن بدارند

ص:۲۹۱

و من خطبه له عليه السّلام و هى العشرون من المختار فى

اشاره

باب الخطب

فإنّكم لو عاينتم ما قـد عاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم و سـمعتم و أطعتم، و لكن محجوب عنكم ما قـد عاينوا، و قريب ما يطرح الحجاب، و لقد بصّـِرتم إن أبصـرتم، و اسـمعتم إن سمعتم، و هديتم إن اهتديتم، بحقّ أقول لقد جاهرتكم العبر، و زجرتم بما فيه مزدجر، و ما يبلّغ عن اللّه بعد رسل السّماء إلاّ البشر.

اللغه

(جزع) الرّجـل جزعا من باب تعب ضـعف عن حمل ما نزل به فلم يجـد به صبرا و (و هل) كتعب أيضا فزع و (زجرته) زجرا من بـاب قتل منعته و ازدجر يسـتعمل لازما و متعـدّيا و (المزدجر) المتّعظ مفتعل من الزّجر، أبـدلت التّاء دالا ليوافق الزّاى بالجهر قال سبحانه: «وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ » أى متّعظ و هو بمعنى المصدر اى ازدجار عن الكفر و تكذيب الرّسل.

الاعراب

قريب مرفوع على الخبريّه، و ما مصدريّه مرفوع المحلّ على الابتداء و الجمله بعدها فى تأويل المصدر

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هـذه الخطبه له وارده فى إنـذار الجـاهلين و الغـافلين بالأهاويل و الشّدايـد الواقعه بعـد الموت و حينه فكأنّه عليه السّـلام يقول يا أهل الجهاله و العصيان المتمرّدين عن طاعه الرّحمن، حتّام على الدّنيا إقبالكم، و بشهوتها اشتغالكم،

ص:۲۹۲

و قد وخطكم القتير(۱) ، و وافاكم النّذير، و أنتم عمّا يراد بكم لاهون، و بلذّه يومكم ساهون.

(فانّكم لو عاينتم) بعين التعين الخالصه عن الشّوائب العاريه عن الغطاء و الحواجب (ما قد عاينه من مات منكم) قبلكم من غمرات الموت و سكراته؛ و أهوال القبر و ظلماته، و عقوبات البرزخ و نقماته، و عذاب الآخره و شدايدها (لجزعتم و وهلتم) و فزعتم لشدّه تلك الأهوال و هول هذه الأحوال (و) ل (سمعتم) الواعيه(۲) (و أطعتم) الدّاعيه للملازمه البيّنه بين معاينه هذه الأمور بعين اليقين و بين الجزع و الفزع و السّماع و الطاعه لربّ العالمين.

كما شهد به الكتاب المكنون: «إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنّا مُوقِنُونَ »(و لكن) نى اعتذر منكم بلسان حالكم بأنّه (محجوب عنكم ما قد عاينو) ه مستور عنكم ما قد شهدوه، و لذلك ذهلتم و غفلتم و رغبتم في الدّنيا و ألهتكم لذّاتها، و شغلتكم شهواتها ألا ـ إنّ هذا العذر غير مقبول، و ذلك الاعتذار غير نافع (و) ذلك لأنّه (قريب ما يطرح الحجاب) حين ما حلّ بك الموت و واراك التّراب و شهد عليك الرّقيب و العتيد، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد.

(و) اللّه (لقد بصّرتم) و صيّرتم مبصّرين (إن ابصرتم) و نظرتم بعيون ناظره (و اسمعتم) و صيرتم سامعين (إن سمعتم) و وعيتم بأذن واعيه (و هديتم إن اهتديتم) بعقول كامله و قلوب صافيه (بحقّ أقول لقد جاهرتكم العبر) و عالتكم الانباء و الأثر بالمصائب النّازله على الامم الماضيه، و العقوبات الواقعه فى القرون الخاليه، و ما حلّ بأهل القبور سطورا بافناء الدّور، ألا ترونهم كيف تدانوا فى خططهم، و قربوا فى مزارهم و بعدوا فى لقائهم، عمروا فخربوا، و آنسوا فأوحشوا، و سكتوا فازعجوا،

۱- (۱) القتير الشيب و الوخط بالخاء يقال و خطه القتير اى خالطه الشيب منه.

۲- (۲) الواعيه وزان كامله الصراخ و النداء بصوت عال و كذلك الداعيه و النبى داعى اللّه لانه يدعوا لناس الى الحق، منه.

و قطنوا فرحلوا.

فإنّ فى هذه الامور كلها عبره لمن اعتبر، و تذكره لمن ادّكر (و) مع هذه كلّها (زجرتم بما فيه مزدجر) من النّهى الأكيد، و الوعيد الشّديد الوارد فى الكتب الإلهيّه و السّنن النبويّه (و) بعد ذلك كله لم يبق عذر لمن اعتذروا (ما يبلغ عن اللّه بعد رسل السّماء إلّا البشر) و ما فرّط و لا قصّر، بل بلّغ و ذكر، و بشّر و أنذر حكمه بالغه فما تغنى النّذر.

و لنتبع هذه الخطبه الشريفه لأمير المؤمنين و سيّد الوصيّين بندبه جليله لسبطه الأجل زين العابدين و سيّد السّاجدين سلام اللّه عليهما من ربّ العالمين، لكون تلك النّدبه مع هذه الخطبه مطابقه المضامين، مضافا إلى ما فيها من الفوائد الجمه و المواعظ الحسنه التى يتنبّه بها الجاهل عن نوم الغفله، و يهتدى بها الضّالّ عن طريق الضّلاله.

و هى ما رواها شاكر بن غنيمه بن أبى الفضل عن عبد الجبّار الهاشمى قال:

سمعت هذه النّدبه من الشّيخ أبى بشر بن أبى طالب الكندى يرويها عن أبى عيينه الزّهرى قال: كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام يناجى و يقول:

قل لمن قلّ عزاؤه، و طال بكاؤه، و دام عناؤه، و بان صبره، و تقسم فكره، و التبس عليه أمره، من فقد الأولاد، و مفارقه الآباء و الاجداد، و الامتعاض بشماته الحسّاد: «أَ لَمْ تَرَ کَيْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِعادٍ إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ » شعر:

تعزّ فكلّ للمنيّه ذائق و كلّ ابن انثى للحياه مفارق

فعمر الفتى للحادثات ذريئه تناهبه ساعاتها و الدّقايق

كذا تتفانى واحدا بعد واحد و تطرقنا بالحادثات الطوارق

فحسّن الأعمال، و جمّل الأفعال، و قصّر الآمال الطوال، فما عن سبيل المنيه مذهب، و لا عن سيف الحمام مهرب، و لا إلى قصد النّجاه مطلب، فيا أيّها الانسان المتسخّط على الزّمان، و الدّهر الخوّان، مالك و الخلود إلى دار الأحزان، و السكون

ص:۲۹۴

إلى دار الهوان، و قد نطق القرآن بالبيان الواضح فی سوره الرّحمن: «كُلَّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ » شعر:

و فيم و حتّى م الشّكايه و الرّدى جموح لآجال البريّه لاحق

فكلّ ابن انثى هالك و ابن هالك لمن ضمّنته غربها و المشارق

فلا بدّ من إدراك ما هو كائن و لا بدّ من إتيان ما هو سابق

فالشّباب للهرم، و الصحّه للسّقم، و الوجود للعدم، و كلّ حیّ لا شكّ مخترم، بذلك جرى القلم، على صفحه اللوح فی القدم، فما هذا التلهّف و النّدم، و قد خلت من قبلكم الامم شعر:

أ ترجو نجاه من حياه سقيمه و سهم المنايا للخليقه راشق

سرورك موصول بفقدان لذّه و من دون ما تهواه تأتی العوائق

و حبّك للدّنيا غرور و باطل و فی ضمنها للراغبين البوائق

أ فی الحياه طمع، أم إلى الخلود نزع؛ أم لما فات مرتجع، و رحى المنون دائره، و فراسها غائره، و سطواتها قاهره، فقرب الزّاد، ليوم المعاد، و لا تتوطّ على غير مهاد و تعمّد الصّواب، و حقّق الجواب، فلكلّ أجل كتاب، يمحو اللّه ما يشاء و يثبت و عنده أمّ الكتاب شعر:

فسوف تلاقی حاكما ليس عنده سوى العدل لا يخفى عليه المنافق

يميّز أفعال العباد بلطفه و يظهر منه عند ذاك الحقائق

فمن حسنت أفعاله فهو فايز و من قبحت أفعاله فهو زاهق

أين السّلف الماضون، و الأهلون و الأقربون، و الأوّلون و الآخرون، و الأنبياء و المرسلون، طحنتهم و اللّه المنون، و توالت عليهم السّنون، و فقدتهم العيون، و إنّا إليهم صائرون، فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون شعر:

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا فانّا على آثارهم نتلاحق

فكن عالما أن سوف تدرك من مضى و لو عصمتك الرّاسيات الشّواهق

فما هذه دار المقامه فاعملن «فاعلمن خ» و لو عمّر الانسان ما ذرّ شارق

أين من شقّ الأنهار، و غرس الاشجار، و عمر الدّيار، ألم تمح منهم الآثار، و تحلّ بهم دار البوار، فاخش الجوار، فلك اليوم بالقوم اعتبار، فانّما الدّنيا متاع و الآخره هى دار القرار شعر:

تخرّمهم ريب المنون فلم تكن لتنفعهم جنّاتهم و الحدائق

و لا حملتهم حين ولّوا بجمعهم نجائبهم و الصّافات السّوابق

و راحوا عن الأموال صفرا و خلّفوا ذخايرهم بالرّغم منهم و فارقوا

أين من بنى القصور و الدّساكر، و هزم الجيوش و العساكر، و جمع الأموال و حاز الآثام و الجرائر، أين الملوك و الفراعنه و الأكاسره و السّياسنه، أين العمّال و الدّهاقنه أين ذووا النواحى و الرّساتيق، و الأعلام و المناجيق، و العهود و المواثيق شعر:

كأن لم يكونوا أهل عزّ و منعه و لا رفعت أعلامهم و المناجق

و لا سكنوا تلك القصور التى بنوا و لا اخذت منهم بعهد مواثق

و صاروا قبورا دارسات و أصبحت منازلهم تسفى عليه الخوافق

ما هذه الحيره و السّبيل واضح؛ و المشير ناصح، و الصواب لائح، عقلت فاغفلت، و عرفت فانكرت، و علمت فاهملت، هذا هو الدّاء الذى عزّ دواؤه، و المرض الذى لا يرجى شفاؤه، و الأمل الذى لا يدرك انتهاؤه، أ فأمنت الأيّام؛ و طول الأسقام، و نزول الحمام، و اللّه يدعو إلى دار السّلام شعر:

لقد شقيت نفس تتابع غيّها و تصدف عن إرشادها و تفارق

و تأمل ما لا يستطاع بحيله (بحمله خ) و تعصيك إن خالفتها و تشاقق

و تصغى إلى قول الغوىّ و تنثنى و تعرض عن تصديق من هو صادق

فيا عاقلا راحلا، و لبيبا جاهلا، و متيقّظا غافلا، أتفرح بنعيم زائل، و سرور حائل، و رفيق خاذل، فيا أيها المفتون بعمله، الغافل عن حلول أجله، و الخائض فى بحار زلله، ما هذا التقصير و قد و خطك القتير، و وافاك النذير، و إلى اللّه المصير شعر:

طلابك أمر لا يتمّ سروره و جهدك باستصحاب من لا يوافق

و أنت كمن يبنى بناء و غيره يعاجله فى هدمه و يسابق

و ينسج آمالا طوالا بعيده و يعلم أنّ الدهر للنسج خارق

ليست الطريقه لمن ليس له الحقيقه، و لاـ يرجع إلى خليقه؛ إلى كم تكـدح و لا تقنع و تجمع و لا تشـبع؛ و توفر لما تجمع، و هو لغيرك مودع، ما ذا الرّأى العازب، و الرشـد الغايب، و الأمل الكاذب، سـتنقل عن القصور، و ربّاب الخـدور، و الجذل و السّرور إلى ضيق القبور، و من دار الفناء إلى دار الحبور، «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَهُ الْمَوْتِ »، «وَ مَا الْحَياهُ الدُّنْيا إِلّاَ مَتاعُ الْغُرُورِ » شعر:

فعالك هذا غرّه و جهاله و تحسب يا ذا الجهل أنك حاذق

تظنّ بجهل منك أنك راتق و جهلك بالعقبى لدينك فائق

توخيّك من هذا أدلّ دلاله و أوضح برهانا بأنّك مائق

عجبا لغافل عن صلاحه، مبادر إلى لذاته و أفراحه، و الموت طريده «فى خ» مسائه و صباحه فيا قليل التحصيل، و يا كثير التعطيل، و يا ذا الأمل الطويل، «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ »، بناؤك للخراب، و مالك للذّهاب، و أجلك إلى اقتراب شعر:

و أنت على الدّنيا حريص مكاثر كأنّك منها بالسّلامه واثق

تحدّثك الاطماع أنّك للبقا خلقت و أنّ الدّهر خلّ موافق

كأنّك لم تبصر اناسا ترادفت عليهم بأسباب المنون اللّواحق

هـذه حاله من لا يـدوم سروره، و لا تتمّ اموره، و لا يفكّ أسيره، أتفرح بمالك و نفسك و ولدك و غرسك «عرسك»، و عن قليل تصير إلى رمسك، و أنت بين طيّ و نشر، و غنى و فقر، و وفاء و غـدر، فيا من القليل لا يرضـيه، و الكثير لا يغنيه، اعمل ما شئت انّك ملاقيه، «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » شعر:

سيقفر بيت كنت فرحه أهله و يهجر مثواك الصّديق المصادق

و ينساك من صافيته و ألفته و يجفوك ذو الودّ الصّحيح الموافق

على ذا مضى النّاس اجتماع و فرقه و ميت و مولود و قال و وامق

افّ لـدنيا لا يرقى سـليمها، و لا يصحّ سـقيمها، و لا يندمل كلومها، و عودها كاذبه، و سـهامها غير صائبه، و آمالها خائبه، لا تقيم على حال، و لا تمتّع بوصال، و لا تسرّ بنوال شعر:

و تلك لمن يهوى هواها مليكه تعبّده أفعالها و الطرائق

يسرّ بها من ليس يعرف غدرها و يسعى إلى تطلابها و يسابق

اذا عدلت جارت على اثر عدلها فمكروهه أفعالها و الخلايق

فيا ذا السّطوه و القدره، و المعجب بالكثره، ما هذه الحيره و الفتره، لك فيمن مضى عبره، و ليؤذن الغافلون عما إليه يصيرون، إذا تحقّقت الظنون، و ظهر السّر المكنون و تندمون حين لا تقالون، ثمّ إنّكم بعد ذلك لميّتون شعر:

سيندم فعّال على سوء فعله و يزداد منه عند ذاک التّشاهق

إذا عاينوا من ذى الجلال اقتداره و ذو قوّه من كان قد ما يداقق

هنالك تتلو كلّ نفس كتابها فيطفو ذو عدل و يرسب فاسق

إلى كم ذا التّشاغـل بالتجـاير و الأربـاح، إلى كم ذا التّهور بالسّـرور و الأفـراح، و حتّام التغرير بالسّـلامه فى مراكب النّياح، من ذا الذى سالمه الدّهر فسالم، و من ذا الذى تاجره الزّمان فغنم، و من ذا الذى استرحم الأيّام فرحم، اعتمادک على الصّـحه و السّلامه خرق، و سـكونک إلى المال و الولـد حمق، و الاغترار بعواقب الامور خلق، فدونک و حزم الامور، و التّيقظ ليوم النّشور، و طول اللبث فى صفحات القبور، فلا تغرنّكم الحياه الدّنيا و لا يغرنّكم باللّه الغرور شعر:

فمن صاحب الأيام سبعين حجّه فلذّاتها لا شكّ منه طوالق

فعقبى حلاوات الزّمان مريره و إن عذبت حينا فحينا خرابق

و من طرفته الحادثات بويلها فلا بدّ أن تاتيه فيها الصّواعق

فما هذه الطمأنينه و أنت مزعج، و ما هذه الولوج و أنت مخرج، جمعک إلى تفريق و رفوک (و فرک خ) إلى تمزيق، و سـعتک إلى ضيق، فيا أيها المفتون، و الطامع بما لا يكون، «أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ » شعر:

ستندم عند الموت شرّ ندامه إذا ضمّ أعضاك الثرى و المطابق

و عاينت أعلام المنيه و الرّدى و وافاك ما تبيضّ منه المفارق

و صرت رهينا فی ضريحک مفردا و باعدک الجار القريب الملاصق

فيا من عدم رشده، و جار قصده، و نسی ورده، إلی متی تواصل بالذّنوب و أوقاتک محدوده، و أفعالک مشهوده، أ فتعول علی الاعتذار، و تهمل الأعذار و الانذار، و أنت مقيم علی الاصرار، و لا تحسبنّ اللّه غافلا عمّا يعمل الظالمون إنّما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار شعر:

إذا نصب الميزان للفصل و القضا و إبليس محجاج و اخرس ناطق

و اجّجت النيران و اشتدّ غيظها إذا فتحت أبوابها و المغالق

و قطّعت الأسباب من كلّ ظالم يقيم علی اسراره و ينافق

فقدم التّوبه، و اغسل الحوبه، فلا بدّ أن تبلغ إليک النوبه، و حسن العمل قبل حلول الأجل و انقطاع الامل، فكلّ غائب قادم، و كلّ عريب عازم (و كل غريب غارم خ)، و كلّ مفرط نادم، فاعمل للخلاص قبل القصاص، و الأخذ بالنّواص شعر:

فانّک مأخوذ بما قد جنيته و إنّک مطلوب بما أنت سارق

و ذنبک إن أبغضته فمعانق و مالک ان أحببته فمفارق

فقارب و سدّد و اتّق اللّه وحده و لا تستقلّ الزّاد فالموت طارق

و اتقوا يوما ترجعون فيه إلی اللّه، ثمّ توفّی كلّ نفس ما كسبت و هم لا يظلمون

تكمله

المستفاد من الكافی أنّ هذه الخطبه ملتقطه من خطبه طويله و روی صدرها هناک باختلاف لما أورده السّيد هنا.

قال فی الكافی فی باب ما يجب من حقّ الإمام علی الرّعيّه: محمّد بن يحيی العطار عن بعض أصحابنا عن هارون بن مسلم عن مسعده عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لا تختانوا ولاتكم، و لا تغشّوا هداتكم، و لا تجهلوا أئمتكم و لا تصدّعوا عن حبلكم فتفشلوا و تذهب ريحكم، و علی هذا فليكن تأسيس اموركم

و ألزموا هذه الطريقه فانّكم لو عاينتم ما عاين من قد مات منكم ممّن خالف ما قد تدعون إليه لبدرتم و خرجتم و لسمعتم و لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، و قريبا ما يطرح الحجاب.

الترجمه

ای غافلان و تمرّد کنندگان از طاعت پروردگار عالمیان پس بدرستی که اگر ببینید آن چیزی را که بمعاینه دیدند کسانی که مردند از شما هر آینه بجزع و فزع در آئید، و می شنوید و اطاعت می نمائید و لکن مستور است از شما آنچه معاینه دیده اند آن را گذشتگان و نزدیکست برداشته شدن حجاب، و بتحقیق که نموده می شوید اگر ببینید بنظر بصیرت، و شنوانیده می شوید اگر بشنوید بگوش حقیقت، و هدایت یافته می شوید اگر طلب هدایت نمائید بعقل کامل و قلب صافی، براستی می گویم شما را که بتحقیق جهارا و آشکار صدا نمود شما را عبرتها، و زجر و منع کرده شدید بچیزی که در آن ازدجار و ممانعت هست از مناهی اکیده و وعیدهای شدیده، و تبلیغ نمی نماید از جانب خداوند تبارك و تعالی بعد از ملائکهٔ آسمان مگر جنس آدمیان از پیغمبران پس جای عذر نمانده شما را در تخلّف کردن از دعوت ایشان.

و من خطبه له علیه السّلام و هی الحادیه و العشرون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

فإنّ الغایه أمامکم، و إنّ ورائکم السّاعه تحدوکم، تخفّفوا تلحقوا، فإنّما ینتظر بأوّلکم آخرکم.

قال السید (ره): إنّ هذا الکلام لو وزن بعد کلام اللّه سبحانه و کلام رسوله بکلّ کلام لمال به راجحا و برز علیه سابقا، فأمّا قوله علیه السّلام تخفّفوا تلحقوا فلا سمع کلام أقلّ منه مسموعا و لا أکثر محصولا، و ما أبعد غورها من کلمه، و أنقع نطفتها

من حكمه، و قد نبّهنا فى كتاب الخصائص على عظم قدرها و شرف جوهرها

اللغه

(حدا) الابل و بها حدوا إذا زجرها و غنّى لها ليحثّها على السّير و (الغور) العمق و (النّطفه) ما صفى من الماء و ما (انقع) الماء ما أرواه للعطش و فى بعض النّسخ ما انفع بالفاء الموحّده و لا بأس به.

الاعراب

تحدوكم منصوب المحلّ على الحاليّه، و تلحقوا منصوب بكى مضمره

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من كتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحه على ما رواه فى البحار منه هو أنّ هذا الكلام له عليه السّلام من تمام الخطبه السّابقه حيث قال: و من كلام أمير المؤمنين لقد جاهرتكم العبر و زجرتم بما فيه مزدجر و ما يبلغ عن اللّه بعد رسل السّماء إلّا البشر، ألا و إنّ الغايه أمامكم اه.

و كيف كان فقد اختلف أنظار الشّراح فى تفسير هذا الكلام له و بيان المراد منه على أقوال و الأظهر عندى أنّ قوله (فانّ الغايه أمامكم) أراد بالغايه الموت كما صرّح به فى الحديث الآخر: الموت غايه المخلوقين، أى نهايتهم التى ينتهون إليها، و لأجل كونه منتهى سير المخلوقين صحّ جعله أمامهم، لأنّهم يسيرون إليه بحركه جبلّيه و توجّه غريزى فيكون أمامهم لا محاله.

و أمّا قوله:(و إنّ ورائكم السّاعه) فالمراد بالسّاعه ساعات اللّيل و النّهار سمّيت بها لأنّها تسعى النّاس بها كما سمّيت القيامه ساعه لأنّها تسعى النّاس اليها بحركه جبليّه و توجّه غريزى أيضا، كما يسعى إلى الموت و إنّما جعلها و رائنا مع كونها منبسطه على مدى العمر و انقسامها إلى الماضى و الاستقبال، باعتبار أنّها تحثّ الانسان تحثيثا و تسوقه سوقا حثيثا إلى الغايه التى أمامه أعنى الموت كما يدلّ عليه قوله:(تحدوكم) أمّا أنّها تسوقنا إليها فلأنّه بانقضائها شيئا فشيئا يكون الانسان بعيدا من

ص:۳۰۱

المبدأ قريبا إلى المنتهى، فتكون بمنزله السّايق إليه و من الواضح أنّ الحادى و السّايق من شأنه أن يكون وراء ما يحديه و يسوقه، فبذلك الاعتبار صحّ جعلها ورائنا، و يمكن استنباط ما ذكرته من تقديم الخبر على الاسم، بيان ذلك أنّ كون الموت أمام الانسان لما كان واضحا عند الكلّ أجرى الكلام فيه على الحقيقه بتقديم ما حقّه التّقديم و تأخير ما حقّه التّاخير حيث قال: فانّ الغايه أمامكم.

و أمّا كون السّاعه فى الوراء لمّا كان خفيّا بالاعتبار الذى ذكرناه من انقسامها إلى الماضى و الاستقبال، و كان نظر الجاهل دائما إلى ما بقى من عمره و إلى ما هى أمامه من السّاعات الباقيه غير ملتفت إلى ما مضى، لا جرم نبّه على أنّ ما تحسبونه أمامكم فهى فى الحقيقه ورائكم باعتبار أنّها تحدوكم، فلذلك قدّم الخبر على الاسم و قال: إنّ ورائكم السّاعه لمزيد الاهتمام به و زياده إشعاره بهذا المعنى فافهم و إذا عرفت ما ذكرناه فلنذكر ما ذكره الشّراح فى المقام فأقول:

قال الشّارح البحرانى فى شرح قوله: إنّ الغايه أمامكم: لما كانت الغايه من وجود الخلق أن يكونوا عباد اللّه، كما قال تعالى: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ »، و كان المقصود من العباده إنّما هو الوصول إلى جناب عزّته و الطيران فى حظاير القدس بأجنحه الكمال مع الملائكه المقرّبين، و كان ذلك هو غايه الانسان المطلوبه منه و المقصوده له و المأمور بالتّوجّه إليها بوجهه الحقيقى، فان سعى لها سعيها أدركها و فاز بحلول جنّات النّعيم، و إن قصر فى طلبها و انحرف صراط السّواء الموصل إليها، كان فى جهنّم من الهاوين، و كانت غايته فدخلها مع الدّاخلين، فاذن ظهر أنّ غايه كلّ إنسان أمامه إليها يسير و بها يصير.

و فى شرح: و إنّ ورائكم السّاعه تحدوكم: إنّ المراد بالسّاعه القيامه الصّغرى و هى ضروره الموت.

فأمّا كونها ورائهم فلأنّ الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت و يفرّ منه و كانت العاده فى الهارب من الشىء أن يكون ورائه مهروب منه، و كان الموت متأخّرا عن وجود الانسان و لاحقا تأخرا و لحوقا عقليّا، أشبه المهروب منه المتأخّر اللاّحق

هربا و تأخّرا و لحوقا حسيّا، فلا جرم استعير لفظ الجهه المحسوسه و هى الوراء.

و أمّا كونها تحدوهم فلأنّ الحادى لمّا كان من شأنه سوق الابل بالحداء، و كان تذكّر الموت و سماع نوادبه مقلقا مزعجا للنّفوس إلى الاستعداد لامور الآخره و الاهبه للقاء اللّه سبحانه، فهو يحملها على قطع عقبات طريق الآخره كما يحمل الحادى الابل على قطع الطريق البعيده الوحره، لا جرم أشبه الحادى فأسند الحداء إليه انتهى و أقول: أمّا ما ذكره فى شرح الفقره الاولى، ففيه أنّ الظاهر من صدر كلامه حسبما يستفاد من التّمسك بالآيه أيضا هو أنّه جعل الغايه فى كلامه عليه السّلام بمعنى العلّه الغائيه، و عليه فلا يستقيم جعل الجحيم غايه للانسان، بل و لا الجنّه أيضا إذا لغرض من خلقه الانسان هو العبوديّه كما هو نصّ الآيه الشّريفه، و أمّا المثوبه و العقوبه فهما متفرّعان عليها امتثالا و عصيانا، فلا يصحّ جعلهما غايه، و أنّ جعل الغايه بمعنى النّهايه فكونهما غايه بهذا المعنى صحيح إلاّ أنّه لا حاجه معه إلى الاستدلال بالآيه و إلى ما مهدّه من المقدّمه مضافا إلى منافاته بنصّ قوله: و كان ذلك هو غايه الانسان المطلوبه منه.

و أمّا ما ذكره فى شرح الفقره الثّانيه ففيه أنّ جعل السّاعهبمعنى الموت إمّا باعتبار أنّها حقيقه فيه عرفا أو شرعا من دون ملاحظه المناسبه بينه و بين معناها اللغوى، فيتوجّه عليه أوّلا منع الحقيقه العرفيّه أو الشرعيه، و ثانيا منع عدم ملاحظه المناسبه على تقدير تسليم الحقيقيّه بأحد الوجهين، و إمّا باعتبار أنّ إطلاقها عليه بملاحظه أنّ النّاس يسعى إليه حسبما ذكرناه سابقا فيتوجّه عليه أنّ إطلاقها عليه باعتبار أنّ النّاس يسعى إليه مع وصفه بكونه فى الوراء باعتبار أنّ النّاس يهرب منه حسبما قرّره، لا يخفى ما فيه من السّماجه فافهم جيّدا.

و قال الشّارح المعتزلى: غايه المكلفين هى الثّواب و العقاب فيحتمل أن يكون أراد ذلك، و يحتمل أن يكون أراد بالغايه الموت، و إنّما جعل ذلك أمامنا لأنّ الانسان كالسائر إلى الموت أو كالسائر إلى الجزاء، فهما أمامه أى بين يديه،

ثمّ قال: و إنّ ورائكم الساعه تحدوكم أى تسوقكم، و إنّما جعلها ورائنا لأنّها إذا وجدت ساقت النّاس إلى موقف الجزاء كما يسوق الرّاعى الابل، فلمّا كانت سائقه لنا كانت كالشىء يخفر الانسان من خلفه و يحرّكه من ورائه إلى جهه ما بين يديه انتهى و فيه أنّ الجمله الخبريّه على ما حقّقها الأصوليّون حقيقه فيما تلبّس المبتدأ بالخبر فى الحال، و استعمالها فيما لم يتلبّس به بعد مجازا إتّفاقا لا يصار إليه إلاّ بقرينه، و على ذلك فجعل كون السّاعه ورائنا بمعنى أنّها تكون ورائنا إذا وجدت مجاز لا ينبغى ارادته إلاّ بقرينه ظاهره، و هى فى المقام مفقوده.

و قال القطب الرّاوندى على ما حكى عنه الشّارح المعتزلى: معنى قوله:

فانّ الغايه أمامكم، يعنى أنّ الجنّه و النّار خلفكم، و معنى قوله: و رائكم السّاعه أى قدامكم انتهى.

و هو أردء ما ذكروه فى شرح المقام أمّا أوّلا فلأنّ الوراء بمعنى القدام و إن ورد إلاّ أنّ الأمام بمعنى الخلف لم يسمع من أحدكما ذكره الشّارح المعتزلى و ثانيا على تقدير تسليم وروده بذلك المعنى أنّ التّعبير عن الخلف بالأمام و عن القدام بالوراء مع ظهورهما فى العكس ممّا يأبى عنه الذّوق السّليم و الطبع المستقيم، فيجب تنزيه كلام الامام عليه السّلام الذى هو امام الكلام عنه.

و ثالثا أنّه إذا جعل المراد بالغايه الجنّه و النّار فلا داعى إلى حمل الأمام بمعنى الخلف كما هو ظاهر، بل إراده المعنى الظاهر الذى هو نقيض الخلف أولى حسبما ذهب إليه الشّارح المعتزلى و البحرانى على ما قدّمنا ذكره هذا.

و أمّا قوله:(تخفّفوا تلحقوا) فأصله أنّ الرّجل يسعى و هو غير مثقل بما يحمله فيكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه لأنّ التّخفيف و قطع العلايق فى الاسفار سبب السّبق و الفوز بلحوق السّابقين و كذلك الزهد فى الدنيا و تخفيف المؤنه فيها توجب اللّحوق بالسّالفين المقرّبين، و الوصول إلى درجات أولياء اللّه الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون و ما أنسب بالمقام ما رواه المحدّث الجزائرى عن سلمان الفارسى، و هو أنّه

لمّا بعث إلى المداين ركب حماره وحده، فاتّصل بالمداين خبر قدومه، فاستقبله أصناف النّاس على طبقاتهم، فلمّا رأوه قالوا: أيّها الشّيخ أين خلّفت أميرنا؟ قال:

و من أميركم؟ قالوا: الأمير سلمان الفارسى صاحب رسول اللّه، فقال لا أعرف الأمير و أنا سلمان و لست بأمير، فترجلوا له و قادوا إليه المراكب و الجنائب، فقال: إنّ حمارى هذا خير لى و أوفق، فلمّا دخل البلد أرادوا أن ينزلوه دار الاماره قال: و لست بأمير، فنزل على حانوت فى السّوق، و قال ادعوا إلىّ صاحب الحانوت، فاستأجر منه و جلس هناك يقضى بين النّاس و كان معه وطاء يجلس عليه، و مطهره يتطهّر بها للصّلاه، و عكازه يعتمد عليها فى المشى، فاتّفق أنّ سيلا وقع فى البلد فارتفع صياح النّاس بالويل و العويل يقولون: وا أهلاه و وا ولداه و وامالاه، فقام سلمان و وضع وطائه فى عاتقه و أخذ مطهرته و عكازته بيده، و ارتفع على صعيد، و قال:

هكذا ينجو المخفّفون يوم القيامه.

و روى(١) عن الشّيخ و رام طاب ثراه أنّه لمّا مرض سلمان مرضه الذى مات فيه أتاه سعد يعوده، فقال: كيف أنت يا عبد اللّه؟ فبكى فقال: ما يبكيك؟ فقال:

و اللّه ما أبكى حرصا على الدّنيا و لا حبّالها، و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عهد إلينا عهدا فقال:

ليكن بلاغ أحدكم من الدّنيا كزاد راكب، فأخشى أن نكون قد جاوزنا أمره و هذه الأساور(٢) حولى، و ليس حوله إلاّ مطهره فيها ماء، و إجانه و جفنه.

قال: و دخل رجل عليه فلم يجد فى بيته إلاّ سيفا و مصحفا، فقال له: ما فى بيتك إلاّ ما أرى؟ قال: إنّ أمامنا عقبه كئودا، و إنّا قدّمنا متاعنا إلى المنزل أوّلا فأوّلا، و قال: وقع الحريق فأخذ سلمان سيفه و مصحفه، و قال: هكذا ينجو المخفّفون.

ثمّ إنّه عليه السّلام لمّا أمرهم بالتخفيف و حثّهم على قطع العلايق علّله بقوله:(فانّما ينتظر بأوّلكم آخركم)يعنى إنّما ينتظر بالبعث الأكبر و القيامه الكبرى للذين

١- (١) اى الجزايرى.

٢- (٢) اساور جمع اسوره و لعله كنى بها عن اساس البيت.

ماتوا أوّلا وصول الباقين و موتهم.

و تحقيق ذلك الانتظار على ما حقّقه الشّارح البحرانى أنّه لمّا كان نظر العنايه الآلهيّه إلى الخلق نظرا واحدا و المطلوب منهم واحدا و هو الوصول إلى جناب عزّه اللّه الذى هو غايتهم، أشبه طلب العنايه الإلهيّه وصول الخلق إلى غايتهم انتظار الانسان لقوم يريد حضور جميعهم و ترقبه بأوائلهم و وصول أواخرهم، فأطلق عليه لفظ الانتظار على سبيل الاستعاره، و لمّا صوّر ههنا صوره انتظارهم لوصولهم؛ جعل ذلك علّه لحثّهم على التخفيف و قطع العلايق، و لا شكّ أنّ المعقول لاولى الألباب من ذلك الانتظار حاثّ لهم أيضا على التّوجه بوجوه أنفسهم إلى اللّه و الاعراض عمّا سواه

الترجمه

پس بدرستى كه غايه يعنى مرگ در پيش شماست و بدرستى كه در عقب شماست ساعتهاى روز و شب در حالتى كه ميراند شما را بسوى مرگ، سبك شويد تا لاحق شويد، پس بتحقيق كه انتظار كشيده شده بلاحق شدن پيشينيان پسينيان شما گفته است سيّد رضى رضى اللّه عنه بدرستى كه اين كلام امام اگر موازنه بشود بعد از كلام خدا و رسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بهر كلامى هر آينه ميل مى كند اين كلام بجميع كلامها در حالتى كه راجح است، و غالب مى شود به آنها در حالتى كه سابق است، أمّا فرمايش آن حضرت تخفّفوا تلحقوا پس شنيده نشده كلامى كه كمتر باشد از او از حيثيّت لفظ و نه بيشتر باشد از حيثيّت معنى و چه قدر بعيد است عمق اين كلمهٔ طيّبه و چه قدر رافع عطش است آب صافى اين حكمه لطيفه، بتحقيق كه تنبيه كرده ايم ما در كتاب خصايص خود بر عظمت قدر و شرافت جوهر آن كلمهٔ عالى مرتبه، وفّقنا اللّه لفهم نكات تلك الكلمات بجاه محمّد و آله

و من خطبه له عليه السّلام و هى الثانيه و العشرون من المختار

اشاره

فى باب الخطب

خطب بها حين بلغ أنّ طلحه و الزّبير خلعا بيعته، و هى ملتقطه من خطبه طويله مرويه فى شرح البحرانى و قد وردت فصول منها فى طرق عليحده مختلفه بزياده و نقصان يأتى إلى بعضها الاشاره، و ما رواه السّيد رحمه اللّه:

ألا و إنّ الشّيطان قد ذمّر حزبه، و استجلب جلبه، ليعود الجور إلى أوطانه، و يرجع الباطل إلى نصابه، و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا، و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا، و إنّهم ليطلبون حقّا هم تركوه، و دما هم سفكوه، فلئن كنت شريكهم فإنّ لهم لنصيبهم منه، و لئن كانوا و لوه دونى فما التّبعه إلاّ عندهم، و إنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم، يرتضعون أمّا قد فطمت، و يحيون بدعه قد أميتت، يا خيبه الدّاعى من دعا، و إلى ما أجيب و إنّى لراض بحجّه اللّه عليهم، و علمه فيهم، فإن أبوا أعطيتهم حدّ السّيف، و كفى به شافيا من الباطل، و ناصرا للحقّ، و من العجب بعثتهم «بعثهم خ» إلىّ أن ابرز للطّعان، و أن اصبر للجلاد، هبلتهم الهبول لقد كنت و ما أهدّد بالحرب، و لا أرهّب بالضّرب، و إنّى لعلى يقين من ربّى، و غير شبهه من دينى.

ص:۳۰۷

اللغه

(ذمر) یروی بالتّخفیف و التّشدید و هو الحثّ و الحضّ، و التّشدید دلیل التّکثیر و المبالغه لأنّهم یقولون: إنّ الزّیاده فی البناء لزیاده المعنی، قال فی الکشّاف و ممّا طنّ علی اذنی من ملح العرب أنّهم یسمّون مرکبا من مراکبهم بالشّقدق، و هو مرکب خفیف لیس فی ثقل حمال العراق، فقلت فی طریق الطایف لرجل منهم: ما اسم هذا المحمل؟ أردت محمل العراقی فقال: ألیس ذلک اسمه الشقدق؟ قلت: بلی، فقال هذا اسمه الشّقنداق، فزاد فی بناء الاسم لزیاده المعنی.

و (جلبت) الشیء جلبا من باب ضرب و قتل، و الجلب بفتحتین فعل بمعنی مفعول و هو ما تجلبه من بلد إلی بلد، قال الشّارح المعتزلی و یروی جلبه و جلبه و هما بمعنی، و هو السّحاب الرقیق الذی لا ماء فیه أی جمع قوما کالجهام الذی لا نفع فیه و فی المصباح عن الأزهری و ابن فارس (نصاب) کلّ شیء أصله و الجمع نصب و أنصبه مثل حمار و حمر و أحمره و (النّصف) بتثلیث النون و سکون الصّاد اسم بمعنی الانصاف.

و اعتراض الشّارح المعتزلی علیه بأنّ المعنی لا یحتمله، لأنّه لا معنی لقوله:

و لا جعلوا بینی و بینهم إنصافا، بل النّصف بمعنی الذی ینصف، و المعنی لم یجعلوا بینی و بینهم ذا إنصاف، ممّا لا یکاد یظهر وجهه و (ولی) الشیء و علیه ولایه من باب حسب إذا ملک أمره و (التّبعه) کفرحه تقول: لی قبل فلان تبعه و هی الشیء الذی لک فیه بغیه شبه ظلامه و نحوها و (فطم) الصّبیّ من باب ضرب إذا فصله عن الرضاع و (حدّ السّیف) الموضع القاطع منه و (الجلاد) المجادله بآله الحرب و (هبلته) امّه بکسر الباء ثکلته و (الهبول) الثکول التی لم یبق لها ولد

الاعراب

یا خیبه الدّاعی نداء علی سبیل التّعجب من عظم خیبه الدّعاء إلی قتاله، و هو نظیر النداء فی قوله تعالی: یا حسره علی العباد، أی یا خیبه احضری فهذا أوانک و کلمه من إمّا مرفوع المحل علی الابتداء و الفعل بعده خبر؛ أو منصوب المحلّ

اضمر عامله على شريطه التفسير فلا محلّ لما بعده، إذ الجمله المفسّره لا محلّ لها على الأصح.

و قال ابن هشام: إنّ جمله الاشتغال ليست من الجمل التى تسمّى فى الاصطلاح جمله تفسيريه و إن حصل بها تفسير، و كيف كان فجمله من دعا على الأوّل جمله اسميّه، و على التقدير الثّانى جمله فعليّه، و شافيا و ناصرا منصوبان على الحاليّه و الواو فى قوله و ما اهدّد زايده، و كنت بمعنى ما زلت اى ما زلت لا أهدّد بالحرب.

قال الشّارح المعتزلى: و هذه كلمه فصيحه كثيرا ما يستعملها العرب، و قد ورد فى القرآن العزيز كان بمعنى ما زال فى قوله: و كان اللّه عليما حكيما، و نحو ذلك من الآى و المعنى: لم يزل اللّه عليما حكيما.

المعنى

اشاره

قد أشرناأنّ هذه الخطبه من خطب الجمل وارده فى معرض التّعرض على النّاكثين و قد وقع التّصريح بذلك فى بعض طرقها حسبما تأتى إليها الاشاره، و قد كنّى عنهم بحزب الشّيطان و جنود إبليس كما قال:(ألا و إنّ الشّيطان قد ذمر حزبه)و حشا قبيله(و استجلب جلبه) و جمع جمعه (ليعود الجور إلى أوطانه) كما كان عليها أولا (و يرجع الباطل إلى نصابه) و أصله الذى كان عليه سابقا (و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا) و هو قتل عثمان حيث نسبوه إليه عليه السّلام و زعموا أنّه منكر فأنكروه عليه فردّهم بانكار كونه منكرا، و على تقدير تسليمه بعدم صحّته لنسبته إليه و على كلّ تقدير فانكارهم عليه يكون منكرا (و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا) و عدلا إذ لو جعلوا ميزان العدل فى البين يظهر بطلان دعواهم (و) ذلك ل (أنّهم ليطلبون حقّا) أى حقّ قصاص (هم تركوه) حيث أمسكوا النّكير على قاتليه (و دما هم سفكوه) لأنّهم أوّل من ألب النّاس على عثمان و أغرى بدمه، كما يشهد به قوله عايشه: اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا.

يدلّ عليه ما فى روايه أبى مخنف الآتيه من قوله: اللّهمّ إنّ طلحه نكث بيعتى و ألب على عثمان حتّى قتله ثمّ عضهنى به و رمانى اللّهمّ فلا تمهله

ص:۳۰۹

و عن الطبری فی تاریخه انّ علیّا کان فی ماله بخیبر لما أراد النّاس حصر عثمان فقدم المدینه و النّاس مجتمعون علی طلحه فی داره، فبعث عثمان إلیه علیه السّلام یشکو أمر طلحه فقال علیه السّلام: أما أکفیکه؟ فانطلق إلی دار طلحه و هی مملوّه بالنّاس فقال له یا طلحه: ما هذا الأمر الذی صنعت بعثمان؟ فقال طلحه: یا أبا الحسن بعد أن مسّ الحزام الطبیین(۱) ، فانصرف علیّ علیه السّلام إلی بیت المال فأمر بفتحه فلم یجدوا المفتاح، فکسر الباب و فرّق ما فیه علی النّاس فانصرفوا من عند طلحه حتّی بقی وحده، فسرّ عثمان بذلک، و جاء طلحه إلی عثمان فقال له: یا أمیر المؤمنین إنّی أردت أمرا فحال اللّه بینی و بینه و قد جئتک تائبا، فقال: و اللّه ما جئت تائبا و لکن جئت مغلوبا، اللّه حسبک یا طلحه.

و روی أنّ الزّبیر لمّا برز لعلیّ علیه السّلام یوم الجمل قال له: ما حملک یا عبد اللّه علی ما صنعت؟ قال: أطلب بدم عثمان، فقال: أنت و طلحه و لیتماه و إنّما توبتک من ذلک أن تقدّم نفسک و تسلّمها إلی ورثته.

و بالجمله فقد ظهر ممّا ذکرناه أنّه لا ریب فی دخولهم فی قتل عثمان و مع مکان ذلک الدّخول لا یجوز لهم المطالبه بدمه.

توضیح ذلک أنّ دخولهم فیه إمّا أن یکون بالشرکه، و إمّا أن یکون بالاستقلال و علی أیّ تقدیر فلیس لهم أن یطلبوا بدمه و قد أشار إلی الشق الأوّل بقوله:(فلان کنت شریکهم فیه فانّ لهم لنصیبهم منه) و اللازم علیهم حینئذ أن یبدءوا بأنفسهم و یسلّموها إلی أولیاء المقتول ثمّ یطالبوا بالشریک، و إلی الشقّ الثانی بقوله:(و ان کان ولوه) و باشروه (دونی فما التبعه إلاّ قبلهم) و اللازم علیهم حینئذ أن یخصّوا أنفسهم بالمطالبه (و انّ اعظم حجّتهم لعلی أنفسهم) حیث یدعون دعوی ضررها عاید إلیهم لقیام الحجّه فیها علیهم (یرتضعون امّا قد فطمت) أی یطلبون الشیء بعد فواته لأنّ الامّ إذا فطمت ولدها فقد انقضی إرضاعها.

و لعلّ المراد به أنّ مطالبتهم بدم عثمان لغو لا فایده فیه، و یحتمل أن یکون

۱- (۱) الطبی حلمه الثدی و جاوز الحزام الطبیین اذا اشتد الامر ش.

المراد بالامّ التى قد فطمت ما كان عادتهم فى الجاهليّه من الحميّه و الغضب و إثاره الفتن، و بفطامها اندراسها بالاسلام فيكون قوله:(و يحيون بدعه قد اميتت) كالتّفسير له.

و قال الشّارح البحرانى: استعار لفظ الأمّ للخلافه فبيت المال لبنها و المسلمون أولادها المرتضعون، و كنّى بارتضاعهم لها عن طلبهم منه من الصّلات و التّفضيلات، مثل ما كان عثمان يصلهم به و يفضل بعضهم على بعض و كونها قد فطمت عن منعه عليه السّلام و قوله:و يحيون بدعهإشاره إلى ذلك التّفضيل، فانّه كان بخلاف سنّه رسول اللّه و البدعه مقابله السنّه، و إماتتها تركه عليه السّلام فى ولايته ذلك (يا خيبه الدّاعى) احضرى فهذا أوان حضورك و الدّاعى هو أحد الثلاثه طلحه و الزّبير و عايشه، كما صرّح به الشّارح المعتزلى أيضا.

ثمّ قال على سبيل الاستصغار لهم و الاستحقار (من دعا) أى أحقر القوم دعاهم هذا الدّاعى (و إلى ما اجيب) أى أقبح بالأمر الذى أجابوه إليه فما أفحشه و أرذله (و إنّى لراض ب) قيام (حجّه اللّه عليهم) و هو أمره سبحانه بقتال الفئه الباغيه كما قال: فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتّى تفىء إلى أمر اللّه (و) ب (علمه فيهم) بما يصنعون (فان أبوا) عن طاعتى و امتنعوا من الملازمه على مبايعتى مع قيام هذه الحجّه من اللّه سبحانه عليهم (أعطيتهم حدّ السّيف) القاطع امتثالا لأمر اللّه سبحانه و ابتغاء لمرضات اللّه (و كفى به) أى بذلك السّيف حالكونه (شافيا من الباطل و ناصرا للحقّ) هذا.

(و من العجب) كلّ العجب (بعثتهم إلىّ) مع علمهم بحالى فى الشّجاعه و الحرب و الصّبر على المكاره (بأن ابرز للّطعان و) تهديدهم علىّ ب (أن اصبر للجلاد) ثكلتهم الثّواكل و (هبلتهم الهبول) كيف يهدّدونى و يرهّبونى (لقد كنت و ما اهدّد بالحرب و) ما زلت (لا ارهب بالضّرب) و ذلك (لأنّى على يقين من ربّى) و على بصيره من أمرى (و غير شبهه من دينى) فليس لمثلى أن يهدّد و يرهّب، لأنّ الموقن بأنّه على الحقّ ناصر للّه ذابّ عن دين اللّه أشدّ صبرا و أقوى جلدا و أثبت قدما فى

مقام الجدال و معرکه الجهاد و القتال، لأنّ ثقته باللّه سبحانه علی کلّ حال

تکمله

قد أشرنا سابقا إلی أنّ هذه الخطبه ملتقطه من خطبه طویله مرویه فی شرح البحرانی، و قدّمنا لک أیضا فی شرح کلامه العاشر أنّ هذا الکلام أیضا من فصول هذه الخطبه فینبغی أن نورد الخطبه بتمامها حتّی یتّضح لک الحال، ثمّ نشیر إلی بعض ما وردت فیها فقرات من هذه الخطبه علی غیر انساق و انتظام بتوفیق اللّه المتعال.

فأقول: تمام الخطبه علی ما رواها الشّارح البحرانی أنّه علیه السّلام حین بلغه أنّ طلحه و الزّبیر خلعا بیعته قال بعد حمد اللّه و الثّناء علیه و الصّلاه علی رسوله:

أیّها النّاس إنّ اللّه افترض الجهاد فعظّمه و جعله نصرته و ناصره، و اللّه ما صلحت دنیا و لا دین إلّا به، و قد جمع الشّیطان حزبه، و استجلب خیله، و من أطاعه لیعود له دینه و سنّته و خدعه، و قد رأیت امورا قد تمخضّت(۱) و اللّه ما أنکروا علیّ منکرا و لا جعلوا بینی و بینهم نصفا، و أنّهم لیطلبون حقّا ترکوه، و دما سفکوه، فان کنت شریکهم فیه فانّ لهم لنصیبهم منه، و إن کانوا ولوه دونی فما الطلبه إلّا قتلهم و إنّ أوّل عدلهم لعلی أنفسهم و لا اعتذر ممّا فعلته و لا تبرّء مما صنعت و إنّ معی لبصیرتی ما لبست و لا لبس علیّ، و إنّها للفئه الباغیه فیها الحمّ (۲) و الحمّه طالت جلبتها و انکفت(۳) جونتها(۴) ، لیعودنّ الباطل فی نصابه.

یا خیبه الدّاعی من دعی لو قیل(۵) ما انکر فی ذلک و ما امامه و فیمن سنّته و اللّه إذا لزاح الباطل من نصابه و انقطع لسانه، و ما أظنّ الطریق له فیه واضح حیث

۱- (۱) تحرکت م.

۲- (۲) الحم بتشدید المیم و فتح الحاء بقیه الالیه التی اذیبت و اخذ دهنها و الحمه السواد و هما استعارتان لارذال الناس و عوامهم لمشابهتهم حم الالیه و ما اسود منها من قله المنفعه و الخیر، ابن میثم

۳- (۳) استدارت.

۴- (۴) و الجونه بالضم القدر

۵- (۵) یعنی لو سأل سائل مجادلا لهؤاء الدعاه الی الباطل عما انکروه من امری و عن امامهم - الذی به یقتدون و فیمن سنتهم التی الیها یرجعون یشهد لسان حالهم بأنی انا امامهم و فی سنتهم فانزاح باطلهم الذی اتوا به و انقطع لسانه، ابن میثم.

نهج و اللّه ما تاب(۱) من قتلوه قبل موته، و لا تنصّل(۲) من خطيئه و ما اعتذر إليهم فعذروه، و لا دعى فنصروه و أيم اللّه «لا قرطنّ لهم حوضا أنا ما نحته»(۳) لا يصدرون عنه بريّ و لا يعبّون(۴) حسوه(۵) ابدا و أنها لطيبه نفسى بحجّه اللّه عليهم و علمه فيهم و انّى راعيهم فمعذر إليهم فان تابوا و أقبلوا و أجابوا و أنابوا فالتّوبه مبذوله، و الحقّ مقبول و ليس على كفيل، و إن أبوا أعطيتهم حدّ السّيف و كفى به شافيا من باطل و ناصرا لمؤمن، و مع كلّ صحيفه شاهدها و كاتبها، و اللّه إنّ الزّبير و طلحه و عايشه ليعلمون أنّى على الحقّ و هم مبطلون هذا.

و فى شرح المعتزلى عن أبى مخنف قال: حدّثنا مسافر بن عفيف بن أبى الأخنس قال: لمّا رجعت رسل علىّ من عند طلحه و الزّبير و عايشه يؤذنونه بالحرب قام فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال:

أيّها النّاس إنّى قد راقبت هؤلاء القوم كى يرعوا و يرجعوا، و وبّختهم بنكثهم و عرّفتهم بغيّهم فلم يستحيوا، و قد بعثوا إلىّ أن ابرز للطعان فاصبر للجلاد، و إنّما تمنيك نفسك أمانى الباطل و تعدك الغرور ألا هبلتهم الهبول لقد كنت و ما أهدّد بالحرب، و لا ارهّب بالضّرب و لقد أنصف القاده من راماها، فليرعدوا و ليبرقوا، فقد رأونى قديما و عرفوا نكايتى فكيف رأونى أنا أبو الحسن الذى فللت حدّ المشركين و فرقت جماعتهم، و بذلك القلب ألقى عدوّى اليوم، و إنّى لعلى ما وعدنى ربّى من النّصر و التّأييد، و على يقين من أمرى و فى غير شبهه من دينى.

أيّها النّاس إنّ الموت لا يفوته المقيم و لا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيد

۱- (۱) اى عثمان.

۲- (۲) اى تبرء

۳- (۳) هكذا نقله هنا و ذكر فى المختار العاشر: لا فرطن لهم حوضا أنا ماتحه، و لعله الصحيح، «المصحح»

۴- (۴) العب الشرب من غير مص.

۵- (۵) الحسوه بالضم قدر ما يحسى مره واحده منه.

و لا محيص من لم يقتل مات، و إنّ أفضل الموت القتل، و الذى نفس علىّ بيده لألف ضربه بالسّيف أهون من موته واحده على الفراش اللّهمّ إنّ طلحه نكثت بيعتى و ألب علىّ عثمان حتى قتله ثمّ عضهنى به و رمانى اللّهمّ فلا تمهله، اللّهمّ إنّ الزبير قطع رحمى و نكث بيعتى و ظاهر على عدوّى فاكفنيه الموت بما شئت.

و عن أبى الحسن علىّ بن محمّد المداينى عن عبد اللّه بن جناده قال: قدمت من الحجاز اريد العراق فى أوّل أماره علىّ، فمررت بمكّه فاعتمرت ثمّ قدمت المدينه فدخلت مسجد رسول اللّه إذا نودى الصّلاه جامعه فاجتمع النّاس و خرج علىّ متقلدا سيفه فشخصت الأبصار نحوه فحمد اللّه و صلى على رسوله ثم قال:

أمّا بعد فانّه لمّا قبض اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قلنا نحن أهله و ورثته و عترته و أولياؤه دون النّاس، لا ينازعنا سلطانه أحد و لا يطمع فى حقّنا طامع إذ انتزى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا و سرنا سوقه يطمع فينا الضّعيف، و يتعزّز علينا الذليل فبكت العين منّا لذلک، و خشنت الصّدور و جزعت النّفوس و أيم اللّه لو لا مخافه الفرقه بين المسلمين، و أن يعود الكفر و يبور الدّين، لكنّا على ما غير «غير ما ظ» كنّا لهم عليه فولى الامر ولاه لم يألوا النّاس خيرا ثمّ استخرجتمونى أيّها النّاس من بيتى فبايعتمونى على شأن منّى لأمركم و فراسه تصدقنى ما فى قلوب كثير منكم و بايعنى هذان الرّجلان فى أوّل من بايع يعلمون ذلک، و قد نكثا و غدرا و نهضا إلى البصره بعايشه ليفرّقا جماعتكم، و يلقيا بأسكم بينكم.

اللّهمّ فخذهما بما عملا أخذه واحده رابيه، و لا تنعش لهما صرعه و لا تقلهما عثره، و لا تمهلهما فواقا، فانّهما يطلبان حقّا تركاه و دما سفكاه اللهمّ إنّى أقتضيک وعدک فإنّک قلت و قولک الحقّ لمن بغى عليه لينصرنّه اللّه اللّهمّ فأنجز لى موعدى و لا تكلنى إلى نفسى انّک على كلّ شىء قدير أقول: و هذه الرّوايه كما ترى صريحه فى اغتصاب الخلافه و أنها انتزعت منه عليه السّلام ظلما و جورا من دون أن يكون له عليه السّلام رضا فيه كما أنّها صريحه(۱) فى أنّ تولى ولاه السّوء لها لم يكن قصدا للخير منهم، و إنّما كان حبّا للرّياسه و اتّباعا للهوى

۱- (۱) يدل على ذلک قوله: فولى الامر ولاه لم يألوا الناس خيرا، منه.

و من العجب أنّ الشّارح المعتزلى مع روايته هذه يزعم أنّه عليه السّلام إنّما ترک الأمر إليهم برضى منه و ميل، و أنّهم تولوا الأمر ملاحظه لصلاح الشّريعه و مراعاه لمصلحه الاسلام، كما مرّ تفصيلا فى شرح الخطبه الشقشقيّه، فجزاهم اللّه عن الاسلام و أهله شرّ الجزاء.

و عن الكلينى قال: لمّا أراد علىّ عليه السّلام المصير إلى البصره قام فخطب النّاس فقال بعد أن حمد اللّه و صلّى على رسوله:

إنّ اللّه لمّا قبض نبيّه استأثرت علينا قريش بالأمر و دفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من النّاس كافه، فرأيت أنّ الصّبر على ذلک أفضل من تفريق كلمه المسلمين و سفک دمائهم، و النّاس حديثو عهد بالاسلام، و الدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى و هن و يعكسه أقلّ خلف (خلق خ ل) فولى الأمر قوم لم يألو فى أمرهم اجتهادا، ثمّ انتقلوا إلى دار الجزاء و اللّه ولىّ تمحيص سيئاتهم، و العفو عن هفواتهم فما بال طلحه و الزّبير و ليسا من هذا الأمر بسبيل، لم يصبرا علىّ حولا و لا أشهرا حتّى و ثبا و مرقا و نازعانى أمرا لم يجعل اللّه لهما إليه سبيلا بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين؛ يرتضعان امّا قد فطمت، و يحييان بدعه قد اميتت ادم عثمان زعما و اللّه ما التّبعه إلاّ عندهم و فيهم و إنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم، و أنا راض بحجّه اللّه عليهم و علمه فيهم فان فاءا أو أنا بافحظّهما احرز او أنفسهما غنما و اعظم بهما غنيمه و إن أبيا اعطيتهما حدّ السّيف و كفى به ناصرا لحقّ و شافيا لباطل، ثمّ نزل.

و عن أبى مخنف عن زيد بن صوحان قال: شهدت عليّا بذى قار و هو معتم بعمامه سوداء و ملتفّ بساج يخطب، فقال فى خطبته:

الحمد للّه على كلّ أمر و حال فى الغدوّ و الآصال، و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا عبده و رسوله، انبعثه رحمه للعباد، و حياه للبلاد، حين امتلأت الأرض فتنه و اضطرب حبلها و عبد الشّيطان فى أكنافها و اشتمل عدوّ اللّه إبليس على عقايد أهلها فكان محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطلب الذى أطفأ اللّه به نيرانها، و أخمد به شرارها، و نزع به أوتادها و أقام به ميلها امام الهدى، و النبىّ المصطفى، فلقد صدع بما أمر به

ص:۳۱۵

و بلّغ رسالات ربّه فأصلح اللّه به ذات البين، و آمن به السّبل، و حقن به الدّماء، و الف به بين ذوى الضّعاين الواغره فى الصّدور حتّى أتاه اليقين.

ثمّ قبضه اللّه إليه حميدا ثمّ استخلف النّاس أبا بكر فلم يأل جهده، ثمّ استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده، ثمّ استخلف النّاس عثمان فنال منكم و نلتم منه حتّى إذا كان من أمره ما كان، أتيتمونى لتبايعونى فقلت لا حاجه لى فى ذلك و دخلت منزلى فاستخرجتمونى فقبضت يدى فبسطتموها و تداككتم علىّ حتّى ظننت أنّكم قاتلى و أنّ بعضكم قاتل بعض فبايعتمونى و أنا غير مسرور بذلك، و لا جذل و قد علم اللّه سبحانه أنّى كنت كارها للحكومه بين امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و لقد سمعته يقول: ما من وال يلى شيئا من أمر امّتى إلّا اتى به يوم القيامه مغلوله يداه إلى عنقه على رءوس الخلايق، ثمّ ينشر كتابه فان كان عادلا نجا، و إن كان جائرا هوى حتّى اجتمع علىّ ملاءكم و بايعنى طلحه و الزّبير و أنا أعرف الغدر فى أوجههما، و النّكث فى أعينهما ثمّ استأذنانى فى العمره فأعلمتهما أن ليس العمره يريدان، فسارا إلى مكّه و استخفّا عايشه و خدعاها و شخصا معها أبناء الطلقاء، فقدموا البصره و قتلوا بها المسلمين، و فعلوا المنكر.

و يا عجبا لاستقامتهما على أبى بكر و عمر و بغيهما علىّ و هما يعلمان أنّى لست دون أحدهما، و لو شئت أن أقول لقلت: و لقد كان معاويه كتب إليهما من الشّام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عنّى و خرجا يوهمان الظعام أنّهما يطلبان بدم عثمان، و اللّه ما أنكرا علىّ منكرا، و لا جعلا بينى و بينهم نصفا، و إنّ دم عثمان لمعصوب بهما و مطلوب منهما.

يا خيبه الدّاعى إلى مدعى إنّما ذا اجيب و اللّه إنّهما لعلى ضلاله صمّاء، و جهاله عمياء، و إنّ الشّيطان قد ذمر لهما حزبه، و استجلب منهما خيله و رجله ليعد الجور إلى أوطانه و يردّ الباطل إلى نصابه، ثمّ رفع يديه فقال:

اللهمّ إنّ طلحه و الزّبير قطعانى و ظلمانى و ألبا علىّ و نكثا بيعتى فاحلل ما

عقدا، و انكث ما ابرما، و لا تغفر لهما أبدا و أرهما المسائه فيما عملا و أمّلا

الترجمه

از جمله خطبه شریفهٔ آن حضرت است در مذمت طلحه و زبیر و اتباع ایشان که نسبت دادند خون عثمان علیه اللعنه و النّیران را بـان امـام عالمیـان: آگاه باش بـدرستی که شیطان لعین برانگیخت گروه خود را و بکشید سپاه خود را تا باز گردانـد سـتم را بجایهـای خود و راجع گردانـد باطـل را بأصـل خود، بخداونـد سوگنـد انکار نکرده انـد بر من فعل منکر را که عبارت است از نسبت قتل عثمان بمن، و نگردانیده اند میان من و خودشان انصاف و عدل را و بدرستی که آنها هر آینه طلب میکننند حقّیرا که خـود ترک کرده انـد و خـونی را که خود ریخته انـد پس اگر بودم من شـریک ایشـان در آن خون پس بتحقیق ایشـان راسـت نصـیب ایشان از آن خون و اگر ایشان خودشان مباشـر آن خون شدند بدون من پس در این صورت نیست عقوبت بازخواسـت مگر از ایشان و بدرستی که بزرگترین حجه ایشان بر نفسهای ایشان است، شـیر می خواهند از مادری که از شیر باز گرفته بچهٔ خود را، و زنـده میکننـد بـدعتی را که میرانیـده شـده است، ای نومیـدی دعوت کنند حاضـر باش که وقت حضور تو است چه کس است آنکه دعوت نمود او را این داعی، و بچه چیز جواب داده شـد و بـدرستی که من خوشـنودم بحجه خـدا بر ایشـان و بعلم حقّ تعالی در شان آن جمع پریشان، پس اگر امتناع بکنند از طاعت من که طاعت خداست بدهم بایشان تیزی شمشیر بران را و کافیست آن شمشـیر در حالتی که شـفا دهنده است از باطل و یاری دهنده میباشد از برای أهل حقّ، و از جمله امور عجیبه است فرستادن ایشان بسوی من این که بیرون آی از برای نیزه زدن و صبر کن از برای شمشیر کشیدن، بی فرزند باد مادر ایشان و در مـاتم ایشـان گریه کنـد زنهـای گریه کننـده هر آینه بوده ام که تهدیـد کرده نشـده ام بمحـاربه و تخویف کرده نشـده ام بمضاربه، و بدرستی که من بر یقینم از پروردگار خود و بی شبهه ام از دین استوار خویش،

پس تهدید و تخویف بی ثمر خواهد شد.

و من خطبه له علیه السّلام و هی الثالثه و العشرون من المختار

اشاره

فی باب الخطب و شرحها

فی ضمن فصلین

الفصل الاول

اشاره

و هو مرویّ فی الکافی باختلاف تطلع علیه بعد الفراغ من شرح ما أورده السید هنا أمّا بعد، فإنّ الأمر ینزل من السّماء إلی الأرض کقطر المطر، إلی کلّ نفس بما قسّم لها من زیاده و نقصان، فإذا رای أحدکم لأخیه غفیره فی أهل أو مال أو نفس، فلا تکوننّ له فتنه، فإنّ المرء المسلم ما لم یغش دنائه تظهر، فیخشع لها إذا ذکرت، و یغری بها لئام النّاس، کالفالج الیاسر الّذی ینتظر أوّل فوزه من قداحه، توجب له المغنم، و یرفع بها عنه المغرم، و کذلک المسلم البریء من الخیانه، ینتظر إحدی الحسنیین: إمّا داعی اللّه فما عند اللّه خیر له، و إمّا رزق اللّه فإذا هو ذو أهل و مال و معه دینه و حسبه، إنّ المال و البنین حرث الدّنیا و العمل الصّالح حرث الآخره، و قد یجمعهما اللّه لأقوام، فاحذروا من اللّه ما حذّرکم من نفسه، و اخشوه خشیه لیست بتعذیر، و اعملوا فی غیر ریاء و سمعه، فإنّه من یعمل لغیر اللّه یکله اللّه إلی من عمل له، نسئل اللّه منازل الشّهداء، و معایشه السّعداء، و مرافقه الأنبیاء.

ص:۳۱۸

(الغفيره) قال الرّضىّ: هى ههنا الزّياده و الكثره من قولهم للجمع الكثير الجمّ الغفير و يروى عفوه من أهل أو مال و العفوه الخيار من الشىء يقال أكلت عفوه الطعام أى خياره.

أقول: و يحتمل أن يكون العفوه من العفو بمعنى الزّياده أيضا، و به فسّر قوله تعالى: و يسئلونك ما ذا ينفقون قل العفو قال الشّاعر:

و لكنّا يعضّ السّيف منّا باسوق عافيات الشّحم كوم

اى زائدات الشّحم و (غشى) فلانا كرضى أتاه و (غرى) به كرضى أيضا ولع به و أغراه به ولعه و (الفالج) الفايز من السّهام من الفلج و هو الظفر و الفوز و (الياسر) القامر و اللاعب بالمسير قال سبحانه: يسئلونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير و منافع للنّاس، و هو كمنزل اشتقاقه إمّا من اليسر و هو السّهوله لأنّه أخذ لمال الرّجل بيسر و سهوله من غير كدّ و لا تعب، أو من اليسار لانه سبب يساره، و قيل من اليسر بمعنى التجزئه لأنّ كلّ شىء جزئته فقد يسرته يقال: يسروا الشىء أى اقسموه فالجزور نفسه يسمّى ميسرا لأنّه يجزء أجزاء، و الياسر الجازر لأنّه يجزء لحم الجزور ثمّ يقال للضّاربين بالقداح و المتقامرين على الجزور: إنّهم يا سرون، لأنّهم بسبب ذلك الفعل يجزءون لحم الجزور.

قال الفيروز آبادى: الميسر كمنزل اللّعب بالقداح أو هو الجزور التى كانوا يتقامرون عليها، كانوا إذا ارادوا أن ييسروا اشتروا جزورا نسئه و نحروه قبل أن ييسروا و قسموه ثمانيه و عشرين قسما أو عشره أقسام، فاذا خرج واحد واحد باسم رجل رجل ظهر فوز من خرج لهم ذوات الانصباء و غرم من خرج له الغفل و قال الزّمخشرى فى الكشّاف: كانت لهم عشره قداح و هى: الأزلام و الأقلام الفذ و التّوام و الرّقيب و الحلس بفتح الحاء و كسر اللام و قيل بكسر الحاء و سكون اللام و المسبل و المعلى و النّافس و المنيح و السفيح و الوغد، لكلّ واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها و يجزءونها عشره أجزاء و قيل ثمانيه و عشرين جزء إلّا لثلاثه

ص:٣١٩

و هى المنيح و السّفيح و الوغد و لبعضهم فى هذا المعنى شعر:

لى فى الدّنيا سهام ليس فيهنّ ربيح و أساميهنّ و غد و سفيح و منيح

فللفذّ سهم و للتّوأم سهمان و للرقيب ثلاثه و للحلس أربعه و للنّافس خمسه و للمسبل ستّه و للمعلى سبعه يجعلونها فى الرّبابه و هى الخريطه و يضعونها على يد عدل ثمّ يجلجلها يدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قد حا منها، فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح، و من خرج له قدح لا نصيب له لم يأخذ شيئا و غرم ثمن الجزور كلّه، و كانوا يدفعون تلك الانصباء إلى الفقراء و لا يأكلون منها و يفتخرون بذلك و يذمّون من لم يدخل فيه و يسمونه البرم انتهى و (التعذير) إظهار العذر ممّن لا عذر له فى الحقيقه، قال الفيروز آبادى قوله تعالى: «وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ »، بتشديد الذّال المكسوره أى المعتذرون الذين لهم عذر، و قد يكون المعذر غير محقّ فالمعنى المقصّرون بغير عذر قال: و قرء ابن عبّاس بالتخفيف من أعذر و كان يقول: و اللّه لهكذا انزلت، و كان يقول: لعن اللّه المعذّرين و كان المعذّر عنده إنّما هو غير المحقّ و بالتّخفيف من له عذر.

الاعراب

الباء فى قوله بما قسم لها بمعنى على، و ما فى قوله ما لم يغش دنائه ظرفيّه مصدريه، و جمله تظهر منصوب المحلّ على أنّها صفه لدناءه، و جمله فيخشع أيضا منصوب المحلّ لكونها عطفا على تظهر، و مثلها جمله يغرى بها، و قوله كالفالج خبر انّ، و الياسر صفه و أصل الكلام كالياسر الفالج أى كالقامر الفايز و قدم الوصف على الموصوف على حدّ قوله سبحانه: و غرابيب سود.

قال الشّارح المعتزلى: و حسن ذلك ههنا إنّ اللّفظتين صفتان و ان كانت إحداهما مرتّبه على الاخرى، و جمله توجب له المغنم صفه للفوزه، و يرفع إمّا بالبناء على الفاعل و فيه ضمير مستتر راجع إلى الفالج، و المغرم منصوب على المفعوليه أو بالبناء على المفعول، و المغرم مرفوع على النيابه عن الفاعل، و قوله: فاذا هو ذو أهل

إذا للمفاجاه، و العمل الصّالح بالرّفع و النّصب، و قوله: ليست بتعذير، أى ليست بذات تعذير، أى تقصير فخذف المضاف كقوله تعالى: «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ اَلنّارِ »، أى ذى النار، و من فى قوله: من يعمل شرطيّه و يعمل و يكله مجزومان على حدّ قوله: من يعمل سوء يجز به.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مدار هذه الخطبه الشّريفه على تأديب الفقراء بعدم الوقوع فى الفتنه من الحسد و نحوه بما يشاهدونه فى الاغنياء و على تأديب الأغنياء بالتّزهيد عن المال و جمعه و على العمل بالاخلاص و إخلائه من السّمعه و الرّياء و على التّرغيب فى صله الأرحام و التّرهيب عن القطيعه بذكر منافع الصله و مفاسد القطيعه، و مدار هذا الفصل على الثّلاثه الاول، كما أنّ مدار الفصل الآتى على الرّابع.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّه عليه السّلام مهد أوّلا مقدّمه شريفه ليبنى عليها غرضه و محصّلها أنّ جميع الامور إنّما هو بقضاء إلهىّ و قدر ربّانىّ و أنّ ما يحدث من زياده أو نقصان أو يتجدّد فيما يكون به صلاح حال الخلق فى أمر المعاش و المعاد إنّما هو صادر عن القسمه الرّبانيّه، فلو تفكّر فى ذلك العاقل و تدبّر فيه رضى بما قدّره اللّه تعالى فى حقّه و ما قسّمه عليه و على غيره، فاذن لا يقع فى الفتنه و الحسد لو رأى لغيره مزيّه عليه و إلى هذه المقدّمه أشار بقوله:

(أما بعد) حمد اللّه سبحانه و الصّلاه على رسوله و آله (فانّ الأمر) أى الأمورات المقدّره الحادثه فى العالم السّفلى (ينزل من السّماء إلى الأرض) و يخرج من القوّه إلى الفعل و يوجد فى المواد السّفليه الخارجيّه بعد أن كان ثابتا فى الصّحايف العلويه (ك) نزول (قطر المطر) إلى الأرض بأيدى المدبّرات كما قال سبحانه: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَهُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ »، أى كلّ أمر قدّره اللّه فى حقّ العباد و قسّمه (إلى كلّ نفس) بمقدار (ما قسّم لها) و قدّر فى حقّها (من زياده أو نقصان) أو قلّه أو كثره كما قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ »

(فاذا) كان نزول الامور بتقدير اللّه سبحانه و تفريقها بتقسيم الملك العادل على وفق الحكمه و اقتضاء المصلحه و (رأى أحدكم لأخيه) المؤمن (غفيره) و زياده (فى أهل أو مال أو نفس) أو رفعه أو مكانه (ف) لابدّ له أن يرضى بقسمه الجبّار و أن (لا تكوننّ) رؤيه هذه الغفيره (له فتنه) و لا توجب له ضلالا و لا توقع له فى الحسد و لا تبعث له إلى الرّغبه إلى الأغنياء و اخلاص السّعى لهم و لخدمتهم للطمع بما فى أيديهم (فانّ) هذه كلّها تكون شاغله له عن سلوك سبيل الحقّ، حاجبه عن التّوجّه إلى اللّه، مانعه عن الوصول إلى رضوان اللّه و فيها دنائه النّفس و رذاله الطبع و (المرء المسلم ما لم يغش دنائه تظهر) و لم يأت على رذاله تشهر بين النّاس (فيخشع لها إذا ذكرت) و يستحيى من ذكرها و يلزمه بارتكابها الخجل (و تغرى بها لئام النّاس) و عوامهم فى فعل مثلها أو هتك سرّه بها كان (كالفالج الياسر) و القامر الفايز (الذى ينتظر) فى قماره و لعبه بالاقداح (أوّل فوزه من قداحه توجب له) هذه الفوزه (المغنم) و يأخذ بها نصيبه الموسوم به (و ترفع بها عنه المغرم) و يدفع ضرر الغرامه عنه.

و (كذلك المرء المسلم) الصّائن لنفسه الحافظ لدينه العارى من الدّنائه و (البرئ من الخيانه ينتظر) فى حياته مع صبره عن المعصيه فوز (إحدى الحسنيين إمّا) أن يدعوه (داعى اللّه) بقبضه إليه فيستجيب له و يفوز إذن بالنّعيم المقيم و يدخل الجنّه التى عرضها الأرض و السّماء (فما عند اللّه خير له) و أبقى و هى فوزه لا تفنى (و إمّا) أن يفتح له أبواب (رزق اللّه) و يدركه كرامه اللّه (فاذا هو ذو أهل و مال و معه دينه و حسبه) فيفوز الفوز العظيم مع الأمن من العذاب الأليم و هو أفضل عند العاقل من الفتنه بالغير و الالتفات عن اللّه و تدليس لوح النّفس برذايل الأخلاق من الحسد و نحوه.

و ذلك من حيث (إنّ المال و البنين حرث الدّنيا و العمل الصالح حرث الآخره) و من كان يريد(١) حرث الآخره نزد له فى حرثه و من كان يريد حرث الدّنيا نؤته

١- (١) الآيه فى سوره الشورى منه.

منهـا و ما له فی الآخره من نصـیب، فحرث الـدّنیا حقیر و حرث الآخره جلیل خطیر، و المال و البنون زینه الحیاه الـدّنیا و الباقیات الصّالحات خیر عند ربّک ثوابا و خیر أملا.

(و قـد یجمعهمـا اللّه لأقوام) و ما کان قولهم(۱) إلاّ أن قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا و إسـرافنا فی أمرنا و ثبّت أقـدامنا و انصـرنا علی القوم الکافرین، فأتیهم اللّه ثواب الـدّنیا و حسن ثواب الآخره و اللّه یحبّ المحسـنین (فاحذروا من اللّه) و اتّقوه (بما حذرکم من نفسه) بقوله: «فَلْیَحْذَرِ الَّذِینَ یُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِیبَهُمْ فِتْنَهٌ أَوْ یُصِیبَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ »(و اخشوه خشیه) صادقه (لیست ب) ذات (تعذیر) إذ الاعتذار إنّما ینفع عند من هو جاهل بالسّرایر و محجوب عمّا فی الضّمایر.

و أمّا اللّه العالم الخبیر بما فی الصّـدور فلیس للاعتـذار عنـده نفع و لا ثمر، و ینبّؤ الانسان(۲) یومئـذ بما قدّم و أخّر، بل الانسان علی نفسه بصـیره و لو ألقی معاذیره، فیجزی المعتذرون جزاء ما کانوا یعملون، فیومئذ(۳) لا ینفع الذین ظلموا معذرتهم و لا هم یستعتبون.

(و اعملوا فی غیر ریاء و لا سـمعه) أی عملا خالصا مخلصا عنهما و فی حذف المتعلّق دلاله علی العموم فیشمل جمیع الأعمال و یدلّ علی وجوب الاخلاص فی الکلّ کما قال الصّادق علیه السّـلام: لا بدّ للعبد من خالص النّیه فی کلّ حرکه و سـکون لأنّه إذا لم یکن بهذا المعنی یکون غافلا و الغافلون قد وصفهم اللّه تعالی فقال: إن هم الاّ کالأنعام بل هم أضلّ سبیلا، و قال: اولئک هم الغافلون.

قـال بعض العلمـاء فی تفسیر ذلـک: یجب أن یکون للعبـد فی کـلّ شـیء یفعله و عمل یعمل من نیّه اخلاص حتّی فی مطعمه و مشربه و ملبسه و نومه و نکاحه، فانّ ذلک کله من أعماله التی یسأل عنها و یجازی علیها فان کانت للّه و فی اللّه کانت فی

۱- (۱) اقتباس من الآیه الشریفه فی سوره آل عمران. منه.

۲- (۲) اقتباس من الآیه فی سوره القیامه، منه.

۳- (۳) الآیه فی سوره الروم.

ميزان حسنانه، و إن كانت فى سبيل الهوى و لغير اللّه كانت فى ميزان سيّئاته، و كان صاحبها فى الدّنيا على مثال البهايم الرّاتعه و الأنعام المهمله السّارقه و لا يكون على الحقيقه إنسانا مكلّفا موفّقا و كان من الذين ذكرهم اللّه بقوله: أغفلنا قلبه عن ذكرنا أى وجدناه غافلا كقولك: دخلت بلده فاعمرتها أى وجدتها عامره فهو غافل عمّا يأتيه و يذره متبعا لهواه فيما يورده و يصدره.

ثمّ علّل عليه السّلام وجوب ترک الرّيا بقوله:(فانّه من يعمل لغير اللّه يكله اللّه إلى من عمل له) و يقطع عنه ميامن لطفه و ألطاف نظره.

و معناه ما رواه أحمد بن فهد فى عدّه الدّاعى عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال يقول اللّه تعالى: أنا خير شريک و من اشرک معى شريكا فى عمله فهو لشريكى دونى لأنّى لا أقبل إلّا ما خلص لى.

قال: و فى حديث آخر أنا أغنى الشّركاء عن الشّرک فمن عمل عملا ثمّ اشرک فيه غيرى فأنا منه برىء و هو للّذى أشرک به دونى هذا.

و لمّا كان همّته عليه السّلام مقصوره على طلب السّعاده الاخرويّه أردف كلامه بقوله (نسأل اللّه منازل الشّهداء و معايشه السّعداء و مرافقه الأنبياء) قال الشّارح البحرانى و فى ذلک جذب للسّامعين إلى الاقتداء به فى طلبها و العمل بها و بدء عليه السّلام بطلب أسهل المراتب الثلاثه للانسان و ختم بأعظمها فانّ من حكم له بالشّهاده غايته أن يكون سعيدا، و السّعيد غايته أن يكون فى زمره الأنبياء رفيقا لهم، و هذا هو التّرتيب اللّايق من المؤدّب الحاذق، فانّ المرتبه العاليه لا تنال دفعه دون نيل ما هو أدون منها.

تكميل استبصارى

فى بيان معنى الرّياء

و ذكر بعض ما وردت فيه من الآيات و الأخبار و الإشاره إلى أقسامه و إلى الدّواء النّافع له فالكلام فى مقامات أربعه.

المقام الاول

فى تحقيق معنى الرّياء و السّمعه

فنقول: إنّ الرّياء هو ترک الاخلاص بملاحظه

غیر اللّه فیه و أصله من الرّؤیه کأنه لا یعمل إلاّ إذا رأی النّاس و رأوه، و السّمعه بالضمّ کالرّیاء إلاّ أنّها تتعلّق بحاسّه السّمع و الرّیاء بحاسّه البصر.

و عن الفارابی فی دیوان الأدب یقال: فعل ذلک ریاء و سمعه إذا فعل ذلک لیراه النّاس و یسمعوا به.

و قال الغزالی فی إحیاء العلوم: الرّیاء مشتقّ من الرّؤیه، و السّمعه مشتقّه من السّماع و إنّما الرّیاء أصله طلب المنزله فی قلوب النّاس بایرائهم خصال الخیر الا أنّ الجاه و المنزله تطلب فی القلب بأعمال سوی اللّه، و اسم الرّیاء مخصوص بحکم العاده بطلب المنزله فی القلوب بالعبادات و إظهارها، فحدّ الرّیاء هو إراده العباد بطاعه اللّه، فالمرائی هو العابد، و المرائی هو النّاس المطلوب رؤیتهم بطلب المنزله فی قلوبهم، و المرائی به هو الخصال التی قصد المرائی إظهارها، و الرّیاء قصد إظهار ذلک.

أقول: و الأولی ما ذکرناه، لکونه شاملا للعبادات و غیرها فعلا و ترکا حسبما تعرفه فی الأقسام الآتیه، و ما ذکره مختصّ بفعل العبادات فقط فلا یعمّ.

الثانی

فی ذکر بعض ما ورد فیه من الآیات و الأخبار.

قال اللّه سبحانه: فویل للمصلّین الذینهم عن صلاتهم ساهون، و الذینهم یراؤن و قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّ النّار و أهلها یعجّون من أهل الرّیاء، فقیل: یا رسول اللّه کیف تعجّ النّار؟ قال: من حرّ النّار التی یعذّبون بها.

و قال أیضا: ینادی المرائی یوم القیامه بأربعه أسماء: یا کافر، یا فاجر، یا غادر یا خاسر، ظلّ «ضلّ» سعیک، و بطل عملک، و لا خلاق لک، التمس الأجر ممّن کنت تعمل له یا مخادع و قال أیضا: إنّ أوّل ما یدعی یوم القیامه رجل جمع القرآن، و رجل قاتل فی سبیل اللّه، و رجل کثیر المال فیقول اللّه عزّ و جلّ للقاری ألم اعلمک ما انزلت علی رسولی؟ فیقول: بلی یا ربّ فیقول: ما عملت به فیما علمت؟ فیقول: یا ربّ قمت به فی

آناء اللیل و أطراف النّهار، فیقول اللّه تعالی: کـذبت و تقول الملائکه کـذبت: و یقول اللّه تعالی: إنّما أردت أن یقال فلان قاری فقد قیل ذلک.

و یؤتی بصـاحب المـال فیقول اللّه تعـالی: ألم أوسّع علیـک حتّی لم أدعـک تحتـاج إلی أحـد؟ فیقول: بلی یـا ربّ، فیقول: فما عملت فیمـا آتیتک؟ قال: کنت أصل الرّحم و أتصـدّق، فیقول اللّه تعالی: کـذبت، و تقول الملائکه: کـذبت، و یقول اللّه تعالی: بل أردت أن یقال فلان جواد و قد قیل ذلک.

و یؤتی بالـذی قتـل فی سبیـل اللّه فیقول اللّه تعـالی: مـا فعلت؟ فیقول: امرت بالجهاد فی سبیل اللّه فقاتلت حتّی قتلت، فیقول اللّه تعالی: کـذبت، و تقول الملائکه کـذبت، و یقول اللّه تعالی: بل أردت أن یقال فلان جریّ شـجاع فقد قیل ذلک، ثمّ قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: اولئک خلق اللّه تسعرهم نار جهنّم، و هذه الأخبار رویناها من کتاب الأنوار للمحدّث الجزائری.

و فی الوسائل عن الکلینیّ بإسناده عن فضل أبی العبّاس عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:

مـا یصـنع أحـدکم أن یظهر حسـنا و یسـرّ سـیّئا أ لیس یرجع إلی نفسه فیعلم أنّ ذلـک لیس کـذلک و اللّه عزّ و جـلّ یقول: بل الانسان علی نفسه بصیره، إنّ السّریره إذا صحّت قویت العلانیه.

و عن السّکونی عنه علیه السّلام أیضا قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: سیأتی علی النّاس زمان تخبث فیه سرایرهم و تحسن فیه علانیتهم طمعا فی الـدّنیا، لا یریدون به ما عند ربّهم یکون دینهم ریاء لا یخالطهم خوف یعمهم اللّه بعقاب فیدعونه دعاء الغریق فلا یستجیب لهم.

و عن البرقیّ فی کـتـاب المحـاسن عن یحیی بن بشـیر النّبال عمّن ذکره عن أبی عبـد اللّه علیه السّـلام قال: من أراد اللّه عزّ و جلّ بالقلیل من عمله أظهره اللّه أکثر ممّا أراده به، و من أراد النّاس بالکثیر من عمله فی تعب من بـدنه و سـهر من لیله أبی اللّه إلاّ أن یقلّله فی عین من سمعه و روی الصّدوق فی کتاب عقاب الأعمال بإسناده عن علیّ بن جعفر عن أخیه

موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه صلوات اللّه عليهم قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يؤمر برجال إلى النّار فيقول اللّه عزّ و جلّ لمالك: قلّ للنّار: لا تحرق لهم أقداما فقد كانوا يمشون بها إلى المساجد، و لا تحرق لهم وجوه «ها ظ» فقد كانوا يسبغون الوضوء، و لا تحرق لهم أيدى فقد كانوا يرفعونها بالدّعاء، و لا تحرق لهم ألسنه فقد كانوا يكثرون تلاوه القرآن، قال: فيقول لهم خازن النّار: يا أشقيا ما كان حالكم؟ قالوا: كنّا نعمل لغير اللّه عزّ و جلّ فقيل لنا خذوا ثوابكم ممّن عملتم.

و فى الوسائل عن الكلينىّ بإسناده عن جرّاح المداينىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعباده ربّه أحدا» قال: الرّجل يعمل شيئا من الثّواب لا يطلب به وجه اللّه إنّما يطلب تزكيه النّفس يشتهى أن يسمع به النّاس فهذا الذى أشرك بعباده ربّه، ثمّ قال: ما من عبد أسرّ خيرا فذهبت الأيام أبدا حتّى يظهر اللّه له خيرا، و ما من عبد يسرّ شرّا فذهبت الأيام حتّى يظهر اللّه له شرّا.

و عن السّكونى عنه عليه السّلام أيضا قال: قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا سعد بحسناته يقول اللّه عزّ و جلّ: اجعلوها فى سجّين إنّه ليس ايّاى أراد به.

و عن علىّ بن عقبه عن أبيه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: اجعلوا أمركم هذا للّه و لا تجعلوا للنّاس فانّه ما كان للّه فهو للّه و ما كان للنّاس فلا يصعد إلى اللّه.

و فى عدّه الداعى لأحمد بن فهد الحلّى عن الشّيخ أبى جعفر محمّد بن أحمد بن علىّ القمّى نزيل الرّى فى كتابه المنبى عن زهد النبىّ عن عبد الواحد عمّن حدّثه عن معاذ بن جبل قال: قلت: حدّثنى بحديث سمعته من رسول اللّه و حدّثته من دقايق ما حدثك به قال نعم و بكى معاذ.

ثمّ قال: بأبى و أمّى حدّثنى و أنا رديفه فقال: بينا نحن نسير إذ رفع بصره إلى السّماء فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الحمد للّه الذى يقضى فى خلقه ما أحبّ، ثمّ قال: يا معاذ

قلت: لبيك يا رسول اللّه و سيّد المؤمنين، قال: يا معاذ قلت: لبيّك يا رسول اللّه امام الخير و نبيّ الرّحمه قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم احدّثك شيئا ما حدّث نبيّ امته إن حفظته نفعك عيشك و إن سمعته و لم تحفظه انقطعت حجّتك عند اللّه.

ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، إنّ اللّه خلق سبعه أملاك قبل أن يخلق السّماوات فجعل فى كلّ سماء ملكا قد جلّلها بعظمته و جعل على كلّ باب من أبواب السّماء بوّابا فيكتب الحفظه عمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسى ثمّ ترفع الحفظه بعمله و له نور كنور الشّمس، حتّى إذا بلغ سماء الدّنيا فتزكّيه و تكثره فيقول الملك قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الغيبه فمن اغتاب لا أدع عمله تجاوزنى إلى غيرى أمرنى بذلك ربّى.

قال: صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ يجىء الحفظه عن الغد و معهم عمل صالح فتمرّ به و تزكّيه و تكثّر حتّى تبلغ السّماء الثّانيه فيقول الملك الذى فى السّماء الثّانيه: قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنّما أراد بهذا العمل عرض الدّنيا أنا صاحب الدّنيا لا أدع عمله يتجاوزنى إلى غيرى و هو يحبّ الدّنيا.

قال: ثمّ تصعد الحفظه بعمل العبد مبتهجا بصدقه و صلاه فتعجّب به الحفظه و تجاوزه إلى السّماء الثّالثه فيقول الملك قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك صاحب الكبر فيقول: إنّه عمل و تكبر على النّاس فى مجالسهم أمرنى ربّى أن لا أدع عمله يتجاوزنى إلى غيرى.

قال: و تصعد الحفظه بعمل العبد يزهر كالكوكب الدّرىّ فى السّماء له دوىّ بالتّسبيح و الصّوم و الحجّ فتمر به إلى السّماء الرّابعه فيقول لهم الملك: قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و بطنه أنا ملك العجب إنّه كان يعجب بنفسه و إنّه عمل و أدخل نفسه العجب أمرنى ربّى أن لا أدع عمله يتجاوزنى إلى غيرى.

قال: و تصعد الحفظه بعمل العبد كالعروس المزفوفه إلى أهلها فتمرّ به إلى ملك السّماء الخامسه بالجهاد و الصّدقه ما بين الصّلاتين و كذلك العمل له رنين كرنين

الابل علیه ضوء كضوء الشّمس فیقول الملک: قفوا أنا ملک الحسد و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و احملوه علی عاتقه، إنّه كان یحسد من یتعلّم أو یعمل للّه بطاعته و إذا رأی لأحد فضلا فی العمل و العباده حسده و وقع فیه فیحملوه علی عاتقه و یلعنه عمله.

قال: و تصعد الحفظه بعمل العبد من صلاه و زكاه و حجّ و عمره فیتجاوز به إلی السّماء السّادسه فیقول الملائكه: قفوا أنا صاحب الرّحمه اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و اطمسوا عینیه، لأنّ صاحبه لم یرحم شیئا إذا أصاب عبدا من عباد اللّه ذنبا للآخره أو ضرّاء فی الدّنیا شمت به أمرنی ربّی أن لا أدع عمله یجاوزنی إلی غیری.

قال: و تصعد الحفظه بعمل العبد بفقه و اجتهاد و ورع و له صوت كالرعد و ضوء كضوء البرق و معه ثلاثه آلاف ملک فتمرّ بهم إلی ملک السّماء السّابعه فیقول الملک: قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملک الحجاب أحجب كلّ عمل لیس للّه إنّه أراد رفعه عند القوّاد و ذكرا فی المجالس وصیتا فی المداین أمرنی ربّی أن لا أدع عمله یتجاوزنی إلی غیری ما لم یكن للّه خالصا.

قال: و تصعد الحفظه بعمل العبد مبتهجا به من صلاه و زكاه و صیام و حجّ و عمره و خلق الحسن و صمت و ذكر كثیر تشیّعه ملائكه السّماوات و الملائكه السبعه بجماعتهم فیطئون الحجب كلّها حتّی یقوموا بین یدیه سبحانه فیشهدوا له بعمل و دعاء فیقول سبحانه: أنتم حفظه عمل عبدی و أنا رقیب علی ما فی نفسه إنّه لم یردنی بهذا العمل علیه لعنتی فیقول الملائكه: علیه لعنتک و لعنتنا.

قال: ثمّ بكی معاذ قال: قلت: یا رسول اللّه ما أعمل و اخلص قال: اقتد نبیّک یا معاذ فی الیقین قال: قلت: أنت رسول اللّه و أنا معاذ قال: فان كان فی عملک تقصیر یا معاذ فاقطع لسانک عن إخوانک و عن حمله القرآن، و لتكن ذنوبک علیک لا تحمّلها علی إخوانک، و لا تزكّ نفسک بتذمیم إخوانک، و لا ترفع نفسک بوضع

إخوانک، و لا تراء بعملک، و لا تداخل من الدّنيا فى الآخره، و لا تفحش فى مجلسک لکى يحذروک لسوء خلقک، و لا تناج مع رجل و أنت مع آخر، و لا تعظم على النّاس فتنقطع عنک خيرات الـدّنيا، و لا تمزق النّاس فتمزقک کلاب أهل النّار، قال اللّه تعالى: «و الناشـطات نشطا» أ فتدرى ما الناشطات؟ إنّه کلاب أهل النّار تنشط اللّحم و العظم قلت: و من يطيق هذه الخصال؟ قال: يا معاذ أما أنّه يسير على من يسّر اللّه تعالى عليه قال: و ما رأيت معاذا يکثر تلاوه القرآن کما يکثر تلاوه هذا الحديث

الثالث

فى أقسام الرّيا و الوجوه المتصوّره فيه،

و هى کثيره إلاّ أنّها منشعبه عن قسمين أحدهما الرّياء المحض و الثانى الرّياء المشوب.

أمّا الرّياء المحض فهو أن لا يکون مراده بالعباده إلاّ الدّنيا و رؤيه النّاس کالذى يصـلّى بين أظهر النّاس، و لو کان منفردا لکان لا يصـلّى بـل ربّمـا يصـلّى من غير طهـاره مع النّاس، فهـذا يجب أن يترک لأنّه معصـيه لا طاعه فيه أصـلا و أمّا الرّياء المشوب فهو يتصوّر على وجوه.

أحـدها أن يعقـد على الاخلاص قلبه ثمّ يطرأ الرّياء و دواعيه مثل أن يفتتـح الصّـلاه بالاقبال فيـدخل عليه داخل أو ينظر إليه ناظر فيقول له الشّيطان: رد صلاتک حسنا حتّى ينظر إليک هذا الناظر بعين الوقار فتخشع جوارحه و يحسن صلاته.

و ذلک مثل ما روى أنّ رجلا لا يقدر على الاخلاص فى العمل فاحتال و قال:

إنّ فى ناحيه البلـد مسـجدا مهجورا لا يدخله أحد فأمضـى إليه ليلا و أعبد اللّه فيه، فمضـى إليه فى ليله ظلماء و کان ذات رعد و برق و مطر فشـرع فى العبـاده فبينمـا هو فى الصـلاه إذ دخـل عليه داخـل فـأحسّ به فـدخله السّـرور برؤيه ذلک الـدّاخل له و هو مشـتغل بالعباده فى الليله المظلمه، فأخـذ فى الجـدّ و الاجتهاد فى عبادته إلى أن جاء النّهار فنظر إلى ذلک الـدّاخل فاذا هو کلب أسود قـد دخل المسـجد ممّا أصابه من المطر فندم الرّجل على ما فعل و قال: يا نفس إنّى فررت من أن اشـرک بعباده ربى أحدا فوقعت أن أشرکت فى عبادته کلبا وا أسفا وا ويلا على هذا

الثّانى أن يأتيه الشّيطان من معرض الخير و يقول له: اعمل هـذا العمل ليقتـدى بك النّاس فيحصل لك أجر من عمل به، و هـذه المكيـده أعظم من الأولى و ينخدع بها من لا ينخـدع بتلك و هو عين الرّيا لأنّه اذا رأى هذه الحاله خيرا لا يرتضـى بغيره تركها فلم تركه و هو فى الخلوه و ليس أحد أغرّ على الانسان من نفسه.

الثّالث أن يتنبّه العاقل لهاتين و يستحيى من المخالفه بين صـلاته فى الخلاء و الملاء فيحسن صـلاته فى الخلوه ليطابق الجلوه، و هذا أيضا من الرّيا لأنّه حسن صلاته فى الخلوه ليحسن فى الملاء فكان نظره فى عمله إلى النّاس.

الرّابع أن ينظر إليه النّاس و هو فى صـلاته فيعجز الشّيطان عن ايقاعه فى الرّياء بأن يقول له: اخشع لأجلهم و لكن يقول له: تفكّر فى عظمه اللّه و جبروته و من أنت واقف بين يـديه و استحى أن ينظر اللّه إلى قلبـك و أنت غافـل عنه فيحضـر بـذلك و تجتمع جوارحه و يظنّ أنّ ذلـك عين الاخلاص و هو عين الرّيـا فـانّ خشوعه لو كـان لنظره إلى عظمه اللّه لم لم يكن حالته فى الخلوه هكـذا؟ الخامس أن يكمل العباده على الاخلاص لكن عرض له بعـد الفراغ حبّ اظهارها لتحصـيل بعض الأغراض، و ذلك بأن يخـدعه الشّيطان و يقول له: إنّك قـد أكملت العباده الخالصه و قـد كنت فى ديوان المخلصـين و لا يقـدح فيها ما يتجدّد و إنّما ينضمّ إلى ما حصّله بها من الخير الآجل خير عاجل فيحدث به و يظهره، و هو أيضا مبطل للعمل و مفسد له و إن سبق.

قال الصّادق عليه السّـلام من عمل حسنه سرّا كتبت له سرّا فإذا أقرّ بها محيت و كتبت جهرا، فاذا أقرّ بها ثانيا محيت و كتبت رياء و فضل عمل السّـر على عمل الجهر سـبعون ضـعفا، نعم لو تعلّق باذا عته غرض صحيح كما لو أراد ترغيب الغير فيه إذا لم يمكن الترغيب بدونه لم يكن به بأس.

السّادس أن يترك العمل خوفا من الرّيا، و هذا أيضا من خدايع إبليس اللّعين لأنّ غرضه الأقصى ترك العمل فاذا لم تجب إليه و اشتغلت به فيدعوك إلى

الرّيا و غيره فاذا تركته فقد حصلت غرضه.

قال ابن فهد فى عدّه الدّاعى و مثال ذلک من سلم إليه مولاه حنطه فيها قليل من المباين إمّا شعير أو مدر، و قال: خلّصها من التّراب مثلا-و نقّها منه تنقيه جيّده بالغه، فيترک أصل العمل و يقول: أخاف إن اشتغلت به ألاّ يخلص خلاصا صافيا و يترک العمل من أصله.

السّابع أن يترک العمل لا لذلک بل خوفا على النّاس أن يقولوا إنّه مرائى فيعصون اللّه تعالى به، و هذا أيضا کسابقه رياء خفىّ لأنّ ترک العمل خوفا من أن يقال له: إنه مرائى عين الرّياء، و لو لا حبّه لمحمدتهم و خوفه من مذمّتهم فما له و لقولهم إنّه مراء أو قالوا إنّه مخلص و أىّ فرق بين ترک العمل خوفا من قولهم: إنّه مراء و بين أن يحسن العمل خوفا من قولهم: إنّه مقصّر غافل مع ما فى ذلک من سوء الظنّ بالمسلمين، و من إطاعه الشّيطان فى ترک العمل.

الثّامن أن يکون ترک العمل إشفاقا على المسلمين بأن يقول له إبليس اللعين: اترک العمل إشفاقا على المؤمنين من وقوعهم فى الاثم بظنّ السّوء و ترکک العمل إشفاقا عليهم يقوم مقام العمل و يحصل لک بذلک الثّواب لأنّ نظر المصلحه للمسلمين حسنه فيعادل الثّواب الحاصل من العمل بل هو أفضل لأنّه متعدّ إلى الغير؛ و هذا الخيال من غوايل النّفس الأماره المايله إلى الکساله و البطاله و مکيده عظيمه من الشّيطان الخبيث لما لم يجد إليک مسلکا فصدّک من هذا الطريق و زيّن لک هذا التّنميق.

قال ابن فهد و وجه فساده يظهر من وجوه:

الأوّل أنّه عجّل لک الوقوع فى الاثم المتيقّن فانّک ظننت أن يظنّوا بک انّک مراء، و هذا ظنّ سوء و على تقدير وقوعه منهم يلحقهم به إثم و ظنّک هذا بهم أيضا ظنّ سوء يلحقک به الاثم إذا لم يکن مطابقا لما ظننت بهم و ترکت العمل من أجله فعدلت من ظنّ موهوم إلى إثم معلوم، و حذرا من لزوم اثم لغيرک فأوقيت فيه نفسک.

الثّانی أنّک إذن وافقت إراده الشّیطان بترک العمل الـذی هو مراده، و ترک العمل و البطاله موجب لاجتراء الشّیطان علیک و تمکّنه منک، لأنّ ذکره تعالی و التولی فی خدمته یقربک منه و بقدر ما تقرب منه تبعد من الشّیطان و انّ فیه موافقه للنّفس الأماره بمیلها إلی الکساله و البطاله و هما ینبوع آفات کثیره إن کان لک بصیره.

الثّالث مما یدلک أنّ هذا من غوائل النّفس و میلها إلی البطاله أنّک لمّا نظرت إلی فوات الثّواب الحاصل لک من البطاله و إلی فوات وقوعهم فی الاـثم آثرتهم علی نفسک بتخفیف ما یلزمهم من الاـثم بسوء الظنّ و حرمت نفسک الثّواب، و تفکّر فی نفسک و تمثل فی قلبک بعین الانصاف لو حصل بینک و بینهم فی شیء من حظوظ العاجله منازعه إمّا فی دار أو مال أو ظهر لک نوع معیشه تظنّ فیها فایده و حصول أ کنت تؤثرهم علی نفسک و تترکه لهم؟ کلاّ و اللّه بل کنت تناقشهم مناقشه المشاقق و تستأثر علیهم فیما یظهر لک من أنواع المعیشه إن أمکنک فرصه الاستیثار و تقلی الحبیب و تقضی القریب.

التّاسع أن یقول لک اللعین إذا کنت لا تترک العمل لذلک فاخف العمل فانّ اللّه سیظهره علیک فاما إذا أظهرته فیمکن أن تقع فی الرّیا، و هذا التّلبیس عین الرّیا لأنّ إخفاک له کی یظهر بین النّاس هو بعینه العمل لأجل النّاس، و ما علیک إذا کان مرضیّا عند اللّه تعالی أن یظهر للنّاس أو یخفی.

الرابع

فی علاج الرّیا

و هو علی ما ذکره الغزالی فی إحیاء العلوم أنّ الانسان یقصد الشیء و یرغب فیه لظنّه أنّه خیر له و نافع و لذیذ إمّا فی الحال و إمّا فی المآل فان علم أنّه لذیذ فی الحال و لکنّه ضارّ فی المآل سهل علیه قطع الرّغبه عنه کمن یعلم أنّ العسل لذیذ و لکن إذا بان له أنّ فیه سمّا أعرض عنه، فکذلک طریق قطع هذه الرّغبه أن یعلم ما فیه من المضرّه

و مهما عرف العبـد مضـرّه الرّيا و ما يفوته من صـلاح قلبه و ما يحرم عنه فى الحال من التّوفيق و فى الآخره من المنزله عند اللّه و مـا يتعرّض له من العقاب العظيم و المقت الشّديـد و الخزى الظاهر حيث ينادى على رءوس الخلايق يا فاجر يا غادر يا مرائى أما اسـتحييت؟ إذ اشتريت بطاعه اللّه عرض الدّنيا، و راقبت قلوب العباد و استهزأت بطاعه اللّه و تحبّبت إلى العباد بالتبغض إلى اللّه، و تزيّنت لهم بالشّـين عند اللّه، و تقرّبت إليهم بالبعد من اللّه، و تحمدت إليهم بالتّذمّم عند اللّه، و طلبت رضاهم بالتّعرض لسخط اللّه أما كان أحد أهون عليك من اللّه؟ فمهما تفكّر العبد فى هذا الخزى و قابل ما يحصل له من العباد و التّزيّن لهم فى الدّنيا بما يفوته فى الآخره و بما يحبط عليه من ثواب الأعمال مع أنّ العمل الواحـد به ربّما كان يترجّح ميزان حسـناته لو خلص فاذا فسـد بالرّيـا حوّل إلى كفّه السّيئات فترجّح به و يهوى إلى النّار؛ فلو لم يكن فى الرّيـاء إلّا إحباط عباده واحـده لكان ذلك كافيا فى معرفه ضـرره و إن كـان مع ذلـك سـاير حسـناته راجحه، فقـد كـان ينـال بهـذه الحسـنه علـوّ الرّتبه عنـد اللّه فى زمره النّبيين و الصّديقين، و قد حطّ عنهم بسبب الرّيا و ردّ إلى صفّ النّعال من مراتب الأولياء هذا.

مع مـا يتعرّض له فى الـدّنيا من تشـتّت الهمّ بسبب ملاحظه قلوب الخلق، فانّ رضا النّاس غايه لا تـدرك فكلّ ما يرضـى به فريق يسـخط به فريق، و رضا بعضـهم فى سـخط بعضهم، و من طلب رضاهم فى سخط اللّه سخط اللّه عليهم و أسخطهم أيضا عليه ثمّ أىّ غرض له فى مـدحهم و ايثـار ذمّ اللّه لأجل حمـدهم، و لا يزيـدهم حمـدهم رزقا و لا أجلا، و لا ينفعه يوم فقره و فاقته و هو يوم القيامه.

و أمّـا الطمع فيمـا فى أيـديهم فبأن يعلم أنّ اللّه هو المسـخّر للقلوب بـالمنع و الاعطـاء و لا رازق إلّا اللّه و من طمع فى الخلق لم يخل من الذّلّ و الخيبه، و إن وصل إلى المراد لم يخل عن المنّه و المهانه فكيف يترك ما عند اللّه برجاء كاذب و وهم فاسد؟ و قد يصيب و قد يخطى و إذا أصاب فلا تفى لذّته بألم منّته و مذلّته.

ص:٣٣۴

و أمّا ذمّهم فلم يحذر منه و لا يزيده ذمّهم شيئا فإذا قرر فى قلبه آفه هذه الأسباب و ضررها فترت رغبته و أقبل على اللّه قلبه، فانّ العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره و يقلّ نفعه، و يكفيه أنّ النّاس لو علموا ما فى بطنه من قصد الرّياء و إظهار الاخلاص لمقتوه، و سيكشف اللّه عن سرّه حتّى يبغضه إلى النّاس و يعرّفهم أنّه مراء و ممقوت عند اللّه و لو اخلص للّه لكشف اللّه لهم إخلاصه و حبّبه إليهم و سخّرهم له و اطلق ألسنتهم بالمدح و الثّناء عليه.

أقول و هو كما روى انّ رجلا من بنى إسرائيل قال: لأعبدن اللّه تعالى عباده اذكر بها فمكث مدّه مبالغا فى الطاعات و جعل لا يمرّ بملاء من النّاس إلاّ قالوا متصنّع مراء، فأقبل على نفسه و قد قال: اتعبت نفسك و ضيّعت عمرك فى لا شىء فينبغى أن تعمل للّه سبحانه فغير نيّته و أخلص عمله للّه تعالى، فجعل لا يمرّ بملاء من النّاس إلاّ قالوا ورع تقىّ هذا.

مع أنّ مدح النّاس لا ينفعه و هو عند اللّه مذموم و من أهل النّار، و ذمّ النّاس لا يضرّه و هو عند اللّه محمود و من أهل الجنّه فمن أحضر فى قلبه الآخره و نعيمها المؤبّد و المنازل الرّفيعه عند اللّه استحقر ما يتعلّق بالخلق أيّام الحياه مع ما فيه من الكدورات و المنقصات و كيف يرضى العاقل أن يجعل ثمن عمله مدح النّاس له و ما فى أيديهم من حطام الدّنيا و زخارفها مع أنّها على تقدير النّيل إليها ثمن بخس و رضا اللّه سبحانه هو الجزاء الأوفى.

فلو قيل لك: إنّ ههنا رجلا معه جوهر نفيس يساوى مأئه ألف دينار و هو محتاج إلى ثمنه بل إلى بيعه عاجلا و إلى أضعافه ثمنا فحضر من يشترى منه متاعه بأضعاف ثمنه مع حاجته إلى الاضعاف فأبى بيعه بذلك و باعه بفلس واحد أ لست تحكم بسفاهه ذلك البايع و نقصان عقله؟ فحال المرائى بعينه مثل حال هذا البايع، فإنّ ما يناله العبد بعمله من حطام الدّنيا و مدح النّاس له بالاضافه إلى ثواب الآخره و مرضات اللّه سبحانه اقلّ من فلس فى جنب ألف ألف دينار بل أقلّ من نسبته إلى الدّنيا و ما فيها؛ هذا كلّه هو الدّواء العلمى

ص:٣٣٥

و أما الدواء العملى فهو أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات و إغلاق الأبواب دونها كما يغلق الأبواب دون الفواحش حتّى يقنع قلبه بعلم اللّه و اطلاعه على عبادته و لا تنازعه النّفس إلى طلب علم غيره سبحانه.

و لذلك كان عيسى يقول للحواريّين إذا صام أحدكم فليدهن رأسه و لحيته و يمسح شفتيه بالزّيت لئلا يرى النّاس أنّه صائم، و إذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله و إذا صلّى فليرخ ستر بابه فانّ اللّه يقسم الثّناء كما يقسم الرّزق.

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ فى ظلّ العرش ثلاثه يظلّهم اللّه بظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: رجلان تحابّا فى اللّه و افترقا عليه، و رجل تصدق بيمينه صدقه فأخفاها عن شماله، و رجل دعته امرأه ذات جمال فقال: إنّى اخاف اللّه ربّ العالمين.

فلا دواء للرّياء مثل الاخفاء و ذلك يشقّ فى بدايه المجاهده و إذا صبر عليه مدّه بالتكلّف سقط عنه ثقله و هان عليه ذلك بتواصل ألطاف اللّه و ما يمدّ به عباده من حسن التّوفيق و التّأييد و التّسديد، و لكن اللّه لا يغير ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم فمن العبد المجاهده، و من اللّه الهدايه و من العبد قرع الباب و من اللّه فتح الباب، و اللّه لا يضيع أجر المحسنين، و إن تك حسنه يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما.

تكمله

هذا الفصل من الخطبه الشريفه رواه ثقه الاسلام الكلينى فى الكافى عن عدّه من أصحابنا عن سهل بن زياد عن عبد الرحمن بن أبى نجران عن عاصم بن حميد عن أبى حمزه عن يحيى بن عقيل عن حسن عليه السّلام قال: خطب أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:

أمّا بعد فانّه إنّما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصى و لم ينههم الرّبانيّون و الأحبار عن ذلك، و إنّهم لما تمادوا فى المعاصى و لم يتبّههم الرّبّانيّون و الأحبار عن ذلك نزلت لهم العقوبات، فأمروا بالمعروف، و انهوا عن المنكر، و اعلموا أنّ الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر لم يقربا أجلا و لن يقطعا رزقا،

إنّ الأمر ينزل من السّماء إلى الارض كقطر المطر، إلى كلّ نفس بما قدّر اللّه من زياده أو نقصان، فان أصاب أحدكم مصيبه فى أهل أو مال أو نفس و رأى عنـد أخيه غفيره فى أهل او مال أو نفس فلا يكوننّ لهم فتنه، فانّ المرء المسلم لبرىء من الخيانه ما لم يغش دنائه تظهر فيخشع لها إذا ذكرت و يغرى بها لئام النّاس كان كالفالـج الياسـر الذى ينتظر أوّل فوزه من قداحه، توجب له المغنم و يرفع عنه بها المغرم، و كذلك المرء المسـلم البرىء من الخيانه ينتظر من اللّه إحدى الحسنيين إمّا داعى اللّه فما عند اللّه خير له، و إمّا رزق اللّه فاذا هو ذو أهل و مال و معه دينه و حسبه إنّ المال و البنين حرث الدّنيا، و العمل الصّالح حرث الآخره، و قد يجمعهما اللّه لأقوام فاحذروا من اللّه ما حذّركم من نفسه، فاخشوه خشيه ليست بتعذير، و اعملوا فى غير رياء و سمعه فانّه من يعمل لغير اللّه يكله اللّه إلى من عمل له، نسأل اللّه منازل الشّهداء، و معايشه السّعداء، و مرافقه الأنبياء.

الترجمه

از جملـۀ خطب آن امام عالمیانست در تأدیب فقراء با عـدم حسد باغنیاء و تأدیب أغنیاء با تزهید از جمع مال دنیا و در اخلاص اعمال و افعال از سـمعه و ریا می فرماید امّا بعد از حمد الهی و درود حضرت رسالت پناهی پس بدرستی که امر الهی نازل می شود از آسـمان بر زمین، و خارج می شود از قوّه بعمل، و موجود می شود در مواد سفلیّه بعد از وجود در صحایف علویه مانند قطرهای باران بسوی هر نفسی بمقدار آنچه قسمت شده بر او از زیاده و نقصان، پس هر گاه ببیند یکی از شما مر برادر خود را زیادتی در اهل یا مال یا نفس یا سایر آنها پس باید که نباشد مر او را فتنه و فساد چون وقوع در حسد و عناد پس بدرستی مرد مسـلمان ما دام که نیایـد بر سـر دنائت و ناکسـی که ظاهر شود آن دنائه از او در میان مردمان پس چشم بر هم نهـد از خجالت برای ظهور آن دنـائه در وقت مـذاکرۀ مردم آن دنائت را، و حریص کرده شونـد مردمان دنی در فعل مثل آن می شود آن مرد مسـلم مثـل فیروزی یا بنـدۀ قمار بازنـده که انتظار کشـد أوّل بردن را از تیرها و چوبهای آن که آن بردن واجب می گردانـد از برای آن غنیمت را و برداشـته می شود از او بجهه آن بردن غرامت و مثل همین قمارباز است مرد مسلمان که بریست از خیانت انتظار می کشد

ص:۳۳۷

از جانب خداوند یکی از این دو حالت را یا خوانندۀ خدا بسوی او پس آنچه که نزد خداوند از اصناف کرامت و انواع رحمت است بهتر است مر او را، و یا روزی خدا پس ناگاه می شود او صاحب اهل و مال در حالتی که با اوست دین و حسب و علم و ادب او بدرستی مال و اولاد کشت این سرای فانیند، و عمل صالح کشت دار باقی است.

و گاهی جمع می فرماید خداوند هر دو این کشت را از برای گروهی که متّصف بشوند بصفت توکل، پس بترسید از خداوند به آن چه که ترسانده شما را با او از خودش، و بترسید از او ترسیدنی که نباشد در او عذرخواهی و دروغ، و عمل نمائید عمل خالصی که خالیست از ریا و سمعه، پس بدرستی هر که عمل نماید از برای غیر خدا واگذار میکند خداوند تعالی او را بر آن کس که عمل کرده از برای او، می خواهیم از خدای تعالی منزلهای شهیدان، و زندگانی سعیدان، و رفاقتی پیغمبران و همراهی ایشان را.

الفصل الثانی

اشاره

و هو مرویّ فی الکافی باختلاف کثیر و زیاده و نقصان حسبما تطلع علیه:

أیّها النّاس إنّه لا یستغنی الرّجل و إن کان ذا مال عن عشیرته، و دفاعهم عنه بأیدیهم و ألسنتهم، و هم أعظم النّاس حیطه من ورائه، و المّهم لشعثه و أعطفهم علیه عندنا زله إذا نزلت به، و لسان الصّدق یجعله اللّه للمرء فی النّاس خیر له من المال یورّثه غیره. منها ألا لا یعدلنّ أحدکم عن القرابه، یری بها الخصاصه أن یسدّها بالّذی لا یزیده إن أمسکه، و لا ینقصه إن أهلکه، و من یقبض یده عن عشیرته فإنّما تقبض منه عنهم ید واحده و تقبض منهم عنه أیدی کثیره، و من تلن حاشیته یستدم من قومه المودّه.

اللغه

(الحيطه) بكسر الحاء و سكون الياء الحفظ يقال حاطه حوطا و حيطه و حياطه حفظه و صانه و (لمّ) اللّه شعثه قارب بين شتيت اموره و جمعها و (الخصاصه) الفقر قال سبحانه: «يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصه» و (حاشيه) الرّجل نفسه و جانبه، و حاشيته أيضا أتباعه و خواصه و أهله.

الاعراب

جمله يرى فى محلّ النّصب على الحاليه، و أن يسدّها فى موضع الجرّ بدلا من القرابه، و حاشيته بالرّفع فاعل تلن، و فى روايه الكافى الآتيه يلن بالياء التّحتانيه فحاشيته بالرّفع أو بالنّصب مفعول له بواسطه الحرف أى يلن لحاشيته.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه لمّا أدب الفقراء بترک الحسد على الأغنياء بما مرّ تفصيلا فى الفصل السّابق أردف ذلک ب تأديب الأغنياء بعدم الزّهد عن الأرحام الفقراء و البعد عنهم و عن سدّ خلتهم و جبر فاقتهم فقال:(أيّها النّاس إنّه لا يستغنى الرّجل و إن كان ذا مال) و صاحب ثروه (عن عشيرته) و قبيلته (و) عن (دفاعهم عنه بأيديهم) صوله قبايل (و) ذبّهم عنه (بألسنتهم) مسبّه قائل.

و ذلک لأنّ المال و الثّروه لا يغنى عن الاخوان و العشيره بل أشدّ النّاس حاجه إلى الأعوان و الأتباع هم أكثر النّاس ثروه و غفيره، ألا ترى الملوک و المتشبّهين بهم من أرباب الأموال كم حاجتهم إلى الأصحاب و الأعوان فى الأعمال و الأفعال و أحقّ النّاس بعدم الاستغناء عنه هم عشيره الرّجل و أقرباءه (و هم أعظم النّاس حيطه من ورائه) و حفظا لجانبه (و ألمّهم لشعثه) و أجمعهم لمتفرّق اموره (و أعطفهم عليه عند نازله) أو مصيبه (إذا نزلت به) و ذلک لجهه القرب الباعثه لدواعى الشّفقه عليه (و لسان الصّدق) و الذكر الجميل المترتّب على البذل و الانفاق (يجعله اللّه للمرء فى النّاس) و بينهم (خير له من) جمع (المال) و امساكه حتّى (يورّثه غيره) و لنعم ما قال حاتم فى هذا المعنى مخاطبا لامراته ماريه:

ص:٣٣٩

أماری ان یصبح صدای لقفره من الأرض لا ماء لدیّ و لا خمر

تری أنّ ما انفقت لم یک ضرّبی و أنّ یدی ممّا بخلت به صفر

أماری ما یغنی الثراء عن الفتی إذا حشرجت یوما و ضاق به الصدر

أماری إنّ المال غاد و رایح و یبقی من المال الأحادیث و الذکر

و قد علم الأقوام لو أنّ حاتما أراد ثراء المال کان له وفر

(ألا لا یعدلنّ أحدکم عن) الأرحام و (القرابه یری بها) الفاقه و (الخصاصه أن یسدّها ب) فضل ماله (الذی لا یزیده إن أمسکه و لا ینقصه إن اهلکه) أی لا ینفع ذلک الشّخص إمساکه و لا یضرّه الفاقه لکونه زایدا علی قدر الحاجه و فاضلا علی معیشته (و من یقبض یده عن عشیرته فانّما تقبض منه عنهم ید واحده و تقبض منهم عنه أیدی کثیره) قال السّید: ما أحسن هذا المعنی فانّ الممسک خیره عن عشیرته إنّما یمسک نفع ید واحده فاذا احتاج إلی نصرتهم و اضطرّ إلی مرافدتهم(۱) قعدوا عن نصره و تثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الأیدی الکثیره و تناهض الأقدام الجمه.

(و من تلن حاشیته) و یحسن خلقه و یتواضع للنّاس (یستدم من قومه الموده) لأنّ لین الجانب و حسن الخلق و التواضع جالب للالفه و کاسب للموده کما أنّ التّکبر و الجفاوه و خشونه الطبیعه باعثه علی الانقطاع و العداوه قال سبحانه:

«وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ » هذا کلّه إن حملنا لفظ الحاشیه علی النّفس و الجانب، و إن حملناه علی الأتباع و الخواصّ فیکون المقصود به التّأدیب لهم باصلاح حال الأتباع.

بیان ذلک أنّ الاتباع هم الذین علیهم یدور تدبیر صلاح حال الرّجل فبحسب شدّتهم و غلظتهم و لینهم و تواضعهم یکون النّاس أقرب إلیه و أبعد منه و بذلک یتفاوت

ص:۳۴۰

۱- (۱) الترافد التعاون، منه.

بغضـهم و محبّتهم له و انسهم و نفارهم عنه، فيلزم على الرّجل إصلاحهم كما يلزم عليه إصلاح نفسه و يلحقه اللّوم و الذّمّ بترك الأوّل كما يلحقانه بترك الثّانى، إذ بتواضعهم و لينيّه جانبهم يستدام المحبّه و يستجلب المودّه كما أنّ تواضعه بنفسه يستديمها و يستجلبها و لنعم ما قيل:

و إذا ما اختبرت ودّ صديق فاختبر ودّه من الغلمان

تبصره

اعلم أنّ هـذا الفصـل من الخطبه قـد رواه الكلينيّ فى الكافى بزياده و نقصان و تقـديم و تأخير لا بأس بالاشاره إليه، و السّـند فيه محمّـد بن يحيى عن أحمـد بن محمّـد بن عيسى عن عثمـان بن عيسـى عن يحيى عن أبى عبـد اللّه عليه السّـلام قـال: قـال أمير المؤمنين:

لن يرغب المرء عن عشـيرته و إن كـان ذا مـال و ولـد، و عن مودّتهم و كرامتهم و دفـاعهم بأيـديهم و ألسـنتهم، هم أشـدّ النّاس حيطه من ورائه و أعطفهم عليه و ألمّهم لشعثه، إن أصـابته مصـيبه و أنزل به بعض مكـاره الأمور، و من يقبض يـده عن عشـيرته فانّمـا يقبض عنهـم يـدا واحـده و يقبض عنـه منهم أيـدى كـثيره، و من يلن حاشـيته يعرف صـديقه منه المـودّه و من بسـط يـده بـالمعروف إذا وجـده يخلف اللّه له ما أنفق فى دنياه و يضاعف له فى آخرته، و لسان الصّـدق للمر يجعله اللّه فى النّاس خير من المال بأكله و يورثه، لا يزدادنّ أحدكم كبرا و عظما فى نفسه و نايا عن عشيرته إن كان موثرا فى المال، و لا يزدادنّ أحدكم فى أخيه زهـدا و لاـ منه بعـدا اذا لم ير منه مروّه و كـان معوزا فى المال، لا يغفل أحـدكم عن القرابه بها الخصاصه أن يسـدّها بما لا ينفعه إن أمسكه، و لا يضرّه إن استهلكه.

تكمله

قد عرفت جمله من ثمرات صله الأرحام و مفاسد قطيعتها فى هذه الخطبه مثل كونهم معاونين للرّجل و حامين له و الذّابّين عنه و كون البرّ عليهم موجبـا للـذّكر الخير و الثّناء الجميل و كون الممسك عنهم بمنزله الطالب لمنفعه يـد واحـده المفوت على نفسـه منافع أيدى كثيره، و قد اشير إلى طايفه ممّا يترتّب عليهما من الآثار

ص:۳۴۱

و الثّمرات وراء ما مرّ فی سایر الرّوایات، و لا بأس بالاشاره إلی بعضها ممّا رواها ثقه الاسلام الکلینی فی الکافی.

فباسناده عن إسحاق بن عمّار قال: بلغنی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّ رجلا أتی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال: یا رسول اللّه أهل بیتی أبوا إلاّ توثّبا علیّ و قطیعه لی و شتیمه فأرفضهم؟ قال صلّی اللّه علیه و آله: إذن یرفضکم اللّه جمیعا، قال: فکیف أصنع؟ قال: تصل من قطعک، و تعطی من حرمک، و تعفو عمّن ظلمک، فانّک إذا فعلت ذلک کان لک من اللّه علیهم ظهیر.

و عن محمّد بن عبد اللّه قال: قال أبو الحسن الرّضا علیه السّلام: یکون الرّجل یصل رحمه فیکون قد بقی من عمره ثلاث سنین فیصیرها اللّه ثلاثین سنه و یفعل اللّه ما یشاء و عن أبی حمزه قال: قال أبو جعفر علیه السّلام صله الأرحام تزکی الأعمال، و تنمی الأموال، و ترفع البلوی، و تیسّر الحساب، و تنسیء فی الأجل.

و عن أبی حمزه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: صله الأرحام تحسّن الخلق، و تسمح الکفّ، و تطیب النّفس، و تزید فی الرّزق، و تنسیء فی الأجل.

و عن حنان بن سدیر عن أبیه عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال أبو ذر رضی اللّه عنه:

سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: حافّتا الصّراط یوم القیامه الرّحم و الأمانه، فاذا مرّ الوصول للرّحم المؤدی للأمانه نفذ إلی الجنّه، و إذا مرّ الخائن للأمانه القطوع للرّحم لم ینفعه معهما عمل، و تکفأ به الصّراط فی النّار.

و عن الحکم الحناط قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: صله الرّحم و حسن الجوار یعمران الدّیار، و یزیدان فی الأعمار.

و عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إنّ صله الرّحم و البرّ لیهوّنان الحساب، و یعصمان من الذّنوب فصلوا أرحامکم، و برّوا باخوانکم و لو بحسن السّلام و ردّ الجواب.

و عن عبد الصّمد بن بشیر قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: صله الرّحم(۱) یهون الحساب یوم القیامه و هی منسائه فی العمر، و تقی مسارع السّوء، و صدقه اللّیل تطفی غضب الرّبّ

۱- (۱) فی الوافی عن الکافی الحدیث هکذا: صله الرحم تهوّن الحساب یوم القیامه، و هی منسأه فی العمر، و تقی مصارع السوء إلخ المصحح «».

و عن إسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: ما نعلم شيئا يزيد فی العمر إلاّ صله الرّحم حتّی أنّ الرّجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولا للرّحم، فيزيد اللّه فی عمره ثلاثين سنه فيجعلها ثلاثا و ثلاثين سنه، و يكون أجله ثلاث «ثلاثا ظ» و ثلاثين سنه فيكون قاطعا للرّحم فيقصه «فينقصه» اللّه ثلاثين سنه و يجعل أجله إلی ثلاث سنين، و الرّوايات فی هذا الباب كثيره، و فيما رويناه كفايه إنشاء اللّه.

الترجمه

ای گروه مردمان بدرستی كه مستغنی نمی شود مرد و اگر چه بوده باشد صاحب جاه و مال از قبيلۀ خود و از رفع كردن ايشان مكروه را از او بدستهای خود و زبانهای خود و ايشان بزرگترين مردماننـد از حيثيت حفظ و حمايت از پس او، و جمع كننده ترين مردماننـد مر كارهای پريشان او را، و مهربان ترين خلقنـد بر او هنگام فرود آمـدن بلا اگر فرود آيـد باو، و زبان صـدق و ذكر خير كه می گردانـد خـدای تعـالی از برای مرد در ميـان مردمـان بهتر است از برای او از مالی كه ارث بگـذارد آن را بغير خود آگاه باشيد بايـد ميل نكنـد و عـدول ننمايد يكی از شـما از خويش و قوم در حالتی كه بيند در او فقر و پريشانی از آنكه سـد كنـد فقر آن را بمال زايـد خود كه افزون نمی گردانـد او را اگر امساك كند و نگه دارد آن را، و كم نمی سازد اگر بذل نمايـد و انفاق كنـد آن را، و هر كه قبض و نگه دارد دست خود را از قبيلۀ خود پس بدرستی كه نگه داشته می شود از جانب او از خويشان يكدست و فراهم گرفته می شود از جانب ايشان از او دستهای بسيار، و هر كه نرم باشد جانب او و خوش نفس باشد طلب دوام می كند از قوم خود محبّت را.

و من خطبه له عليه السّلام و هی الرابعه و العشرون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

و لعمری ما علیّ من قتال من خالف الحقّ و خابط الغیّ من إدهان

و لا ـ إيهان، فاتّقوا اللّه عباد اللّه و فرّوا من اللّه إلى اللّه، و امضوا فى الّذى نهجه لكم، و قوموا بما عصبه بكم، فعلىّ ضامن لفلجكم آجلا إن لم تمنحوه عاجلا.

اللغه

(خابط الغىّ) بصيغه المفاعله خبط كلّ منهما فى الآخر، و الغىّ الضّلاله و (الادهان) و المداهنه المصانعه و المنافقه قال سبحانه: «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ » و (الايهان) مصدر أوهنه أى أضعفه و (نهج) الأمر أوضحه و جعله نهجا اى طريقا بيّنا و (عصبه بكم) أى ربطه و ناطه كالعصابه التى يشدّ بها الرّأس و (الفلج) بالضّمّ الفوز و منه الفالج الذى قد مرّ فى الخطبه السابقه و (منحه) كضربه و منعه أعطاه و الاسم المنحه و هى العطيه.

الاعراب

العمر بفتح العين و ضمّنها البقاء و لا تستعمل فى القسم إلّا بالفتح قال بعض المحقّقين: قول الشّخص لعمرى مبتدأ محذوف الخبر وجوبا و التقدير قسمى أو يمينى و هو داير بين فصحاء العرب، قال تعالى: «لعمرك إنّهم لفى سكرتهم يعمهون» لا يقال: إنّ الحلف بغير اللّه تعالى منهىّ عنه.

لأنّا نقول: ليس المراد به القسم الحقيقى بجعل غيره تعالى مثله فى التّعظيم بل المراد صورته لترويج المقصود أو الكلام على حذف المضاف أى فبواهب عمرى و عمرك.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مقصوده عليه السّلام بهذا الكلام الرّد على قول من قال إنّ متابعته لمحاربيه و مصانعتهم كان اولى من محاربتهم، فتبّه على فساد ذلك القول و بطلان هذا الزّعم و قال:(لعمرى ما علىّ من قتال من خالف الحقّ و) جهاد من (خابط

الغىّ من) مساهله و (ادهان و لا) ضعف و (ايهان) إذ مقاتله أهل التّمرّد و الضّلاله واجبه و المداهنه فيها معصيه.

و لذلك إنّ اللّه سبحانه أوحى إلى شعيب النّبىّ إنّى معذّب من قومك مأئه ألف أربعين ألفا من شرارهم و ستّين ألفا من خيارهم، فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى اللّه إليه داهنوا أهل المعاصى و لم يغضبوا بغضبى (فاتقوا اللّه عباد اللّه) بالحذر عن معاصى اللّه (و فرّوا من) غضب (اللّه إلى) رحمه (اللّه و امضوا فى) الطريق (الذى نهجه لكم) و شرعه فى حقّكم و هو جاده الشّريعه التى يجب سلوكها لكلّ أحد (و قوموا بما عصبه بكم) و ربطه عليكم و هو الأوامر الشّرعيه و التّكاليف الالهيّه و إذا قمتم بواجب ما امرتم من هذه الأوامر (فعلىّ) بن أبى طالب (ضامن لفلجكم آجلا) فى دار القرار بجنّات تجرى من تحتها الأنهار (إن لم تمنحوه عاجلا) فى دار الدّنيا لعدم تمام استعدادكم له، و قديتمّ الفوز بالسّعادتين العاجليّه و الآجليّه لمن وفت قوته بالقيام بهما و كمل استحقاقه لذلك فى علم اللّه سبحانه و لمّا كان حصول السّعاده و الفوز للدّرجات العاليه من لوازم التّقوى ظاهر اللّزوم فى علمه عليه السّلام لا جرم كان ضامنا له و زعيما به.

اشراق

فى بيان معنى التّقوى لغه و شرعا و ما يترتّب عليه من الثّمرات الدّنيويّه

و الاخرويّه.

فنقول: التّقوى فى اللّغه الاتقاء و هو اتّخاذ الوقايه، و فى العرف هى الاحتراز بطاعه اللّه عن عقوبته.

و قيل هى بحسب العرف الشّرعى تعود إلى خشيه الحقّ سبحانه المستلزمه للاعراض عن كلّما يوجب الالتفات عنه من متاع الدّنيا و زينتها و تنحيه مادون وجهه القصد.

و قال الصّادق عليه السّلام فى تفسيرها: أن لا يفقدك حيث أمرك، و لا يراك حيث نهاك.

ص:۳۴۵

و قال بعض العارفين: إنّ خيرات الدّنيا و الآخره جمعت تحت لفظه واحده و هى التقوى انظر إلى ما فى القرآن الكريم من ذكرها، فكم علن عليها من خير و وعد لها من ثواب و أضاف إليها من سعاده دنيويّه و كرامه اخرويّه.

و فى عدّه الدّاعى هى العدّه الكافيه فى قطع الطريق إلى الجنّه بل هى الجنّه الواقيه من متالف الدّنيا و الآخره، و هى الممدوحه بكلّ لسان و المشرفه لكلّ إنسان، و قد شحن بمدحها القرآن و كفاها شرفا قوله تعالى: «وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ » و لو كان فى العالم خصله هى أصلح للعبد و أجمع للخير و أعظم بالقدر و أولى بالايجال و انجح للامال من هذه الخصله التى هى التّقوى؛ لكان اللّه أوصى بها عباده لمكان حكمته و رحمته، فلمّا أوصى بهذه الخصله الواحده. جمع الأوّلين و الآخرين و اقتصر عليها علم أنّها الغايه التى لا يتجاوز عنها و لا مقتصر دونها و القرآن مشحون بمدحها و عدّد فى مدحها خصالا:

الأوّل المدحه و الثّناء «و إن تصبروا و تتّقوا فانّ ذلك من عزم الامور».

الثّانى الحفظ و التّحصين من الأعداء «و إن تصبروا و تتّقوا لا يضرّكم كيدهم شيئا».

الثّالث التّاييد و النّصر «إنّ اللّه مع المتّقين» الرّابع إصلاح العمل «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ » الخامس غفران الذّنوب «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » السّادس محبه اللّه «إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ » السّابع قبول الأعمال «إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ » الثّامن الاكرام «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ » التّاسع البشاره عند الموت «اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَهِ »

العاشر النّجاه عن النّار «ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوْا ».

الحادی عشر الخلود فی الجنّه «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ ».

الثانی عشر تیسیر الحساب «وَ ما عَلَی الَّذِینَ یَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَیْ ءٍ ».

الثّالث عشر النّجاه من الشّداید و الرّزق الحلال «وَ مَنْ یَتَّقِ اللّهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لا یَحْتَسِبُ وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِکُلِّ شَیْ ءٍ قَدْراً » فانظر ما جمعت هذه الخصله الشّریفه من السّعادات فلا تنس نصیبک منها.

الترجمه

از جمله خطب شریفهٔ آن حضرت است در اظهار ثبات قدم خود در محاربهٔ جماعت طاغیه و ردّ قول کسی که قایل بمداهنهٔ اوست در محاربه و ترهیب مردمان از تمرّد و عصیان و ترغیب ایشان بطاعت خداوند عالمیان می فرماید: قسم بزندگانی خود که نیست بر من از مقاتله مخالفین حق و شریعت و سالکین طریق ضلالت هیچ مدارا کردن و سستی نمودن، پس بترسید از خدا ای بندگان خدا و بگریزید بسوی رحمت خدا از غضب خدا و بروید در آن راهی که روشن ساخته است آن را از برای شما، و قیام نمائید به آن چه باز بسته است آن را بشما، و هر گاه این طور حرکت نمائید پس علیّ بن أبی طالب ضامن است بر رستگاری شما در آخرت اگر داده نشوید فیروزی و بمراد خود نرسید در دنیا

و من خطبه له علیه السّلام و هی الخامسه و العشرون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

و هی من أواخر خطبه خطب بها بعد فراغه من صفّین و انقضاء أمر الحکمین و الخوارج، و قد تواترت علیه الأخبار باستیلاء أصحاب معاویه علی البلاد و قدم علیه عاملاه علی الیمن و هما عبید اللّه بن العبّاس و سعید بن نمران لما غلب علیهما بسر بن أرطاه

فقام علیه السّلام إلی المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له فی الرّأی فقال علیه السّلام:

ما هی إلاّ الکوفه أقبضها و أبسطها إن لم تکونی إلاّ أنت تهبّ أعاصیرک فقبّحک اللّه ثمّ تمّثّل بقول الشّاعر:

لعمر أبیک الخیر یا عمرو إنّنی علی و ضر من ذا الإناء قلیل

ثمّ قال:

أنبئت بسرا قد اطّلع علی الیمن و إنّی و اللّه لأظنّ هؤلاء القوم سیدالون منکم باجتماعهم علی باطلهم، و تفرّقکم عن حقّکم، و بمعصیتکم إمامکم فی الحقّ، و طاعتهم إمامهم فی الباطل، و بأدائهم الأمانه إلی صاحبهم، و خیانتکم صاحبکم، و بصلاحهم فی بلادهم، و فسادکم، فلو ائتمنت أحدکم علی قعب لخشیت أن یذهب بعلاقته، أللّهمّ إنّی قد مللتهم و ملّونی، و سئمتهم و سئمونی فأبدلنی بهم خیرا منهم، و أبدلهم بی شرّا منّی، أللّهمّ مث قلوبهم کما یماث الملح فی الماء أما و اللّه لوددت أنّ لی بکم ألف فارس من بنی فراس بن غنم:

هنا لک لو دعوت أتاک منهم فوارس مثل أرمیه الحمیم

ثمّ نزل علیه السّلام من المنبر

قال السّـيد: الارميه جمع رمى و هو السّحاب، و الحميم فى هذا الموضع وقت الصّيف و إنّما خصّ الشّاعر سحاب الصّيف بالذّكر لأنّه أشدّ جفولا و أسرع خفوقا، لأنّه لا ماء فيه، و ذلك لا يكون فى الأكثر إلاّ فى الشّتاء و أراد الشاعر وصفهم بالسّرعه إذا دعوا و الاغاثه إذا استغيثوا.

اللغه

(قبض) من باب ضرب و (بسط) من باب نصر و (هبّت) الرّيح من باب نصر هاجت و (الأعاصير) جمع إعصار و هى الرّيح المستديره على نفسها قال تعالى «فأصابها إعصار فيه نار» و(الوضر)بقيّه الاسم «الدسم ظ» فى الاناء و يستعار لكلّ بقيّه من شىء يقلّ الانتفاع بها و (اطلع) فلان علينا إذا ظهر و (أدالنا) اللّه من عدوّنا اى جعل الدّوله و الغلبه لنا عليهم و (القعب) قدح من خشب مقعّر و (علاقته) ما يتعلّق به عليه و (ماث) زيد الملح فى الماء إذا أذابه، و بنو فراس بن غنم بفتح الغين و سكون النّون حىّ معروف بالشّجاعه من بنى كنانه و هم بنو فراس بن غنم بن ثعلبه ابن مالك بن كنانه و (الجفول) فى كلام الرّضىّ الاسراع و (الخفوق) الطيران

الاعراب

كلمه ما نافيه و هى مبتدأ و إلاّ الكوفه خبر، و أقبضها خبر ثان أو خبر لمبتدأ محذوف أى أنا أقبضها، و المرجع لكلمه هى هو المملكه نزل حضورها فى ذهنه عليه السّلام منزله الذّكر السّابق أى ما مملكتى إلاّ الكوفه، و يحتمل أن يكون هى ضمير شأن و الكوفه مبتدأ و أقبضها خبرا عنه و نظيره فى احتمال الضّمير للأمرين قوله: «كلاّ إنّها لظى».

و قوله: إن لم تكونى إلاّ أنت كلمه أنت تأكيد للضمير المستتر و هو اسم تكون و الخبر محذوف، و جمله تهبّ أعاصيرك فى موضع الحال، و تقدير الكلام إن لم تكونى إلاّ أنت عدّه لى و جنّه اتّقى بها العدوّ و حظّا من الملك و الخلافه مع ما عليه حالك من المذام فقبحا لك، و يمكن أن يقدّم المستثنى منه حالا أى إن لم

تکونی علی حال إلاّ أن تهبّ فیک الأعاصیر دون أن یکون فیک من یستعان به علی العدوّ فقبّحک اللّه، و الخیر بالجرّ صفه لابیک، و قلیل صفه لو ضر، و الضمیر المستتر فی قوله: أن یذهب بعلاقته، راجع إلی الأحد، و الباء للتّعدیه أو إلی القعب و الباء بمعنی مع و الباء فی قوله إنّ لی بکم للعوض.

المعنی

اعلم أنّه ینبغی لنا أن نذکر نسب معاویه علیه اللعنه و الهاویه فی هذا المقام أوّلا، ثمّ نشیر إلی اطلاع بسر علی الیمن اجمالا و ما جری من جوره و ظلمه علی شیعه أمیر المؤمنین فی الیمن و غیرها، ثمّ نرجع إلی شرح الخطبه فأقول:

قال العلامه الحلّی قدّس سرّه فی کشف الحقّ روی أبو المنذر هشام بن محمّد السّائب الکلبی فی کتاب المثالب کان معاویه لعماره بن الولید المخزومی، و لمسافر ابن أبی عمرو، و لأبی سفیان، و لرجل آخر سمّاه، و کانت هند امّه من المعلمات و کان أحبّ الرّجال إلیها السّودان، و کانت إذا ولدت اسود دفنته، و کانت حمامه إحدی جدّات معاویه لها رایه فی ذی المجاز.

و ذکر أبو سعید إسماعیل بن علیّ السّمعانی الحنفی من علماء العامه فی مثالب بنی امیّه، و الشّیخ أبو الفتوح جعفر بن محمّد الهمدانی من علمائهم فی کتاب البهجه المستفید أنّ مسافر بن عمرو بن امیّه بن عبد شمس کان ذا جمال و سخاء، فعشق هندا و جامعها سفاحا و اشتهر ذلک فی قریش، فلما حملت و ظهر السّفاح هرب مسافرا من أبیها إلی الحیره، و کان فیها سلطان العرب عمرو بن هند و طلب أبوها عتبه أبا سفیان و وعده بمال جزیل و زوّجه هندا فوضعت بعد ثلاثه أشهر معاویه ثمّ و رد أبو سفیان علی عمرو بن هند فسأله مسافر عن حال هند فقال: إنّی تزوّجتها فمرض و مات.

و فی البحار من کتاب الغارات لإبراهیم بن محمّد الثّقفی عن یوسف بن کلیب المسعودی عن الحسن بن حماد الطائی عن عبد الصّمد البارقی قال: قدم عقیل علی

علیّ علیه السّلام و هو جالس فی صحن مسجد الکوفه فقال: السّلام علیک یا أمیر المؤمنین و رحمه اللّه و برکاته قال: و علیک السّلام یا أبا یزید ثمّ التفت إلی الحسن بن علیّ فقال: قم و انزل عمّک، فذهب به و أنزله و عاد إلیه فقال علیه السّلام له: اشتر له قمیصا جدیدا و رداء جدیدا و ازارا جدیدا و نعلا جدیدا فغدا علی علیّ علیه السّلام فی الثّیاب فقال: السّلام علیک یا أمیر المؤمنین قال: و علیک السّلام یا أبا یزید قال: یا أمیر المؤمنین ما أراک أصبت من الدّنیا شیئا إلاّ هذه و إنّی لا ترضی نفسی من خلافتک بما رضیت به لنفسک فقال: یا أبا یزید یخرج عطائی فادفعه إلیک.

فارتحل عن علیّ إلی معاویه فلمّا سمع به معاویه نصب کراسیّه و أجلس جلسائه فورد علیه فأمر له بمأه ألف درهم فقبضها فقال له معاویه: أخبرنی عن العسکرین فقال: مررت بعسکر علیّ بن أبی طالب فاذا لیل کلیل النّبیّ و نهار کنهار النّبیّ إلاّ أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیس فی القوم، و مررت بعسکرک فاستقبلنی قوم من المنافقین ممّن نفر برسول اللّه لیله العقبه.

فقال: من هذا الذی عن یمینک یا معاویه؟ قال: هذا عمرو بن العاص قال:

هذا الذی اختصم فیه ستّه نفر فغلب علیه جزارها فمن الآخر؟ قال: الضّحاک بن قیس الفهری قال: أما و اللّه لقد کان أبوه جیّد الاخذ لعسب(۱) التیؤس خسیس النّفس.

فمن هذا الآخر؟ قال: أبو موسی الأشعری قال: هذا ابن المراقه السّراقه.

فلمّا رأی معاویه أنّه قد أغضب جلسائه قال: یا أبا یزید ما تقول فیّ؟ قال: دع عنک قال: لتقولنّ قال: أتعرف حمامه؟ قال: و من حمامه؟ قال: أخبرتک، و مضی عقیل فأرسل معاویه إلی النّسابه فقال: أخبرنی من حمامه؟ قال: أعطنی الأمان علی نفسی و أهلی فأعطاه قال: حمامه جدّتک و کانت بغیّه فی الجاهلیه لها رایه تؤتی قال الشّیخ: قال أبو بکر بن رنین هی أمّ امّ أبی سفیان و فی شرح المعتزلی معاویه هو أبو عبد الرّحمان معاویه بن أبی سفیان صخر بن

ص:۳۵۱

۱- (۱) العسب ضراب الفحل او مائه أو نسله و الولد ق.

حرب بن اميّه بن عبد شمس بن عبد مناف، و امّه هند بنت عتبه بن ربيعه بن عبد شمس بن عبد مناف، و هو الذى قاد قريشا فى حروبها إلى النّبىّ و كانت هند تذكر فى مكّه بفجور و عهر و قال الزّمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار: كان معاويه يغرى إلى أربعه: إلى مسافر بن أبى عمرو، و إلى عماره بن الوليد بن المغيره، و إلى العبّاس عبد المطلب، و إلى الصّباح مغنّ كان لعماره بن الوليد.

قال: و قد كان أبو سفيان ذميما قصيرا و كان الصّباح عسيفا(۱) لأبى سفيان شابّا و سيما، فدعته هند إلى نفسها فغشبها و قالوا إنّ عتبه بن أبى سفيان من الصّباح أيضا و قالوا انّها كرهت أن تضعه فى منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك، و فى هذا المعنى يقول حسّان بن ثابت أيّام المهاجاه بين المشركين و المسلمين فى حياه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبل عام الفتح:

لمن الصّبى بجانب البطحاء فى التّرب ملقى غير ذى مهد

بخلت به بيضاء انسه من عبد شمس صلته الخدّ

قال الشّارح: ولى معاويه اثنتى و أربعين سنه منها اثنتا و عشرون سنه ولى فيها اماره الشّام منذ مات أخوه يزيد بن أبى سفيان بعد خمس سنين من خلافه عمر إلى أن قتل أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فى سنه أربعين، و منها عشرون سنه خليفه إلى أن مات فى سنه ستّين.

قال: و كان معاويه على اس الدّهر مبغضا لعلىّ عليه السّلام شديد الانحراف عنه و كيف لا يبغضه و قد قتل أخاه يوم بدر و خاله الوليد بن عتبه و شرک اتا فى جده و هو عتبه أو فى عمّه و هو شيبه على اختلاف الرّوايه و قتل من بنى عبد شمس نفرا كثيرا من أعيانهم و أماثلهم، ثمّ جاءت الطّامّه الكبرى واقعه عثمان فنسبها كلّها إليه بشبهه إمساكه

۱- (۱) عسف فلانا استخدمه ق.

عنه و انضواء كثير من قتلته إليه عليه السّلام فتأكدت البغضه و ثارت الأحقاد و تذكرت تلك التراث الاولى حتّى أفضى الأمر إلى ما افضى إليه.

قال: و قد كان معاويه مع عظم قدر علىّ عليه السّلام فى النّفوس و اعتراف العرب بشجاعته و أنّه البطل الذى لا يقام له يتهدّده و عثمان بعد حىّ بالحرب و المنابذه و يراسله من الشام رسائل خشنه ثمّ قال: و معاويه مطعون فى دينه عند شيوخنا يرمى بالزندقه و قد ذكرنا فى نقض السّفيانيه على شيخنا أبى عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا فى كتبهم الكلاميّه عنه من الالحاد و التّعرّض لرسول اللّه و ما تظاهر به من الجبر و الارجاء، و لو لم يكن شىء من ذلك لكان فى محاربته الامام عليه السّلام ما يكفى فى فساد حاله لا سيّما على قواعد أصحابنا و كونهم بالكبيره الواحده يقطعون على المصير إلى النّار و الخلود فيها إن لم يكفّرها التّوبه.

و أما بسر بن ارطاه و قيل ابن أبى ارطاه و كيفيّه خروجه و ظهوره على البلاد فهو أنّ قوما بصنعاء كانوا من شيعه عثمان يغطمون قتله لم يكن لهم نظام و لا رأس فبايعوا لعلىّ عليه السّلام على ما فى أنفسهم و عامل علىّ على صنعاء يومئذ عبيد اللّه بن العبّاس ابن عبد المطلب و عامله على الجند سعيد بن نمران.

فلمّا اختلف النّاس على علىّ بالعراق و قتل محمّد بن أبى بكر بمصر و كثرت غارات أهل الشّام تكلّموا و دعوا إلى الطلب بدم عثمان فبلغ ذلك عبيد اللّه بن عبّاس فأرسل إلى اناس من وجوههم فقال ما هذا الذى بلغنى عنكم؟ قالوا: انّا لم نزل ننكر قتل عثمان و نرى مجاهده من سعى عليه فحبسهم فكتبوا إلى من فى الجند من أصحابهم فثاروا بسعيد بن نمران فأخرجوه من الجند و أظهروا أمرهم و خرج إليهم من كان بصنعاء و انضمّ إليهم كلّ من كان على رايهم و لحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم إراده أن يمنعوا الصّدقه.

و التقى عبيد اللّه بن عبّاس و سعيد بن نمران و معهما شيعه علىّ فقال ابن عبّاس لابن نمران: و اللّه لقد اجتمع هؤلاء و إنّهم لنا لمقاربون و إن قاتلناهم لا نعلم على

من تکون الـدّبره فهلمّ لنکتب إلی أمیر المؤمنین نخبرهم فکتبـا إلیه علیه السّـلام یخبر انه الخبر، فلمّـا دخل کتابهما ساء علیا علیه السّـلام و أغضبه فکتب إلیهما کتابا یوبّخهما علی سوء تدبیرهما فی ترک قتال أهل الیمن، و کتب إلی اهل الجند و صنعاء کتابا یهـدّدهم فیه و یـذکرهم اللّه سبحانه فأجابوه بأنّا سامعون مطیعون إن عزلت عنّا هذین الرّجلین عبید اللّه و سعیدا، قالوا: و کتبت تلک العصابه حین جاءها کتاب علیّ علیه السّلام إلی معاویه یخبرونه و کتبوا فی کتابهم:

معاوی الّا تشرع السیر نحونا نبایع علیّا أو یزید الیمانیا

فلمّـا قـدم کتابهم إلی معاویه دعی بسر بن أبی أرطاه و کان قاسـی القلب فظا سفّاکا للـدّماء، لا رأفه عنـده و لا رحمه فأمره أن یأخـذ طریق الحجـاز و المـدینه و مکّه حتّی ینتهی إلی الیمن و قـال له: لاـ تنزل علی بلـد أهله علی طـاعه علیّ إلّا بسـطت علیهم لسانـک حتّی یروا انّهم لاـ نجـاه لهم و انـک محیط بهم ثمّ اکفف عنهم و ادعهم إلی البیعه لی فمن أبی فاقتله و اقتل شـیعه علیّ حیث کانوا.

فتوجّه بسر نحو الیمن و لمّا قرب المدینه کان عامل علیّ علیها أبو أیوب الأنصاری فخرج عنها هاربا فدخل بسـر المدینه فخطب النّاس و شتمهم و تهدّدهم ثمّ شتم الانصار و تهددهم حتّی خاف النّاس أن یوقع بهم و دعی النّاس إلی بیعه معاویه فبایعوه و نزل فأحرق دورا کثیره و أقام بالمـدینه أیّاما ثمّ قال لهم إنّی قـد عفوت عنکم و إن لم تکونوا لذلک بأهل و قد اسـتخلفت علیکم أبا هریره فایّاکم و خلافه.

ثمّ خرج إلی مکّه و قتـل فی طریقه رجالاـ و أخـذ أموالاـ و بلغ أهل مکّه خبره فتنحّی عنها عامه أهلها و خافوا و هربوا فخرج ابنا عبید اللّه بن العبّاس و هما سلیمان و داود و امّهما حوریه و تکنّی امّ حکیم مع أهل مکه فاضلوهما عند بئر میمون ابن الحضرمی و هجم علیهما بسر فأخذهما و ذبحهما فقالت امّهما:

ها من احسّ بابنیّ اللذین هما کالدّرّتین تشظّی عنهما الصّدف

ها من احسّ با بنیّ اللذین هما سمعی و قلبی فقلبی الیوم مختطف

ها من احسّ با بنیّ اللذین هما مخّ العظام فمخّی الیوم مزدهف

نبّئت بسرا و ما صدّقت ما زعموا من قتلهم و من الافک الذی افترقوا

الابیات و لمّا قرب بسر من مکه هرب قثم بن العبّاس و کان عامل علیّ و دخلها بسر فشتم أهل مکه و أنّبهم ثمّ خرج و استعمل علیها شیبه بن عثمان و دخل الطایف و بات بها و خرج منها فأتی نجران فقتل عبد اللّه بن عبد المدان و ابنه مالکا و کان عبد اللّه هذا صهرا لعبید اللّه بن العبّاس، ثمّ جمعهم و قام فیهم و قال: یا أهل نجران یا معشر النّصاری و إخوان القرود أما و اللّه إن بلغنی عنکم ما أکره لأعودنّ علیکم بالتی تقطع النّسل و تهلک الحرث و تخرب الدّیار، و تهدّدهم طویلا.

ثمّ سار حتّی أتی ارحب فقتل أبا کرب و کان یتشیّع و یقال: إنّه سیّد من کان بالبادیه من همدان فقدّمه فقتله، و أتی صنعاء و قد خرج عنها عبید اللّه بن العبّاس و سعید بن نمران و قد استخلف عبید اللّه علیها عمر بن اراکه الثّقفی فمنع بسرا من دخولها و قاتله فقتله بسر و دخل صنعاء فقتل منها قوما، و أتاه وفد مارب فقتلهم و لم ینج منهم إلاّ رجل واحد.

ثمّ خرج من صنعاء و أتی أهل حیان و هم شیعه لعلیّ فقاتلهم و قاتلوه فهزمهم و قتلهم قتلا وزیعا ثمّ رجع إلی صنعاء و قتل بها مأئه شیخ من أبناء فارس.

و روی أبی وداک قال: کنت عند علیّ علیه السّلام لما قدم علیه سعید بن نمران الکوفه فعتب علیه السّلام علیه و علی عبید اللّه أن لا یکونا قاتلا بسرا، فقال سعید قد و اللّه قاتلت و لکن ابن عبّاس خذلنی و أبی أن یقاتل، و لقد خلوت به حین دنا منّا بسر فقلت:

إنّ ابن عمّک لا یرضی منّی و منک بدون الجدّ فی قتالهم قال: لا و اللّه ما لنا بهم طاقه و لا یدان فقمت فی النّاس فحمدت اللّه ثمّ قلت: یا أهل الیمن من کان فی طاعتنا و علی بیعه أمیر المؤمنین فالیّ إلیّ، فأجابنی منهم عصابه فاستقدمت بهم فقاتلت قتالا ضعیفا و تفرّق النّاس عنّی و انصرفت.

قال أبو مخنف فندب علیّ علیه السّلام أصحابه لبعث سریه فی أثر بسر فتثاقلوا فقام علیه السّلام إلی المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له فی الرّأی فقال علیه السّلام:

(ما هى إلا الكوفه أقبضها و أبسطها) أى أتصرّف فيها كما يتصرّف الانسان فى ثوبه بقبضه و بسطه.

و الكلام فى معرض التحقير أى ما أصنع بتصرّفى فيها مع حقارتها، و يحتمل أن يكون المراد عدم التّمكن التّامّ من التّصرّف فيها لنفاق أهلها كمن لا يقدر على لبس ثوب بل على قبضه و بسطه، أو المراد بالبسط بثّ أهلها للقتال عند طاعتهم و بالقبض الاقتصار على ضبطهم عند المخالفه.

قال الشّارح البحرانى:أقبضها و أبسطهاكنايتان عن وجوه التّصرّف فيها، أى إنّ الكوفه و التّصرّف فيها بوجوه التّصرّف حقير بالنّسبه إلى ساير البلاد التى عليها الخصم فما عسى أصنع بتصرّفى فيها و ما الذى أبلغ به من دفع الخصم و مقاومته و هذا كما يقول الرّجل فى تحقير ما فى يده من المال القليل إذا رام به أمرا كثيرا: إنّما هو هذا الدّنيا فما عسى أبلغ به من الغرض.

ثمّ قال عليه السّلام على طريق صرف الخطاب (فان لم تكونى إلاّ أنت) عدولا من الغيبه إلى الخطاب على حدّ قوله: «إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ »، يعنى إن لم تكن مملكتى من الدّنيا إلاّ أنت حال كونك (تهبّ أعاصيرك) و تنبعث منك الآراء المختلفه و الفتن المضلّه و يثور الشقاق و النّفاق (فقبّحك اللّه ثمّ تمثّل) لأجل استصغاره أمرها (بقول الشّاعر:

لعمر ابيك الخير يا عمرو اننى على و ضر من ذا الاناء قليل)

تشبيها للكوفه بالوضر الباقى فى الاناء فى حقارتها بالنسبه إلى ما استولى عليها خصمه من الدّنيا كحقاره الوضر بالنّسبه إلى ما يشتمل عليه الانـاء من الطعام، فاستعار لفظ الاناء للدّنيا و لفظ الوضر القليل للكوفه يعنى إنّى على بقيّه من هذا الأمر كالوضر القليل فى الاناء.

(ثمّ) شرع فى استنفارهم إلى الجهاد ف (قال: أنبئت بسرا قد اطلع على اليمن و ظهر على أهلها و إنّى و اللّه لأظنّ هؤلاء القوم) المنافقين القاسطين (سيد الون منكم) و يغلبون عليكم (ب) الأسباب التى توجب دولتهم و غلبتهم عليكم و هو (اجتماعهم على

باطلهم) و هو التّصرّف الغير الحقّ فى البلاد (و تفرّقكم عن حقّكم) و هو التّصرّف المستحق باذن ولىّ الامر (و بمعصيتكم امامكم فى الحقّ و طاعتهم امامهم فى الباطل) فى أوامره الباطله و أحكامه الضّاله (و بأدائهم الامانه إلى صاحبهم) حيث لزموا بعهده و وفوا ببيعته (و خيانتكم صاحبكم) حيث تركتم لموارزته فى القتال و نقضتم عهده و غدرتم له (و بصلاحهم فى بلادهم) حيث راقبوا انتظام امورهم (و فسادكم) و السّرّ فى جميع ذلك ما قاله الجاحظ من أنّ أهل العراق أهل نظر و ذوو فطن ثاقبه و مع الفطنه و النّظر يكون التنقيب(۱) و البحث، و مع التنقيب و البحث يكون القدح و الطّعن و التّرجيح بين الرّجال و التّمييز بين الرّؤساء و اظهار عيوب الامراء و أهل الشّام ذوو بلاده و تقليد و جمود على رأى واحد لا يرون النّظر و لا يسألون عن مغيب الأحوال و هذا هو العلّه فى عصيان أهل العراق على الامراء و طاعه أهل الشّام لهم ثمّ بالغ عليه السّلام فى ذمّهم بالخيانه على سبيل الكنايه و قال:(فلو ائتمنت أحدكم على قعب خشب لخشب أن يذهب)ذلك القعب(بعلاقته)ثمّ شكى إلى اللّه سبحانه منهم بقوله:(اللهمّ إنّى قد مللتهم) لكثره ما تكرّر منّى الأمر لهم بالجهاد و الذّبّ عن دين اللّه المنافى لطبايعهم و المنافر عنه قلوبهم المشغوله بالدّنيا و زخارفها و البقاء فيها (و ملّونى) لأنّى دعوتهم إلى اللّه سبحانه و إلى تحصيل مرضاته ليلا و نهارا فلم يزدهم دعوتى إلاّ فرارا (و سئمتهم و سئمونى).

ثمّ أردف تلك الشّكايه بالتّضرّع إلى اللّه فى الخلاص منهم ثمّ بالدّعاء عليهم بقوله:(فأبدلنى بهم خيرا منهم) كلمه الخير هنا بمنزلتها فى قوله سبحانه: «اولئك خير أم جنّه الخلد» على سبيل التّنزّل أو التحكّم؛ أو اريد بها المعنى الوصفى بدون تفضيل و لعلّ المراد بذلك قوم صالحون ينصرونه و يوفقون لطاعته، أو ما بعد الموت من مرافقه النّبىّ و آله و غيره من الأنبياء و الصدّيقين و الشّهداء و الصّالحين و حسن اولئك رفيقا، و تمنّيه لفوارس فراس بن غنم ربما يؤيّد الأوّل.

۱- (۱) النقيبه النفس و العقل و المشوره و نفاذ الراى، ق.

و أمّا قوله:(و أبدلهم بى شرّا منّى) فربّما استشكل صدور مثل هذا الدّعاء عنه عليه السّلام من وجهين:

أحدهما أنّه يقتضى أن يكون هو ذا شرّ و قد ثبت أنّه كان منزّها عن الشّرور الثّانى أنّه كيف يجوز أن يدعو بوجود الشّرور و وجود الأشرار و اجيب عن الأوّل بوجهين أحدهما أنّ صيغه افعل لم يرد بها التّفضيل و إنّما اريد بها أصل الوصف فالمعنى أبدلهم بمن فيه شرّ غيرى الثانى أن يكون شرّا منّى بحسب عقايد أهل الكوفه إنّ فىّ شرّا عليهم و اعتقادهم أنّه ذو شرّ لا يوجب كونه كذلك.

و عن الثّانى بوجهين أيضا أحدهما أنّ دعائه عليه السّلام بما يبدلهم بمن هو شرّ منه مشتمله على مصلحه مقتضيه لحسنه و هو أنّ هذا الدّعاء ربما يكون مخوفا لهم جاذبا لاكثرهم إلى اللّه سبحانه مع ما فيه مضافا إلى ما ذكر من أنّ نزول الأمر المدعوّ به عليهم بعده ممّا يتبّهم على فضله و يذكرهم أنّ ابتلائهم بذلك إنّما هو لتركهم أوامر اللّه و خروجهم عن طاعته و طاعه وليّه الثانى لعلّه إنّما دعى عليهم لعلمه أنّه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لأجله و من لا يرجى صلاحه بل يكون وجوده سببا لفساد النّظام فعدمه أولى فيكون الدّعاء عليهم مندوبا إليه.

و على ذلك يحمل أيضا دعاؤه بقوله:(اللّهمّ مث قلوبهم) بتوارد الهمّ و الغمّ و الخوف عليهم (كما يماث الملح فى الماء) و ذلك الدّعاء تأسّ منه عليه السّلام بالسّابقين من الأنبياء فى الشّكايه من قومهم إلى اللّه و الدّعاء عليهم كنوح عليه السّلام إذ قال ربّ إنّى دعوت قومى ليلا و نهارا فلم يزدهم دعائى إلاّ فرارا، ثمّ ختم بالدّعاء على من لم يرج صلاحهم بقوله: ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا.

روى إنّ اليوم الذى دعا عليهم فيه بهذا الدعاء ولد فيه الحجّاج بن يوسف، و روى أنّه ولد بعد ذلك اليوم بأوقات يسيره و فعله بأهل الكوفه مشهور حتّى قيل لو جاءت كلّ امّه بخبيثها و فاسقها و فاجرها و جئنا بالحجّاج وحده لزدنا عليهم.

و عن مروج الذّهب للمسعودى أنّ امّ الحجّاج ولدته لا دبر له فثقب له دبر و أبى

أن يقبل الشّدى.

و فى الحـديث أن ابليس تصوّر لهم بصوره الحارث بن كلده فقال: اذبحوا له تيساو العقوه من دمه و اطلوا به وجهه و بدنه ففعلوا به ذلـك فقبـل الشـدى فلأجـل ذلـك كان لا يصبر عن سـفـك الـدّماء و كان يخبر عن نفسه أنّ أكبر لـذّاته فى سـفـك الـدّماء و ارتكاب امور لا يقدر عليها غيره.

و احصـى من قتل بأمره سوى من قتل فى حروبه فكانوا مأئه ألف و عشـرين ألفا و وجـد فى سـجنه خمسون ألف رجل و ثلاثون ألـف امرئه و لم يجب على أحـد منهم قتـل و لا ـ قطع و كـان يحبس الرّجـال و النّسـاء فى موضع واحـد لا ـ سـقف له، فـاذا أوى المسـجونون إلى الجـدران يسـتظلّون بها من حرّ الشّـمس رمتهم الحرّس بالحجاره، و كان طعامهم خبز الشّـعير مخلوطا بالملح و الرّماد.

و من أعجب ما روى أنّه وجد على منبره مكتوبا «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ » فكتب تحته «قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ » ثمّ قـال عليه السّـلام(أمـا و اللّه لـوددت أن لى بكـم ألـف فـارس من بنى فراس بن غنم)و هـو حىّ معروف بالشّجاعه حسبما اشير إليه و تمثّل بقول أبى جندب الهذلى.

(هنالك لو دعوت أتاك منهمفوارس مثل ارميه الحميم)

و الخطاب لامّ زيناغ و ضمير منهم راجع إلى بنى تميم بقرينه الذى قبله و هو قوله:

ألا يا أمّ زيناغ اقيمى صدور العيس نحو بنى تميم

و معنى البيت واضـح ممّـا ذكره السّـيد و مقصوده عليه السّـلام بالتّمثل تمنّى كون القوم الـذين ودّ كونهم عوضا عن قومه بصـفه الفوارس الـذين اشـار إليهم الشّـاعر فى سـرعه الاجـابه و المبـادره إلى الاغـاثه، و مقصوده فى جميع ذلك توبيـخ أهل الكوفه و تحقيرهم بتثاقلهم عن الجهاد.

قال الكلبى و أبو مخنف و لمّا تثاقل أصـحابه عن الخروج فى اثر بسـر بن ارطاه فأجابه إلى ذلك جاريه بن قـدامه السّـعدى فبعثه فى ألفين فشخص إلى البصره ثمّ أخذ طريق الحجاز حتّى قدم اليمن و سأل عن بسر فقيل: اخذ فى بلاد بنى تميم فقال:

أخذ فی دیار قوم یمنعون أنفسهم.

و بلغ بسرا مسیر جاریه فانحدر إلی الیمامه و أخذ جاریه بن قدامه السیر ما یلتفت إلی مدینه مرّ بها فلا أهل حصن و لا یعرج علی شیء الاّ أن یرمل بعض أصحابه من الزّاد فیأمر أصحابه بمواساته أو یسقط بعیر رجل أو تحفی دابته فیامر أصحابه بأن یعقّبوه حتّی انتهوا إلی أرض الیمن فهربت شیعه عثمان حتّی لحقوا بالجبال و اتبعهم شیعه علیّ و تداغت علیهم من کلّ جانب و أصابوا منهم و صمد نحو بسر و بسر بین یدیه یفرّ من جهه إلی جهه اخری حتّی أخرجه من أعمال علیّ علیه السّلام کلّها فلمّا فعل به ذلک أقام جاریه بحرس نحوا من شهر حتّی استراح و أراح أصحابه و وثب النّاس ببسر فی طریقه لمّا انصرف من بین یدی جاریه لسوء سیرته و فظاظته و ظلمه و غشمه و أصاب بنو تمیم ثقلا من ثقله فی بلاده.

فلمّا وصل بسر معاویه قال: احمد اللّه یا أمیر المؤمنین إنّی سرت فی هذا الجیش أقتل عدوّک ذاهبا جائیا لم ینکب رجل منهم نکبه فقال معاویه: اللّه قد فعل ذلک لا أنت و کان الذی قتل بسر فی وجهه ذلک ثلاثین الفا و حرق قوما بالنّار روی أنّه دعا علیّ علیه السّلام علی بسر فقال: اللهمّ إنّ بسرا باع دینه بالدّنیا و انتهک محارمک و کانت طاعه مخلوق فاجر آثر عنده من عندک اللهمّ فلا تمته حتّی تسلبه عقله و لا توجب له رحمتک و لا ساعه من نهار، اللهمّ العن بسرا و عمروا و معاویه و لیحلّ علیهم غضبک و لتنزل بهم نقمتک و لیصبهم بأسک و زجرک لا تردّه عن القوم المجرمین.

فلم یلبث بسر بعد ذلک إلاّ یسرا حتّی وسوس و ذهب عقله فکان یهذی بالسّیف و یقول: اعطونی سیفا اقتل به لا یزال یردّد ذلک حتّی اتّخذ له سیف من خشب و کانوا یدنون منه المرفقه فلا یزال یضربها حتّی یغشی علیه فلبث کذلک إلی أن مات علیه لعنه اللّه و الملائکه و النّاس أجمعین.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرت است که فرمود در حالتی که بتواتر رسید خبرها

بغالب شدن أصحاب معاويه عليه اللّعنه بر شهرها و آمدند بسوى آن حضرت عاملان او كه حاكم بودند بر يمن عبد اللّه بن عبّاس و سعيد بن نمران وقتى كه غالب شده بود بر ايشان بسر بن أبى أرطاه ولد الزّنا، پس برخواست آن حضرت بطرف منبر در حالتى كه تنگدل بود بجهه گرانى أصحاب خود از جهاد و بجهه مخالفت كردن ايشان با او در رأى پس فرمود:

نيست مملكت من مگر كوفه در حالتى كه قبض ميكنم آن را و بسط ميكنم آن را: يعنى همين كوفه است كه محلّ تصرّف من است بحل و عقد و أمر و نهى و اعتماد نمودن بر مردمان آن در حرب و ضرب نه ساير بلاد، اگر نباشى اى كوفه مگر تو كه باشى سپر دشمن و ساز لشكر من در حالتى كه وزد گردبادهاى تو، پس قبيح گرداند خداى تعالى تو را.

پس آن حضرت بجهه تحقير كوفه متمثّل شد بقول شاعر كه معنيش اينست:

قسم بزندگانى پدر تو كه بهتر مردمانست اى عمرو بتحقيق كه من واقع شده ام بر چربى اندكى كه باقى مانده است از اين ظرف طعام، يعنى كوفه در نظر من در غايت حقارتست مانند چربى كه مى ماند بعد از أكل در ظرف بعد از آن فرمودند كه:

خبر داده شدم كه بسر بن أبى ارطاه رسيده بديار يمن و بدرستى من قسم بخدا هر آينه گمان ميكنم آن قوم را كه زود باشد كه دولت و تسلط داده شوند از قبل شما بسبب اتّفاق ايشان بر باطل خود و تفرق شما از حقّ خود، و بجهه معصيه شما امام خود را در امر حق و اطاعت ايشان امام خود را در امر باطل، و بسبب ادا كردن ايشان امانت و عهد را بصاحب خودشان و خيانت كردن شما در امانت، و بجهه صلاح ايشان در شهرهاى خود در جميع امور ملكى و فساد شما در بلاد خودتان، پس اگر امين گردانم يكى از شما را بر قدح چوبين هر آينه مى ترسم كه ببرد آن را با دوال و دسته اش.

بار خدايا بدرستى كه من تنگدل شده ام از ايشان و تنگدل شده اند ايشان از من، و سير شده ام من از ايشان و سير شده اند ايشان از من، پس بدل كن براى من

ایشان را به بهتر از ایشان، و عوض کن برای ایشان مرا بکسی که متّصف بصفت شرارت بوده باشد، خداوندا بگداز بترس و عذاب قلبهای ایشان را چنانچه گداخته می شود نمک در آب، آگاه باشید بخدا سوگند هر آینه دوست می دارم این که باشد مرا بعوض شما هزار سوار از فرزندان فراس بن غنم آنجا اگر بخوانی و آواز دهی آیند بسوی تو از ایشان سوارانی مثل ابرهای تابستان با سرعت و استیلا

و من خطبه له علیه السّلام و هی السادسه و العشرون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

و هی ملتقطه من خطبه طویله خطب بها قبل مسیره إلی النّهروان حسبما تطلع علیه و شرحها فی ضمن فصول ثلاثه

الفصل الاول

اشاره

إنّ اللّه بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نذیرا للعالمین، و أمینا علی التّنزیل، و أنتم معشر العرب علی شرّ دین و فی شرّ دار، منیخون بین حجاره خشن و حیّات صمّ، تشربون الکدر، و تأکلون الجشب، و تسفکون دمائکم، و تقطعون أرحامکم، الأصنام فیکم منصوبه، و الآثام بکم معصوبه.

اللغه

(أناخ) النّاقه أبرکها و (الصّم) بالضّم إمّا جمع صمّاء و هی الأرض الغلیظه أو جمع أصمّ و هی الحیّه التی لا تقبل الرّقی، و الرّجل الأصم لا یطمع فیه، و لا یردّ عن هواه، و أصمّه اللّه فهو أصمّ أی به انسداد السّمع و ثقل الاذن و (کدر) کدرا و تکدّر نقیض صفا فهو کدر و کدر کفخذ و فخذ بکسر العین و سکونها

ص:۳۶۲

و (جشب) الطعام فهو جشب و جشب أی غلیظ أو بلا ادم و (المعصوبه) المشدوده

الاعراب

و أنتم معشر العرب اه جمله حالیه، منیخون خبر بعد خبر، و حیّات صمّ ان کان الصّم جمع صمّاه فالحیّات مضافه إلیها و إن کان جمع أصمّ فهی صفه لها، و جمله تشربون و تالیها حالیه أیضا.

المعنی

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه وارد فی بیان حال العرب فی أیّام الجاهلیّه و ما کانوا علیه یومئذ من الضّنک و الضّیق، و من سوء الحال فی أمر المعاش و المعاد و تذکره بما منّ اللّه سبحانه به علیهم من بعث الرّسول فیهم و تبدیله سبحانه بوجوده الشّریف سوء حالهم بحسن الحال فی الدنیا و الآخره حیث جعلوا ذا رفاهیّه و سعه و نعمه، و فتحوا البلاد و غنموا الأموال و کسروا الجیوش و فاقوا الملوک و کان لهم الذکر الباقی و الشّرف الثّابت و اهتدوا إلی دین الاسلام الذی هو طریق دار السلام فاکتسبوا السّعاده الباقیه و فازوا المقامات العالیه.

إذا عرفت ذلک فلنعد إلی شرح کلامه علیه السّلام فأقول: قوله:(انّ اللّه بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نذیرا للعالمین)خصّ النّذاره بالذّکر و اختارها علی البشاره إذا لمقصود فی هذا المقام التّوبیخ للعرب و ترقیق قلوبهم المشتمله علی الغلظه و الفظاظه، و لا ریب أنّ الانذار أقوی فی التّرقیق و الرّدع، و ذلک لأنّ عامّه الخلق إلاّ قلیلا منهم أنظارهم مقصوره علی زخارف الدّنیا و شهواتها غافلون عن نعم الآخره و لذّاتها، فلا یرغبون عن النّعم الحاضره بما یبشّرون بها من النّعم الغایبه، و لا یقابلون اللّذایذ الموجوده بلذایذ الموعوده، لکون هذه عندهم نقدا و تلک نسیئه و کان السّبب الأقوی فی الرّدع و الالتفاف إلی اللّه إنّما هو الانذار و التّخویف فاختار کونه نذیرا علی کونه بشیرا (و) اردفه بکونه (أمینا علی التّنزیل) غیر خائن و لا مقصّر فی تبلیغ آیاته و لا مبدّل لکلماته (و أنتم معشر العرب علی شرّ دین) حیث عبدتم الأصنام و الأوثان

و اتّخذتم للّه الأنداد و الشّركاء (و فى شرّ دار) أراد بها تهامه أو نجد أو البوادى التى كانوا يسكنونها، ثمّ فتح اللّه عليهم البلاد.

و وصـفها بالشّـرّ من حيث فساد أمر معاشهم فيها كما فسّره بقوله:(منيخون) أى مقيمون (بين حجاره خشن) صلب لا نداوه فيها و لا ـ نبات (و حيّات صمّ) لأنّ أرض العرب على غلظتها و خشونتها ذات حيّات كثيره، و على التّركيب الوصـفى فالمراد بها الحيّات التى لا تقبل العوذه و لا تنزجر بالصّوت لشدّه قوّتها.

قال البحرانى: و وصفها بالصمّ لأنّ حيّات تلك الأرض على غايه من القوّه و حدّه السّموم لاستيلاء الحراره و اليبس عليها.

و قـال الشّـارح المعتزلى: و يجوز أن يعنى بهالمجـاز و هو الأـحسن يقـال للاعـداء حيّات، و الحيّه الصّـماء أدهى من التى ليسـت بصـمّاء لأنّهـا لا ـ تنزجر بـالصّوتو يقال للعـدوّ أيضا إنّه لحجر خشن المسّ إذا كان ألـدّ الخصام (تشـربون الكـدر) لأنّ غالب مياه العرب هو الغـدران و الآبـار أمّـا الغـدران فأصـلها ماء المطر ينزل على الأوديه السّـبخه و القفار الملحه فيسـيل حتّى يقع فى تلك الغدران فيكون مرّا ملحا اجاجا ثمّ يتكدّر و يتعفّن من طول الزّمان و وقوع الشّمس عليها و تأثّره بها و أمّا الآبار فمضافا إلى وقوع مـاء المطر الموصوف فيهـا ربّمـا تنزل العشـاير حولهـا و ينيخون أبـاعرهم هنالك فيثور الرّياح البار «أبوال ظ» الأباعر و أرواثها و ساير كثافات القوم بعد ارتحالهم من ذلك المكان حتّى تقع على تلك الآبار فيكون مياهها كثيفا كدرا.

و ربمـا امسكنا عن شـرب الماء و صبرنا على العطش يوما أو يومين فى مسافرتنا إلى مكّه زادها اللّه شـرفا لما شاهـدناه من كثافه تلك المياه بما يتنفّر عنه الطبع مع كون سفرنا فى أيّام الشّتاء و ربّما كنّا نشرب عوض الماء السّكنجبين و ساير الأشربه التى كانت معنا (و تأكلون الجشب) فانّك تجـد عامّتهم يأكل ما ذبّ من حيوان، و بعضـهم يخلط الشّعير بنوى التّمر و يطحنها و يتّخـذ منها خبزا

ص:۳۶۴

قيل: كانت العرب لم تعرف طيّبات الأطعمه إنّما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء و الملح حتّى أدرك معاويه فاتّخذ ألوان الأطعمه قال أبو برده: كانوا يقولون: من أكل الخبز سمن، فلمّا فتحنا خيبرا جهضناهم عن خبزهم فقعدت عليه آكل و أنظر فى اعطافى هل سمنت.

و قال خالد بن عمير العددى: شهدت فتح الامله فاصبنا سفينه مملوّه جوزا فقال رجل، ما هذه الحجاره؟ ثمّ كسر واحده فقال: طعام طيّب و قال بعضهم: أصابوا جربا من الكافور فخالوها الملح فذاقوه فقالوا لا ملوحه لهذا الملح ففطن ناس من أهل الخبره فجعلوا يعطونهم جرابا من ملح و يأخذون جرابا من الكافور و قدم إلى أعرابىّ خبز عليه لحم فأكل اللحم و ترك الخبز و قال: خذ الطبق و كان بنو أسد يأكلون الكلاب و لذلك قال الفرزدق:

إذا اسدىّ جاع يوما ببلده و كان سمينا كلبه فهو آكله

و قال بعضهم نزلت برجل فأضافنى فأتى بحيّه مشويه شوّاها فأطعمنيها ثمّ أتى بماء منتن فسقانيه فلمّا أردت الارتحال قال: ألا قمت لطعام طيّب و ماء نمير؟ و كان أحدهم يتناول الشّعر المحلوق فيجعله فى جفنه من الدّقيق ثمّ يأكله مع ما فيه من القمل قال شاعرهم:

بنى أسد جاءت بكم قمليه بها باطن من داء سوء و ظاهره

و من طعامهم الفظ و هو ماء الكرش و قيل لأعرابى: ما تأكلون؟ فقال: نأكل ما دبّ و درج إلا أمّ جبين فقال:

لتهنّ ام جبين العافيه و قال أبو نواس:

و لا تأخذ عن الاعراب طعما و لا عيشا فعيشهم جديب

و كان روبه يأكل الفار فقيل: لم لا تستقذره؟ فقال: هو و اللّه لا يأكل إلاّ فاخرات متاعنا.

و بنو تميم يعيّرون بأكل الضب قال أبو نواس فى هجوهم.

إذا ما تميمى أتاك مفاخرا فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضبّ

قال الاصمعی دنوت من بعض الأخبیه فی البادیه فسقیت لبنا فی إناء فلمّا شربته قلت هل کان هذا إلاّ إناء «الاناء» نظیفا؟ فقیل: نعم نأکل منه فی النّهار و نبول فیه باللّیالی فاذا أصبحنا سقینا فیه الکلب فلحسه و نقاه، فقلت: لعنک اللّه و لعن هذه النظافه (و تسفکون دمائکم و تقطعون أرحامکم) فانّ القتل و الغاره کان شعار العرب فی أیّام الجاهلیّه حتّی أنّ الوالد ربّما کان یقتل ولده و بالعکس قال سبحانه:

«و إذا الموؤده سئلت بأیّ ذنب قتلت» قال ابن عبّاس المرأه إذا حان وقت ولادتها حفرت حفره و قعدت علی رأسها فان ولدت بنتا رمت بها فی الحفره و إن ولدت غلاما حبسته (الأصنام فیکم منصوبه و الآثام بکم معصوبه) استعار لفظ العصب للزوم الآثام لهم فی تلک الحال

الترجمه

از جملهٔ خطب آن حضرت است در بیان حال عرب در أیّام جاهلیت می فرماید بدرستی که خداوند سبحانه و تعالی مبعوث فرمود محمّد بن عبد اللّه را در حالتی که ترساننده بود عالمیان را از بدی افعال ایشان، و امین بود بر آنچه نازل می شد بر او می رسانید آن را بدون زیاده و نقصان و حال آنکه شما جماعت عرب بر بدترین دین بودید و در بدترین خانها مقیم بودید، در میان سنگهای درشت و مارهای با شدت و صلابت در حالتی که می آشامیدید آبهای ناصاف را و می خوردید طعام غلیظ و بی ادام را و می ریختید خونهای یکدیگر را و قطع می کردید خویشان خودتان را، بتان در میان شما نصب کرده شده بودند و گناهان بر شما بسته گردیده.

الفصل الثانی منها

اشاره

فنظرت فإذا لیس لی معین إلاّ أهل بیتی، فضننت بهم عن الموت، و أغضیت علی القذی، و شربت علی الشّجی، و صبرت علی أخذ الکظم، و علی أمّر من طعم العلقم.

ص:۳۶۶

اللغه

(ضـننت) بكسـر النّون و يروى بالفتح أيضا من الضّـنه و هو البخل و (اغضيت) على كذا اطبقت عليه جفني و (القذى) ما يقع في العين من تبن و نحوه يوجب اذيتها و (الشّـجى) ما اعترض في الحلق من نشب و عظم و قد مرّ هذان اللفظان فى الخطبه الشّقشقيّه و (أخذ بكظمه) محرّكه و هو مجرى نفسه و (العلقم) شجر بالغ المراره و يقال فى العرب على كلّ مرّ.

الاعراب

كلمه إذا فى قوله: فاذا ليس لى معين، للظرف، و التّنوين عوض عن الجمله المضاف إليها اى فنظرت فاذ غصبونى حقّى ليس لى معين، و كلمه على فى الموارد الأربعه إمّا للاستعلاء المجازى أو بمعنى مع على حدّ قوله: «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّاسِ عَلی ظُلْمِهِمْ » و أمرّ صفه لموصوف محذوف.

المعنى

اعلم أنّ هـذا الفصل من كلامه حكايه لحاله الذى كان هو عليه بعد ارتحال الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما جرى عليه من الظلم و الجور فى اغتصاب الحقّ الذى كان له عليه السّلام فكأنّه يقول: إنّهم بعد غصبهم للخلافه تفكّرت فى أمر المقاومه و الدّفاع عن هـذا الأمر الـذى كنت أولى به (فنظرت فـاذا ليس لى معين) يعيننى (إلاّ أهـل بيتى) و هم كـانوا قليلين غير مقاومين للمخـالفين (فضـننت بهم عن الموت) لعلمى بـأنّهم لو قاتلوا لقتلوا (و) لمّا علمت عـدم حصول المقصود بهؤلاء النّفر(أغضـيت)و أطبقت جفونى (على القذى و شربت على الشجى)و كنّى الاغضاء و الشّرب على القذى و الشّجى عن تحمله على الامور التى يصعب التّحمل عليها لصعوبتها و شدّتها و ألمها و أذيّتها كما يشهد به قوله:(و صبرت على أخذ الكظم و على)امور(امرّ من طعم العلقم) لشدّه مرارتها من حيث إنّ فيها الألم النّفسانى و فى العلقم الألم البدنى

ص:۳۶۷

و اعلم أنّ هـذا الكلام منه صريح فى اغتصاب الخلافه و نصّ على أنّ تركه مطالبتها لم يكن من رغبه و اختيار، و إنّما كان جبرا و اضـطرارا، و قد اشـرنا إلى ذلك فى مقدّمات الخطبه الشّقشـقيّه و ذكرنا ثمّه أخبار السّـقيفه الدّاله على انتحال الخلافه من طرق الخاصّه، و المقصود الآن ذكر بعض الأخبار العاميّه الصّريحه فى ذلك ممّا رواها الشّارح المعتزلى عن رواتهم، لأنّه أثبت حجّه و أقوى استنادا فأقول:

قال الشّارح: اختلفت الرّوايات فى قصّه السّـقيفه فالذى تقول الشّيعه و قد قال قوم من المحدّثين بعضه ورود كثير منه أنّ عليّا عليه السّـلام امتنع من البيعه حتّى اخرج كرهـا، و أنّ الزّبير بن العوام امتنع من البيعه و قـال: لاـ ابـايع إلاّ عليّا، و كـذلك أبو سـفيان بن حرب و خالد بن سعيد بن العاص بن اميّه بن عبد شمس و عباس بن عبد المطلب و بنوه و أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب و جميع بنى هاشم و قالوا: إنّ الزّبير شهر سيفه فلمّا جاء عمر و معه جماعه من الانصار و غيرهم قال فى جمله ما قال: خذوا سيف هـذا فاضـربوا بـه الحجر و يقـال: إنّه اخـذ السّـيف من يـد الزّبير فضـرب به حجرا فكسـره و سـاقهم كلّهم بين يـديه إلى أبى بكر فحملهم على بيعته و لم يتخلف إلاّ علىّ وحده فإنّه اعتصم ببيت فاطمه فتحاموا إخراجه منه قسـرا و قامت فاطمه عليها السلام إلى باب البيت فاسـمعت من جاء يطلبه فتفرّقوا و علموا أنّه بمفرده لا يضـرّ شـيئا فتركوه و قيل: إنّهم أخرجوه فيمن اخرج و حمل إلى أبى بكر فبـايعه، و قـد روى أبو جعفر محمّـد بن جرير الطـبرى كثيرا من هـذا فأمّـا حـديث التّحريق و مـا جرى مجراه من الاـمور الفظيعه و قول من قال:

إنّهم اخذوا عليّا يقاد بعمامته و النّاس حوله فأمر بعيد، و الشّيعه منفرد به على أنّ جماعه من أهل الحديث قد رووا نحوه و سنذكر ذلك.

و قال أبو جعفر إنّ الأنصار لمّا فاتها ما فاتها ما طلبت من الخلافه قالت أو قال بعضها

لا نبايع إلّا عليّا، و ذكر نحو هذا عليّ بن عبد الكريم المعروف بابن الاثير الموصلى فى تاريخه.

فامّا قوله: لم يكن لى معين إلّا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت، فقول ما زال عليه السّلام يقوله: و لقد قاله عقيب وفات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: لو وجدت أربعين ذوى عزم ذكر ذلك نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين و ذكره كثير من أرباب السّيره.

و أمّا الذى يقوله جمهور المحدّثين و أعيانهم فانّه امتنع من البيعه ستّه اشهر و لزم بيته فلم يبايع حتّى ماتت فاطمه فلمّا ماتت بايع طوعا و فى صحيحى مسلم و بخارى كانت وجوه النّاس إليه و فاطمه عليها السلام لما تمت «ماتت ظ» بعد فلمّا ماتت فاطمه عليها السلام انصرفت وجوه الناس عنه و خرج من بيته فبايع أبا بكر و كانت مدّه بقائها بعد أبيها عليه الصّلاه و السّلام ستّه أشهر قال: و روى أحمد بن عبد العزيز قال: لمّا بويع لأبى بكر كان الزّبير و المقداد يختلفان فى جماعه من النّاس إلى عليّ عليه السّلام و هو فى بيت فاطمه فيتشاورون و يتراجعون امورهم فخرج عمر حتّى دخل على فاطمه عليها السّلام و قال: يا بنت رسول اللّه ما من أحد من الخلق أحبّ إلينا من أبيك، و ما من أحد أحبّ إلينا منك بعد أبيك، و أيم اللّه ما ذاك بما نعى ان اجتمع هؤلاء النّفر عندك ان امر بتحريق البيت عليهم فلمّا خرج عمر جاؤها فقالت تعلمون أنّ عمر جائنى و حلف لى باللّه إن عدتم ليحرقن عليكم البيت و أيم اللّه ليمضين لما حلف له فانصرفوا عنّا راشدين فلم يرجعوا إلى بيتها و ذهبوا و بايعوا لأبى بكر قال: و من كتاب معاويه المشهور إلى عليّ عليه السّلام: و عهدك أمس تحمل قعيده بيتك ليلا على حمار و يداك فى يدى ابنيك الحسن و الحسين يوم بويع أبو بكر فلم تدع أحدا من أهل بدر و السّوابق إلّا دعوتهم إلى نفسك و مشيت إليهم بامرئتك و أوليت إليهم بابنيك و استنصرتهم على صاحب رسول اللّه فلم يجبك منهم إلّا أربعه أو خمسه، و لعمرى لو كنت محقّا لأجابوك، و لكنّك ادّعيت باطلا و قلت ما لا يعرف و رمت ما لا يدرك، و مهما نسيت فلا أنسى قولك لأبى سفيان لمّا حرّ ككك

و هيّجک: لو وجدت أربعين ذوى عزم لنا هضت القوم فما يوم المسلمين منک بواحد و روى أيضا من كتاب أحمد بن عبد العزيز الجوهرى عن حباب بن يزيد عن جرير بن المغيره أن سلمان و الزّبير و الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليّا بعد النّبىّ فلمّا بويع أبو بكر قال سلمان: أصبتم الحيره و أخطأتم المعدن.

و عن حبيب بن أبى ثابت قال: قال سلمان يومئذ: أصبتم ذا ألسن منكم و خالفتم أهل بيت نبيّكم لو جعلوها فيهم ما اختلف عليكم اثنان و لأكلتموها رغدا و روى أيضا عن غسان بن عبد الحميد قال: لمّا اكثر فى تخلّف علىّ عليه السّلام عن بيعه أبى بكر و اشتدّ عمر و أبو بكر عليه فى ذلک خرجت أمّ مسطح بن اثاثه فوقفت عند القبر و قالت:

كانت امور و انباء و انبثه «هنبثه» لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناک فقد الارض و ابلها و اختلّ قومک فاشهدهم و لا تغب

و من كتاب الجوهرى أيضا عن أبى الاسود قال: غضب رجال من المهاجرين فى بيعه أبى بكر بغير مشوره و غضب علىّ و الزّبير فدخلا بيت فاطمه معهما السّلاح فجاء عمر فى عصابه منهم اسيد بن حصين و سلمه بن سلامه بن وقش و هما من بنى عبد الأشهل فصاحت فاطمه و ناشدتهم فأخذوا سيفى علىّ و الزّبير فضربوا بهما الجدار حتّى كسروهما ثمّ أخرجهما عمر يسوقهما حتّى بايعا ثمّ قام أبو بكر فخطب النّاس و اعتذر إليهم و قال: إنّ بيعتى كانت فلته وقى اللّه شرّها و خشيت الفتنه و أيم اللّه ما حرصت يوما قط و لقد قلدت أمرا عظيما ما لى به طاقه و لا يدان و لوددت انّ اقوى النّاس عليه مكانى، و جعل يعتذر إليهم فقبل المهاجرون عذره، إلى آخر ما رواه.

و قد روى باسناد آخر ذكره أنّ ثابت بن قيس بن شماس كان مع الجماعه الذين حضروا مع عمر فى بيت فاطمه عليها السّلام، و ثابت هذا أخو بنى الحرث ابن الخزرج.

و روى أيضا أنّ محمّد بن مسلمه كان معهم و أنّ محمّدا هو الذى كسر سيف الزّبير و عن سلمه بن عبد الرّحمن قال: لمّا جلس أبو بكر على المنبر كان علىّ و الزّبير

و نـاس من بنى هـاشم فى بيت فـاطمه، فجـاء عمر إليهم فقـال: و الـذى نفسـى بيـده لتخرجنّ إلى البيت أو لتحرقنّ البيت عليكم، فخرج الزّبير مصلتا سيفه فاعتنقه رجل من الأنصار و زياد بن لبيد فدقّ به فبدو (فبدر) السّيف فصاح به أبو بكر و هو على المنبر: اضرب به الحجر قال أبو عمرو: فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضّربه و يقال هذه ضربه سيف الزّبير ثمّ قال أبو بكر: دعوهم فسيأتى اللّه بهم قال: فخرجوا إليه بعد ذلك فبايعوه.

و قد روى الجوهرى فى روايه اخرى أنّ سعد بن أبى وقاص كان معهم فى بيت فاطمه عليها السّلام و المقداد بن الاسود أيضا و أنّهـم اجتمعـوا إلى أن يبـايعوا عليّا فأتـاهم عمر ليحرق عليهـم الـبيت فخرج إليه الزّبير بالسّـيف و خرجت فـاطمه تبكى و تصـيح فنهنهت من النـاس و قالوا ليس عنـدنا معصـيه و لا خلاف فى خير اجتمع عليه النّاس، و إنّما اجتمعنا لنؤلّف القرآن فى مصـحف واحد ثمّ بايعوا ابا بكر فاستمرّ الأمر و اطمئنّ النّاس.

و قـد روى الجوهرى أيضـا عن داود بن المبـارك قال: أتانا عبـد اللّه بن موسـى بن عبـد اللّه بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب و نحن راجعون من الحجّ فى جماعه فسألناه عن مسائل و كنت احد من سأل فسألته عن أبى بكر و عمر فقال: اجيبك بما أجاب به عبـد اللّه بن الحسن فـإنّه سئل عنهمـا فقـال: كـانت فـاطمه صـدّيقه ابنه نبىّ مرسـل فمـاتت و هى غضـباء على قوم فنحن غضاب لغضبها.

و روى أيضـا بإسـناده عن جعفر بن محمّـد عن أبيه عليهمـا السّـلام عن ابن عبّـاس قال: قال لى عمر: أمّا و اللّه أن كان صاحبك أولى النّاس بالأـمر بعـد وفـات رسول اللّه إلاـ أنّا خفناه على اثنتين، قلت: ما هما؟ قال: خشـيناه على حـداثه سـنّه و حبّه بنى عبد المطّلب.

و عن الشّعبى قال: سأل أبو بكر و قال اين الزّبير؟ فقيل: عند علىّ عليه السّـلام و قد تقلّد سـيفه فقال: قم يا عمر يا خالد بن الوليد انطلقا حتّى تأتيانى بهما فانطلقا فدخل عمر و قام خالد على باب البيت من خارج فقال عمر للزّبير: ما هذا السّيف؟

فقال: نبايع عليّا، فاخترطه عمر فضرب به حجرا فكسره ثمّ أخذ بيد الزّبير فأقامه ثمّ دفعه و قال: يا خالد دونكه فامسكه ثمّ قال لعليّ: قم فبايع لأبى بكر فتلكأ و احتبس فأخذ بيده و قال: قم فأبى أن يقوم فحمله و دفعه كما دفع الزّبير فاخرجه و رأت فاطمه ما صنع بهما فقامت على باب الحجره و قالت: يا ابا بكر ما أسرع ما اغرتم على أهل بيت رسول اللّه، و اللّه لا أتكلّم عمر حتّى ألقى اللّه، إلى آخر ما رواه ثم قال الشارح و اعلم أنّ الآثار و الأخبار فى هذا الباب كثيره و من تأمّلها و أنصف علم أنّه لم يكن هناك نصّ صريح مقطوع به لا ـ تختلجه الشّكوك و لا يتطرّق إليه الاحتمالات كما تزعم الاماميّه، فانّهم يقولون: إنّ الرّسول نصّ نصا صريحا جليّا ليس بنصّ الغدير و لا خبر المنزله و لا ما شابههما من الأخبار الوارده من طرق العامّه و غيرها، بل نصّ عليه بالخلافه و بامره المؤمنين و أمر المسلمين أن يسلّموا عليه بذلك فسلموا عليه بها، و صرّح لهم فى كثير من المقامات بأنّه خليفه عليهم من بعده و أمرهم بالسّمع و الطاعه له.

و لا ريب أنّ المنصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفات رسول اللّه يعلم قطعا أنّه لم يكن هذا النصّ، و لكن قد يسبق إلى النّفوس و العقول أنّه قد كان هناك تعريض و تلويح و كنايه و قول غير صريح و حكم غير مثبوت، و لعلّه كان يصدّه عن التّصريح بذلك أمر يعلمه و مصلحه يراعيها و وقوف مع إذن اللّه تعالى فى ذلك.

فامّا امتناع عليّ من البيعه حتّى اخرج على الوجه الذى اخرج عليه فقد ذكره المحدّثون و رواه السّير و قد ذكرنا ما قاله الجوهرى فى هذا الباب و هو من رجال الحديث و من الثقات المأمونين، و قد ذكر غيره من هذا النّحو ما لا يحصى كثره فأمّا الامور الشنيعه المستهجنه التى يذكرها الشّيعه من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمه و انّه ضربها بالسّوط فصار فى عضدها كالدملج و بقى اثره إلى ان ماتت، و ان عمر ضغطها بين الباب و الجدار فصاحت يا ابتاه يا رسول اللّه و القت جنينا ميتا، و جعل فى عنق عليّ حبل يقاد به و هو يعتلّ و فاطمه خلفه تصرخ بالويل و الثّبور،

و ابناه حسن و حسين معهما يبكيان و أنّ عليّا لمّا احضر سألوه البيعه فامتنع فهدّد بالقتل فقال: إذن تقتلون عبدا للّه و أخا رسول اللّه فقالوا أمّا عبد اللّه فنعم و أمّا أخو رسول اللّه فلا، و أنّه طعن فى أوجههم بالنّفاق و سطر صحيفه الغدر التى اجتمعوا عليها، و بأنّهم أرادوا أن ينفروا ناقه رسول اللّه ليله العقبه، فكلّه لا أصل له عند أصحابنا و لا يثبته أحد منهم و لا رواه أهل الحديث و لا يعرفونه و إنّما هو شيء تنفرد الشّيعه بنقله انتهى.

أقول و العجب كلّ العجب من الشّارح كيف ينكر وجود النّص الصّريح الذى لا يحتمل التّأويل مع وجود النّصوص التى رواها هو و غيره من رسول اللّه فى حقّ أمير المؤمنين بأنّه الامام و الخليفه و الوصيّ و الوليّ و ما شابهها من الألفاظ الصّريحه فى الخلافه، و قد مضت شطر منها فى مقدّمات الخطبه الشقشقيّه و يأتى كثير منها فى مواقعها بعد ذلك انشاء اللّه.

و أمّا عدم إفادتها للقطع عند من استحوذ عليه الشّيطان و أنساه ذكر ربّه، و كان قلبه مشوبا بالشّبهات و الشّكوك فلا غرو فيه

إذا لم يكن للمرء عين صحيحهفلا غرو أن يرتاب و الصّبح مسفر

و أعجب من ذلك أنّه مع روايته لتلك الأخبار و تصحيحه لها و حكمه بوثاقه روانها يقول: إنّ أمير المؤمنين ترك الأمر إليهم اختيارا و طوعا، مع أنّ هذه الأخبار كما ترى صريحه فى أنّ خروجه من بيته و بيعته لأبى الفصيل لم يكن إلاّ كرها و إجبارا و ترك المقاومه لهم لم يكن إلاّ عجزا لا اختيارا.

ثمّ لا أدرى أنّه كيف ينكر حديث التّحريق و يزعم أنّه ممّا انفردت به الشّيعه مع روايه الجوهرى له و كونه من الثّقات المأمونين عنده.

و قد رواه غير واحد من رواتهم أيضا مطابقا لما روته الشّيعه منهم إبراهيم ابن سعيد الثقفى قال: حدّثنا أحمد بن عمرو البجلى قال: حدّثنا أحمد بن حبيب العاملى عن أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام قال: و اللّه ما بايع عليّ عليه السّلام حتّى راى الدّخان قد دخل عليه بيته، رواه المرتضى فى الشّافى.

و فيه أيضا عن البلادرى عن مسلمه بن محارب عن سليمان التّميمى عن أبى عون أن أبا بكر ارسل إلى علىّ فلم يبايع فجاء عمر و معه قبس فتلقاه فاطمه على الباب فقال: يابن الخطاب أتراك محرقا؟ قال: نعم و ذلك أقوى فيما جاء به أبوك و جاء علىّ عليه السّلام فبايع.

قال السّيد (ره) عقيب هذا الحديث: و هذا الخبر قد روته الشّيعه من طرق كثيره و إنّما الطريق أن يرويه شيوخ محدّثى العامّه لكنّهم كانوا يروون ما سمعوا بالسّلامه و ربّما تنبهوا على ما يروونه عليهم فكفّوا عنه، و أىّ اختيار لمن يحرق عليه بابه حتى يبايع.

الترجمه

بعض ديگر از فقرات اين خطبه است كه بيان مى فرمايد در او حال خود را بعد از ارتحال حضرت رسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و شكايه مى نمايد از أهل جلافه كه غصب خلافه كردند، و مى گويد كه چون أهل عناد حقّ مرا غصب نمودند پس نظر كردم من در تدبير امور خود پس آن زمان كه غصب خلافت كردند نبود مرا يارى دهنده مگر أهل بيت خود كه معدود قليلى بود نسبت بمخالفين، پس بخل ورزيدم بايشان از مرگ يعنى ايشان را از معارك مهالك نگاه داشتم و بپوشانيدم چشم خود را بر چيزى كه اذيّت مى كشيد از او ديدهٔ من، و آشاميدم زهر آب ستم مخالفان را در حينى كه بودم گلوگير از غصّه و غم، و صبر كردم بر خشم فرو خوردن بر چيزى كه تلخ تر بود از چشيدن درخت علقم با وجود آنكه درختى است در غايت تلخى و مراره.

الفصل الثالث منها

اشاره

و لم يبايع حتّى شرط أن يؤتيه على البيعه ثمنا، فلا ظفرت يد البايع «المبايع خ ل» و خزيت أمانه المبتاع، فخذوا للحرب أهبتها،

ص:۳۷۴

و أعدّوا لها عدّتها، فقد شبّ لظاها، و علا سناها، و استشعروا الصّبر، فإنّه أدعى للنّصر.

اللغه

(خزيت) من الخزى و هو الذّلّ و الاهانه و (الاهبه) كالمعده بضمّ الفاء فيهما ما يعدّ للحرب من السّلاح و الآلات و (شبّ لظاها) بالبناء على الفاعل اى ارتفع لهبها، أو بالبناء على المفعول اى اوقدت نارها و (السّناء) الضّوء (أدعى للنّصر) و فى بعض النّسخ أحزم للنصر من حزمت الشّىء إذا شددته كانّه يشد النّصر

الاعراب

فاعل يبايع عايد إلى عمرو بن العاص، و جمله فلا ظفرت دعائيه لا محلّ لها من الاعراب، و اسناده إلى الامانه من باب التّوسع، و الحرب مؤنّث سماعىّ و لذلك اعيد الضّماير الخمسه بعدها إليها مؤنّثه.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه بيان لحال عمرو بن العاص مع معاويه (و) يقول إنّ عمروا (لم يبايع) لمعاويه (حتّى شرط أن يؤتيه) معاويه (على البيعه) مصر طعمه و (ثمنا فلا ظفرت) و لا فازت (يد البايع) و هو عمرو فى بيعته بالثّمن او بما يأمله (و خزيت امانه المبتاع) و هو معاويه و قال الشّارح المعتزلى: البايع معاويه و المبتاع هو عمرو، و لعلّه نظر إلى أنّ معاويه باع مصر له ببيعته و لكنّه خلاف ظاهر الكلام حيث إنّه عليه السّلام جعل البيعه مثمنا فيكون مصر ثمنا فالأظهر ما ذكرناه.

ثمّ أمر عليه السّلام بتهيّه أسباب الجهاد مع القاسطين بقوله:(فخذوا للحرب اهبتها) اى سلاحها (و أعدوا لها عدّتها فقد شبّ لظاها)و لهبها(و علا سناها)و ضوؤها، استعار لفظ اللظا و السّنا عن أمارات الحرب لكون كلّ منهما علامه لما فيه مظنّه

الهلاك، ثمّ أمر بالصّبر فى الحرب بقوله:(و استشعروا الصّبر) اى اجعلوه شعارا لكم كالثّوب الملازم للجسد (فانّه) أى الصّبر (ادعى للنّصر) و من أقوى أسبابه و اعلم أنّ كيفيّه تلك المبايعه على ما رواه المحدّث العلاّمه المجلسى و الشّارح المعتزلى جميعا من كتاب الصّفّين لنصر بن مزاحم مع إسقاط الزّوايد منّا هو أنّه عليه السّلام حين قدم الكوفه بعد فراغه من قتال النّاكثين كتب إلى معاويه كتابا على ما يأتى ذكره فى الكتاب فى باب المختار من كتبه إنشاء اللّه يدعوه فيه إلى البيعه و أرسل جرير بن عبد اللّه البجلى رسولا إليه مع كتابه فقدم عليه به الشّام فقرأه و اغتم بما فيه و ذهبت به أفكاره كلّ مذهب و طاول جريرا بالجواب عن الكتاب حسبما تطلع على تفصيله فى شرح كلامه الثّالث و الأربعين فى باب المختار من الكتب حتّى كلّم قوما من أهل الشّام فى الطّلب بدم عثمان فأجابوه و بايعوه على ذلك و أوثقوا له على أن يبذلوا انفسهم و أموالهم أو يدركوا ثاره أو يفنى اللّه أرواحهم فلمّا أمسى معاويه اغتمّ بما هو فيه و استحثّه جرير بالبيعه فقال: يا جرير إنّها ليست بخلسه و إنّه أمر له ما بعده فابلغنى ريقى حتّى أنظر، و دعا ثقاته فقال له أخوه عتبه بن أبى سفيان: استغن بعمرو بن العاص فانّه من قد علمت فى دهائه و رأيه و قد اعتزل أمر عثمان فى حياته و هو لامرك أشدّ اعتزالا إلاّ أن يثمن له دينه فسيبيعك فانّه صاحب دنيا.

فكتب معاويه إلى عمرو: أمّا بعد فانّه قد كان من أمر علىّ و طلحه و الزّبير ما قد بلغك و قد سقط إلينا مروان بن الحكم فى نفر من أهل البصره و قدم علينا جرير بن عبد اللّه فى بيعه علىّ و قد حبست نفسى عليك حتّى تأتينى فاقبل اذا كركك امورا لا تعدم مغتبها إنشاء اللّه.

فلمّا قدم الكتاب على عمر و استشار ابنيه عبد اللّه و محمّدا فقال: ما تريان؟ فقال عبد اللّه: أرى أنّ نبىّ اللّه قبض و هو عنك راض و الخليفتان من بعده، و قتل عثمان و أنت عنه غايب فقرّ فى منزلك فلست مجعولا خليفه و لا تريد على أن تكون حاشيه لمعاويه

علی دنیا قلیله أو شکتما أن تهلکا فتستویا (فتسویا خ ل) فی عقابها و قال محمّد: أری أنّک شیخ قریش و صاحب أمرها و أن تصرم هذا الأمر و أنت فیه غافل تصاغر أمرک فالحق بجماعه أهل الشّام و کن یدا من أیدیها و اطلب بدم عثمان فانّه سیقوم بذلک بنو امیّه.

فقال عمر و أمّا أنت یا عبد اللّه فأمرتنی بما هو خیر لی فی دینی، و أمّا أنت یا محمّد فأمرتنی بما هو خیر لی فی دنیای و أنا ناظر فیه فلمّا جنّه اللّیل رفع صوته ینشد أبیاتا(۱) فی ذلک ردّدها فقال عبد اللّه: ترحل الشّیخ.

و دعی غلاما له یقال له وردان: و کان داهیا ماردا فقال: ارحل یا وردان ثمّ قال: احطط یا وردان ثمّ قال: ارحل یا وردان احطط یا وردان فقال له: وردان خلطت أبا عبد اللّه أمّا انّک إن شئت أنبأتک بما فی نفسک قال: هات و یحک قال:

اعترکت الدّنیا و الآخره علی قلبک فقلت: علیّ معه الآخره فی غیر الدّنیا و فی الآخره عوض من الدّنیا، و معاویه معه الدّنیا بغیر آخره و لیس فی الدّنیا عوض من الآخره فانت واقف بینهما قال: فانّک و اللّه ما أخطات فما تری یا وردان؟ قال: أری أن تقیم فی بیتک فان ظهر أهل الدّین عشت فی عفو دینهم، و إن ظهر أهل الدّنیا لم یستغنوا عنک قال الآن لما شهدت (شهرت خ ل) العرب مسیری إلی معاویه.

فارتحل و صار حتّی قدم علی معاویه و عرف حاجه معاویه إلیه فباعده من نفسه و کاید کلّ واحد منهما صاحبه فقال له معاویه یوم دخل علیه: أبا عبد اللّه طرقتنا فی لیلتنا هذا ثلاثه أخبار لیس فیها ورد و لا صدر قال: و ما ذاک؟ قال: منها أنّ محمّد بن أبی حذیفه کسر سجن مصر فخرج هو و أصحابه و هو من آفات هذا الدّین، و منها أنّ قیصر زحف بجماعه الرّوم لیغلب علی الشّام، و منها أنّ علیّا نزل الکوفه متهیّئا للمسیر إلینا.

فقال عمرو: کلّ ما ذکرت عظیما أمّا امر ابن أبی حذیفه فما یعظمک من

۱- (۱) الابیات مذکوره فی شرح المعتزلی منه.

رجل خرج فی اشباهه ان تبعث إلیه رجلا یقتله أو یأتیک به و إن قاتل لم یضرّک و أمّا قیصر فاهد له الوصایف و آنیه الذّهب و الفضّه و سله الموادعه فانّه الیها سریع، و أمّا علیّ فلا و اللّه یا معاویه ما یسوی العرب بینک و بینه فی شیء من الأشیاء و انّ له فی الحرب لحظا ما هو لأحد من قریش و انّه لصاحب ما هو فیه إلاّ أن تظلمه قال نصر و روی عمر بن سعد بإسناده قال: قال معاویه لعمرو: یا أبا عبد اللّه إنّی أدعوک إلی جهاد هذا الرّجل الذی عصی ربّه و شقّ عصا المسلمین و قتل الخلیفه و أظهر الفتنه و فرّق الجماعه و قطع الرّحم، قال عمرو: من هو؟ قال: علیّ قال عمرو:

و اللّه یا معاویه ما أنت و علیّ حملی بعیر مالک هجرته و لا سابقته و لا صحبته و لا فقهه و لا علمه، و و اللّه إنّ له مع ذلک جدّا و جدودا و خطئا و خطوه و بلاء من اللّه حسنا فما تجعل لی علی أن شایعتک علی ما ترید قال: حکمک قال: مصر طعمه قال: فتلکأ(۱) علیه معاویه قال له: أبا عبد اللّه أما تعلم أنّ مصر مثل العراق قال: بلی و لکنّها إنّما تکون لی إذا کانت لک و إنّما تکون لک إذا غلبت علیّا علی العراق.

قال: فدخل علیه عتبه بن أبی سفیان فقال: أ ما ترضی أن تشتری عمروا بمصر إن هی صفت لک لیتک لا تغلب علی الشّام فقال معاویه: یا عتبه بت عندنا اللّیله قال فلمّا جنّ اللیل علی عتبه رفع صوته یسمع معاویه بأبیات(۲) یحثّه فیها علی ارضاء عمرو فلمّا سمع معاویه ذلک أرسل إلی عمرو و أعطاها إیّاه، فقال عمرو: ولی اللّه علیک بذلک شاهد قال له معاویه: نعم لک اللّه علیّ بذلک إن فتح اللّه علینا الکوفه فقال عمرو: و اللّه علی ما نقول و کیل فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر طعمه قالا: و ما مصر فی ملک قال: لا أشبع اللّه بطونکما إن لم یشبعکما مصر.

۱- (۱) أی ماطل فی الجواب.

۲- (۲) الابیات مذکوره فی شرح المعتزلی، منه.

قال: و كتب له معاويه بمصر كتابا و كتب على أن لا ينقض شرط طاعته فكتب عمرو أن لا ينقض طاعته شرطا و كايد كلّ منهما صاحبه.

قال و كان مع عمرو ابن عمّ له فتى شابّ و كان داهيا فلمّا جاء عمرو بالكتاب مسرورا عجب الفتى و قال: لا تخبرنى يا عمرو بأىّ رأى تعيش فى قريش أعطيت دينك و منيت دنيا غيرك، أ ترى أهل مصر و هم قتله عثمان يدفعونها إلى معاويه و علىّ حىّ؟ و أ تراها إن صارت لمعاويه لا يأخذها بالحرف الذى قدّمه فى الكتاب؟ فقال عمرو: يابن أخى إنّ الأمر للّه دون علىّ و معاويه و أنشد الفتى فى ذلك شعرا(۱) فقال له عمرو: يابن عمّ لو كنت مع علىّ وسعنى بيتى و لكنّى مع معاويه فقال له الفتى: إنّك إن لم ترد معاويه لم تردك و لكنك تريد دنياه و يريد دينك.

و بلغ معاويه قول الفتى فطلبه فهرب و لحق بعلىّ فحدّثه بأمر عمرو و معاويه، قال: فسرّ ذلك عليّا و قرّبه قال: و غضب مروان و قال: ما بالى لا اشترى كما اشترى عمر و فقال له معاويه: انما نبتاع لك قال نصر فلمّا كتب الكتاب قال معاويه لعمرو ما ترى؟ قال: امض الرّاى الأوّل فبعث مالك بن هبيره الكندى فى طلب محمّد بن أبى حذيفه فأدركه و قتله، و بعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه، ثمّ قال: ما ترى فى علىّ؟ قال: إنّه قد أتاك فى طلب البيعه خير أهل العراق و من عند النّاس فى أنفس النّاس و دعواك أهل الشّام إلى ردّ هذا البيعه خطر شديد، و رأس أهل الشّام شرجيل بن السّمط الكندى و هو عدوّ لجرير المرسل إليك فابعث إليه و وطئ له ثقاتك فليفشوا فى النّاس أنّ عليّا قتل عثمان و ليكونوا أهل الرّضا عند شرجيل فإنّها كلمه جامعه لك أهل الشّام على ما تحبّ و إن تعلقت بقلب شرجيل لن تخرج منه بشىء أبدا.

فكتب إلى شرجيل أن جرير بن عبد اللّه قدم علينا من عند علىّ بن أبى طالب بأمر مفظع فاقدم، فدعى معاويه بريد بن لبيد و بسر بن أرطاه و عمرو بن سفيان و مخارق ابن الحرث الزّبيدى و حمزه بن مالك و عابس بن سعيد الطائى و هؤلاء رؤساء قحطان و اليمن و كانوا ثقات معاويه و خاصّته و بنى عمّ شرجيل بن السّمط فأمرهم أن يلقوه

۱- (۱) و هو مذكور فى شرح المعتزلى، منه.

و يخبروه أنّ عليّا قتل عثمان.

فلمّا قدم كتاب معاويه على شرجيل و هو بحمّص استشار بأهل اليمن فاختلفوا عليه، فقام إليه عبد الرّحمن بن غنم و هو صاحب معاذ بن جبل و ختنه و كان أفقه أهل الشّام، فنهاه عن المسير إلى معاويه و وعظه و نهاه أيضا عياض اليمانى و كان ناسكا فأبى شرجيل إلاّ أن يسير إلى معاويه فلمّا قدم تلقاه النّاس فاعظموه و دخل على معاويه.

فقال له معاويه: يا شرجيل إنّ جرير بن عبد اللّه يدعونا إلى بيعه علىّ و علىّ خير النّاس لو لا ـ أنّه قتل عثمان و حبست نفسى عليك و إنّما أنا رجل من أهل الشّام أرضى ما رضوا و أكره ما كرهوا فقال شرجيل: أخرج و أنظر، فلقاه هؤلاء النّفر الموطئون له فكلّهم أخبره أنّ عليّا قتل عثمان، فرجع مغضبا إلى معاويه فقال:

يا معاويه أبى النّاس إلاّ أنّ عليّا قتل عثمان، و اللّه إن بايعت له لنخرجك من شامنا أو لنقتلنّك.

فقال معاويه: ما كنت لاخالف عليكم ما أنا إلاّ رجل من أهل الشّام قال:

فردّ هذا الرّجل إلى صاحبه فعرف معاويه أنّ شرجيل قد نفذت بصيرته فى حرب أهل العراق و أنّ الشّام كلّه مع شرجيل و عند ذلك استعدّ للقتال و كتب إلى علىّ عليه السّلام ما ستعرفه فى شرح الكلام الثّالث و الأربعين إنشاء اللّه.

تكمله

قد اشرنا سابقا إلى أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام كالفصلين السابقين ملتقط من كلام طويل له عليه السّلام و لكونه مشتملا على مطالب نفيسه أحببنا أن نورده هنا بتمامه فأقول: روى العلامه المجلسى فى البحار و الشّارح المعتزلى فى شرح الكلام السّابع و السّتين جميعا من كتاب الغارات لإبراهيم بن مسعود الثقفى عن رجاله عن عبد الرّحمان بن جندب عن أبيه قال دخل عمرو بن الحمق و حجر بن عدىّ و حبّه العرنى و الحارث الأعور و عبد اللّه بن سبا على أمير المؤمنين بعد ما افتتحت مصر و هو مغموم حزين فقالوا له: بين لنا ما قولك فى أبى بكر و عمر؟ فقال لهم علىّ عليه السّلام:

هل فرغتم لهـذا و هذه مصـر قد افتتحت و شـيعتى قد قلت أنا مخرج إليكم كتابا اخبركم فيه عمّا سألتم و أسألكم أن تحفظوا من حقّى ما ضيّعتم فاقرءوه على شيعتى و كونوا على الحقّ و هذه نسخه الكتاب:

من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى قرّاء كتابى هذا من المؤمنين و المسـلمين السّلام عليكم فانّى أحمد إليكم اللّه الذى لا إله إلاّ هو أمّا بعد فانّ اللّه بعث محمّدا نذيرا للعالمين أمينا على التّنزيل و شهيدا على هذه الأمّه؛ و أنتم معاشر العرب يومئذ على شرّ دين و فى شـرّ دار منيخون على حجاره خشن و جنادل صمّ و شوك مبثوث فى البلاد، تشربون الماء الخبيث و تأكلون الطعام الجشب و تسـفكون دمـائكم و تقتلون أولاـدكم و تقطعون أرحـامكم و تـأكلون أموالكم بينكم بالباطـل، سـبلكم خائفه و الأصـنام فيكم منصوبه، و لا يؤمن أكثركم باللّه إلاّ و هم مشركون.

فمنّ اللّه عزّ و جـلّ عليكم بمحمّـد فبعثه إليكم رسولاـ من أنفسـكم و قـال فيمـا انزل من كتابه: «هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیـاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتـابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَـلالٍ مُبِینٍ » و قال: «لَقَـدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ » و قال:

«لَقَـدْ مَنَّ اللّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ إِذْ بَعَثَ فِیهِمْ رَسُولاًـ مِنْ أَنْفُسِـهِمْ » و قـال: «ذلِـکَ فَضْلُ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ » فكـان الرّسـول إليكم من أنفسـكم بلسـانكم، فعلّمكم الكتـاب و الحكمه و الفرائض و السّـنه، و أمركم بصـله أرحـامكم و حقن دمائكم و صلاح ذات البين، و أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها، و أن توفوا بالعهد و لا تنقضوا الايمان بعد توكيدها.

و أمركم أن تعاطفوا و تبارّوا و تباشـروا و تباذلوا و تراحموا، و نهاكم عن التّناهب و التّظالم و التّحاسد و التباغى و التقاذف و عن شرب

الحرام و بخس المكيال و نقص الميزان، و تقدّم اليكم فيما تلى عليكم أن لا ـ تزنوا و لا ـ تربوا و لا ـ تأكلوا أموال اليتامى، و أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها و أن لا تعثوا فى الأرض مفسدين، و لا تعتدوا إنّ اللّه لا يحبّ المعتدين.

فكلّ خير يدنى إلى الجنّه و يباعد من النّار أمركم به، و كلّ شرّ يدنى إلى النّار و يباعد من الجنّه نهاكم عنه.

فلمّا استكمل مدّته من الدّنيا توفّاه اللّه إليه سعيدا حميدا فيا لها مصيبه خصّت الأقربين و عمّت جميع المسلمين، ما اصيبوا قبلها بمثلها و لن يعاينوا بعدها اختها فلمّا مضى لسبيله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تنازع المسلمون الأمر من بعده، فو اللّه ما كان يلقى فى روعى و لا يخطر على بالى أنّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن أهل بيته و لا أنّهم تنحّوه عنّى من بعده.

فما راعنى إلا انثيال النّاس على أبى بكر و اجفالهم(١) إليه ليبايعوه، فأمسكت يدى و رأيت أنّى أحقّ بمقام محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ملّه محمّد فى النّاس ممّن تولى الأمر بعده.

فلبثت بذلك ما شاء اللّه حتّى رأيت راجعه من النّاس رجعت عن الاسلام تدعو إلى محق دين اللّه و ملّه محمّد، فخشيت إن لم أنصر الاسلام و أهله أن أرى فيه ثلما و هدما تكون المصيبه (المصاب خ ل) بهما أعظم من فوات ولايه اموركم التى إنّما هى متاع أيّام قلائل ثمّ يزول ما كان منها كما يزول السّراب و كما يتقشع السحاب فمشيت عند ذلك إلى أبى بكر فبايعته و نهضت فى تلك الأحداث حتّى زاغ الباطل و زهق و كانت كلمه اللّه هى العليا و لو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الامور و سدّد و ليس و قارب و اقتصد، فصحبته مناصحا، و أطعته فيما أطاع اللّه فيه جاهدا.

و ما طمعت أن لو حدث به حدث و أنا حىّ أن يردّ إلىّ الأمر الذى بايعته فيه طمع مستيقن و لا يئست منه يائس من لا يرجوه، و لو لا خاصه ما كان بينه و بين عمر لظننت أنّه لا يدفعها عنّى

ص:٣٨٢

١- (١) الاجفال الاسراع لغه.

فلمّا احتضر بعث إلىّ عمر فولاه فسمعنا و أطعنا و ناصحنا و تولى عمر الأمر فكان مرضيّ (۱) السّيره ميمون النقيبه حتّى إذا احتضر قلت فى نفسى لن يعتدلها عنّى ليس يدافعها عنّى فجعلنى سادس ستّه فما كانوا لولايه أحد أشدّ كراهيّه منهم لولايتى عليهم، فكانوا يسمعوننى عند وفات الرّسول احاجّ أبا بكر و أقول يا معشر قريش إنا أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم، أما كان فينا من يقرأ القرآن و يعرف السّنه و يدين بدين الحقّ؟ فخشى القوم إن أنا وليت عليهم أن لا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا فأجمعوا إجماعا واحدا فصرفوا الولايه إلى عثمان و أخرجونى منها رجاء أن ينالوها و يتداولوها إذ يئسوا أن ينالوها من قبلى ثمّ قالوا هلمّ فبايع و إلاّ جاهدناك فبايعت مستكرها و صبرت محتسبا فقال قائلهم: يابن ابى طالب إنّك على هذا الأمر لحريص فقلت: إنّهم أحرص منّى و أبعد، أيّنا أحرص أنا الذى طلبت تراثى و حقّى الذى جعلنى اللّه و رسوله أولى به أم أنتم إذ تضربون وجهى دونه و تحولون بينى و بينه فبهتوا و اللّه لا يهدى القوم الظّالمين.

اللهمّ إنّى استعديك على قريش فانّهم قطعوا رحمى و أضاعوا اناتى و صغروا عظيم منزلتى و أجمعوا على منازعتى حقّا كنت أولى به منهم فسلبونيه ثمّ قالوا:

ألا إنّ فى الحقّ أن تأخذه و فى الحقّ أن تمنعه فاصبر كمدا(۲) أو مت أسفا و حنقا فنظرت فاذا ليس معى رافد و لا ذابّ و لا ناصر و لا مساعد إلاّ أهل بيتى فضننت بهم عن المنيه فاغضيت على القذى و تجرّعت ريقى على الشّجى و صبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم و آلم للقلب من خرالشّفار.

حتّى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثمّ جئتمونى لتبايعونى فأبيت

۱- (۱) أى ظاهرا عند الناس و كذا ما مر فى وصف أبى بكر و آثار التقيه و المصلحه فى الخطبه ظاهره بل الظاهر انها من الحافات المخالفين، بحار

۲- (۲) الكمد الحزن المكتوم.

علیکم و امسکت یدی فنازعتمونی و دافعتمونی و بسطتم یدی فکففتها، و مددتموها فقبضتها، و ازدحمتم علیّ حتّی ظننت أنّ بعضکم قاتل بعضکم و أنّکم قاتلی فقلتم بایعنا لا نجد غیرک و لا نرضی إلاّ بک بایعنا لا نفترق و لا تختلف کلمتنا فبایعتکم و دعوت الناس إلی بیعتی، فمن بایع طوعا قبلته منه و من أبی لم اکرهه و ترکته فبایعنی فیمن بایعنی طلحه و الزبیر و لو أبیا ما أکرهتهما کما لم أکره غیرهما.

فما لبثنا إلاّ یسیرا حتّی بلغنی أنّهما قد خرجا من مکّه متوجّهین إلی البصره فی جیش ما منهم رجل إلاّ قد أعطانی الطاعه و سمح لی بالبیعه، فقدما علی عاملی و خزّان بیت مالی و علی أهل مصر فی الذین کلّهم علی بیعتی و فی طاعتی، فشتّتوا کلمتهم و أفسد و اجماعتهم، ثمّ دثبوا علی شیعتی من المسلمین فقتلوا طائفه منهم غدرا، و طائفه صبرا، و طائفه منهم غضبوا للّه فشهروا سیوفهم و ضربوا بها حتّی لقوا اللّه صادقین.

فو اللّه لو لم یصیبوا منهم إلاّ رجلا واحدا متعمّدین لقتله لحلّ لی به قتل ذلک الجیش بأسره فدع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمین أکثر من العده الّتی دخلوا بها علیهم، و قد أدال اللّه منهم فبعدا للقوم الظالمین.

ثمّ إنّی نظرت فی أمر أهل الشّام فاذا أعراب أحزاب و أهل طمع جفاه طغاه یجتمعون من کلّ أوب من کان ینبغی أن یؤدّب أو یولی علیه و یؤخذ علی یدیه لیسوا من المهاجرین و لا الأنصار و لا التّابعین باحسان، فسرت إلیهم فدعوتهم إلی الطاعه و الجماعه فأبوا إلاّ شقاقا و فراقا و نهضوا فی وجوه المسلمین ینظمونهم بالنّبل و یشجرونهم بالرّماح فهناک نهدت إلیهم بالمسلمین فقاتلتهم.

فلمّا عضّهم السّلاح و وجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف یدعونکم إلی ما فیها فأنبأتکم أنّهم لیسوا بأهل دین و لا قرآن و أنّهم رفعوها غدرا و مکیده و خدیعه و وهنا و ضعفا فامضوا علی حقّکم و قتالکم، فأبیتم علیّ و قلتم اقبل منهم فان أصابوا إلی ما فی الکتاب جامعونا علی ما نحن علیه من الحقّ، و إن أبوا کان أعظم لحجّتنا

عليهم فقبلت منهم و كففت عنهم إذ دنيتم و أبيتم و كـان الصّـلح بينكم و بينهم على رجلين يحييـان ما أحيى القرآن و يميتان ما أمـات القرآن، فـاختلف رأيهمـا و تفرّق حكمهمـا و نبـذا حكم القرآن و خالفـا مـا فى الكتاب فجنّبهما اللّه السّـداد و ولّاهما فى الضّـلاله، فنبـذا حكمهمـا و كانـا أهله فـانخزلت فرقه منّا فتركناهم ما تركونا حتّى إذا عثوا فى الأرض يقتلون و يفسـدون أتيناهم فقلنا ادفعوا إلينا قتله إخواننا ثمّ كتاب اللّه بيننا و بينكم قالوا:

كلّنا قتلهم و كلّنا استحلّ دمائهم و دمائكم و شدّت علينا خيلهم و رجالهم فصرعهم اللّه مصارع الظالمين.

فلمّا كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عـدوّكم فقلتم: كلّت سـيوفنا و نفـدت نبالنا و نصـلت(١) سنه رماحنا، و عاد اكثرها قصـدا فارجع بنا إلى مصـرنا لنسـتعدّ بأحسن عـدّتنا فاذا رجعت زدت فى مقاتلتنا عدّه من هلك منّا و فارقنا فانّ ذلك أقوى لنا على عدوّنا.

فأقبلت بكم حتّى إذا ظللتم(٢) على الكوفه أمرتكم أن تنزلوا بالنخيله و أن تلزموا معسـكركم و أن تضمّوا قواضيكم و أن توطنوا على الجهـاد أنفسـكم و لاـ تكثروا زيـاره أبنـائكم و نسائكم فانّ أهل الحرب لمصابروها، و أهل القشـيم فيها غاصيه فلا من بقى منكم صبر و ثبت، و لا من دخل المصر عاد إلىّ و رجع، فنظرت إلى معسكرى و ليس فيه خمسون رجلا:

فلمّـا رأيت مـا أتيتم دخلت إليكم فلم أقـدر إلى أن تخرجوا إلى يومنـا هـذا فما تنتظرون أ ما ترون أطرافكم قـد انتقصت، و إلى مصركم قد فتحت، و إلى شيعتى بها قد قتلت، و إلى مسالحكم(٣) تغرى(۴) ، و إلى بلادكم، تغزى، و أنتم ذوو عدد

١- (١) نصل السهم إذا خرج منه النصل و نصل السهم اذا ثبت نصله ق.

٢- (٢) اظل على الشيء اشرف.

٣- (٣) المسالح الثغور.

۴- (۴) اى خاليه عن الرجال و السلاح.

كثير، و شوكه و بأس شديد.

فما بالكم للّه أنتم من أين تؤتون، و مالكم تسحرون، و أنّى تؤفكون، و لو عزمتم و أجمعتم لم تراموا إلّا أنّ القوم قد اجتمعوا و تناشبوا و تناصحوا و أنتم قد دنيتم و تغاششتم و افترقتم ما أنتم إن اتممتم عندى على هذا بمنقذين فانتهوا عمّا نهيتم و اجمعوا على حقّكم و تجرّدوا لحرب عدوّكم قد أبدت الرّغوه من التّصريخ(۱) و بين الصّبح لذى عينين.

انّما تقاتلون الطلقاء و أبناء الطّلقاء و اولى الجفاء و من أسلم كرها فكان لرسول اللّه انف(۲) الاسلام كلّه حربا أعداء اللّه و السّنه و القرآن و أهل البدع و الأحداث و من كانت بوايقه تتقى و كان على الاسلام و أهله مخوفا آكله الرّشا و عبده الدّنيا.

لقد انهى إلىّ أنّ ابن النّابغه لم يبايع معاويه حتّى اعطاه و شرط له أن يؤتيه اتيه هى أعظم ممّا فى يده من سلطانه الا صفرت يد هذا البايع دينه بالدّنيا، و خزيت أمانه هذا المشترى بنصره فاسق غادر بأموال المسلمين و أنّ فيهم من قد شرب فيكم الخمر و جلد الجلد (الحد خ) يعرف بالفساد فى الدّين و فى الفعل السّيئ و أنّ فيهم من لم يسلم حتّى رضخ له رضيخه (رضخه خ) فهؤلاء قاده القوم و من تركت ذكر مساويه من قادتهم مثل من ذكرت منهم بل هو شرّ و يودّ هؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر و الفساد و الفجور و التّسلّط بالجبريّه و اتّبعوا الهوى و حكموا بغير الحقّ، و لأنتم على ما كان فيكم من تواكل و تخاذل خير منهم و أهدى سبيلا فيكم العلماء و الفقهاء و النّجباء و الحكماء و حمله الكتاب و المتهجّدون بالأسحار و عمّار المساجد بتلاوه القرآن.

أفلا تسخطون و تهتمون أن ينازعكم الولايه عليكم سفهاؤكم و الأشرار الأرازل منكم فاسمعوا قولى و أطيعوا أمرى إذا أمرت فو اللّه لئن أطعتموه لا تغورون، و إن عصيتموه لا ترشدون.

۱- (۱) التصريخ اللبن الخالص اذا ذهبت رغوته.

۲- (۲) انف كل شيء اوله و انف البرد اشده.

خـذوا للحرب اهبتها و أعدّوا عدّتها فقد شبـت نارها و علا سـناؤها و تجرّد لكم فيها الفاسـقون كى يعذّبوا عباد اللّه و يطفئوا نور اللّه ألاـ إنّه ليس أوليـاء الشّـيطان من أهـل الطّمع و المكر و الجفاء بأولى فى الجـدّ فى غيّهم و ضـلالهم من أولياء اللّه أهل البرّ و الزّهاده و الاخبات بالجدّ فى حقهم و طاعه ربّهم و مناصحه إمامهم.

اى و اللّه لو لقيتهم فردا و هم ملاء الأرض ما باليت و لا اسـتوحشت و انّى من ضـلالتهم التى هم فيها و الهـدى الـذى نحن عليه لعلى ثقه و بيّنه و يقين و بصيره، و إنّى إلى لقاء ربّى لمشتاق و لحسن ثوابى لمنتظر و لكن أسفا يعترينى و حزنا يخامرنى أن يلى أمر هذه الامه سفهاؤها و فجّارها، فيتّخذوا مال اللّه دولا و عباد اللّه خولا و الفاسقين حزبا.

و أيم اللّه لو لا ذلك لما أكثرت تأنيبكم و تحريضـكم، و لتركتكم إذا دنيتم و أبيتم حتّى ألقاهم بنفسى متى حمّ (۱) لى لقائهم، فو اللّه إنّى لعلى الحقّ، و إنّى للشّهاده لمحبّ.

ف «انْفِرُوا خِفافـاً وَ ثِقالاً وَ جاهِـدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِـكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »، و لا تثاقلوا إلى الأرض فتقرّوا بـالخسف و تبوءوا بالـذّل و يكن نصـيبكم الآـخر إنّ أخا الحرب ليقظان و من ضـعف أودى(۲) و من ترك الجهـاد كان كالمغبون المهين.

اللهمّ اجمعنا و إيّاهم على الهدى، و زهّدنا و إيّاهم فى الدّنيا، و اجعل الآخره خيرا لنا و لهم من الاولى، و السّلام.

الترجمه

بعض ديگر از اين خطبه اشاره است بر قصّـهٔ بيعت عمرو عاص بر معاويه ملعون مى فرمايد كه بيعت نكرد عمرو عاص حتّى اين كه شـرط نمود آنكه بدهـد معـاويه بـاو بر بيعت او ثمن و بهـائى كه عبـارت بود از حكومت مصـر، پس مظفّر مباد دست بيعت كننده

ص:۳۸۷

۱- (۱) حم اى قدر و احم اى حان وقته، لغه.

۲- (۲) اودى فلان هلك.

و خوار و ذلیل باد عهد و پیمان بیعت نموده شده، پس اخذ نمائید از برای جنک اسلحهٔ جنک را و مهیّا سازید از برای او ساز و یراق آن را، و بتحقیق که افروخته شد آتش حرب و بلند شد شعلهٔ او و شعار خود نمائید صبر و شکیبائی را در معرکهٔ قتال پس بدرستی که استشعار صبر اقوی داعی است از برای انتصار و ظفر و اللّه اعلم.

و من خطبه له علیه السّلام و هی السابعه و العشرون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

و هذه من مشاهیر خطبه و صدرها مرویه فی الوسائل من الکافی عن أحمد بن محمّد بن سعید عن جعفر بن عبد اللّه العلوی و عن أحمد بن محمّد الکوفی عن علیّ بن العبّاس عن إسماعیل بن إسحاق جمیعا عن أبی روح فرخ بن فروه عن مسعده بن صدقه عن ابن أبی لیلی عن أبی عبد الرّحمان السّلمی عنه علیه السّلام.

و رواها المبرّد فی أوائل الکامل و العلاّمه المجلسی فی البحار من معانی الأخبار للصّدوق بزیاده و نقصان لیطلع علیها بعد الفراغ من شرح ما أورده السّید فی الکتاب و هو قوله:

أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّه، فتحه اللّه لخاصّه أولیائه و هو لباس التّقوی و درع اللّه الحصینه و جنّته الوثیقه، فمن ترکه رغبه عنه ألبسه اللّه ثوب الذّلّ و شمله البلاء، و دیّث بالصّغار و القماء، و ضرب علی قلبه بالأسداد، و أدیل الحقّ منه بتضییع الجهاد، و سیم الخسف و منع النّصف. ألا و إنّی قد دعوتکم إلی قتال هؤلاء القوم لیلا و نهارا و سرّا

و إعلانـا، و قلت لكم اغزوهم قبـل أن يغزوكم، فو اللّه مـا غزى قوم قـطّ فى عقر دارهم إلاّ ذلّوا، فتواكلتم و تخاذلتم حتّى شـنّت عليكم الغـارات، و ملكت عليكم الأوطـان، و هـذا أخو غامـد قـد وردت خيله الأنبار، و قـد قتل حسّان بن حسّان البكرى و أزال خيلكم عن مسالحها، و لقـد بلغنى أنّ الرّجل منهم كان يـدخل على المرأه المسـلمه، و الاخرى المعاهـده فينتزع حجلها و قلبها و قلائـدها و رعاثهـا، مـا تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع و الإسترحام، ثمّ انصـرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم، و لا أريق له دم. فلو أنّ امرء مسـلما مات من بعد هذا أسـفا ما كان به ملوما، بل كان به عندى جديرا، فيا عجبا عجبا و اللّه يميت القلب و يجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء على باطلهم، و تفرّقكم عن حقّكم، فقبحا لكم و ترحا، حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم و لا تغيرون، و تغزون و لا تغزون، و يعصـى اللّه و ترضون، فإذا أمرتكم بالسّير فى أيّام الحرّ قلتم هذه حمارّه القيظ أمهلنا يسبخ عنّا الحرّ، و إذا أمرتكم بالسّير إليهم فى الشّتاء قلتم هذه صبّاره القرّ أمهلنا ينسلخ عنّا البرد، كلّ هذا فرارا من الحرّ و القرّ، فإذا كنتم من الحرّ و القرّ تفرّون فأنتم و اللّه من السّيف أفرّ.

ص:٣٨٩

يا أشباه الرّجال و لا رجال، حلوم الأطفال، و عقول ربّات الحجال، لوددت أنّى لم أركم و لم أعرفكم، معرفه و اللّه جرّت ندما و أعقبت سدما، قاتلكم اللّه لقد ملئتم قلبى قيحا، و شحنتم صدرى غيظا، و جرّعتمونى نغب التّهمام أنفاسا، و أفسدتم علىّ رأيى بالعصيان و الخذلان، حتّى قالت قريش: إنّ ابن أبى طالب رجل شجاع، و لكن لا علم له بالحرب للّه أبوهم، و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا، و أقدم فيها مقاما منّى، لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، و ها أنا ذا قد ذرّفت على السّتين و لكن لا رأى لمن لا يطاع.

اللغه

(درع) الحديد مؤنث سماعى و قد يذكّر و (الجنّه) بالضمّ كلّ ما وقى و (شمله) ربّما يفرء بالتّاء و هى كساء تغطى به و الفعل أظهر كما هو المضبوط و (ديثه) ذلله و منه الدّيوث الذى لا غيره له و (الصّغار) الذّل و الضّيم و (القماء) بالمد الصّغار و عن الرّاوندى القما بالقصر و هو غير معروف، و فى روايه الكافى القمائه قال فى القاموس: قمأ كجمع و كرم قمائه و قمائه و قماء بالضمّ و الكسر ذلّ و صغر و (الاسداد) بفتح الهمزه جمع السدّ و هو الحاجز يقال: ضربت عليه الارض بالاسداد سدت عليه الطرق و عميت عليه مذاهبه و فى بعض النّسخ بالاسهاب يقال اسهب الرّجل بالبناء للمفعول إذا ذهب عقله من اذى يلحقه و (اديل الحقّ منه) أى يغلب الحقّ عليه فيصيبه الوبال كقول سيّد العابدين عليه السّلام فى الصّحيفه ادل لنا و لا تدل منّا، و الا داله الغلبه و (سيم) بالبناء للمفعول من سامه خسفا أى كلفه ذلا و النصف ()

بكسر النّون الانصاف و (عقر) الشىء بالضّم أصله و وسطه و (التّواكل) أن يكل الأمر كلّ واحد منهم إلى صاحبه يقال تواكل القوم اتكل بعضهم على بعض و تخاذلوا و منه رجل و كل اى عاجز يكل أمره إلى غيره و (شنّت) أى مزقت قال الشّارح المعتزلى: و ما كان من ذلك متفرّقا نحو إرسال الماء على الوجه دفعه بعد دفعه فهو بالشين، و ما كان ارسالا غير متفرّق فهو بالسّين المهمله و (اخو غامد) هو سفيان بن عوف الغامدى منسوب إلى الغامد قبيله من اليمن و (الانبار) بلد قديم من بلاد العراق على الفرات من الجانب الشّرقى و (المسالح) جمع مسلحه و هى الحدود التى رتب فيها ذو الأسلحه لدفع العدو كالثغر و (المعاهده) بصيغه اسم الفاعل ذات العهد و هى الذميه و (الحجل) بفتح الحاء و كسرها الخلخال و (القلب) بالضمّ سوار المرأه و (الرّعاث) جمع رعثه بفتح الرّاء و سكون العين و فتحها و هى القرط، و الرّعاث أيضا ضرب من الحلىّ.

و (الاسترجاع) قول إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، و قيل ترديد الصّوت بالبكاء و (الاسترحام) مناشده الرّحم أى قول انشدك اللّه و الرّحم، و قيل طلب الرّحم و هو بعيد و (انصرفوا وافرين) اى تامين يقال و فر الشىء أى تمّ و وفرت الشىء أى أتممته.

و فى روايه المبرد و الصّدوق موفورين، و هو بمعناه و (الكلم) الجرح و (التّرح) محركه ضدّ الفرح و (الغرض) الهدف و (خماره القيظ) بتشديد الرّاء شدّه حرّه و (تسبخ الحرّ) بالسّين و الباء و الخاء المعجمه سكن و فتر كسبخ تسبيخا و (صبّاره) الشّتاء بالتّشديد شدّه برده و (القرّ) بضمّ القاف البرد أو يخصّ بالشّتاء و (ربّات الحجال) النّساء أى صواحبها أو اللاّتى ربّين فيها، و هى جمع حجله و هى بيت يزيّن فيها.

و (السّدم) الحزن و (قاتلكم اللّه) كنايه عن اللّعن و الابعاد و (القيح) الصّديد بلادم و (النّغب) جمع نغبه كالجرعه لفظا و معنى و (التّهمام) بفتح التاء

ص:٣٩١

الهمّ و (انفاسا) أى جرعه بعد جرعه و (للّه أبوهم) كلمه مدح و لعلّها استعملت هنا للتّعجب و (المراس) مصدر مارسه أى زاوله و عالجه و (ذرّفت على السّتين) بتشديد الرّاء أى زدت.

الاعراب

لباس التّقوى بحذف المضاف أى لباس أهل التّقوى، و يمكن عدم الحذف بالتأويل الآتى و إضافه الثّوب إلى الذّلّ بيانيّه، و الباء فى قوله بتضييع الجهاد للسّببيّه و سيم الخسف النّائب عن الفاعل ضمير من، و الخسف بالنّصب مفعول اى كلّف بالخسف و الزم اه، و كلمه على فى قوله و ملكت عليكم تفيد الاستعلاء بالقهر و الغلبه و الضمير فى قوله ما كان به راجع إلى الموت المستفاد من مات.

و قوله: فيا عجبا منصوب على النّداء اصله يا عجبى اى احضر هذا أوانك، و عجبا الثّانى إمّا توكيد له أو منصوب بالمصدريه أى أيّها النّاس تعجبوا منهم عجبا، و القسم معترض بين الصفه و الموصوف.

و قبحا و ترحا منصوبان على المصدريّه، و لا ـ رجال خبره محذوف، و حلوم الاطفال و عقول ربّات الحجال إمّا بالنّصب على حذف حرف النّداء أى يا ذوى حلوم الأطفال و ذوى عقول النّساء، و فى بعض النّسخ بالرّفع أى حلومكم حلوم الأطفال و عقولكم عقول النّساء، و معرفه يمكن أن يكون فعله محذوفا أى عرفتكم معرفه جرت ندما، و أنفاسا مفعول مطلق لجرعتمونى على غير لفظه، و الضّماير الثّلاثه للحرب و هى مؤنّثه و قد يذكّر.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشّريفه ممّا خطب بها فى أواخر عمره الشّريف، و ذلك بعد ما انقضى وقعه صفّين و استولى معاويه على البلاد و أكثر القتل و الغاره فى الأطراف و أمر سفيان بن عوف الغامدى بالمسير إلى الأنبار و قتل أهلها.

و تفصيله هو ما رواه الشّارح المعتزلى من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثّقفى عن ابن الكنود.

قال: حدّثنی سفیان بن عوف الغامدی، قال دعانی معاویه فقال: إنّی باعثک فی جیش کثیف ذی اداه و جلاده فالزم لی جانب الفرات حتّی تمرّ بهیت فتقطعها فان وجدت بها جندا فاغر علیهم و إلاّ فامض حتّی تغیر علی الأنبار فان لم تجد بها جندا فامض حتّی توغل المداین، ثمّ اقبل إلی و اتّق أن تقرب الکوفه و اعلم أنّک إن أغرت علی الأنبار و أهل المداین فکأنّک أغرت علی الکوفه، إنّ هذه الغارات یا سفیان علی أهل العراق ترعب قلوبهم، و تفرح کلّ من له فینا هوی منهم، و تدعو الینا کل من خاف الدّوائر، فاقتل من لقیت ممّن لیس هو علی مثل رأیک، و اخرب کلّ ما مررت به من القری، و احرب الأموال فانّ حرب الأموال شبیه بالقتل، و هو أوجع للقلب.

قال: فخرجت من عنده فعسکرت و قام معاویه فی النّاس خطبهم فقال: أیّها النّاس انتدبوا مع سفیان بن عوف فانّه وجه عظیم فیه اجر سریعه فیه ادبتکم إن شاء اللّه ثمّ نزل.

قال: فو الّذی لا إله غیره ما مرّت ثالثه حتّی خرجت فی سته آلاف، ثمّ لزمت شاطیء الفرات فاغذذت السّیر حتّی أمرّ بهیت فبلغهم أنّی قد غشیتهم فقطعوا الفرات فمررت بها و ما بها غریب کأنّها لم تحلّل قط، فوطیتها حتّی أمرّ بصدوراء ففرّوا فلم ألق بها أحدا فامضی حتّی افتتح الأنبار و قد انزر و ابی فخرج صاحب المسلحه فوقف الی فلم اقدم علیه حتی أخذت غلمانا من أهل القریه فقلت لهم: أخبرونی کم بالانبار من أصحاب علیّ؟ قالوا: عده رجال المسلحه خمسمائه و لکنّهم قد تبدّدوا و رجعوا إلی الکوفه و لا ندری بالذی یکون فیها قد یکون مأتی رجل.

فنزلت فکتبت أصحابی کتائب ثمّ أخذت أبعثهم إلیه کتیبه بعد کتیبه فیقاتلهم و اللّه و یصبر لهم و یطاردهم و یطاردون فی الأزقه فلما رأیت ذلک انزلت إلیهم نحوا من مأتین و أتبعتهم الخیل، فلمّا حملت علیهم الخیل و أمامها الرّجال تمشی لم یکن شیء حتّی تفرّقوا، و قتل صاحبهم فی نحو من ثلاثین رجلا، و حملنا ما کان فی الأنبار من الأموال ثمّ انصرفت.

فو اللّه ما غزوت غزاه کانت أسلم و لا أقرّ للعیون و لا أسرّ للنّفوس منها و بلغنی

ص:۳۹۳

أنّها رعبت النّاس فلمّا عدت إلى معاويه حدّثته الحديث على وجهه فقال: كنت عند ظنى بك لا تنزل فى بلد من بلدانى إلاّ قضيت فيه مثل ما يقضى فيه أميره و إن أحببت توليته وليتك، و ليس لأحد من خلق اللّه عليك أمر دونى قال: فو اللّه ما لبثنا إلاّ يسيرا حتّى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الابل هرّابا من عسكر علىّ عليه السّلام.

قال إبراهيم و قدم علج من أهل الأنبار على علىّ فأخبره الخبر قصد المنبر فخطب النّاس و قال: إنّ أخاكم البكرى قد أصيب بالانبار و هو معتزل لا يخاف ما كان و اختار ما عند اللّه على الدّنيا، فانتدبوا إليهم حتّى تلاقوهم فان أصبتم منهم طرفا انكلتموهم عن العراق ابدا ما بقوا.

ثمّ سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلّم متكلّم منهم بكلمه، فلم ينفس أحد منهم بكلمه فلما رأى صمتهم نزل و خرج يمشى راجلاـ حتّى اتى النّخيله و النّاس يمشون خلفه حتّى أحاط به قوم من أشرافهم فقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك، فقال: ما تكفوننى و لا تكفون أنفسكم، فلم يزالوا به حتّى صرفوه إلى منزله، و هو واجم كئيب.

و دعى سعيد بن قيس الهمدانى فبعثه من النّخيله فى ثمانيه آلاف، و ذلك إنّه اخبر أنّ القوم جاءوا فى جمع كثيف، فخرج سعيد بن قيس على شاطىء الفرات فى طلب سفيان بن عوف حتّى إذا بلغ عامات، سرح أمامه هانى بن الخطاب الهمدانى فاتبع آثارهم حتّى دخل أدنى أرض قنسرين، و قد فاتوه فانصرف.

قال: و لبث علىّ عليه السّـلام حتّى ترى فيه الكـأبه و الحزن حتّى قدم عليه سعيد بن قيس و كان تلك الأيام عليلا فلم يقو على القيام فى النّاس بما يريده من القول، فجلس بباب السّده التى تصل إلى المسجد و معه ابناه حسن و حسين عليهما السّلام و عبد اللّه بن جعفر.

و دعا سعدا مولاه، فدفع إليه الكتاب و أمره أن يقرأه على النّاس، فقام سعد بحيث يسمع علىّ عليه السّلام صوته و يسمع ما يرد النّاس عليه ثمّ قرء الخطبه هذه (أمّا بعد فانّ الجهاد باب من أبواب الجنّه فتحه اللّه لخاصّه أوليائه) كما رواه فى الكافى

عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن النّوفلی عن السّکونی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: للجنّه باب یقال باب المجاهدین یمضون إلیه فاذا هو مفتوح و هم متقلّدون بسیوفهم و الجمع فی الموقف و الملائکه ترحّب بهم.

و المراد بخواص الأولیاء المخلصون له فی المحبّه و العباده، و من المعلوم أنّ الجهاد فی سبیل اللّه لوجه اللّه لا لغرض آخر من خواصّ الکاملین فی العباده و الخالصین فی المحبّه.

و ذلک لأنّ المرء المسلم إذا فارق أهله و أولاده و سلک إلی الجهاد مع علمه بأنّ العدوّ لو قهره قتله و یتملّک أمواله و یستبیح ذرّیته و مع هذه کلّها یوطن نفسه علی الصّبر و الثّبات امتثالا لأمر اللّه و طلبا لمرضاته سبحانه فذلک الولیّ الکامل و المؤمن الخالص فی مقام الایمان و العبودیّه، و حقیق بأن یدخل فی زمره:

«أَلا إِنَّ أَوْلِیاءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ » و أن یستبشر بشاره: «إِنَّ اللّهَ اشْتَری مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ فَیَقْتُلُونَ وَ یُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَیْهِ حَقًّا فِی التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِیلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفی بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَیْعِکُمُ الَّذِی بایَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ » (و هو لباس التّقوی) أی به یتّقی فی الدّنیا من غلبه الأعادی، و فی الآخره من حرّ النّار کما یتّقی بالثّوب من الحرّ و البرد، أو هو یدفع المضارّ عن التّقوی و یحرسها، أو عن أهل التّقوی بحذف المضاف (و درع اللّه الحصینه) الواقیه (و جنّته الوثیقه) المحکمه بها یحفظ النّفس من المضارّ و یحترز من ذوی الأشرار (فمن ترکه) کراهه له و (رغبه عنه ألبسه اللّه ثوب الذّل) فی الآخره و الاولی (و شمله البلاء) و فتنه الأعداء (و دیث بالصغار و القماء).

كما قال صلوات اللّه و سلامه عليه و آله:(۱) فمن ترك الجهاد ألبسه اللّه ذلا و فقرا فى معيشته، و محقا فى دينه إنّ اللّه أغنى أمّتى بسنابك خيلها و مراكز رماحها (و ضرب على قلبه بالاسداد) فعجز عن تدبير مصالحه و عميت عليه مذاهبه و ضاقت له مسالكه (و اديل الحقّ منه بتضييع الجهاد) فتورّط فى الضّلال و لحقه الوبال (و سيم الخسف) و الذّله (و منع النّصف) و العداله.

و قد تحصّل ممّا ذكره عليه السّلام منافع الجهاد و مصالحه و مفاسد تركه و معايبه، و فيه تحضيض على القيام به، و ترهيب عن القعود عنه، فانه و إن كان شاقّا على النّفس فى بادى الأمر من حيث كون أعظم ما يميل إليه الطبع الحياه؛ و كون بقاء النفس للنّفس مطلوبا إلاّ أنّه بعد ملاحظه ما يترتّب على القيام به من المنافع و الثّمرات و على القعود عنه من المضارّ و العيوبات يسهل عليه القيام به، و يشرى نفسه ابتغاء مرضات اللّه كما قال تعالى:

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ » يعنى أنّ الشّىء ربما كان شاقّا عليكم فى الحال و هو سبب للمنافع الجليله فى المستقبل و بالعكس، و لأجله حسن شرب الدّواء المرّ فى الحال لتوقّع حصول الصّحه فى المستقبل، و حسن تحمّل الأخطار فى الأسفار بتوقّع حصول الرّبح و الجهاد كذلك لأنّ تركه و إن كان يفيد فى الحال صون النّفس عن خطر القتل و صون المال عن الانفاق، و لكن فيه أنواع من المضارّ الدّنيويه و الاخرويه، كالذّلّ و الفقر و حرمان بالغنيمه و محق الدّين و طمع الأعداء، حيث إنّ العدوّ إذا علم ميل نظرائه إلى الدّعه و السّكون قصد بلادهم و حاول قتلهم فامّا أن يأخذهم

۱- (۱) رواه فى الكافى عن أبى عبد اللّه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

و يستبيح دمائهم و أموالهم و يسبى ذراريهم، و إمّا أن يحتاجوا إلى قتاله من غير اعداد آله و سلاح.

و هذا يكون كترك مداواه المريض مرضه فى أوّل ظهوره بسبب مراره الدّواء، ثمّ يصير فى آخر الأمر مضطرّا إلى تحمّل أضعاف تلك النّفره و المشقّه، مضافا إلى ما يفوته من الثّمرات الجليله فى الدّنيا و الآخره من الأمن و سلامه الوقت و الفوز بالغنيمه و حلاوه الاستيلاء على الأعداء، و الدّرجات التى وعدها اللّه بقوله:

«فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنى وَ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً » و البشرى التى بشّر بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للشّهداء منهم بقوله: للشّهيد سبع خصال(۱) من اللّه أول قطره منه مغفور له كلّ ذنب، و الثانيه يقع رأسه فى حجر زوجتيه من الحور العين و تمسحان الغبار عن وجهه و تقولان مرحبا بك و يقول هو مثل ذلك لهما، و الثّالثه يكسى من كسوه الجنّه، و الرّابعه تبتدره خزنه الجنّه بكلّ ريح طيّبه أيّهم يأخذه معه، و الخامسه أن يرى منزله، و السّادسه يقال لروحه اسرح فى الجنّه حيث شئت، و السّابعه أن ينظر فى وجه اللّه و أنّها لراحه لكلّ نبىّ و شهيد.

و كيف كان فانّه عليه السّلام لمّا صدّر خطبته بذكر منافع الجهاد و مضارّه فعلا و تركا أشار إلى مقصوده الذى مهّد له تلك المقدّمه و هو حثّهم على جهاد معاويه و أصحابه فقال:(الا و انى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم) القاسطين الفاسقين (ليلا و نهارا و سرّا و إعلانا و قلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم فو اللّه ما غزى قوم قط فى عقر دارهم الاّ ذلّوا).

و سرّ ذلك ما أشار اليه الشّارح البحرانى، و هو أنّ للأوهام أفعال عجيبه

۱- (۱) رواه فى الوسائل عن زيد بن على عن ابيه عن آبائه قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) الحديث منه.

فى الأبـدان تـاره بزيـاده القوّه و تـاره بنقصانها حتّى أنّ الوهم ربّما كان سـببا لمرض الصّحيح لتوهّمه المرض و بالعكس، فكان السّبب فى ذلّ من غزى فى عقر داره و إن كان معروفا بالشّجاعه هو الأوهام.

أمّا أوهامهم فلأنّها تحكم بأنّها لم تقدم على غزوهم إلاّ لقوّه غازيهم و اعتقادهم فيهم الضّعف بالنّسبه إليه، فينفعل إذن نفوسهم عن ذلك الأوهام، و تنقهر عن المقاومه و تضعف عن الانبعاث و تزول غيرتها و حميّتها فتحصل على طرف رذيله الذّلّ.

و أمّا أوهام غيرهم فلأنّ الغزو الذى يلحقهم يكون باعثا لكثير الأوهام على الحكم بضعفهم و محرّكا لطمع كلّ طامع فيهم، فيثير ذلك لهم أحكاما و حميّه يعجزهم عن المقاومه.

ثمّ إنّه أشار إلى ما قابلوا به نصحه بقوله (فتواكلتم) أى وكل كلّ واحد منكم أمره إلى غيره (و تخاذلتم) أى خذل بعضكم بعضا (حتّى شنّت عليكم الغارات) و صبّت من كلّ جانب دفعه بعد دفعه (و ملكت عليكم الأوطان) بالقهر و الغلبه و العدوان (و هذا أخو غامد) سفيان بن عوف الغامدى (قد وردت خيله الانبار) بأمر معاويه اللّعين الجبّار (و قد قتل حسّان بن حسّان البكرى) و كان من اصحابه واليا على الأنبار.

روى إبراهيم بن محمّد الثّقفى فى كتاب الغارات عن عبد اللّه بن قيس عن حبيب ابن عفيف قال: كنت مع حسّان بالانبار على مسلحها إذ صبحنا سفيان بن عوف فى كتائب تلمع الأبصار منها فها لونا و اللّه و علمنا إذ رأيناهم أنّه ليس لنا طاقه بهم و لا يد، فخرج إليهم صاحبنا و قد تفرّقنا فلم يلقهم نصفنا، و أيم اللّه لقد قاتلناهم فأحسّنا قتالهم حتّى كرهونا، ثمّ نزل صاحبنا و هو يتلو قوله تعالى:

«فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً» ثمّ قال لنا: من كان لا يريد لقاء اللّه و لا يطيب نفسا بالموت فليخرج عن القريه

ص:٣٩٨

ما دمنا نقاتلهم؛ فانّ قتالنا إيّاهم شاغل لهم عن طلب هارب، و من أراد ما عند اللّه فما عند اللّه خير للأبرار، ثمّ نزل فى ثلاثين رجلا، فهممت بالنزول معه ثمّ أبت نفسى فتقدّم هو و أصحابه فقاتلوا حتّى قتلوا رحمهم اللّه.

(و أزال خيلكم عن مسالحها) و حدودها المعدّه لها (و لقد بلغنى أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأه المسلمه و) المرأه (الاخرى المعاهده ف) كان (ينتزع) منها (حجلها) و خلخالها (و قلبها) و سوارها (و قلائدها) من نحرها (و رعاثها) من آذانها (ما) يمكن ان (تمتنع منه إلّا) بالتّذلل و (بالاسترجاع) و الخضوع (و الاسترحام ثمّ انصرفوا) بعد القتل و الغاره (وافرين) تامين غير مرزوئين (ما نال رجل منهم كلم و لا اريق له دم فلو أنّ امرء مسلما) ذا غيره و حميّه (مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان به عندى جديرا) و حقيقا.

(فيا عجبا عجبا) أىّ عجب (و اللّه يميت) ذلك العجب (القلب و يجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم) مع علمهم بأنّهم على الباطل (و تفرّقكم عن حقّكم) مع معرفتكم بأنّكم على الحقّ (فقبحا لكم و ترحا) و هما (حين) تثاقلتم عن الجهاد حتّى (صرتم غرضا يرمى) بالنّبال ألا تستحيون من سوء عملكم و لا تخجلون من قبح فعلكم (يغار عليكم و لا تغيرون و تغزون و لا تغزون و يعصى اللّه) بقتل الأنفس و نهب الأموال و هتك العرض و تخريب البلاد (و) أنتم (ترضون) بذلك إذ لو لا رضاكم لما تمكّن العدوّ منكم و لما هجم عليكم (فاذا أمرتكم بالسّير إليهم فى أيّام الحرّ) تخلّفتم عن أمرى و اعتذرتم و (قلتم هذه حماره القيظ) و هجمه الصيف (أمهلنا حتّى يسبخ عنّا الحرّ) و يفتر عنّا الهجر (و إذا أمرتكم بالسّير إليهم فى) أيّام (الشّتاء) عصيتم أمرى و (قلتم هذه صباره القرّ أمهلنا ينسلخ عنّا البرد) و ينقضى القرّ و (كلّ هذا) الاستمهال و الإعتذار (فرارا من الحرّ و القرّ فاذا كنتم من الحرّ و القرّ تفرّون) مع هوانهما (فأنتم و اللّه من السّيف أفرّ) على شدّته إذ لا مناسبه بين شدّه الحرّ و القرّ و بين القتل بالسّيف و المجاهده مع الأبطال.

ص:٣٩٩

(يا أشباه الرّجال) خلقه و صوره (و لا رجال) غيره و حميّه حلومكم (حلوم الأطفال و) عقولكم (عقول ربّات الحجال).

أمّا وصفهم بحلوم الأطفال فلأنّ ملكه الحلم ليس بحاصل للطفل و إن كانت قوّه الحلم حاصله له لكن قد يحصل له ما يتصوّر بصوره الحلم كعدم التّسرّع إلى الغضب عن خيال يرضيه و أغلب أحواله أن يكون ذلك فى غير موضعه و ليس له ملكه تكسب نفسه طمأنينه كما فى حقّ الكاملين فهو إذن نقصان، و لمّا كان تاركوا أمره عليه السّلام قد تركوا المقاوله حلما عن أدنى خيال كتركهم الحرب بصفّين عن خدعه أهل الشّام لهم بالمسالمه و طلب المحاكمه و رفع المصاحف، فقالوا إخواننا فى الدّين لا يجوز لنا قتالهم، كان ذلك حلما فى غير موضعه حتّى كان من أمرهم ما كان بأشبه رضى الصّبيان.

و أمّا إلحاق عقولهم بعقول النّساء فللاشتراك فى القصور و النّقصان و قلّه المعرفه بوجوه المصالح المخصوصه بتدبير الحرب و المدن ثمّ إنّه عرفهم محبّته لعدم رؤيتهم و معرفتهم بقوله (لوددت أنّى لم أركم) رؤيه أبدا (و لم أعرفكم معرفه) أصلا (و اللّه لقد جرّت) معرفتكم علىّ (ندما) و سئما (و أعقبت) حزنا و (سدما) ثمّ دعا عليهم بقوله (قاتلكم اللّه) أى لعنكم.

قال ابن الأنبارى: المقاتله من القتل فاذا أخبر اللّه بها كان معناها اللعنه منه، لأنّ من لعنه اللّه فهو بمنزله المقتول الهالك، يعنى أنّ المقاتله لمّا كان غير ممكن بحسب الحقيقه فى حقّ اللّه سبحانه فاذا اسند اللّه سبحانه لا بدّ و أن يراد بها لوازمها، كاللعن و الطرد و البعد و منع اللطف و نحوها.

(لقد ملأتم قلبى) لسوء أعمالكم سديدا و (قيحا و شحنتم صدرى) بقبح فعالكم غضبا و (غيظا و جرعتمونى نغب التّهمام) و جرع الهموم (أنفاسا) أى جرعه بعد جرعه (و أفسدتم علىّ رأيى بالعصيان و الخذلان) و معنى إفسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم إليه عن أن يكون منتفعا به لغيرهم (حتّى لقد قالت

ص:۴۰۰

قريش: إنّ ابن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب).

و ذلک لأنّ النّاس إذا رؤا من قوم سوء تدبير أو مقتضى رأى فاسد كان الغالب أن ينسبوه إلى رئيسهم و مقدّمهم، و لا يعلمون أنّه من تقصير القوم لا ـ من قصور الرّئيس، و لذلک تعجّب منهم و ردّ توهّمهم بقوله:(للّه أبوهم و هل أحد أشدّ لها) للحراب (مراسا) و معالجه (و أقدم فيها مقاما) و ممارسه (منّى و لقد) صرفت فيها تمام عمرى و (نهضت فيها و ما بلغت العشرين و ها أنا قد ذرّفت على السّتين).

ثمّ بيّن أنّ السّبب فى فساد حال أصحابه ليس ما تخيّله قريش فيه من ضعف الرّأى فى الحرب و قله التّدبير، بل عدم طاعتهم له فيما يراه و يشير إليه و ذلک قوله (و لكن لا رأى لمن لا يطاع) فانّ الرّأى الذى لا يقبل بمنزله الفاسد و إن كان صوابا، و المثل له.

قيل: و إنّما قال أعداؤه لا رأى له، لأنّه كان متقيّدا بالشّريعه لا يرى خلافها و لا يعمل بما يقتضى الدّين تحريمه، و قد قال هو عليه السّلام: لو لا الدّين و التقى لكنت أدهى العرب، و غيره من الخلفا كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه و يستوقفه سواء كان مطابقا للشّرع أو لم يكن هذا.

روى فى البحار من كتاب إرشاد القلوب باسناده إلى أبى جعفر الباقر عليهما السّلام قال: بينما أمير المؤمنين يتجهّز إلى معاويه و يحرّض النّاس على قتاله إذا اختصم إليه رجلان فى فعل فعجل أحدهما فى الكلام و زاد فيه، فالتفت إليه أمير المؤمنين عليه السّلام و قال له: اخسأ، فاذا رأسه رأس الكلب، فبهت من حوله و أقبل الرّجل بإصبعه المسبحه يتضرّع إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و يسأله الاقاله فنظر إليه و حرّک شفتيه فعاد كما كان خلقا سويّا.

فوثب إليه بعض أصحابه فقال له: يا أمير المؤمنين هذه القدره لک كما رأينا و أنت تجهز إلى معاويه فما لک لا تكفيناه ببعض ما أعطاک اللّه من هذه القدره؟ فأطرق قليلا و رفع رأسه إليهم و قال:

و الذى فلق الحبّه و برئ النّسمه لو شئت أن أضرب برجلى هذه القصيره فى

طول هـذه الفيـافى و الفلوات و الجبـال و الأـوديه حتّى أضـرب بهـا صـدر معـاويه على سـريره فـاقلبه على أمّ رأسه لفعلت، و لو أقسـمت على اللّه عزّ و جـلّ أن اوتى به قبـل أن أقوم من مجلسـى هـذا و قبل أن يرتـدّ إلىّ أحـد منكم طرفه لفعلت، و لكنّا كما وصف اللّه فى كتابه: عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون.

ثمّ روى فى البحار من الارشاد باسناده إلى ميثم التمّار قال: خطب بنا أمير المؤمنين عليه السّلام فى جامع الكوفه فأطال فى خطبته و أعجب النّاس تطويلها و حسن وعظها و ترغيبها و ترهيبها، إذ دخل نذير من ناحيه الأنبار مستغيثا يقول: اللّه اللّه يا أمير المؤمنين فى رعيّتك و شيعتك، هذه خيل معاويه قد شنّت علينا الغاره فى سواد الفرات ما بين هميت و الأنبار.

فقطع أمير المؤمنين عليه السّـلام الخطبه و قال: ويحك بعض خيل معاويه قـد دخل الدّسـكره التى تلى جـدران الأنبار فقتلوا فيها سبع نسوه و سبعه من الأطفال ذكرانا و سبعه إناثا و شهروا بهم و وطئوهم بحوافر الخيل و قالوا هذه مراغمه لأبى تراب.

فقـام إبراهيم بن الحسن الأـزدى بين يـدى المنبـر فقـال يـا أمير المؤمنين هـذه القـدره التى رأيت بهـا و أنت على منبرك إنّ فى دارك خيل معاويه ابن آكله الأكباد و ما فعل بشيعتك و لم يعلم بها هذا فلم تغضى عن معاويه.

فقال له: ويحك يا إبراهيم ليهلك من هلك عن بيّنه و يحيى من حىّ عن بيّنه، فصاح النّاس من جوانب المسجد يا أمير المؤمنين فالى متى يهلك من هلك عن بيّنه و يحيى من حىّ عن بيّنه؟ و شيعتك تهلك، فقال لهم: ليقضى اللّه أمرا كان مفعولا.

فصاح زيـد بن كثير المرادى و قال: يا أمير المؤمنين تقول بالأمس و أنت تجهز إلى معاويه و تحرّضـنا على قتاله و يحتكم إليك الرّجلان فى الفعل فتعمل «فيعجل ظ» عليك أحدهما فى الكلام فتجعل رأسه رأس الكلب فتستجير بك فتردّه بشرا سويّا.

و نقول لك ما بال هذه القدره لا تبلغ معاويه فتكفينا شرّه فتقول لنا:

ص:۴۰۲

و فالق الحبّه و بارئ النّسمه لو شئت أن أضرب برجلى هذه القصيره صدر معاويه لفعلت، فما بالك لا تفعل ما تريد إلّا أن تضعف نفوسنا فنشكّ فيک فندخل النّار.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: لأفعلنّ ذلک و لأعجلنّه على ابن هند، فمدّ رجله على منبره فخرجت عن أبواب المسجد و ردّها إلى فخذه و قال: معاشر النّاس أقيموا تاريخ الوقت و أعلموه فقد ضربت برجلى هذه السّاعه صدر معاويه فقلبته عن سريره على أمّ رأسه فظنّ أنّه قد احيط به، فصاح يا أمير المؤمنين فأين النّظره؟ فرددت رجلى عنه.

و توقّع النّاس ورود الخبر من الشّام و علموا أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا يقول إلّا حقّا، فوردت الأخبار و الكتب بتاريخ تلک السّاعه بعينها من ذلک اليوم بعينه أنّ رجلا جاءت من ناحيه الكوفه ممدوده متّصله فدخلت من أيوان معاويه و النّاس ينظرون حتّى ضربت صدره، فقلبته عن سريره على أمّ رأسه فصاح يا أمير المؤمنين و أين النّظره؟ و ردّت تلک الرّجل عنه، و علم النّاس ما قال أمير المؤمنين إلّا حقّا.

تكمله

قد أشرنا سابقا إلى أنّ هذه الخطبه من خطبه المشهوره، و أنّها ممّا رواها جماعه من العامّه و الخاصّه، و لمّا كانت روايه الصّدوق مخالفه لروايه السّيّد فى بعض فقراتها أحببنا ايرادها بسند الصّدوق أيضا ازديادا للبصيره فأقول:

روى فى البحار و الوسايل من كتاب معانى الأخبار للصّدوق عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى عن عبد العزيز بن يحيى الجلودى عن هشام بن علىّ و محمّد بن زكريّا الجوهرى، عن ابن عايشه باسناد ذكره أنّ عليّا انتهى إليه أنّ خيلا لمعاويه ورد الأنبار فقتلوا عاملا له يقال له: حسّان بن حسّان، فخرج مغضبا يجرّ ثوبه حتّى أتى النّخيله و اتبعه النّاس فرقى رباوه من الأرض فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على نبيّه ثمّ قال:

أمّا بعد فانّ الجهاد باب من أبواب الجنّه فتحه اللّه لخاصّه أوليائه و هو

لباس التّقوى و درع اللّه الحصينه و جنّته الوثيقه، فمن تركه رغبه عنه ألبسه اللّه ثوب الذّلّ و سيماء الخسف(۱) و ديث بالصغار، و قد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلا و نهارا و سرّا و إعلانا و قلت لكم: اغزوهم من قبل أن يغزوكم فو الذى نفسى بيده ما غزى قوم قط فى عقر ديارهم إلاّ ذلّوا.

فتواكلتم و تخاذلتم و ثقل عليكم قولى و اتّخذتموه ورائكم ظهريّا(۲) حتّى شنّت عليكم الغارات، هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار و قتلوا حسّان بن حسّان و رجالا منهم كثيرا و نساء.

و الذى نفسى بيده لقد بلغنى انّه كان يدخل على المرأه المسلمه و المعاهده فينتزع أحجالهما و رعثهما(۳) ثمّ انصرفوا موفورين لم يكلم أحد منهم كلما فلو أنّ امرء مسلما مات من دون هذا أسفا ما كان عندى فيه ملوما بل كان عندى به جديرا.

يا عجبا كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم، و فشلكم عن حقّكم إذا قلت لكم اغزوهم فى الشّتاء قلتم هذا أوان قرّ و صرّ، و إن قلت لكم اغزوهم فى الصّيف قلتم هذا حماره القيظ انظرنا ينصرم الحرّ عنّا، فاذا كنتم من الحرّ و البرد تفرّون فأنتم و اللّه من السّيف أفرّ.

يا أشباه الرّجال و لا رجال، و يا طعام الأحلام، و يا عقول ربّات الحجال و اللّه لقد أفسدتم علىّ رأيى بالعصيان و لقد ملئتم جوفى غيظا حتّى قالت قريش إنّ ابن أبى طالب شجاع و لكن لا رأى له فى الحرب، للّه درّهم و من ذا يكون أعلم بها و أشدّ لها مراسا منّى، فو اللّه لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، و لقد نيفت اليوم على السّتّين، و لكن لا رأى لمن لا يطاع يقولها ثلاثا.

فقام إليه رجل و معه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين أنا و أخى هذا كما قال

۱- (۱) سيماء الخسف علامه الخسف.

۲- (۲) أى لم تلتفت اليه يقال لا تجعل حاجتى منك بظهرى أى لا تطرحها غير ناظر اليها صدوق

۳- (۳) - هى الشنوف واحدها رعثه و جمعها رعاث و جمع الجمع رعث، ص.

اللّه عز و جلّ حکایه عن موسی: ربّ إنّی لا أملك إلّا نفسی و أخی، فمرنا بأمرك فو اللّه لننهتنّ «کذا» إلیه و لو حال بیننا و بینه جمر الغضا و شوك القتاد، فدعا له بخیر ثمّ قال علیه السّلام و أین تقعان ممّا أرید، ثمّ نزل.

قال إبراهیم فی کتاب الغارات، إنّ القائم إلیه العارض علیه جندب بن عفیف الأزدی هو، و ابن أخ له یقال له عبد الرّحمان «بن ظ» عبد اللّه بن عفیف، و اللّه أعلم بحقایق الوقایع.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن حضرتست در توبیخ أصحاب خود بجهه تثاقل ایشان از قتال و جدال و تحضیض ایشان بجهاد معاویه رئیس بدعت و ضلال می فرماید بعد از حمد إلهی و درود نامتناهی بر حضرت رسالت پناهی:

پس بدرستی که جهاد دری است از درهای بهشت عنبر سرشت، گشاده است آن را خداوند ودود بجهه دوستان خاصّهٔ خود، و اوست لباس پرهیزکاری و تقوی و زره استوار خدا و سپر محکم حق سبحانه و تعالی، پس هر که ترك نماید آن را بپوشاند خدا او را جامهٔ خواری، و شامل شود او را بلاء و گرفتاری، و خار گردانیده شود بمذلت و بی اعتباری، و زده شود بر دل او بذهاب عقل و بیخردی، و گردانیده شود حق از او، و مغلوب می شود بجهه تضییع کارزار، و الزام می شود بذلت و خواری، و ممنوع می شود از انصاف و دادگری.

آگاه باشید که بتحقیق خواندم شما را به محاربهٔ این فرقهٔ طاغیه شب و روز و در نهان و آشکار، و گفتم بشما که جنگ کنید با ایشان پیش از آنکه ایشان با شما جنگ نمایند پس بخدا قسم که هیچ غزا کرده نشد قومی هرگز در اصل خانهٔ خودشان مگر این که خوار و ذلیل شدند پس موکول کردید شما کار خود را بیکدیگر، و خوار نمودید شما یکدیگر را، تا این که ریخته شد غارتها پیاپی بر شما، و گرفته شد از شما وطن ها با غلبه و استیلا.

و این مرد که برادر غامد و سفیان بن عوف غامدی است بتحقیق که وارد

شده لشکریان او بشهر انبار، و بیقین که کشته است حسّان بن حسّان بکری را و زایل نموده سواران شما را از سرحدهای آنها، و بتحقیق که رسید بمن آنکه مردان قبیله داخل شده بر زن مسلمه و بر کافر ذمیّه پس بر می کنده خلخال و دست برنجهای او را، و گردن بندها و گوشواره های آن را، امتناع نتوانسته است آن زن از آن مرد مگر با گریه و زاری و با قسم دادن بقرابت و خویشی.

پس آن قوم بد نهاد بعد از غارت کردن مراجعت نموده اند در حالتی که تمام بوده اند در حین مراجعت با غنیمت، نرسیده بمردی از ایشان هیچ زخمی و ریخته نشده او را خونی، پس اگر بمیرد مرد مسلمان پس از این ظلم دل سوز از روی غم و اندوه نباشد بمردن ملامت کرده شده، بلکه هست نزد من بآن لایق گردیده.

ای بسا تعجب ای قوم تعجب کنید چه تعجبی بخدای لا یزال که می میراند دل را، و می کشد اندوه را از انفاق آن گروه بر باطل خود، و از تفرقهٔ شما از حق خود، پس زشت باد روی شما و حزن باد بر شما هنگامی که گشتید هدف تیرانداخته شده، غارت میکنند بر شما و غارت نمی کنید و جنگ میکنند با شما و جنگ نمی نمائید، و نافرمانی کرده می شود خدا و شما خوشنود می باشید.

پس هرگاه امر میکنم شما را برفتن سوی دشمنان در ایام تابستان می گوئید که این شدت گرماست مهلت ده ما را تا سبک شود از ما گرما، و هر وقتی که امر میکنم شما را بسیر نمودن بطرف خصمان در وقت زمستان می گوئید که این شدت سرماست ما را بگذار تا برطرف شود از ما سرما.

این همه عذرها از برای گریختن است از گرما و سرما پس چون بودید از گرما و سرما می گریزید پس شما بخدا سوگند از شمشیر گریزانتر هستید.

ای جماعت شبیه بمردان بحسب شکل و صورت و نیستید مردان از روی معنی و حقیقت، حلمهای شما مانند حلمهای بچگانست، و عقلهای شما مانند عقلهای زنان، هر آینه دوست می داشتم آنکه نمی دیدم شما را و نمی شناختم شما را شناختنی که بخدا سوگند که کشیده است ندامت و پشیمانی را و متعقّب شده است

اندوه و پریشانی را.

لعنت کند خدا شما را هر آینه پر کردید دل مرا از ریم و زرداب، و پر ساختید سینهٔ مرا از خشم و التهاب، و نوشانیدید مرا جرعه های غم و اندوه را نفس نفس، و فاسد ساختید رأی مرا بر من با معصیت و خذلان تا آنکه گفتند قریش بدرستی که پسر أبی طالب مردی است شجاع و لکن مهارت در حرب ندارد.

خدا نگه دار باد پدران ایشان را آیا هیچیک از ایشان سخت تر است مر حرب را از روی علاج و مقدّم تر است در حرب از روی ایستادن از من، هر آینه قیام نمودم در معارک قتال با شجاعان و أبطال در حالتی که نرسیده بودم بیست سالگی، و اکنون که سن من افزون گشته بر شصت سال، یعنی در عرض این مدت غالبا مشغول بوده ام بر جنگ و جدال، و لکن هیچ رأی نیست کسی را که فرمانبردار نشود و اطاعت او را نکنند.

الی هنا انتهی الجزء الثالث من هذه الطبعه النفیسه و قد تصدی لتصحیحه و تهذیبه العبد: «السید ابراهیم المیانجی» و وقع الفراغ فی شهر ذی القعده الحرام سنه ۱۳۷۸ و یلیه الجزء الرابع انشاء اللّه و أوله أول المختار الثامن و العشرین و الحمد لله کما هو أهله.

ص:۴۰۷

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ.ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹


مرکز تحقیقات رایانه ای
قائمیه
اصفهان
WWW
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹